المصباح
مجلةٌ علميّة فصليّةٌ محكّمةٌ
تُعنى بالدراساتِ والبحوثِ القرآنيةِ

(٤٥)

العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

المصباح

مجلةٌ علميّة فصليّةٌ محكّمةٌ
تُعنى بالدراساتِ والبحوثِ القرآنيةِ

تصدرُ عن

العتبة الحسينية المقدسة

العَدَدُ الخامس وَ الأَرْبَعُونَ – (شعبان/١٤٤٣هـ – آذار/٢٠٢٢م)

السَّنَة الثاني عَشْرَة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education &
Scientific Research
Research and Development

No :
Date:

العدد: ب ت/ ١٢٨٢
التاريخ: ٢٠١٣/١٠/٦

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المصباح

تحية طيبة...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٤٩٩٦ في ٢٠١٣/٩/٢٩ والحاقا بكتابنا المرقم ب ت ٨٠٣٣/٤ في ٢٠١٣/٦/٦ بالإمكان اعتماد "مجلة المصباح" الصادرة عنكم لأغراض الترقية العلمية .

....مع وافر التقدير

أ. م.د. محمد عبد عطية السراج
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠١٣/١٠/٦

نسخة منه إلى/
- دائرة البحث والتطوير/ الشؤون العلمية.
- الصادرة.
انس/١٠/٦

Website:www.rddiraq.com mail : gd_office@rddiraq.com .scientificdep@rddiraq.com
الهاتف / ٧١٩٤٠٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.: الرقم: ب ت 6 / 5664
Date: التاريخ: 2020/11/03

(بالبريد الالكتروني)

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المصباح

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

اشارة الى كتابكم بالعدد ١٦٨٣٨ في ٢٠٢٠/٩/٢٤ والمتضمن طلبكم بفهرسة اعداد مجلة المصباح في موقع المجلات العلمية العراقية الاكاديمية (iasj.net) ، يرجى ارسال مخولكم السيد (علي رضا الحائري) الى دائرتنا لتسليمة حساب المجلة مع كلمة المرور وتدريبة على النظام لرفع اعداد المجلة للموقع.

..... مع وافر التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٠/١١/

نسخة منه الى:
- مكتب السيد المدير العام لدائرة البحث والتطوير – للتفضل بالاطلاع ...مع التقدير.
- قسم ادارة المشاريع الريادية / شعبة المشاريع الالكترونية / مع الاوليات .....مع التقدير.
- الصادرة.

رئيس التحرير

أ . د . عليّ عبَّاس الأعرجيّ

مدير التحرير

أ . م . د . لواء عبد الحسن عطية

هيأة التحرير

أ.د. حازم سليمان الحلي
جامعة الكوفة / العراق

أ.د. قاسم محمَّد كاظم
جامعة ذي قار / العراق

أ.د. محمَّد عبد الحسين الخطيب
جامعة كربلاء / العراق

أ.د. صفاء توفيق كاظم
جامعة بغداد / العراق

أ.د. عبدالواحد زيارة إسكندر
جامعة البصرة / العراق

أ.د. عليّ خلف حسين
جامعة ديالى / العراق

أ.د. عبدالباقي بدر ناصر
الجامعة المستنصريَّة / العراق

أ.د. سعيد جاسم عبَّاس الزبيديّ
جامعة نزوي / سلطنة عُمان

أ.د. ستَّار عبدالحسن جبَّار
جامعة القادسيَّة / العراق

أ.د. حسام محمَّد نادي محمَّد النادي
جامعة الفيُّوم / مصر

أ.د. حسن حبيب الكريطيَّ
جامعة كربلاء / العراق

أ.د. عبد القادر ميلود سلامي
جامعة تلمسان / الجزاير

أ.د. حسن كاظم أسد
جامعة الكوفة / العراق

الشيخ د. منصور مندور
الأزهر الشريف / مصر

أ.د. صاحب منشد عبَّاس
جامعة المثَّنى / العراق

أ.د. كبرى روشنفكر
جامعة تربيت مدرَّس / طهران

مجلةٌ علميّة فصليّةٌ محكّمةٌ
تُعنى بالدراساتِ والبحوثِ القرآنيةِ

العدد الخامس والأربعون ـ (شعبان/١٤٤٣هـ - آذار/٢٠٢٢م)

مدقّق النصّ العربيّ

أ.م.د.ادريس حمد هادي الموسويّ

جامعة بابل / كليّة الآداب

مدقّق النصّ الإنجليزي

أ.م.د.اسراء طالب سعد

جامعة الكوفة / كليّة التربية للبنات

م.د.عبّاس حسن عبيّس

الإخراج و التصميم

عليّ رضا الحائريّ

العنوان الوقعيّ

مجلّة المصباح - مقابل باب السلام

كربلاء المقدّسة - جمهورية العراق

الترقيم الدولي ISSN

2226-5228

رقم الإيداع في دار الكتب و الوثائق

٢٠١٠/١٤١٤

المراسلات تعنون باسم رئيس التحرير

٠٧٤٣٥٠٠٥٨٠٥

٠٧٤٣٥٠٠٠٢٤٢

مسؤول الموقع الإلكتروني

عليّ رضا الحائريّ

البريد الإلكترونيّ

almissbah@yahoo.com

almissbah@imamhussain.org

موقعنا على شبكة الانترنت

www.almissbah.org

سياسة النشر

١. أن يكون البحث منسجمًا مع اختصاص المجلَّة وتوجُّهها في نشر الأبحاث التي تتعلَّق بالقرآن الكريم حصريًّا.

٢. أن لا يكون البحث منشورًا في مجلَّة داخل العراق وخارجه، أو مستلًّا من كتاب أو رسالة جامعيَّة أو محمَّلًا على الشبكة العنكبوتيَّة على أن يلتزم الباحث بذلك بتعهُّد خطِّي على وفق الأنموذج المحرر أسفل هذه الضوابط.

٣. أن لا يكون البحث نمطيًّا أو ممَّا أُشبع موضوعه بحثًا، أو سرديًّا أو إحصائيًّا أو إجرائيًّا ممَّا لا يتمثَّل فيه جهد الباحث الفكريّ.

٤. أن يحتوي البحث المطلوب للترقية العلميَّة على عناصر البحث العلميّ، من ملخّص باللغتَين العربيَّة والإنجليزيَّة ومقدِّمة ومباحث ونتائج ومسرد مفصَّل بالمصادر .

٥. يُرسل البحث محمَّلًا على CDأو فلاش أو بوساطة البريد الإلكترونيّ للمجلَّة مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل عنده. ولا تستوفي المجلَّة أيَّة مبالغ نقدية عن نشر الأبحاث المطلوبة للتحكيم والترقية.

٦. تقوم المجلَّة بإشعار الباحث بوصول البحث، ثُمَّ تُشعره بقبول النشر في حال موافقة هيأة التحرير على ذلك، وعندها يكون البحث ملكًا للمجلَّة لا يجوز تقديمه للنشر في مجلَّة أخرى.

٧. ترتيب الأبحاث في المجلَّة يخضع لسياق فنِّي صِرف ولا علاقة لأهميَّة البحث أو المكانة الباحث بذلك.

٨. يهمل كلُّ بحثٍ لا يحمل المعلومات المطلوبة عن الباحث (اسمه – درجته العلميَّة – مكان عمله – عنوانه الكامل ورقم هاتفه أو عنوان بريده الإلكترونيّ).

٩. يُستحسن للباحث الإشهار بنشاطه العلميّ والثقافيّ في سطور قليلة.

١٠. تحتفظ هيأة التحرير بحقِّ حذف أو تعديل ما لا يتماشى وسياسة المجلَّة في نشر علوم القرآن الكريم حصريًّا أو ما خرج منها عن منهج البحث العلميّ أو الموضوعيّ أو ما مسَّ جوهر العقائد الإسلاميَّة ورموزها الفكريَّة والدينيَّة .

١١. الالتزام بالحجم المتعارف للبحث العلمي، بحيث تتراوح عدد كلماته بين (١٠٠٠٠-١٥٠٠٠) كلمة.

تهدف المجلَّة إلى توفير فرص متساوية لجميع الباحثين، حيث تقبل الأبحاث العلميّة استنادًا إلى محتواها العلميّ وأصالتها، وترى المجلَّة في أنَّ الالتزام بأخلاقيَّات النشر المهنيَّة تعدُّ أهميَّة قصوى يجب على الباحثين والمُحَكَّمين مراعاتها لتحقيق رؤية المجلَّة وأهدافها.

وفيما يأتي بيان أخلاقيَّات النشر العلميّ الخاص بالمجلَّة، ويتضمَّن لوائح وأنظمة أخلاقيَّة خاصَّة برئيس التحرير وأعضاء هيأة التحرير والمُحَكَّمين والباحثين، التي تتوافق مع مبادئ لجنة أخلاقيَّات النشر العالمية(COPY)، وهذه الأخلاقيَّات هي:

- رئيس التحرير يقوم بمتابعة وتقويم البحوث تقويمًا أوليًّا، والنظر في مدى صلاحيَّتها للنشر، أو الاعتذار من النشر، قبل إرسالها إلى السَّادة المُحَكَّمين.
- يتولَّى رئيس تحرير المجلَّة بالتعاون مع هيأة التحرير وذوي الاختصاص من خارج هيأة التحرير مسؤوليَّة اختيار المُحَكَّمين المناسبين على وفق موضوع البحث، واختصاص المُحَكَّم بسريَّة تامَّة.
- تقدَّم المجلَّة في ضوء تقارير المُحَكَّمين والخبراء خدمة دعم فنّيّ ومنهجيّ ومعلوماتيّ للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم جودة البحث. .
- الالتزام بعدم التمييز بين الباحثين على أساس العِرق، أو الجنس، أو النوع الاجتماعيّ، أوالمعتقد الدينيّ أو القيميّ، أو أي شكل من أشكال التمييز الأخرى، عدا الالتزام بقواعد البحث ومنهجه ومهارات التفكير العلميّ في عرض الأفكار وتقديمها والاتِّجاهات والموضوعات ومناقشتها وتحليلها.
- تلتزم المجلَّة بعدم جواز استخدام أي عضو من أعضاء هيأتها، أو المُحَكَّمين أفكار البحوث غير المنشورة التي يتضمَّنها البحث المحال على المجلَّة في أبحاثهم الخاصة. يجب على الباحثين ضمان أصالة أبحاثهم واستيفائها للمعايير المهنيَّة والأخلاقيَّة العالية للباحثين، وما يترتَّب على ذلك من مصداقيَّة عالية في تقديم النتائج من دون تحريف النتائج البيانات.
- يجب على الباحثين التحلِّي بالموضوعيَّة، وتعني أخلاقيًّا ذكر الحقائق التي تمَّ التوصُّل إليها كما هي، سواء عزَّزت وجهة نظر الباحث أو تعارضت معها، من دون أي تغيير أو تحريف عليها.
- يجب على الباحثين التحلِّي بالدقَّة، وتعني أخلاقيًّا اعتماد مقاييس دقيقة مستندة إلى قيم وأسس علميَّة، للوصول إلى نتائج علميَّة مقبولة.
- يجب على الباحثين استخدام الطريقة العلميَّة المنهجة في الوصول إلى الحقيقة.

- يجب على الباحثين التحلّي بالحياديَّة، أي الابتعاد عن التعصُّب والتزمُّت والتمسُّك بالرأي والذاتيَّة، أي أن يكون الباحث منفتحًا عقليا على الحقيقة العلميَّة.
- يجب على الباحثين اعتماد الأدلَّة والبراهين الكافية لإثبات صحَّة النظريَّات والفرضيَّات للتوصُّل إلى الحلّ المنطقيّ المعزَّز بالأدلَّة.
- يلتزم المُحَكَّمون بالتأكد من خُلوّ الأبحاث من الانتحال أو السرقة، كما يجب عليهم الإشارة إلى جميع الأعمال المنشورة التي جرى الانتحال منها في متن البحث المُحَكَّم.
- تلجأ المجلَّة إلى استخدام برامج مكافحة الانتحال المناسبة للتحقُّق من أوجه التشابه بين الأبحاث المقدمة والأبحاث المنشورة.
- حقوق الملكية الفكريَّة تعود إلى المؤلِّفين، وتلتزم المجلَّة بالحفاظ عليها، وعدم إعادة نشرها إلا بإذن خطِّي من المؤلِّف.

دليل المؤلَّف أو المؤلِّفين

تضمن صفحة ضوابط النشر معظم ما جاء في دليل المؤلِّفين.

تنشر مجلَّة المصباح البحوث العلميَّة، حيث تعتمَّد في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكليَّة والموضوعيَّة للمجلَّات الدولية المحكَّمة وفقًا لما يأتي:

أوَّلًا: أن لا يكون البحث منشورًا كلًّا أو جزءًا في أيَّة وسيلة إعلاميَّة، أو تمَّ نشره في مجلَّة إلكترونيَّة أو ورقيَّة، داخل العراق أو خارجه.

ثانيًا: لا تنشر المجلَّة مستلَّات أو فصولًا أو مباحثًا من رسائل وأطاريح جامعيَّة تمَّت مناقشتها في أيَّة جامعة من الجامعات العلميَّة داخل العراق أو خارجه.

ثالثا: أن يشتمَّل البحث على العناصر الأساسيَّة الآتية:

١. عنوان البحث باللغتَين العربيَّة والإنكليزيَّة، واسم الباحث، والجامعة أو المؤسَّسة العلميَّة والبحثيَّة التي ينتمي إليها.

٢. ملخَّص البحث يكون باللغتَين العربيَّة والإنكليزيَّة ما بين (١٠٠ – ١٥٠) كلمة والكلمات المفتاحية (Key Words) يضمُّ أهداف البحث وأدواته ومنهجه، وأهم النتائج التي توصَّل إليها البحث.

٣. تحديد مشكلة البحث، وأهميَّته، وأهدافه، وتحديد المصطلحات والإطار النظريّ ومناقشة النتائج وتفسيرها التي توصَّل إليها البحث، على وفق المنهج العلميّ المتَّبع للبحوث الأكاديميَّة .

٤. أن يقع البحث ضمن مجال أهداف المجلَّة، واهتماماتها البحثيَّة، مع مراعاة الإضافة المعرفيَّة التي يقدَّمها الباحث من خلال الدراسة والتحليل.

٥. يقدَّم البحث مطبوعًا طباعة ليزريَّة على الحاسوب من نسخَتَين، وعدد صفحات البحث (١٥–٤٠) صفحة، مع قرص يتضمَّن البحث إلكترونيًّا، والملخَّصَين، مع سيرة ذاتيَّة للباحث على قرص (CD)، وأن يكون خاليًا من الأغلاط اللغويَّة والطباعيَّة

٦. يتمُّ تنسيق البحث طباعة بأن يكون نوع الخطَّ (Simplified Arabic)، وحجم الخطَّ (١٦) غامق للعنوان الرئيس، و(١٥) غامق للعناوين الفرعيَّة، و(١٤) للنصوص، والمسافة بين الأسطر (١)، وترقيم جميع الصفحات.

٧. توثَّق الهوامش في الصحيفة نفسها من البحث، وأن يكون حجم الخطَّ (١٢).

٨. أن يتضمَّن البحث قائمة المصادر والمراجع كاملة التوثيق آخر البحث على وفق صيغة MLA (اسم المؤلَّف (المؤلِّفون) أو المحقَّق (المحقِّقون)، عنوان الكتاب، الطبعة، بلد النشر، الناشر، سنة النشر) مرتَّبة على وفق الحروف الهجائيَّة، مع إفراد الدوريَّات، أو المواقع الإلكترونيَّة بعدها.

رابعًا: يخضع كل بحث إلى تحكيم سرِّي، يقوم به أستاذان (محكِّمان من المختصَّين اختصاصًا دقيقًا في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلميَّة، على وفق استمارة محدَّدة، وفي حال تباين تقارير الأستاذَين، يحال البحث إلى أستاذ ثالث، وتلتزم المجلَّة موافاة الباحث بقرارها الأخير، النشر / النشر بعد إجراء تعديلات محدَّدة / الاعتذار عن عدم النشر، وذلك في غضون شهرَين من تسلم البحث، والتزام الباحث بقرار التحكيم بتعديل البحث ثم نشره.

خامسًا: تُقبل البحوث المشتركة من باحثَين أو أكثر، ويتمَّ إشعار الباحث أو الباحثين بقبول البحث بكتاب رسميّ صادر من المجلَّة.

سادسًا: تلتزم المجلَّة باحترام الخصوصيَّة والسريَّة والموضوعيَّة والأمانة العلميَّة، وعدم بيان أعضاء هيأة التحرير عن أيَّة معلومات بخصوص البحث المحال إليهم، أو إلى أي أستاذ غيرهم.

سابعا: تنشر المجلَّة ما يتعلَّق بها تقوم به جهة إصدارها من مؤتمَرات، وحلقات نقاشيَّة، وندوات علميَّة بحثيَّة ضمن تخصُّصات وتوجُّهات المجلَّة في ملفٍّ خاصٍّ بذلك.

ثامنًا: يخضع ترتيب نشر البحوث على وفق الموضوعات العلميَّة وأبواب المجلَّة المختصَّة بها، مع مراعاة تسلسل تسلُّمها للبحث مرفقًا بكتابٍ خاصٍّ يبيِّن نسبة الاستلال من البحوث والدراسات الأخرى،- فضلًا عن إجراء ملاحظات الخبيرَين العلميَّين للبحث إن تطلَّب ذلك.

تاسعًا: يزوَّد الباحث بنسخة واحدة من المجلَّة، ونسخة من بحثه (مستل) مجَّانًا.

عاشرًا: تُعنون المراسلات كافَّة على البريد الإلكترونيّ الخاص بالمجلَّة حصرًا.

almissbah@imamhussain.org

دليل المقوّمين

تحرص مجلّة المصباح على ضمان أعلى درجات الكفاءة والإنصاف في عملية التقويم فضلًا عن ضيان توحيد آليّة التقييم، والاتّفاق على مراحلها، والتأكيد على أهميّة استيفاء كافّة معايير التقويم المنصف والدقيق، لذلك نرى أنّ المهمّة الأساسيّة للمقوّم العلميّ للبحوث، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصُّصه العلميّ بعناية فائقة، وتقوّمه على وفق ورؤي ومنظور علميّ أكاديمي لا يخضع الآرائه الشخصيّة، ومن ثمّ يقوم بتثبيت ملاحظاته الصادقة حول البحث المرسل إليه، وقبل البدء بعمليّة التقويم ينبغي أن يكون البحث المرسل ضمن تخصُّصه العلميّ، وأن يُعاد البحث إلى المجلّة في مدّة لا تتجاوز خمسة عشر يومًا، ويتمُّ التقويم على وفق المحدّدات الآتية:

١. العنوان ومدى اتّساقه مع المحتوى.
٢. سلامة المنهج العلميّ المستخدم مع المحتوى.
٣. مدى توثيق المصادر والمراجع وحداثتها.
٤. الأصالة والقيمة العلميّة المضافة في حقل المعرفة.
٥. هل البحث يتّفق مع السياسة العامّة للمجلّة وضوابط النشر فيها.
٦. هل البحث مسلًا من دراسات سابقة، توجب على المقوِّم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلّة.
٧. بيان فيما إذا كان ملخّص البحث يصف بشكل واضح مضمون البحث وفكرته باللغتَين العربيّة والإنكليزيّة .
٨. هل تفسير الباحث للنتائج التي توصّل إليها خلال بحثه بشكلٍ علميّ يستند إلى الأُطرالنظريّة التي اعتمد عليها.
٩. يجب أن تجري عملية التقويم بشكلٍ سرّيّ ، وعدم اطّلاع المؤلّف على أي جانب فيها، وتسلّم الملاحظات مكتوبة إلى مدير التحرير.
١٠. إنّ ملاحظات المقوّم العلميّة وتوصياته سيُعتمد عليها وبشكل رئيس في قرار قبول البحث للنشر من عدمه.

إقرار وتعهُّد بالملكيَّة الفكريَّة

عنوان البحث.....

١. أقرُّ بأنَّ البحث لم يسبق نشره ولم أقدِّمه لأيَّة جهة لنشره كاملًا أو ملخَّصًا وغير مستل من رسالة أو أطروحة.

٢. أتعهَّد بالتقيُّد بتعليمات وأخلاقيَّاته النشر المعمول بها والمنشورة بالمجلَّة، وتدقيق البحث لغويًا، وأن تكون حقوق النشر للمجلَّة.

٣. في حالة موافقة هيأة التحرير على نشره، أوافق على أنَّه ليس من حقِّي التصرُّف بالبحث إلَّا بعد الحصول على موافقة خطيَّة من رئيس التحرير.

٤. راجعتُ النسخة النهائيَّة للبحث وأتحمَّل المسؤوليَّة القانونية والأخلاقيَّة لما قد يرد فيه، وعليه وقَّعت في أدناه.

اسم الباحث الأوَّل.....

اسم الوزارة والجامعة والكليَّة أو المؤسسة التي يعمل فيها الباحث

.....

أسماء الباحثين المشاركين (إن وجِدوا).....

توقيع الباحث..... التاريخ / / ٢٠.

المحتويات

البحوث		
التَّرَابُطُ النَّصِّيُّ فِي آيَاتِ الصِّيَامِ	أ.د.جمال عبد العزيز أحمد جامعة القاهرة / كلية دار العلوم	٢٥
الجهاد بالمال في القرآن الكريم دراسة تفسيرية	أ.د.محمد كاظم حسين الفتلاوي جامعة الكوفة / كلية التربية المختلطة	٦٣
رؤية معاصرة في التعدُّد الوظيفي لاستعمال الأداة (أمَّا) في القرآن الكريم والموروث اللغويّ	أ.م.د.كريم حمزة حميدي جاسم كلية الإمام الكاظم عليه السلام أقسام بابل	١٠٥
آيةُ الجِزية عند مفسري الإماميّة (دِراسة نقدّية- تحليلية- مقارنة)	د. الشيخ علاء عبدالهادي المالكي جامعة المصطفى العالمية	١٢٥
قوله تعالى ﴿قُولُوا حِطَّةٌ﴾ دراسة دلالية- تاريخية- مقارنة	أ.د.كبرى روشنفكر اميرحسين گلشنى جامعة تربيت مدرس/ طهران	١٦٧
الأساليب الحجاجيَّة عند ابن شهرآشوب المازندرانيّ "٥٨٨هـ" في كتابه "متشابه القرآن والمختلف فيه" قراءة معرفيَّة	م.د.حيدر عواد رفيج جامعة ذي قار/ كليَّة الآداب	٢٠٣
الدراسات الاستشراقيَّة و النقدية		
سورة قريش بين التراث العربي وفهم المستشرقين	أ .د. عادل عباس النصراوي جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية	٢٣٣
مآخذ المستشرقين على المعجم العربي و الدّرس الدّلالي القرآني	م. د. نبراس حسين مهاوش جامعة بغداد / كلية الإعلام	٢٦١

التحقيق و نقده		
شجرة الطور في شرح آية النور لعلي الحزين محمد علي بن أبي طالب الزاهدي اللاهيجي الجيلاني (ت:١١٨٠هـ)	أ. د. حيدر كريم الجمّالي جامعة الكوفة كلية التربية الأساسية	٢٨١
الدراسات المُترجمة		
المنطق في القرآن	أ.م. د عسكري سليماني أميري ترجمة : أيوب ناصر نعمة	٣٣٧
دراسات ببليوغرافيا		
المخطوطات القرآنية والمصاحف في خزانة مخطوطات مسجد الكوفة	أمير كريم الصَّائغ مسجد الكوفة المعظم	٣٦٧
نافذة المصباح		
كتابُ (الجُّهُود التَّفسيريَّة عندَ الإمام الحُسين عليه السلام) عرضٌ ونقدٌ	د. إيمان كريم جبَّار الحريزي جامعة الكوفة/ كليّة التربية للبنات	٤٢٥

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

بحوث العدد

البحوث وما تتضمنها من آراء وافكار تعبر عن رأي كتابها

قل هو الله أحد
الله الصمد
لم يلد ولم يولد

التَّرَابُطُ النَّصِّيُّ فِي آيَاتِ الصِّيَامِ

أ. د. جمال عبد العزيز أحمد
جامعة القاهرة /كلية دار العلوم
جمهورية مصر العربية

textual coherence in the verses of fasting

Prof. Dr. Gamal Abdel Aziz Ahmed
Cairo University / Faculty of Dar Al Uloom
Republic of Egypt
Email: drgamal2020@hotmail.com

ملخص البحث

يتناول البحث قضية الترابط النصي في آيات الصيام في سورة البقرة، وبيان أطره وأنماطه، وقد تضمنت هذه الآيات الكريمات- محل البحث- عدة أساليب لغوية أسهمت في كشف دلالة النص، وبيان ألوان الترابط النصي فيه، منها أسلوب الشرط الذي ورد فيها مرتين، وأسلوب التوكيد، وأسلوب الأمر الذي ورد مرتين، وأسلوب الترجي، وأسلوب العطف، وأسلوب الحذف، وأسلوب التشبيه، وأسلوب الربط، بفاء الجزاء التي تقع في جواب الشرط وأسلوب التقديم والتأخير وأسلوب الإغراء في بعض توجيهات الآي الكريمة (شهرَ رمضانَ بنصب شهر على الإغراء) ، وأسلوب التعليل وأسلوب التحقيق.

كما استعملت الروابط اللفظية التي تمتِّن التراكيبَ، وتجعلها أكثر تماسكا، وأشد ترابطا، والتحاما، مثل: إذا الشرطية، وفاء الجواب التي تربط ربطا قويا ومحكما وسريعا بين الشرط والجواب، وتفيد السرعة، وواو العطف، ولام الأمر، و"لعل" التي كانت بمثابة الرابط للجملة الختامية بما سبقها من جمل وعبارات، وتعليل لها وهو ما يبين ربطها وشدة إحكامها.

كما ذكرت الآيات الكريمات الأساليب الخبرية، والأساليب الإنشائية، ونوعت في استعمالها وفق السياقات القرآنية وما وراءها من أحكام وثواب، وقيم وآداب، فهناك الأسلوب الخبري، مثل: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٣] ، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٥] ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٥] ، ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٦] ، وتنوع أساليب الإنشاء كذلك، فكان منها أسلوب النداء، وأسلوب الرجاء وأسلوب الشرط، وأسلوب الأمر، وأسلوب التعليل.

كما وضح فيها التعلق الذي زاد الترابط النصي تماسكا، وآخى بين جمله وعباراته، ومنه (كما كتب- على الذين - من قبلكم- لعلكم- الفاء - منكم- أو- على سفر- وعلى الذين -

الواو العاطفة- بكم- لام الأمر التي تكررت مرتين - على ما هداكم- ولعلكم.... إلخ).

وقد أسهمت حروف المعاني في زيادة أواصر الربط، وتقوية وشائج الصلة بين التراكيب، وتداخلت معها الدلالات إلى حد بعيد، وتماسكت العبارات تماسكًا محكَمًا، حتى إنها لتكاد تنطق كلها في نفَسٍ واحد لاتساع رؤيتها، ووضوح منظومتها الحُكْمية، وتآزر كلماتها في إبراز حكم الصيام حتى انتهت الآيات الكريمات، وقد أعطتنا كلَّ ما وراءها من قيم وتربويات، وأحكام، وإيمانيات من خلال تلك الروابط اللفظية التي انتشرت بين آيها، وجملها، وألفاظها، ومتَّنت تلك الروابط بين الجمل، فكانت تلك الوشائج المتلاحمة، والمعاني المتلازمة، والبيان المحكم، والمراد الواضح، والجمال والكمال القرآني الآسر.

هذا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

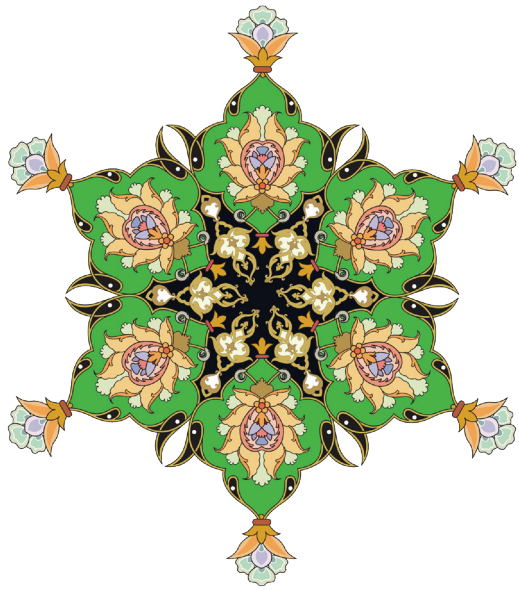

Abstract

Thats so and the noble verse contained linguistic methods which had taken a part in revealing the text connotation and clarifying the shapes of the script threading in the text for example; emphasizing style the style of the command which appeared twice hopefulness style sympathy/conjunctions style style of deletion analogy style linking style using Faa al-Jaza which is found in condition/ al-Shart answer present and delay style flattering style at some of the orders on the holy verse (Shahr Ramadan/ the month of Ramadan through positioning "Shahr" on flattering style) reasoning style and interrogation style.

The verbal links were used to strengthen the grammatical structures and make them linked firmly for example; Etha Alsharteyah faa al-Jawab which make firm and tight connection between al-Shart/The condition and the answer to the condition and giving the text instantaneity and(و) Waw-al-Atef and(ل) Lam-alAmar and "La'ala"(لعل) which was used as a connecter to the ending sentence with the previous sentences and phrases and giving reasoning to it which is what explaining their connectivity and firm structure.

Add to that the noble verses mentioned the news/Al-khabari style and art of composing styles and were used in different ways according to the Quranic contexts and what they hold hidden for example; the judgements the rewards values and etiquette.

the news/Al-Khabari style for example; O you who have believed decreed upon you is fasting - Allah intends ease for you not hardship - The month of Ramadān [is that] in which was revealed the Quran a guidance for the people and clear proofs of guidance and criterion indeed I am near. I respond to the invocation of the supplicant when he calls upon Me and the arts of composing style were varied too and among them was the calling/Al-neda style the begging/Al-Raja style the condition style order style and reasoning style.

The clinging in the text was appearing which added more power to the text connectivity and merged between the sentences and phrases for example

(As it was written - on those - before you - that you may - Alfa - of you - and - on a journey - and on those - waw affection for you M - the mother of the matter that was repeated twice - for what He guided you - and perhaps you....etc)

meaning letters/Huroof al-ma;ani have taking a part the linking strength and connectivity between the text structures and the semantics/Aldalalat overlapped with them so much. The phrases consolidate firmly until they appeared as if they speak altogether in one voice because of the breadth of vision in the text and the clear judgment procedure and the synergy between the words to reveal the rule of fasting until the end of the noble verses and they have given us all the pedagogical values rules and spiritualities all through the verbal links which were spread all around the verses the sentences and words. And those connections were empowered between the sentences and that resulted the concurrent meanings the precise statement the clear intent the captivating beauty and perfection of the Quran.

بين يدي البحث:

هذا بحث يتعلّق بشهر رمضان، هذا الشهر الفضيل ، الشهر العزيز على كلِّ مسلم، متخصًّا كان، أو غير متخصص، وكلما هَلَّ على الكون نوره، راح كل مسلم يعيش لحظاته، وساعاته، وأيامه بشكل يحفظ عليه حرمة الشهر، ويحاول جاهدًا ما وسعه الجهد تقدير لحظاته، وحسن استثمار أيامه، وجميل استغلال أوقاته، وارتأيت أن أعيش مع آي الكتاب العزيز التي نزلتْ في تلك المناسبة المباركة، وأتجول في رياضها، وأعتبق نسيمها، وأشتم روائحها الزكية، وأعيش في أفياء آياتِ رمضان والاعتكاف، ولحظا ليلة القدر وأحلل كل كلمة نزلت فيها، وأدور دلاليا ولغويا، باحثا عن أثر الترابط في تمتين أواصر ووشائج نسيج النص، وكاشفا عن إمكانات القرآن الكريم في تعميق الدلالة، وترسيخ المفاهيم، وبعث الروح في قلب الجمل، وروح العبارات، وضخِّ كل ما يمكن من ألوان الفهم، والإدراك، في نفس القارئ، وسأبيِّن من خلال التحليل النحوي، وربطه بالدلالة مدى هذا التماسك النصي: لفظا ومعنى، وأثره في بيان المراد، وتوضيح المقصود في تلك المناسبة الكريمة؛ عسى أن نحصل فوائدها، وقيمها، وثوابها، وفضلها، وفضل رمضان بعامة، فكان لأجل ذلك كله أن يكون موضوعًا جديرا به بحثي هذا الذي بين أيديكم، والذي يدور حول محاور ثلاثة:

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ثم تليها دراسة لما جاء في القرآن الكريم من آيات حول أحكام الصيام، وآدابه، أدور حولها لغويا، وأقدم تحليلا نحويا لآيه الكريمات، وربط ذلك بالدلالة، وبيان ألوان التماسك النصي، والترابط الدلالي فيها ، ثم أختم ببعض المقترحات والتوصيات، ثم بالنتائج التي أقف عليها من خلال البحث النحوي والدلالي لها ،وأضمنها أهم تلك النتائج التي سيسفر عنها هذا البحث، ثم المصادر والمراجع.

ولعل أهم أسباب اختيار هذا الموضوع ليكون بحثًا لي تكمن في الآتي:

أسباب اختيار البحث:

- أننا نعيش تلك الأيام جلال الشهر، وتَضُمُّنَا أجواؤُه، ويشملنا بدفئه، وما فيه من تلاوات هنا وهناك، وتدبر، وتعايش مع آياته، كل وفق تخصصه، وثقافته، والبحث يدور حول الربط النصي والتماسك بين كلماته وعباراته، وما راءها من دلالات وبلاغات وقيم وتربويات، وأخلاقيات.
- إبراز ما في تلك الآيات من ترابط نصي ، وتماسك جملي، وإظهار ألوان السبك والحبك التي تضمنتها تلك الآيات الكريمات، ورصد كل ذلك.
- الكشف عن جماليات الترابط النصي، وعلاقته بالجانب الدلالي.
- إظهار عطاءات شهر القرآن في آيات رمضان من جانب لغوي، وذلك من خلال النظر النحوي لتلك الآيات، وربطها بما وراءها من دلالات أدت إلى هذا التماسك النصي الذي سنراها من خلال التحليل، والعيش نحويا ودلاليا في تلك الأجواء الإيمانية الرائعة، وبيان كيف عكس التركيبُ النحويُّ هذه المعانيَ الإيمانيةَ الكبيرةَ في ثوبها اللغوي الراقي، وجملها: قِصَرًا وامتدادًا، وما تضمنته من تماسك على كل المستويات: الفكرية، والدلالية، والقيمية، والقاعدية، وغيرها، وكذا على مستوى حروف المعاني، وغيرها من إمكانات اللغة القرآنية الكريمة، وعطائها المتواصل.
- بيان ما تمتلكه آيات الذِّكْرِ الحكيم من طاقات لغوية، وإمكانات إبداعية، تبيِّن ما تحتها من معانٍ ودلالات تدور حول آيات الصوم، وإظهار ما في السورة من عطاءات تربوية، ودلالية من خلال التحليل النحوي، والنظر التركيبي لكلمات كل آية من الآيات، محل الدراسة، واستنطاق حروفها، وبِناها، وأساليبها، وتراكيبها.

أهمية الموضوع:

تتأتى أهمية تلك الدراسة في أنها تتناول حدث من أهم أحداث الإسلام حيث نزول القرآن في ليلة القدر، وأحكام الصيام، وكيفية الطاعة في تلك الأيام التي يعتبرها المسلمون

خير أيام السنة، ويقصدون إليها قصدا ؛ حيث إن ليلة واحدة فيها كليلة القدر، تعدل ألف شهر، أيْ ما يقارب ثلاثا وثلاثين سنة وثلث السنة، كما أنني أود أن أقف على ما فيها من تماسك تركيبي، وترابط نصي، وبيان ما فيها من سبك وحبك متناغمين، متلازمين، جعلا تلك الآيات محل نظر العلماء، على اختلاف مشاربهم، وتباين معارفهم، والجميع يدلي بدلوه في بيانها، وبيان قيمتها، ومكانتها من خلال فنه، وتخصصه، فهي موضوع الوقت، وبحث الساعة، والظرف الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية ومع كتاب ربها، وما نزل فيه بخصوص رمضان، والاعتكاف، وما فيها من ليلة قدر.

حدود البحث:

يتناول البحث ما يدور حول رمضان من حيث: أحكام الصيام، ويبحث في تراكيبها اللغوية بحثا نحويا لغويا نصيًّا، ويدور حول وسائل تماسك النص فيها: ظاهرا(سبكا)، وباطنا (حبكا)، واستخراج كل ألوان هذا الترابط النصي، وعلاقته بالجانب الدلالي، والبلاغي، والتربوي، والقيمي، ربطا متوازنا بين ما تعطيه القاعدة النحوية من جانب، وما تمليه الناحية الدلالية من جانب آخر؛ لكي نرى ما فيها من ظواهر تركيبية، ووشائج القربى، وعلائق الجمل ببعضها، وتشابك دلالاتها، وتكامل معانيها، وترابط جملها، وأساليبها، فهي تتناول آيات من سورة البقرة: صياما واعتكافا وتهجدا، وقياما في ثوبها اللغوي وأنماطها التركيبية، وجمال اختيار اللفظة في محلها من الآيات الكريمات.

المنهج المتبع في البحث

يتعلق البحث بدراسة نصّ قرآني كريم في إطار ومنهج علم اللسانيات، ذلك العلم الذي يبحث في وسائل تماسك النصوص، وتعالق أجزائها، وتداخل نسيجها حتى تتكون منها وحدة كلية واحدة تؤدي أغراضا محددة، ومراميَ معينة في مقامات تبليغية واضحة، ولا شك أن دراسة كتلك الدراسة في إطار علم اللسانيات تمثل مدخلا أساسيا لدراسة انسجام النصوص، واتساقها، فهما (أي الانسجام والاتساق) مظهران أساسيان للترابط النصي، ويحتلان موقعًا مركزيا في تلك البحوث، والدراسات الحديثة، وهي دراسة تطبيقية

تهدف إلى تحقيق الآتي:

- إبراز الترابط النصي المعجز في كتاب الله من خلال النظر النحوي واللغوي لآيات القرآن الكريم ذات هدف محدد، وجاءت لبيان أحكام خاصة بفرض من فروض الإسلام، وهو فرض الصيام، وتناغم آياته في نسيج لغوي، وفكري، ودلالي واحد.
- كشف النقاب عن جماليات النص القرآني في ضوء العلوم اللغوية الحديثة، كالدراسات اللسانية، بدءًا من الجملة القرآنية الواحدة، ووصولا إلى عتبات النص القرآني، أو الخطاب القرآني في السورة القرآنية الكاملة ، أو المقطع القرآني التام الخاص بحدث محدد، متكامل، كما سلف من أننا بصدد بيان حكم الصيام وحكم الاعتكاف، وما يتعلق بهما من قريب أو بعيد.
- كما أنها محاولة لكشف جانب من جوانب إمكانات اللغة القرآنية في ما يتعلق بظاهرة الترابط النصي، ووسائلها لكشف آليات اتساق النص القرآني، وانسجامه في كل موضوع يهدف القرآن الكريم إلى كشفه، وبيان المراد منه، وقيمه التربوية والأخلاقية، ومراميه الإيمانية للقارئ المسلم؛ ليعمل في حياته العملية، والاجتماعية والإنسانية ومع من حوله من إخوانه بناءً على مقتضاه ومطلوباته، ووفق عمق فهمه لتعليمات القرآن الكريم، وعطاءاته.
- بيان أن القرآن الكريم - بعد التأمل والتحليل- قد تضمن تلك الدراسات الحديثة من ترابط، وتماسك، ولسانيات لغوية، واتساق، وانسجام، وهو أمر قد لقي من العلماء المسلمين اهتمامًا بالغا به من خلال دراستهم للنص القرآني دراسة متأنية نحوية وصرفية وبلاغية ودلالية تفسيرية متعمقة سطحية ومتداخلة ، غير أن المصطلح الحديث لم يكن يجري بلفظه في كتاباتهم و حسب ، لكنه شاع في تحليلاتهم، ونظرتهم الكلية للجملة القرآنية، وهم – بكل أمانة وموضوعية- نبهوا على كثير مما جاء به اللسانيون المحدثون، بدليل أنه - رغم نزول القرآن الكريم

منجما- وفق الحوادث والأحداث، إلا أنهم عَدُّوه كله كالكلمة الواحدة، وأشاروا إلى كثير من إحالاته وعود الضمائر فيه وتماسك سوره وآيه، وهو سر من أسرار الكتاب العزيز، ولعل ترتيبهم للسور بهذا الصنيع، وترتيبهم لآيه الكريمات بهذا الترتيب الذي هو ترتيب وقفي عن رسول الله ﷺ رغم نزوله صيفًا وشتاء، مكيا ومدنيا، ليلا ونهارا، ورغم تعدد أزمنة ذلك التنزيل، ومناسباته المتباينة، وهو - كما أسلفت- أمر توقيفي- لهو خير دليل على قضايا التماسك النصي، والانسجام، أو الترابط الدلالي بمفهومه الواسع، والدقيق، ولعل الإمام البقاعي رحمه الله في كتابه الموسوعي، الموسوم ب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) أو الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه المعنون ب:" تناسق الدرر في تناسب السور"، ومن لف لفهم وقرأ عنهم كجواهر البيان في تناسب سور القرآن لعبد الله الغماري ، وجواهر الدرر في علم مقارنات السورللأستاذ أمحمد المستغانمي ، والبرهان في تناسب القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، أبو جعفركل ذلك منهم كان موفَّقا غاية التوفيق، وإلى حد بعيد، بل كان سابقا لمن أتوا بعده في تسجيل تلك الظاهرة التي عُدَّت اكتشافا حديثا جرى على ألسنة اللسانيين المحدثين، وهي ظاهرة لغوية مبثوثة في كتابات القدامى وأهل اللغة والتفسير والبلاغة، وموجودة في كتابات كثير من القدامى ، اللهم إلا المصطلح الذي أتوا به، وشاع على ألسنة المعاصرين من اللسانيين واللغويين كاللسانيات، أو نحو النص، أو علم النص، أو النصيات الحديثة، أو الدراسات النصية، وما إلى ذلك من مصطلحات جَرَتْ في هذا الميدان على ألسنة أولئك العلماء المحدَثين.

تعريفات مهمة في البحث:

مفهوم نواة النص:

يقصد بنواة النص تلك الكلمة أو تلك الجملة التي تمثل محور النص الذي يرتبط به كلُّ

ما في النص من عناصر ومن بينها المرجعية التي تتحقق عن طريق كل من: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة [١].

مفهوم الترابط النصي:

الترابط النصي هو من أهم عناصر التحليل اللغوي لأيِّ موضوع يتناول التماسك النصي، ويبحث في وسائل هذا الترابط النصي، متناغما مع الترابط الدلالي، بمعنى أن التحليل النصي يعتمد أساسًا على الترابط في تحقيق النصيَة، فالترابط يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضا بالعلاقات بين النص، وما يحيط به؛ ومن ثم فإن الترابط يحيط بالنص كاملا: داخليا وخارجيا، فالترابط هو قوام النص، أو هو على الأقل شرطٌ أولُ لكي يكون الكلام/ الخطاب نصا، والترابط النصي ذو طبيعة دلالية من ناحية، وذو طبيعة خطية شكلية من ناحية أخرى، وإن الطبيعتين تتضافران معا لتحقيق الترابط الكلي للنص، سواء نظرت إليه داخليا أم خارجيا، فهما عنصران يبرزان كل جوانب الترابط أو التماسك النصي، ولابد من دراسة نسيج النص من خلالهما ليعطي مراده ظاهرا وباطنا، كلا وجزءا، شكلا ومضمونا [٢]

تعريف النص ومعايير النصية:

عرف اللسانيون النص بأنه: «مجموعة من الأحداث الكلامية التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي، ومتلق له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل «، وعرفه بعضهم بأنه « التسجيل الحرفي للحدث التواصلي، وتبدو أهمية المرسل أو المتكلم في تعريف[٣] للنص بأنه :»حدث تواصلي يلزم لكونه نصًا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعه ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي:

(١) (ينظر: علم اللغة النصي للدكتور صبحي إبراهيم الفقي ١/ ١٦٦، ونسيج النص للأزهر الزناد ٣١، ٣٦).

(٢) (ينظر:أثر الترابط النصي في فهم الدلالة: سورة الأعراف نموذجا للباحثة: لبعرباوي نورية ماجستير جامعة وهران- الجزائر ٢٠١١- ٢٠١٢ م: ص٢٧).

(٣) (عند روبرت آلان دي بوجراند- علم لغة النص ١١٠)

١- السبك.

٢- الحبك

٣- القصد.

٤- القبول أو المقبولية.

٥- الإعلام أو الإخبارية.

٦- المقامية.

٧- التناص.

ويلاحظ في هذا التعريف ومعاييره السبعة الإشارة إلى الحدث التواصلي، وهو يتكون من خلال العلاقة الثلاثية بين المرسل، والمتلقي، والإشارة إلى القصد، وهو شأن متعلق بالمتكلم .

ويتحدث علماء النص عن أهمية البحث في ثقافة المتكلم، ومستواه الاجتماعي، ومقصده من كلامه، وعلاقته بالمتلقي.[١].

الدراسة النحوية التحليلية لآيات الصيام

وبيان أوجه الترابط النصي فيها:

عندما نقرأ آيات الصيام، ونتوقف أمام فريضة رمضان، وأحكامه في سورة البقرة نتعجب لذلك الترابط، والتلاحم بين آياته، وترى انسيابية الآياتِ، ومتانة التماسك: لفظًا، ومعنى، كما يطالعك السبك بين لفظة ولفظة، ويتراءى الحبك لك في أعلى صوره بين كل تركيب، وتركيب، وأسلوب، وأسلوب، ويتضح هذا الترابط بين كلمات الآية الواحدة، وما بعدها من كلمات، وتتعانق الجمل، وتتآخى التراكيب، ويتناغم هذا التماسك بين كلٍّ

(١) (العلاقات النصية في القرآن الكريم- دراسة نحوية لجهود المفسرين د. مصطفى أحمد عبد العليم- جامعة القاهرة كلية دار العلوم - بحث منشور على منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة الدولية بتاريخ ٤/ ٢/ ٢٠١٦ ، وراجع كذلك : أثر الترابط النصي في فهم الدلالة: سورة الأعراف نموذجا للباحثة: لبعرباوي نورية ماجستير جامعة وهران- الجزائر ٢٠١١- ٢٠١٢ م: ص٢٧)

الآيات، حتى تنتهي جميعا، وما شعرت بانتهائها لشدة تعلقها بعضها وتداخل دلالاتها، وكأنها تركيب واحد بين يديك أركانه، وتقع بين ناظريك عناصره تراها في نظرة واحدة، وتقرؤها في نفَسٍ واحد، فتشعر بعظمة ما تقرأ، وقدسية ما تفهم، فتزداد له تعظيما، وترتقي به روحًا، وذاتًا.

يقول الله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البَقَرَة من الآية ١٨٣ الى الآية ١٨٧] بدأت الآيات الكريمات بنداء المؤمنين، وجِيءَ في بدايتها بوصف الإيمان الذي معه تُذعِنُ النفسُ راضيةً، ويسلِّم القلبُ عن كامل إقرار، وخشوع، وتام إذعان، وخضوع؛ لأن ما بعد النداء يتطلب سرعة التزام، وصادق امتثال، وكبير تجمُّل، وكثير تحمُّل، وكمال عبادة، وحسن وصال، فالنداء قد شدَّ انتباه المسلم، وأيقظ حرارةَ العلاقة بينه وبين ربه، وأراح صدره بسبب أن الله قد اعتدَّ بإيمانه، وثمَّنَه، والمعلوم أن الإيمان هو عقد بين المسلم، وربه، وذلك بأنْ يؤمن بكل ما ورد عنه، وأن يمتثل

بكلِّ ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من غير شك، أو ارتياب، أو تلكؤ، أو احتياج إلى نظر، أو إعادة تفكير، أو حصول اضطراب، فإن الإيمان إذعان، وامتثال، سواء أدرك المرء حكمة التكليف، أم لم يدركها، وسواء دخلت عقله وفكره، أم نَدَّتْ عنه، وابتعدت، وأن يكون له الجزاء الأوفى بعد إيمانه تسليمه وامتثاله، هذا هو أثر النداء بين العبد وربه عقد إيمان وطاعة، وثواب وقرب من الله وجنان ونعم، وهذا النداء تستشرف معه النفس متلهفةً لما يكون من أمر، ونهى، ونصح، ووعظ، ونحوه، ونداءات القرآن تختلف باختلاف المنادى عليه، فأحيانا ينادى على الإنسان نداء عاما: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفِطَار الآية ٦] ، وأحيانا ينادى على الناس بتذكيرهم بقضايا الإيمان:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾[البَقَرَة الآية ٢١] ، وأحيانا ينادي أهل الإيمان لبيان الأحكام وما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق وثواب، وهنا نادى أهل الإيمان الملتزمين بالأحكام الذين يسارعون بالامتثال لكل أمر ونهي ينفذونه، ويرضون ربهم بالقيام بكل ما أمر والانتهاء عن كل ما نهى. ثم يأتي بعد هذا النداء ذلك الخطابُ الخبري: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ فهي جملة خبرية، فيها إيجاز بالحذف لبناء الفعل للمجهول، أو لما لم يُسَمَّ فاعلُه (كُتِب)؛ لأن النفس المؤمنة تعرف تمامًا، وتُدرِك سلَفًا مَنْ الذي له حق الكتابة، وحق السَّنِّ والفرض، وحق التشريع، والتوجُّه، والامتثال والالتزام، وتدرك تمام الإدراك أنه الله جل جلاله ، فهو الذي يفرض، ويأمر، وينهى ويحكم، ونحن نمتثل، ونستمع، ونلتزم، ونأتمر، ويأتي شبه الجملة بعده: (عليكم) ليُفهمنا عظمة التكليف، وأنه تكليف عُلْوِيٌّ سماوي، يعلونا، وهو فوق رؤوسنا: تقديسًا، وتعظيما، والتزاما، وخضوعا، ونزل إلينا من ربٍّ كريم، والحرف (على) – كما هو عند النحويين وأهل اللغة – يفيد الفوقية والاستعلاء، وهنا فوقية واستعلاء حقيقي لله، وهذا يعني وجوب التمسك بهذا التكليف، وأن فرض الصوم لا دخلَ لأحد في سنِّه، واشتراعه، ولا حقَّ لأحد في ردِّه، ورفضه، والضمير: (كم) في: (عليكم) يدل على أنه لا يشذُّ أحدٌ عنه، فكلُّنا داخلون فيه، مشمولون به، مَعْنِيُّون بتنفيذه، فالأمة المسلمة كلها كالجسد الواحد،

ينزل الأمر والفرض على الجميع، وليس لأحد استثناء منه، أو خروج عليه، بل الجميع في تسليم، والكل في تعظيم، وتعريف الصيام ب" أل" العهدية يبيِّن عظمة التشريع، وأنه محدد معروف، لا زيادة عليه، ولا انتقاص منه، أيْ هو الصيام المعتبر شرعًا، والمسنون دينًا، وهو الوارد عن الصادق المصدوق، سيدنا محمدﷺ، والذي حدَّد ماهيتَه القرآنُ، والسنةُ، ويجب معه الاتباع، والانقياد، والتسليم، والإذعان، والحمد والشكر، والمسارعة في تنفيذه على وقته، وكامل هيئته.

فما بعد النداء قد ارتبط به، من حيث كونُه هو المطلوب تنفيذه، وهو المقصود من جملة النداء، ثم يأتي المشبَّه به، أو المقيس عليه ليربط الجمل ببعضها: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٣] ، أي فلستم بِدْعًا في الالتزام به، فقد نزل على مَنْ كان قبلكم، أيْ كُتب عليكم الصيامُ كتابةً وفرضًا ككتابته على السابقين، وسَنِّهِ للمتقدمين، بصرف النظر عن اختلاف هيأته، وتعدُّد طريقته، ثم تختم الآية بالهدف من سَنِّه، والغرض من فرضه: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾، فتحصيل التقوى هو الغاية المرادة منه، ومن كل تشريع آخر، وأن تمكين الإخلاص في القلب هو الأثر الذي يريد القرآن أن يُسكبه في قلب العبد من كل طاعة؛ لتستقيم حياته، ويعتدل سلوكه، ويُقَوَّمَ سعيُه، وتُرَشَّد خُطاه، ويتقبل الله مسعاه، وكلمة (لَعَلَّ) موجبة ، أيْ أن الذي أخذ الفرض بقوة، وقام بحقه، ونهض بقدسيته، وحافظ عليه، وصانه مِنْ كلِّ ما يخدشه- فإنه لاشك واصل إلى هدفه، ساعٍ إلى غرضه، موفَّق لنواله، وهكذا تتعانق كلمات الآية في رصف مشرق، وتَنَالٍ معجب، ودلالات يأخذ بعضها بحُجُز بعض، نداء، تبعه بيان بما كُتِبَ، وتخفيف؛ بكونه مكتوبًا على كلِّ مَنْ كان قبلكم، ثم بيان لأثره ونتيجته، وإيضاح لهدفه، وغايته، فجاءت الآية مسبوكة، محبوكة، متماسكه، متلاحمه، متناغمة، مترابطة: لفظا ومعنى، دلالة، ومبنىً .

ثم راح القرآن يشرح أحكام الصوم الذي جاء في الآية الأولى مجملا، ثم سيأتي تفصيله، فدخل الحبك هنا؛ ليربط بين الآيتين: فهو إجمال يتبعه تفصيل، وإخبار يرادفه التعليل، ويرافقه التفسير: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ ﴾ فرمضان أيامٌ، وليس شهورًا، مما يجعل النفس أكثر

اشتياقا، وتوقا إليه، وأكثر خوفا، وَوَجَلًا عليه؛ بسبب سرعه انتهائه، وعَجَلَة انقضائه ، وكأنه أيام قلائل، وهذا كلام فيه تيسير، وتخفيف على العباد، كما أن كلمة: (أياما) نكرة موصوفة ب(معدودات)، وهي كذلك منكَّرة، والكلمتان كناية عن قلتها، وسرعه قضائها، وانتهائها، وفيها كناية كذلك عن التحسر، والتعجب من مرور أوقات الطاعات عاجلةً، طائرةً، وأنها ساعاتٌ قلائل، كما أن فيها إيجازًا بالحذف، أيْ تصومون أيامًا معدودات، حيث حذف الفعل، وجاء المفعول فقط؛ ليدل عليه، ويشير إليه، ثم جاءت الفاء العاطفة ؛ لتربط كلمات الآية، وتغزلها في نسيج واحد: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٥] ، فهو قد عُطِف على سابقه بأسلوب شرط، يرتبط فيه الجواب بالشرط ، فتتمتَّن أواصرُ العبادات، وتترابط فيها تلك الدلالات، ونتعانق فيها هذه الجمل بكل وسائل السبك، وهي تتمثل في الروابط اللفظية، كالكاف (في : كما كتب)، وحرف الجر (على) ، وفاء الجواب، أو فاء العطف، ومَنِ الشرطية، والفعل الماضي هنا الذي أتي عقب المضارع، أي مَنْ يكن منكم مريضًا...، وتنكير كلمة (مريض) ونصبه؛ ليدخل معه كلُّ مريض، فليس أمر الصيام وقفا على مريض بعينه قد نال منه المرض كثيرا، أو على سفر شاق ومتعب، ومجهد، فقد ترك القرآن كل تلك الأوصاف واكتفى بتنكير (مرض وسفر) ليشمل كل مرضٍ، ويتناول كل سفر أو(على سفر) ، أيْ على أهبة السفر ، ولم يحدد سفرًا بعيدًا، أو سفرا فيه مشقة، و "أو" هنا رابط لفظي، يقوِّي من تماسك الأسلوب، وهذا فيه كناية عن التخفيف والتيسير، فقد جعل السفر والمرض في حد ذاته شاقا أو غير شاق سببا في جواز الإفطار، والأخذ بالرخصة دون العزيمة، ثم تأتي فاء الجواب: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ ؛ لتكون رابطًا، ومقويًا أواصرَ الكلمات، أي فَحُكْمُهُ صيام عدة من أيام أخر، ففيه إيجاز بالحذف، بحذف المبتدأ لوضوح المعنى، وظهوره من السياق (أي فالحكمُ صيامُ عدة أيام بديلة عن أيام الفطر في أثناء المرض أو السفر)أيام بدائل عما أفطر فيه المريض أو المسافر)، وتنكيرها يجعلها صالحة لأن تكون متتابعة ، أو فرادى غير متتابعة، وفي هذا كناية عن رحمة الله سبحانه في التكليف بالعبادة، حيث جعل السفر والمرض مفتوحًا، لم

يحدده بمرض مُقْعِدٍ، أو سفر مُتعِب، وهكذا تتعانق وسائل السبك مع أنماط الحبك في نسيج نَصِّيٍّ متناغم، وعمل مترابط أجمل ما يكون الترابط، وهكذا تبدو لغة القرآن الكريم، فمجموعة الجُمَل كأنها هي جملة واحدة، وعدة تراكيب يتضح من خلال التأمل، والتحليل كأنها تركيب واحد، هذه تُسْلِمُ إلى تلك، وتلك تُفْضِي إلى هذه ، في سلك لغوي منظوم، وعبارات محكمة ؛ لأنه كلام الله جلّ في علاه

كما يبدو بيان هذا الترابط الشديد، والتماسك الفريد كلك في تناول آيات الصيام، في ما بعدها من آيات كريمات حيث يقول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البَقَرَةِ الآية ١٨٤].

فقد بدأت الآيات بواو، تلك التي قد تكون واوَ ابتداء، أو واوَ عطف للجمل، وبها يتواصل ترابط الآيات، وتُوَضَّح أحكام الصيام، و«على» تفيد الاستعلاء والفوقية التي تَعنِي أن أحكام السماء تمضي معترفا مقَرًّا بها على كل إنسان، وهي فوق النقد، وتعلو على مجرد النقاش، فهي أحكام سماوية، وتعليمات إلهية، واجبة التنفيذ، وسرعة الالتزام؛ إذ يمكنهم الإفطار، ولكنْ عليهم إطعامُ مسكين، فقد كان رمضان وصيامه – في أول الأمر– شِرْعة، يُخَيَّر فيها المسلمون بين الفطر، والإطعام وبين الصوم، والإتمام، فمن أفطر– وهو قادر– فعليه إطعام مسكين واحد، وبها ونِعْمَتْ، فإنْ أطعمهم أكثر وأفاض عليهم فهو خير له، أما المريض والمسافر فلهما أن يُفطرا، ويقضيا؛ لقوله سبحانه : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٥] ، ثم نسخ الله ذلك، وأوجب سبحانه وتعالى الصيام على المكلَّف الصحيح المقيم، ورخَّص للمريض والمسافر في الإفطار، وعليه القضاء، وذلك في قوله:﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البَقَرَةِ الآية ١٨٥] ، فنُسِخ الحكم بهذه الآية، وأمسى على كلّ مسلم قادر أن يصوم الشهر كاملا إذا شهده.

وشبه الجملة ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ خبرٌ مقدمٌ، يفيد الإلزام زمانها ووقت نزولها،

ومبتدؤه المؤخر هو (فدية) ، وهذا المبتدأ الذي جاء بعده البدل، قد أتى رابطا بين المبدل والمبدل منه ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ ، فارتبطت الجملتان بدءًا بواو العطف، أو الاستئناف، ثم عادت فارتبطت بالصيام المتقدم، بضمير الإحالة: (يطيقونه) الذي قام بالربط والسبك بين التركيبين، ثم جاء البدل؛ ليؤكد هذا الترابط، ويعمل على تمتينه، ثم عطف بعد ذلك بفاء رابطة مُقَوِيَة لما قبلها، وقد دخلتْ على أسلوب شرط مكون اسم الشرط هو (مَنْ) وجوابه الذي هو مع شرطه شديد الترابط ، إذا جاءت فاءات عدة، منها الفاء عاطفة، أو المستأنفة التي وليتها فاءُ الجزاء، أو الواقعة في جواب الشرط، وكلمة (مَنْ) تشمل كلّاً من الرجال والنساء ، الكبار والصغار، والشباب، والشيب، البيض، والسود ، والحمر، وغيرهم، من العلماء أو من غير العلماء، فما دام مريضا أو على سفر فإنه يُفطر ويطعم مسكينا ، فمَنْ زَادَ زَادَ اللهُ ثوابه، وأجره، وكلمة (تطوَّع) وردت على صورة الماضي الذي يعني وجودَ متطوعين قادرين ، وفي قلوبهم رحمة، وفي صدورهم شفقه، ولديهم ما يتبرعون به، ويتطوعون، فقوله: (تطوَّع) معناه (يتطوِّع) فهو ماض يحمل دلالة المضارع، وكأن صاحبه تطوع والله قبِلَ تطوّعه؛ رحمةً به، وبيانا ليفرح قلبه، وتهش نفسُهُ، فكأنه عندما نَوَى وصدَق قَبِلَ الله عمله، وذكره بالماضي كأنه قام به بالفعل، وأنهاه، وهو كناية عن سعة رحمة الله، وكريم مَنِّهِ، ورأفته بعباده، وتنكير (خيرًا) ليشمل كلَّ ألوان الخير التي تَعنِي كل ألوان وأصناف الطعام، فالخيرية لا حدَّ لها، وحذف الموصوف اكتفاء بالصفة على سبيل الإيجاز، على شاكلة: ﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾ أي دروعًا سابغاتٍ، وهنا كذلك :"فمن تطوع" أيْ تطوع تطوُّعا أكبر وأكثر وأخير، ثم أتى جواب الشرط ؛ ليفيد السرعة في اجزاء، وتعجيل الفرحة بالثواب : (فهو خير له) والضمير يعود على التطوع، أيْ تطوعه خيرٌ له، وورد بالجملة الاسمية يجعله حكما ثابتا، إذ إن اصل وضعها أنها مفيدة للثبات والاستمرار، فالخبرية مؤكدة، وثابتة، ومحققة ما دام التطوع لوجه الله تعالى موجودا ، وأكَّد القرآن ذلك بالتركيب الاسمي : (فهو خير له)، واللام في (له) تفيد الملكية، والاكتساب، أي فهو محفوظ له، وثابت في صُحُفه، وقام الشرط رابطًا بين الدلالات ومقوِّيًا أواصرَ العبارات،

ثم ختم القرآن الكريم الآية بواو العطف، أو الاستئناف، وبجملة اسمية مكونة من مصدر مؤول: مبتدأ، بعده خبر هو أفعل تفضيل: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٤] أيْ صومكم هو أخير لكم، وجمعهم في سلك واحد بواو الجماعة : (تصوموا) أيْ أيها العباد الكرام المؤمنون، والمضارع (تصوموا) يفيد الاستمرار، وأفعل التفضيل جاء يرطِّب القلوب، ويستحثُّ الهمم، ويستنهض العزائم، فالصوم أفضل، وأحسن، وأخيرم الإفطار، وأكثر ثوابا، وكان ذلك تمهيدًا لبيان فرض الصوم على القادر الذي كان يفطر، وهو قادر على الصوم، ويطعم مكان كل يوم مساكين وفق الحكم القرآني، وفي ذلك تدريج التشريع، رحمةً من الله بعباده، ورأفة بهم: أن أخذهم خطوة خطوة، حتى فرض الصوم، وانتهت الرخصة، وفيه تعليم لنا أن نكون رحماءَ رقيقين على مَنْ تحت أيدينا من الناس الذين جعلنا الله مترئِّسين عليهم، وسائسين لهم، فلا نكلفهم فوق ما يطيقون، أو أن نمضيَ معهم بأسلوب متدرج، حتى نصل بهم الي الغاية المنشودة، فمن كان عنده – على سبيل المثال– أحد يدخِّن، أو يضيع وقتا هنا وهناك، أو لا يصبر عن النظر إلى النساء الحسناوات، أو لا يطيق صلاة القيام إذا كان الإمام لهم يقرأ جزءا كاملا كلَّ يوم، أو لا يقوي على التهجد في الليل، فعليه أن يسير معه سيرة القرآن تدريجيًّا، حتى ينتهي وحده إلى طريق الله، ويعود إلى الله، ويأخذ بالتشريع كله، وبالأوامر جميعها، لا يترك منها شيئا، وهذا من فقه الدعوة، وكبر عقلية الداعية، وسُمُوِّ عقله، ورقة قلبه، وفهمه لمقاصد دينه، وصدقه في دعوته: أن يأخذ الناس باليسر، لا بالعسر، وبالتبشير لا بالتنفير، ثم بعد ذلك تختم الآيات بأسلوب شرط، حُذِفَ جوابُه لتقدُّم دليله: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، أيْ إن كنتم تعلمون قدر الصوم وعظمة ثوابه وكبَر عاقبته ، فصوموا فهو خير لكم، وقد ترك القرآنُ الكريمُ الجواب؛ تقديرًا لفهم السامع، وإكراما لإيمانه وحضوره، وإكبارًا له، ولأن السياق معلوم غير مجهول، وهذا من خصائص القرآن الكريم: أن يعرِّض، أو يحذف بعض الكلمات والجمل في اللحظة التي يُعلَم فيها أن القارئ فاهم، عالم، مدرك للأسلوب، ومتبصر لكمال العبارة، والفعل (تعلمون) حُذِف مفعوله، أو مفعولاه للعلم به، فهو مجاز بالحذف للعلم به، وهكذا رأينا

كيف تتعانق الكلمات، وتتشابك العبارات، وتنسجم الجمل، وتتناغم الدلالات في نسيج واحد، حتى إنك لتقرأُ الآية كلَّها لا تكاد تتوقف؛ بسبب ذلك الترابط الشديد بين كلماتها، وورود كلِّ وسائل الربط موفورةً : لفظيا، ومعنويا أو ما يسمى بالسبك، والحبك، ووجود كل أنماط التماسك النصي واضحةً بيِّنةً.

ثم يقول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البَقَرَةِ الآية ١٨٥].

بدأت الآية الكريمة بإعلاء قدر الشهر بذكْره أولا، وفي التركيب حذفٌ، أي هذا شهر رمضان، أو ذاك شهر رمضان، وعبَّر عنه بالجملة الاسمية، ويمكن أن نعرب:" شهر رمضان" هو المبتدأ ، ويكون خبره ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ فعندئذ لا حذف، ولا إيجاز، ولكنَّ التعبير بالجملة الاسمية يفيد ثبات الحكم، واستمراره، وأزليته، ويُسَمَّى شهرًا لشهرته، وعِلْمِ العرب به، وإضافته إلى (رمضان) جاء تكريمًا له، وسبب التسميه أن المسلمين كانوا يصومونه أيام الحر الشديد ، حيث كانت الحجارة فيه تُرْمَضُ، أي تُحْمَى من شدة حرارة الجو، وتكون ملتهبةً حمراءَ، وجاء الترابط بين شهر رمضان، وما بعده بتلك الصفة : ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ ، أو بالخبرية على الوجه الإعرابي الآخر- كما سبق-، فقد حققت الإضافة ترابطا شديدا، كما حقق الوصف هنا كذلك ترابطًا قويًّا؛ لاتصاله بالموصوف، والصفة والموصوف كالشيء الواحد، وجاءت صلة الموصول ﴿ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ ليزيد الارتباطُ ، ويشتد التماسك، وتتآزر العبارات: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ فالتماسك متتابع، والترابط والدلالة متناغمة، وقد بُني الفعل للمجهول، أو لَمَا لم يُسَمَّ فاعله احتراما للسامع، وتقديرا لإيمانه، ولعلمه التام بمَنْ يَقدِر على الإنزال للكتب وفرض الأحكام، ومَنْ له حقُّ التشريع للخلق، وحق الالتزام منهم له، وفيه كذلك إيجاز بالحذف، أي الذي أنزل الله فيه القرآن، والفعل (أنْزل) يعني الدفعة الواحدة، والنزول الكامل له ،

بعكس الفعل (يتنزل) الذي يعني التدريج في التنزيل وفق الحوادث، وكما يقول المفسرون: نزل القرآن الكريم كله دفعة واحدة إلى السماء الدنيا في بيت العزة ليلة الرابع والعشرين من رمضان، أو نزل في ليلة القدر، كما نص القرآن الكريم ، وكلمة: (فيه) أي تعني خلاله ،أو في أثنائه، فكأن إنزاله شاعَ في عموم الشهر كله، وانبثَّ في جميع أيامه، وساعاته، ولياليه، وتعريف القرآن (بأل) العهدية الذهنية، أو (أل) الكمالية؛ لمزيد تكريم، وكبير تعظيم، ثم إنَّ ذلك يأتي كناية عن عظمة الشهر، وحرمته، وقدسيته ؛ إذ أنزل فيه الكتاب الخاتم الذي سيكون حَكَمًا لكل الأزمنة، وفي كل الأمكنة، إلى قيام الساعة، وسُمِّيَ قرأنا؛ إما من القراءة (قرأ)وذلك لكثرة قراءته وتتابع تلاوته على مر السنين والأزمان، وإما من الجمع، ففيه جمع الله بين الخبر والإنشاء، والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، والأمر والنهى ، والتحليل والتحريم، وذكر الجنة، وذكر النار، والحديث عن المؤمنين الطائعين، والكافرين المذنبين، والصلاح وحسن عاقبته، والباطل وسوء عاقبته، ففيه كلُّ ما يحتاج إليه الناسُ في كلِّ زمان ومكان، ثم تجيء الحال الموضحة للغرض من إنزاله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٥] ، وكلمة: (هدى) حال مفرده تلتها حالٌ شبه جملة: (للمتقين)، وتتابع الأحوال لون من ألوان الترابط الدلالي، وامتداد المعنى، وهيئة حصوله، ونمط من أنماط التماسك النصي، ثم جاء بعدها عطف مفردات: (بينات / الهدى/ الفرقان)، وهي نكرة وُصِفَتْ بشبه الجملة بعدها: ﴿ بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ ﴾، بحيث ترى كل جملة قد عطفت على أختها، في سلك منظوم، وعِقد منضود، لا يمكنك التوقف عن التلاوة، حتى تنتهى من الآية كاملة لشدة ترابط مكوناتها التركيبية وعناصرها الإسنادية، وتنكير (هدى) جاء ليشمل كل ألوان الهدى، وأنماطه، ومظاهره، ووسائله، و(أل) في الناس جنسية ، أي (هدى لجنس الناس)، أو إذا جعلناها عهدية، فهي هدى لمن آمن به من المؤمنين، وخاص بالمسلمين، وقد طالت العبارة هنا بوسائل الإطالة، وأدوات الربط اللفظي، التي منها الوصف، والعطف، والبدل، والتوكيد، وَوُرُودُ أشباه الجمل: (فيه/ للناس/ من الهدى)، فهي بمثابة الخيط المتين الذي يُوصِلُ بين الخرزات، أو حبات اللؤلؤ؛

لينظمها في شكلها الآسر، وتتابُعِها المَهيب، فقد حدَّد الشهر أولا، وسمَّاه، ثم حدَّد ما نزل فيه، وحدَّد بعد ذلك الغرض من نزوله تحديدًا واضحا، من خلال العطف المتتابع، وأشباه الجمل الرابطة المُمَتِّنَة للتركيب، الآخذة بِحُجُزِ الكلمات متتابعة منظومة في أسمى منظر، وأبهى حُلَّة، بحيث خرجنا في الأخير بمفهوم كامل شامل لمقاصد رمضان، وأسباب تشريعه، ووقفنا على جلال القرآن، وتشريفه للشهر بالنزول فيه، وتنكير (بينات) ليشمل كل أنماط البيان، ووسائل التوضيح، وتقديم شرائح الأمم، وتاريخ المجتمعات، وسلوكياتهم : الإيجابية، والسلبية، بكل صدق وموضوعية؛ حتى يتعظوا بِمَنْ أهلكه الله، وغضب عليه، ويقتدوا بمَنْ أكرمه الله، ورضي عنه، وأنزل عليه رضاه بسبب طاعته، وكريم امتثاله ، ثم عَطَفَ بفاء رابطة شارحة للحكم : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾، هذا أسلوب شرط، ارتبط فيه الجـواب ربطا محكمًا بالشرط بوساطة الفاء : ﴿فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾،وجاءت الهاء (ضمير الإحالة) في ﴿ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ عائدةً على (شهر رمضان)، رابطًة آخر التركيب بأوله، وجزأه بكلِّه، ومعنى (شهد) هنا أي حضر، وكأنَّ الشهر قد ظرفه، وشمله، والشهر لا يُشهَد، وإنما يُشهَد هلاله، فهو مجاز مرسل علاقته الزمانية، أو علاقته الكليَّة، واللام لام الأمر الذي يقتضي الوجوب، فاجتمع هنا أسلوبان: أسلوب الشرط ، وأسلوب الأمر، وجملة الشرط وردتْ إسمية ، تفيد ثبوت الحكم، وأزليته، ثم جاءت الواو العاطفة عطفَ جمل؛ لتزيد الكلام تماسكا، وتقويه ارتباطا، وتبيِّن كمال الحكم، وتمام، وجلال التشريع : ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ ، وليس هناك تكرار، وإنما حكم جديد، في أن المريض والمسافر يلزمهما الإفطارُ، ووجوب الإعادة في غير رمضان، وليسوا مخيرين في الإفطار، أو الصيام، كما كان في أول الآيات السابقة، وإنما نُسِخَ الحكمُ المتقدم، وصار أمر الإعادة فرضًا عليه فيما أفطره من أيام في الشهر الفضيل، وأمسى واجبًا في حق من أفطر، وفي الكلام إيجاز بالحذف، أي فمن كان منكم مريضا أو على سفر، فأفطر، فحكمه الصيام في عدة من أيام أخر، ولسنا مع الجمهور في تلك الزيادة ؛ لسببين؛ أولهما أنها زيادة ليست في الآية، فهي مردودة وإن كان التقدير منطقيا، فلا نزيد في

كتاب الله ما ليس فيه، وثانيهما أنها تبين أنه أمر راجع إلى الشخص، في أن يفطر، أو لا يفطر، وإنما هو في الحقيقة فرض لازم على كل مسافر أو مريض؛ لتحقق السفر أو المرض أيًّا كان: شاقا أو ميسَّرا، وتحقق المرض أيًّا كان: خفيفًا أو مُقعِدًا، دون انتظار لرغبة المسافر أو المريض؛ لأنه دخل في حكم المضطر، والاضطرار له أحكامه المعروفة في الفقه الإسلامي، وكان سيدنا عُمر رضي الله عنه يُلزم المسافرَ والمريضَ بالإعادة، وفي إحدى روايات الحديث الشريف: أن الرسول ﷺ لما رأى أناسا صاموا في السفر عَقَّبَ بقوله:" أولئك العصاة، أولئك العصاة، أولئك العصاة" قالها ثلاثا؛ تغليظا وتأكيدا على الحكم، وعدم تكراره مستقبلا في أيِّ عصر، ومصر، وتنكير "مريضا أو على سفر" دون وصف لأي منهما يؤكد ما ذهبنا إليه، من كونهما إذا وَقَعَا فقد وجبت الإعادة، دون تقدير أي محذوف، يتم معه الحكم، أو يتضح المراد، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وختمت الآيات بحكم عام يبيِّن طبيعة التشريع ، وهيئته، وخصائصه، وهو أنه يُسْر، والالتزام به سهْل ، والله يريد أن ييسر علينا، ويلطف بنا: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البَقَرَة من الآية ١٨٥] ، وبين العبارتين مقابلة، وبين لفظي: العسر واليسر طباق إيجاب، يبرز المعنى، ويوضحه، ويقويه ويرسخه، وتعريف كلٍّ منهما (العسر واليسر) يَشِي بكونهما مصطلحين شرعيَّيْنِ، محدَّدَيِ المراد، واضِحَيِ المقصود و(أل) في العسر واليسر إما أن تكون (جنسية) أيْ يريد بكم جنس اليسر، ولا يحب لكم جنس العسر، وإما عهدية تبين أن كلا منهما له معنى محدد شرعا، لا يجوز البعدُ عنه، ولا الانفكاكُ منه، واستكمل القرآن العطف بالواو (التي هي لعطف الجمل) : ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [البَقَرَة من الآية ١٨٥] ، تيسير لا تعسير، إكمال وتكبير، كلُّ ذلك جمعت بينه الواوُ الرابطة، وتضعيف الفعل (تكبِّروا) أفاد استدامة التكبير، واستمراره، وديمومته، وجاء المصدر مؤولا : (ما هداكم) أي لتكبيره، وتعظيمه على هدايته إياكم، وجاءت (ما) مبهمة؛ حتى يتبين طبيعة الهداية، وأنها متعددة، واسعة المفهوم، متفجرة الدلالة، فكل ما يمكن أن يدخل تحت الهداية دخل فيها واستوعبته (ما) الموصولة على (الذي هداكموه)، أو (ما) المصدرية

(على هدايته إياكم)، وجاء التذييل متناغمًا مع كل ما تقدم من نِعَمٍ، التي منها شرعة الشهر الفضيل، ومنها إنزال القرآن العظيم فيه، ومنها إرادة الهدى من الله لنا، ومنها وجود الفرقان الذي يجعلنا أصحابَ معيارٍ صحيحٍ ، وميزان سليم دقيق، نفرِّق بين الحق والباطل، ونحسن الموازنة من خلاله بين الأمور، ومنها كذلك نعمة التخفيف، بإفطار المريض والمسافر، أيا كان لون المرض أو السفر، والصوم في وقت لاحق بعد انتهاء أيام الصوم، وفيه كناية عن سعة رحمة الله، وكامل امتنانه، الأمر الذي جاء معه التذييل مقرونًا بالشكر: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أيْ لأجل شكر الله، وحمده على ما تفضل به من كلِّ هاتيك النعم، وتلك العطايا، ونرى أن كل كلمات الآيات قد حققت تماسكا أشبه بمنظومه من اللؤلؤ المنضود، المسلوك في نظام كريم، يأخذ بألباب الذي ينظره، ويستلب فؤاد من يطالعه، ويستجمع معه ذاته، وكُلَّهُ، في تناسق، وتماسك، وتناغم، وتآزر، وتشابك، وتداخل أنيق، أبرز أحكامَ وحِكَمَ الصيام، ووقفَنا على مقاصده، ومراميه، ومبانيه ومعانيه، فالحمد لله على نعمة القرآن، وجلال تراكيبه ، وكمال أساليبه، وتماسكه، والتحامه: سبكا وحبكا، وتعانقا وتواصلا، وتكاملا وترابطا ، جعل قارئيه يسجدون حمدا لربهم، وشكرا له : أن جعلهم من أتباع النبي ﷺ، ومن محبِّي القرآن الكريم، والداعين إليه ، والذائدين عن حياضه، والناشرين له، والذائدين عن حياضه، المدافعين عن قدسيته، وحرمته، عساهم عند ربهم يُقبَلون، ومنه يقرَّبون، ويُكرَّمون.

هذا، وتستمر أحكام الصيام، ويستمر معها ذلك التماسكُ النصي القوي، والترابط المتين بين ألفاظ كل آية، والآية الأخرى بعدها، ونرى من معطيات علم النص ما يُثلَج به الصدرُ، وما تَقَرُّ به العينُ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٦] ، بواو تعطف الجملة اللاحقة على السابقة في تناسق عجيب، يكمل بعضًا من الأحكام الصوم، ويبيِّن خصائص رمضان، وهو أنه يستجاب فيه دعاء العبد؛ ومن ثم جاءت الأداة (إذا) التي يقول عنها أهل النحو واللغة: إنها وُضِعَتْ للاستمرار، والتحقيق ، والتأكيد، وهذا يعني أن العبد إذا سأل ربه حقَّق سؤله، واستجاب دعاءه، ولم

يؤخر رجاءه، ويسمع نداءه، ولم يقل : "وإن سألك " التي تفيد الشك، والارتياب، وهي أداة رابطة، ظرف يُمَتِّن، ويقوِّي، ويوثِّق صلة الجواب بالشرط،(المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد)، أيْ في لحظة وزمن الدعاء يستجيب الله رب الأرض والسماء، فدعاء العبد لا يضيع، ورجاؤه محقق الوقوع، سواء في الدنيا، أو في الآخرة، وفيه بيانٌ بعِلْمِ الله أن العبد في اللحظة المعيَّنة سيدعو بالدعاء المعين، والفعل "سألك" ماض بمعنى الحاضر، أو المستقبل، ولكنْ ورد ماضيا كأنه حصل، وحدث، وتفوَّه به العبد المؤمن ، رافعا أكفَّ الضراعة، سائلا ربَه ما يريد، وما يرغب، وفي كلِّ ما يرغب فيه، ويشاء، وقد تقدَّم المفعولُ به، وحُصِرَ الفاعل؛ لبيان أن السائل الحق، والداعية الصِّدْق هو من عباد الله، وليس من عبيده؛ إذ العباد هم من اختاروا طريق الله، والدار الآخرة، وارتضوا بِحُرِّ أفئدتهم سبيل ربهم وإرضاءه، والعبيد هم بقيةُ الخلق، ممن لا يعبد الله، ولا يعرف له وقارا، والكاف في: (سألك) هي ضمير الرسول ﷺ الذي يوضح، ويبين مدى انتمائهم لرسولهم ﷺ إذ لم يَهُبُّوا لغيره، ولم يأخذوا عمَّن سواه، وإنما وضح لهم الطريق، والهدف، واتخذوا من رسولهم قدوة، وأسوه فراحوا يسألونه عن ربه؛ لكونه النبيَّ المرتضَى، والرسول المجتبَى، حبيبَ ربِّ العالمين الذي هو مستجاب الدعوة، محقق الرجاء، فكونهم يتوجهون إليه بسؤاله فهذا دليلٌ على صدق الإيمان، وكمال الأسوة، وجميل الاتباع، وكلمة (عبادي) ونسبتها إليه سبحانه فيه برهان على حبّه لهم، وحبهم إياه سبحانه ، وصدق ولائهم لمولاهم، وحسن سيرهم على هداه، فأخذوا وصف العبودية الذي لا يناله كثيرون، ولا يُحسنه ويُحسن الطريقَ إليه ملايينُ البشر، فهؤلاء وضحت لهم الغاية ، فسهُل عليهم السبيل، فنالوا وصف ربهم، ونعت إلههم لهم بأنهم عباده، وكلمة (عني) بياء المتكلم فيها كبير رقة، وكثير حنان، فسؤالهم عن ربهم وحده هو دليل على مدى الإخبات، وقمة الخشوع، وحسن الاستماع، وصدق الإنصات لله جل في علاه ـ، ويأتي الجواب سريعا تولَّى الله بذاته العلية الردُّ: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ ، هذا هو جواب الشرط المؤكد، المسند إلى الله تعالى ، والذي خبره صفة مشبهة (قريب) أي أنها تعني ثبات القرب، واستمرار الود، وكأنك تشعر أنها قيلت في

أذنك، وسمعها قلبك، واستدفأ بها فؤادُك، فدمعتْ من أجلها عينك، وارتجَّتْ جنباتُ نفسك، وكاد من الفرحة ينفجر معها قلبُك: أن قال الله في حقك: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ ، وحققتِ الفاءُ هذا الربط المتساميَ بين الجواب والشرط، وكلُّ ذلك يأتي كناية عن تبادل الحب، وتواصل الود ، وتتابع القرب ، بين العبد ومولاه، وهذا القرب نفسه عاد ليُوَضَّحَ، ويفسّر من جديد، وترتبط الجملة بعده ربطًا محكمًا، وتُحْبَكُ حبْكا قويا؛ إذ إنها تفصِّل مجملا، وتشرح ما تقدم: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٦] ، والفعل: (أجيب) مضارع يفيد الاستمرار، ويَشِي بأن الجواب مستمر، ما دام هناك سؤال، ودعاء صادقين، وفاعله (أنا) يعود على الله جل جلاله ، فهو الذي يجيب، ومَنْ أجابه الله بذاته فإنه يعود محمَّلا بألوان العطاء، كله، وأنماط البركة جميعها، وأصناف الخير التي لا يدركها بشر ، (ودعوة) يعني (سؤال)، فعبَّر عن سؤالهم بالدعاء، لرقة السؤال، والخشوع فيه، وحذف ياء (الداع) لبيان سرعة الجواب للمدعو، وبيان منزلة الدعاء عند الله، وكونه جل جلاله يعجِّل بالإجابة، وتحقيق سؤل الداعي، وإعطائه مراده ، والمادة الاشتقاقية هنا تكررت (دعوة – الداع – دعان) ؛ لتبين كذلك شأن الدعاء وقيمته، وجلاله، وقدره ، ومكانته، وحذفت ياء المتكلم (دعاني) لأن العبد يعلم من يدعوه ، ومن يتوجه إليه بالدعاء، ومن يستحق أن يُدْعَى ، وتُرفع له الأكفُّ، وتَذْرَف لجلاله الدموعُ، ويرْتجِف لعظمته الفؤاد، إنه الله جل في علاه ، وقد يكون العبد وهو في لحظة من لحظات القرب والود يصل بطاعته وصدق إخباته إلى مرتبة الإحسان، فيعطيه الله سؤلَه في الحال، ويرى أثر إجابة الدعاء في التَّوِّ، وهذا مشاهد معلوم ، وقد حدث للرسول الكريم ، ولصحابته الأبرار، ولعباد الله الصالحين ؛ إذ كانوا إذا دعوا ربهم على سبيل المثال بنزول المطر ، فما أن ينتهوا من دعائهم إلا والمطر يسح سحًّا، ويعجُّ عجا ، حتى ترتفع الأكف ثانية: (يا ربنا، حولينا لا علينا) ، فيسكت المطر لأمر الله، ومقتضى ذلك أن يقدِّموا حسن الاستجابة لربهم، ويظهروا حرارة الإيمان له؛ لاستنزال الإجابة ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ ، فتكون فاءً رابطة ما تقدم برباط شديد، أو تكون الفاء الفصيحة التي تُفصح عن شرط محذوف، مقدر: (أي إن كانوا قد علموا ذلك

وفقهوه فليستجيبوا لي) ، فتكون الفاء عندئذ رابطة لجوابه بشرطه، كسابقتيْها، ويتحقق السبك بها ، وينبني عليه الحبك والاحتباك المتين بين كلمات السورة، المنتظمة في سلكها المنضد، وعبقها وشذاها المتداخل الممدَّد، ولام الأمر تلك، هم في أمس الحاجة إليها، وكأنه سبحانه يأخذ بأيديهم إلى الطريق، ويبصرهم بالغاية المنشودة ، والهدف المراد، وهو: (الاستجابة لله ، والعمل بمقتضى شرعه، ووفق هداه) ، وما أجمل قوله: (لي)!، وما أطعم قوله: (بي) !، ذلك المتعلق الذي يطيب بإدراكه وتأمله القلبُ، وينشرح بالتفكر فيه الفؤادُ، وتُسّر النفس، نعم، إنها استجابة، وإيمان صادقان ينتج عنهما الرشد بكل معانيه، وتحصل الهداية بكل مراميها: (لعلهم يرشدون)، و"لعل" من الله موجبة.

هكذا تحققت كلُّ سمات ومعاني الترابط في النص، وتحَمَّلت الآية عددًا كبيرا من أدوات ووسائل الربط اللفظي، والمعنوي، فالحمد لله على جلال القرآن، وجمال وكمال أيام رمضان، أيام البر والإحسان، وتتابع قراءة القرآن.

ثم يقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البَقَرَةِ الآية ١٨٦].

في تلك الآية التي بدأت بالظرف(إذا) الذي يفيد أمرين: حدوث وتحقق الدعاء، واستمرار حصوله، (فإذا)- كما قال علماء النحو واللغة - تفيد تحقق الجواب إذا حصل الشرط، وتدلُّ على دوام ذلك، وفقْهه كل الآيات التي فيها (إذا)، حيث يقول الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟﴾ [المائدة من الآية ٦] لم يقل: (إنْ قمتم إلى الصلاة)؛ لأن (إنْ) تفيد الشك، و(إذا) تفيد التحقيق، والتوكيد، والاستمرار؛ ولذلك عندما تقرأ عن (إن) وإفادتها الشك تجد قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البَقَرَةِ من الآية١١١] ، وقوله تعالى :﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء من الآية ٣] ونحو : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [الحجرات من الآية ٦] ، وأما استعمال (إذا) فهو لتثبيت الدلالة، وتوكيدها، وبيان استمرارها - كما هو الحال هنا - إذ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ ولم

يقل: (وإنْ)؛ لأن المؤمن لا يستغني أبدًا عن الدعاء، ولا يمكن أن يستغنيَ عن سؤال ربه، وقصد مولاه بتكرار السؤال، والإلحاف، والإلحاح فيه، وفي الحديث الشريف: "منْ لم يسأل الله يغضبْ عليه"؛ ومن ثمَّ قال القائل:

الله يغضَبُ إنْ تركْتَ سؤالَه ... وبُنَيَّ آدمَ حين يُسْأَلُ يغضَبُ

فرفع اليدين بالدعاء محققٌ، وهو مجابٌ للمسلم، وسؤال الله عزّوجلّ مؤكد، ومحقق، وثابت، ومستمر، وقدَّم السؤال من العباد قبْل العباد لشدة اهتمامهم به، وأنه الأصل في رفع الأكف، وتوجُّه القلب، وتأمين الفؤاد، واستعمال كلمة : (عبادي) بدلا من (عبيدي) يُبرز مدى انتمائهم، وصدق ولائهم لربهم، وحبهم لشرعه، فَهُم الذين أخلصوا أنفسهم لله، وعملوا بمقتضى شرعه، ووفق هداه، ووقفوا كلَّ حركاتهم وسكناتهم، وأعمالهم؛ لتكون وفق ما يُرْضِي الله؛ ولذلك امتدحهم بقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان من الآية ٦٣] ، وقال: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الزمرمن الآية ١٧ الى الآية ١٨] ، وتأخير الفاعل، وتقديم المفعول هنا إنما يأتي للحصر بأن هؤلاء هم وحدهم عباد الله، وأن عباد الله هم وحدهم الذين يسألون الله، ويُلِحُّون، ويُلْحِفون في سؤاله، وهم يسألون عن ربهم، وليس عن سواه، ويدعونه وحده ، لا يدعون أحدا إلَّاهُ، ويأتي جواب الشرط مُحَمَّلا بالأمل، ومصحوبًا بالبشرى، ومملوءًا بالفرحة، ومغمورا السعادة حيث تولَّى سبحانه الجواب بذاته العليَّة، ولم يجعل رسولَ الله ﷺ في شأن الدعاء واسطة بينه وبين خلقه، رغم أن معظم ما ورد في :(يسألونك) في القرآن الكريم، ترد كلها مصدرة بفعل الأمر: (فقل)؛ لأن الرسول مرسَلٌ من عند الله، وهو الذي يبلِّغ عن مولاه إلا في موضع واحد، هو الدعاء؛ لأن الدعاء مخ العبادة ، وهو علامة الاتصال الحقّ، والتواصل الصادق، والتوحيد الامل، والإيمان الصادق، وعلامة على شفافية علاقة العبد بربه، وتواصله مع مولاه وسيده، فلا يتدخل أحدٌ بين الله ، وبين أحدٍ من عباده، ولا يكون واسطة مطلقا وخصوصا في قضية الدعاء ورفع الأكف وتمام التوكل واليقين في الإجابة، حتى لو كان

شخصَ النبيِّ الشريف ﷺ وتدل الفاء في ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ على سرعة الاستجابة، وتحقق الدعاء، وكذلك التوكيد بـ(إنَّ)، ونسبة الفعل إلى ذاته العليَّة: (إني قريب)، ومجيء الصفة المشبهة: (قريب) التي تفيد الثبات والدوام، وهي كلمة مُنكَّرَة تحمل كلَ ألوان القرب، وأصناف الوصال، والحب، وتمام الولاء، وكمال الرحمة من الله تعالى وهذا كله كناية عن محبة الله للعباد الطائعين، وأن الله مطلع، مهيمن، قريب، وكون العباد يسألون عن الله، فهذا دليل محبتهم، وبرهان إخلاصهم، وعلامة رقَّة قلوبهم، وكونه يستمع إلى دعائهم، ويخبرهم بقربه منهم، فهو دليل كذلك على حسن عبادتهم، وصادق طاعتهم، وعظيم قدسيته، وتام رقابته؛ لكونه رب الأرض والسموات، ومن في وسعه تحقيق أي دعاء مهما كان ؛ لأن الله تعالى عبر عن ذاته العلية بقوله: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ ، فهي جملة على قصرها، وإيجازها تحمل معنى التأكيد، والثبوت، وسرعة إجابته سبحانه لأدعيتهم، وتحقيقه لسؤالهم، وإعطائهم كلَّ آمالهم، وفيها كناية كذلك عن تلك العلاقة السامية بين العبد، وربه ، الذي يراه، ويسمع شكواه، ويعرف نجواه، ويراه في صبحه، ومساه، وهو يرفع الأكف إلى الله جل عُلاه، ويستدر رحمته وعطاياه ؛ ومن ثم جاء تذييل الآية متناغمًا مع أولها : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٦] ، وإنما يجيبها فور الدعاء بها، وعرَّفه(بأل)، فقال: (الداع) ؛ إكراما له، وتطمينا لقلبه، واستعماله ل"إذا " التي تدل على أن الدعاء من العبد محقَّق، والافتقار إلى الله أساسٌ فيه، واللَّجَأ إليه سبحانه أكيد أكيد، فكلنا في افتقار إلى الله، وإلى عطائه الواسع، ورحمته المطلقة، ومقتضى هذا، وكونه جل جلاله يسمع الدعاء، ويجيب النداء، ولا يؤخر الرجاء أن يستجيب المسلم لشرعه، وأن يعمل بما فيه، وأن يسعى إلى تطبيقه، وأن يسارع بالالتزام بهداه، والإيمان به جل في علاه حتى يتنزل علينا هداه، ويحيطنا بنعمائه، ويشملنا برعايته، قال تعالى : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٦] أمران، وبعدهما بشارة، ومكافأة، فلا بدَّ للعبد الصادق من جميل الاستجابة، وتمام الإيمان، وهو يستجيب لأمر الله، وكل تعليمات دينه ، ويؤمن به جل في سماه يعلم تمام العلم أنه مطلع عليه، ورقيب له، وقادر عليه،

وراصد لأفعاله وأقواله ودعواته ونداءاته، ومثبِّت على السبيل الحقة قدميْه، آخذ بيده ليسلك الطريق إليه، ويسير وفق شرعه، وسنة رسوله الكريم، فكلمة : (لي) وكلمة : (بي) كلها رقة، وحنان، وتُعْلِي من قدر الإيمان، وعندما توقن أن عمله كله لله، ولأجل حبه، ورضاه، عندها تشعر بدفء الطاعة، وعظيم الإيمان، وجلال الوصال، وفي خاتمة الآية الكريمة جاء قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ، فإن نتيجة الطاعة، وغاية العمل، وهدف العبادة ليس إتعاب جسد المؤمن، ولا القسوة بكثرة طاعته، وإنما تكمن غاياتها، ومراميها في تحقيق الرشاد، وجَنْي الحصاد الذي يكون هادفا، وموصِّلا إلى قمة الالتزام، ودقة السير على الطريق، والثبات على الحق، مع التمسك به تمسكًا كاملا، تاما، شاملا، لا اضطراب فيه، ولا اهتزاز، ولا تراجع أو نكوص، والراشد من الناس هو المستقيم على طريق الحق، مع تصلُّب ورجولة، وثبات فيه، وتمسُّك به، وثبات عليه، وذَوْدٍ عن حياضه بكل ما يملك، بوعي، وحسن بصيرة، وصدق حب، وكامل انتماء، وتمام تسليم .

نتائج البحث:

لعل من أهم النتائج التي أسفر عنها البحث ما يأتي:

بيَّن البحث أن الآيات الكريمات قد تمثل فيها الربط والتماسك النصي من جهة الأساليب التي آخت بين الجمل والتراكيب وأشاعت جوّ التماسك والاتساق، وداخلت بين نسيج النصّ كلّه ، فقد بين بدأها بأسلوب النداء المسترعي للاهتمام، وجذب النفس لتلبية مطلوب الله، وأنه نداء خاص بالمؤمنين الذين يهمهم ما طلب إليهم، وقد خرج النداء إلى النصح والإرشاد، وبيان الحكم في تلك الفريضة الذي تصح معه العبادة، وكونها مقبولة.

كما بيَّن البحث من خلال أسلوب الحذف في: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ بالبناء لما لم يسم فاعله أن الله وحده هو الذي له حق الفرض والإلزام والتكليف وأن البناء للمجهول هو أسمى مراتب التوقير والاحترام للمؤمنين من ربهم حيث علموا وتيقنوا من ذلك؛ ومن ثم فلا حاجة لذكر الفاعل على وجه الوضح بل يكفيهم إيراده على شاكلة المبني للمجهول

(أو لما لم يسم فاعله)، فكان أسلوب الحذف طريقًا لبيان الذكر، وتوضيح المكانة وسبيلا لإبراز المنزلة والمثوبة، فكيف يكون الحذف هو عين الذكر؟!، تلك هي سمات الكتاب العزيز، وخصائص لغة القرآن الكريم.

أبرز البحثُ العلّة من سنِّ الفريضة باستعمال أسلوب الترجي: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الذي أوقفنا على الغرض من فرض الصيام، وهو في الحقيقة الهدف من كل فرائض الإسلام وأعلاها الصيام، ولعل من الله كما يقول المفسرون وعلماء علوم القرآن موجبة، فكأن التقوى قد صلت بمجرد الامتثال لأمر الله والتزام أحكام الصيام، وفيه بشرى للصائمين وقامت بذلك الأداة اللغوية لعل، وقام الحذ في كل من(كتب) و(تتقون) مقام الذكر؛ إذ أطلق العنان للجانب العقدي من جانب، و وسعة المتقى وتنوعه من جانب آخر، ليقوم الذكر مقامه، وإنما الحذف هنا أدى ما لا يؤديه الذكر فأباح للنفس تصور كل ما يمكن أن يتقى وكل ما يتصور أن يقربنا إلى الله تعالى ، وتك خصيصة من خصائص لغة الكتاب العزيز.

كشف البحث عن إمكانات القرآن الكريم في قضايا التعلق والترابط النصبي من هذا الجانب إذ أوضحت الآيات مدى تعلق أجزائها بها من خلال انتشار أدوات الربط والتماسك اللفظي بين طياته من: حروف جر ربطت الأفعال بفواعلها ومفعولاتها كنحو: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ ونحو: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ﴾ نحو: ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ ونحو: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البَقَرَةِ من الآية ١٨٤] ونحو: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ ﴾،ونحو: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ ونحو: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ونحو: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ ، ونحو: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ، ونحو: ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ ﴾،ونحو: ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾،ونحو: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ونحو: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ ، وكلهم أدت مهمة الربط، وأسهمت في جلال التماسك، وداخلت بين كلمات الآيات في نسيج متناغم متكامل الأركان متلاحم الدلالة.

كما بين البحث كذلك أن من وسائل الترابط النصي في الآيات جملة أخرى من تلك الوسائل التي تمثلت في (الأداة لعل)، والفاء الرابطة لجواب الشرط بالشرط، والصفة في

كل: من ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ و ﴿أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ، والبدل في ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ والعطف للجمل في أشباه الجمل كما في قوله: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ، وعطف المفردات كما في (وبينات) وعطف الجمل كما في نحو: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ ، قوله: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ والصفة المفردة في كل من: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ﴾ وقوله(من الهدى والفرقان) ، والصفة شبه الجملة كما في ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ والصلة كما في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ ، والحال أو المفعول لأجله في ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ، وأفعل التفضيل المتعلق به شبه الجملة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وإن الشرطية وما تحدثه من ربط وتماسك بين كل من الشرط والجواب.

كشف البحث عن أن الحذوف التي تخللت الآيات الكريمات كانت أبلغ من الذكر فقد أرست مفاهيم عقدية وإيمانية كبيرة، ومكنت للدلالة أكثر من الذكر كما في ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ ، ونحو: ﴿تَتَّقُونَ﴾ ، ونحو: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ ، ونحو تقدير الجمهور (فأفطر فعدة من أيام أخر)، ونحو: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ ، ونحو: (وأنت تصوموا أي رمضان)، وجواب الشرط في ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، وفي الحذف لون من التفاعل مع الآيات لمعرفة المحذوف وتعدد دلالات الحذف من جماليات الكتاب العزيز، حيث يترك مجالا رحبا لإعمال العقل ، وإشغال النفس بالإدراك، والفهم لكل دلالات النص، وتعدد جهاته، واختلاف معانيه عند علماء اللغة، والنحويين، وأهل البلاغة منهم، ومن المفسرين على وجه الخصوص.

بيَّن البحث أن الأساليب الخبرية إنما تذكر في الأحكام الثابتة التي لا خلاف فيها، والجزاءات الموضوعة لكل طاعة، وأن الأساليب الإنشائية تكون في ما سيلتزم به، ويطلب فعله، وفيها تشويق وترغيب في الالتزام وسلوك سبيل العبادة والطاعة والإخلاص، والخبرية كما في نحو: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ ونحو: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ، ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ومن الإنشائية الواعظة المستحِثَّة المرغبة في الطاعة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي أواخر أحكام الصيام : ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ، ونحو: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم

مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ، "فمن تطوع خيرا فهو خير له"، ونحو: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، وهكذا لو نظرت إلى بقية الأساليب خبريها، وإنشائيِّها.

مقترحات البحث:

يقترح البحث استمرار الكتابة حول الأحكام القرآنية المتعلقة بالفروض الشرعية، سواء ما يتعلق منها بالصيام، أو ما يتصل بالصلاة، أو الزكاة، أو الحج، أو بقية الفروض، بحيث تُفرَد كلُّها في مؤلفات خاصة، منتظمة ، حسب ورودها في الكتاب الكريم، أو وفق زمان وقوعها، وتنزُّلها ، بحيث يكون لدينا منظومة في الترابط النصي في آيات الأحكام في القرآن الكريم بعامة.

كما يقترح البحث كذلك دراسة وسائل امتداد التركيب في تلك الآيات كلها ، أقصد تلك الآيات التي شملت كلَّ الفرائض في الكتاب العزيز ، بحيث نرى منظومة متكاملة من الوسائل التي تمتد بها تراكيب الأحكام في القرآن الكريم؛ لنتعرف سمات آيات الأحكام من هذا الجانب المهم من جوانب التراكيب اللغوية وتماسكها، وهو جانب الامتداد التركيبي، وصوره في آيات الأحكام في القرآن الكريم.

رصد كلِّ ما كُتِب من رسائل وبحوث تتعلق بآيات الأحكام، وخصوصا ما كان منها متعلقا بجانب التماسك النصي، ومتصلا بنحو النص والماسك والانسجام والاتساق، ومتماشيا مع معطيات النصية، وما كان قد دُرِس في إطار معطيات علم النص؛ لإظهار ما انماز به الكتاب العزيز في جانب الدراسات اللسانية الحديثة ، والدراسات النصية المتطورة ، واللغوية المعاصرة أيا كان مشربها وثقافتها، وأنه صالح ومصلح لكل زمان، وأوان، ومتناغم مع ما يفرزه العقل من دراسات نافعة، ونظريات لغوية كاشفة وماتعة، تفيد القارئ للقرآن الكريم، وتكشف له عن جوانب العظمة المتتابعة المتزامنة مع كل عصر، والقائدة لكل بحث حديث، تنمِّيه، وتغذِّيه، وتطوره، وتكون صاحبة الفضل في اكتشافه، وانتشاره.

توصيات البحث:

يوصي البحث بضرورة طباعة ما يجاز من بحوث لسانية في كل بلد، ونشره وتداوله في الجامعات والكليات والمؤسسات التي تعنى بالدراسات اللغوية المعاصرة، وتكون هناك ببليوغرافيا لذلك وينشر فيها تباعا ما يجاز بشكل متتابع من تلك البحوث حتى لا تتكرر من جانب ومن جانب آخر حتى يستعين بها من يريد السير في هذا الجانب، ويبدأ من حيث انتهى غيره لا من حيث بدأ، ولدينا بفضل الله عددٌ الوسائل الحديثة وألوان التواصل الاجتماعي التي جدَّتْ على الساحة الدولية، وهي معروفة، غير مجهولة للجميع.

هذا، وبالله التوفيق.

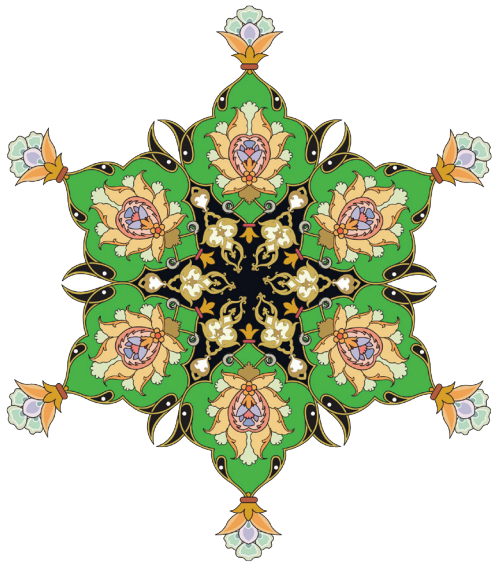

مصادر ومراجع

١. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، طبعة مصطفى الحلبي ١٩٧٨م.

٢. أثر الترابط النصي في فهم الدلالة: سورة الأعراف نموذجا للباحثة: لبعرباوي نورية ماجستير جامعة وهران- الجزائر ٢٠١١- ٢٠١٢ م.

٣. أضواء البيان للشنقيطي، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٧٧م.

٤. إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه، دار الكتب المصرية ،١٣٦٠ هـ.

٥. بدائع المعاني آيات الصيام تدبر وتحليل- عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر- الناشر: دار الحضارة للنشر والتوزيع- ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٦. البرهان في علوم القرآن، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨ م.

٧. البرهان في علوم القرآن للزركشي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ١٩٨م.

٨. البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، تحقيق السيد الجميلي ، القاهرة ،١٩٩٤م.

٩. تفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٩ دار الشعب ، القاهرة، ١٣٧٢ هـ .

١٠. التناص نظرًيا وتطبيقيًا للدكتور أحمد الزعبي .عمان ، ٢٠٠٠م.

١١. الحجة في القراءات السبع ، للحسين بن أحمد ابن خالويه، بيروت ، دار الشروق، ١٩٧٩م.

١٢. دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - بدون.

١٣. علم اللغة والدراسات النصية لبرند شبلنر ترجمة محمود جاد الرب، الرياض ١٩٩١ م.

١٤. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، للدكتور سعيد حسن البحيري – الشركة المصرية العالمية للنشر ط١ ، ١٩٩٧.م.

١٥. علم اللغة والدراسات النصية لبرند شبلنر ترجمة محمود جاد الرب، الرياض١٩٩١م.

١٦. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات للدكتور سعيد حسن البحيري ، الشركة المصرية العالمية للنشر ط١ ، الجيزة ١٩٩٧ م.

١٧. علم اللغة النصي للدكتور صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، مصر، ٢٠٠٠م.

١٨. في نظرية التلقي، لـ "جان استارو بينسكي وآخرين ترجمة د. غسان السيد، الأوائل للنشروالتوزيع، دمشق٢٠٠٠ م.

١٩. اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٨٩ م.

٢٠. مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ١٩٨٠م.

٢١. نسيج النص للأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٢. النص والخطاب والإجراء لـ"دي بوجراند" ، ترجمة الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٩٨م.

قل أعوذ برب الفلق
ومن شر النفاثات في العقد

الجهاد بالمال في القرآن الكريم

دراسة تفسيرية

أ.د. محمّد كاظم حسين الفتلاوي

جامعة الكوفة / كلية التربية المختلطة

Jihad with money in the Holy Quran

An explanatory study

Prof.Dr. Mohammad.Kazem. ALFatlawy

College of Mixed Education / University of Kufa

Email : mohamadk323@gmail.com

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الاقتصاد ركيزة مهمة ومؤثرة على الفرد والمجتمع، فكان إن أقامت تعاليم الشرع المقدس التوازن الاقتصادي بين مصلحتي الفرد والجماعة على أسس من العدل، وحسبما تقتضي المصلحة.

والجهاد بالمال وإنفاقه دليل على صدق الإيمان، لأن الإيمان حينما يتمكن من النفس البشرية يسمو بالنفس ويعلو بالهمة وحينما تكون النفوس عظيمة تعلو بالإنسان على ماديته الحيوانية إلى الروحانية الصافية التي ترقى به من الفردية والأنانية إلى الشعور بالآخرين والإيثار، ومن ثم مشاركتهم آلامهم بالبذل والإنفاق، حتى تصل إلى مرحلة التضحية والفداء.

وغاية هذا البحث هو بث روح البذل والعطاء ومحاربة النفس الشحيحة ومجاهدتها، مستنيراً بما تضمنته آيات الذكر الحكيم وسنة المعصوم ، بعيداً عن الجزئيات والتفصيلات الفقهية مكتفياً بالمأثور من كلام المفسرين، فكانت خطته من ثلاثة مطالب، المطلب الأول: مكانة (الجهاد والمال) في القرآن الكريم، والمطلب الثاني: أهمية المال في القرآن الكريم، والمطلب الثالث: أهمية الجهاد بالمال في القرآن الكريم، وخاتمة وقائمة بالمصادر.

الكلمات المفتاحية : الجهاد ، المال ، القرآن ، التفسير .

Abstract

jihad with money is evidence of the sincerity of faith because faith when it is empowered by the human soul exalts the soul and overcomes inspiration and when the souls are great the person is elevated over his animal materialism to pure spirituality that elevates him from individualism to feeling with others to sharing their sufferings sacrifice and spending then altruism until it reaches To the stage of sacrifice and redemption.

The research plan consists of three demands the first one: the status of (jihad and money) in the Holy Qura'n the second one: about the importance of money in the Holy Qura'n and the third one: it was about the importance of jihad with money in the Holy Qura'n and a conclusion and a list of sources.

Keywords : jihad, money, Quran, interpretation.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

دأب الناس على اعتبار أن واجب إنفاق المال هو أحد أدوار الأغنياء وحسب ولكن المتدبر يرى انَّ هذا الدور الحيوي في ضمن واجبات عموم الأمة؛ لأنه في اعتقادي واجب على كل مسلم ومسلمة فليس العطاء سمة الأغنياء وحسب بل لعل الأمثلة الأكثر إبهاراً في سيرة المعصوم وأصحابه في التاريخ كانت للفقراء الذين يقطعون من مالهم القليل لصالح الأمة الإسلامية وأزماتها.

ولذا فإن أهمية هذا البحث تكمن في نشر ثقافة العطاء على وفق المفهوم القرآني وتعاليمه في عموم الأمة فيقوم بها الغني والفقير ويقوم بها الزوج والزوجة والابن والابنة والمتعلم وغير المتعلم والعالم وطالب العلم وغير ذلك من شرائح الأمة فإذا أصبح أمر الإنفاق أمراً عامّاً في الأمة فَتَوَقَّع الخير الكثير الذي ينعش النظام الاقتصادي الإسلامي، فهذا النظام يقوم على الالتزام بالإسلام منهجاً وتطبيقاً، ويستمد مبادئه من القرآن الكريم وسنة المعصوم مفسرة وموضحة لهذا النظام.

ولأن النفس البشرية جُبِلَت على حب المال ، فالإنفاق والجهاد بالمال يروض النفس ويهذبها، وأشار القرآن الكريم لهذا الحرص والتعلق بالمال عند الإنسان، ومنه في قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [1] وأكدت هذا المعنى سنة المعصوم ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واد آخر ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب)[2].

ولا غرابة فالمال والبنون زينة وتفاخر في الحياة الدنيا: قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ١٦٨.

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[1]﴾، وقال سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ[2]﴾، وقال تعالى: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا[4]﴾.

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): (إنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً ونفعاً، وفي البنين قوة ودفعاً، فصارا زينة الحياة الدنيا)[5].

لذلك فنحن نعترف أن عملية الإنفاق والجهاد بالمال صعبة مهما كان الهدف سامياً ومهما كانت الحجة مقنعة؛ ولذلك لزم على كل فرد أن يُدَرِّب نفسه على الإنفاق وذلك بتحيُّن الفرص الكثيرة التي تعرض له بل والبحث عن هذه الفرص واستثمارها.

وينبغي أن نعرف هنا أن الشحَّ مرض مهلك للفرد والمجتمع؛ فقد قال النبيُّ الأكرم ﷺ: (ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ..)[6].

وقد اطلع الباحث على مصادر كثيرة في هذا الموضوع وبحوث عدّة في الشأن عينه، ولا يبخس حقها فقد تناولت موضوع الجهاد والانفاق بالمال في القرآن الكريم من زوايا متنوعة حتى بدا التشعب فيها واضحاً جلياً، فكان من مسوغات اختيار موضوع هذا البحث مع وفرة ما كُتب فيه هو بيانه ههنا عن طريق آيات القرآن الكريم التي قيدها الباحث بأقوال المفسرين حتى لا يخرج البحث عن مساره التربوي الذي رسمناه في مضامينه، إذ ان الجانب الإرشادي والتربوي هو غاية نزول آيات القرآن الكريم وجوهر البعثة المحمدية وهو القائل ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [7]، كما لا نجد حاجة ملحة إلى أقوال

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٤.
(٤) سورة مريم، الآية: ٧٧.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٤١٣.
(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٧/ ٦.
(٧) المصدر نفسه، ١٦/ ٢١٠.

الفقهاء كي لا نشحن البحث بالكثير من الجزئيات الأخرى.

فكانت خطة البحث من ثلاثة مطالب، المطلب الأول: مكانة (الجهاد والمال) في القرآن الكريم، والمطلب الثاني: عن أهمية المال في القرآن الكريم، والمطلب الثالث: فقد كان عن أهمية الجهاد بالمال في القرآن الكريم، وخاتمة وقائمة بالمصادر.

سائلين الله تعالى القبول وأن يكون نافعاً لنا في الدارين، إنّه قريب مجيب الدعاء.

المطلب الأول: مكانة (الجهاد والمال) في القرآن الكريم:

في هذا المطلب سيكون بحثنا عن معنى الجهاد والمال وأهميتهما من خلال القرآن الكريم محاولين التركيز على المفهوم العام وما يقتضيه مضمون بحثنا، وعلى النحو الآتي:

أولاً: مكانة الجهاد في القرآن الكريم:

الجهاد أو الجهاد في سبيل الله هو مصطلح إسلامي ويقصد به جميع الأفعال أو الأقوال التي تتم لنشر الإسلام أو لصد عدو يستهدف المسلمين أو لتحرير أرض المسلمين أو لمساعدة المستضعفين في الأرض، جاء هذا المصطلح في بدء الإسلام عندما ذكرت معركة بدر الكبرى في القرآن ثم عُمّتم هذا المصطلح ليشمل أي فعل أو قول يصب في مصلحة الإسلام لصد عدو ما يستهدف الإسلام فعلاً أو قولاً.

وقد وردت كلمة «الجهاد» وأخواتها كالقتال والزحف وأمثالها في القرآن الكريم بصور متنوعة وفي موارد متعدّدة، تأكيداً لأهمية هذا الأصل القرآني. ومن خلال مقارنة يسيرة نوردها مع بعض الموضوعات المهمة في الشرع الإسلامي يتضح لنا مدى الأهمية الكبيرة للجهاد.

ففي مجموع القرآن الكريم، ذكرت الصلاة واحداً وسبعين مرة (٧١)، وذُكر الصوم اثنتي عشرة مرة (١٢)، والحج إحدى عشرة مرة (١١)، والطهارة والتطهّر اثنتي عشرة مرة (١٢). ومع الالتفات إلى عظمة هذه الموضوعات وأهميتها، تتضح أهمية الجهاد إذا عرفنا أنّ القرآن استعمل كلمة «الجهاد» وتمجيد المجاهدين وتحقير المتخلفين في (٣٣) ثلاثة وثلاثين

موضعاً، وذكر الأمر بالجهاد في (٣٨) ثمانية وثلاثين موضعاً، إضافة إلى آيات متفرقات تضمنت عظمة الجهاد وفضيلته.

وفي سنة المعصوم نلحظ أهمية الجهاد ومكانته، قال رسول الله ﷺ: (فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه إن الله أعز أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها)[١].

وقال الإمام علي عليه السلام: (الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله)[٢].

ويقول الإمام محمد الباقر عليه السلام: (الْجِهَادُ الَّذِي فَضَّلَهُ الله عَزَّ وَجَلّ عَلَى الأَعْمَالِ وَفَضَّل عَامِلَه عَلَى العُمّالِ تَفْضِيلاً فِي الدَّرَجَاتِ وَالْمَغْفِرَة)[٣].

ومن المعلوم إنّ القرآن المجيد وهو يتنزل على النبي الأكرم ﷺ، أعطى لألفاظه معاني معينة ومحددة، سواء كانت في مجال العقيدة أم الشريعة، إجمالاً أو تفصيلاً. ولو تتبع الباحث بالاستقراء ورود لفظ ما من ألفاظ القرآن الكريم لأمكنه أن يقف على معانٍ متعددة ومختلفة للفظ الواحد، وذلك على وفق السياق القرآني الذي ورد فيه هذا اللفظ.

ومنها لفظ (الجهاد) جاء في القرآن الكريم على معان منها:

الجهاد بالسلاح، وهو المعنى المتبادر عند الإطلاق، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا[٤]﴾.

الجهاد بمعنى القول أي الجهاد الفكري والثقافي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا[٥]﴾. يعني: جاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً، لأن هذه الآية مكية ولما يشرع الجهاد بعد، والقرآن كتاب فكري ثقافي إرشادي وهو أول أنواع الجهاد خاضه النبي الأكرم ﷺ ضد المنحرفين، يقول الطبرسي: (وفي هذا دلالة على أن من أجل الجهاد وأعظمه

(١) الحر العاملي، الوسائل، ١/ ١٦.
(٢) نهج البلاغة، ٣/ ٧٧.
(٣) الكليني، الكافي، ٥/ ٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ٩٥.
(٥) سورة الفرقان، الآية: ٥٢.

منزلة عند الله سبحانه، جهاد المتكلمين في حلّ شبه المبطلين، وأعداء الدين)[1].

الجهاد بمعنى العمل، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ[2]﴾. يعني: ومن يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه، أي: له نفع ذلك، إذ أنّ المجاهدة والجهاد مبالغة من الجهد بمعنى بذل الطاقة، وفي الآية تنبيه لهم أن مجاهدتهم في الله تعالى بلزوم الإيمان والصبر على المكاره دونه ليست مما يعود نفعه إلى الله سبحانه حتى لا يهمهم ويلغو بالنسبة إليهم أنفسهم بل إنما يعود نفعه إليهم أنفسهم لغناه تعالى عن العالمين فعليهم أن يلزموا الإيمان ويصبروا ويبذلوا طاقتهم على تحمل المكاره دونه[3].

بعد بيان مكانة الجهاد نجد من الضرورة بمكان أن نعرف الفارق بين الجهاد الإسلامي والإرهاب المعاصر، إذ يختلف الإرهاب عن الجهاد اختلافاً جوهرياً في كل شيء، في حقيقته ومفهومه، وأسبابه، وأقسامه، وثمراته ومقاصده، وحكمه شرعاً.

فالإرهاب صورة من صور العدوان وتوظيف غير موفق البتة لقوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ[4]﴾، إذ إنّ واقعه المشاهد هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم، ومقومات حياتهم والاعتداء على أموالهم وأعراضهم، وحرياتهم وكرامتهم الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض.

أما "الجهاد" فهو يهدف إلى الدفاع عن حرمات الآمنين، أنفسهم وأموالهم، وأعراضهم وإلى توفير وتأمين الحياة الحرة الكريمة لهم، وإنقاذ المضطهدين والمستضعفين وتحرير أوطانهم وبلدانهم من سطوة الاستكبار وقوى الاحتلال.

يقول الدكتور مصطفى محمود موضحاً الفرق بين الجهاد والإرهاب: (ولا نخلط بين الإسلام السياسي والإرهاب فالإسلام يقوم كله على الحرية ويرفض الإكراه بجميع صوره والمناظر التي نراها من خطف الرهائن إلى تفجير العربات إلى نسف الطائرات إلى إطلاق

(١) مجمع البيان، ٧/ ٣٠٣.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦.
(٣) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٦/ ١٠٣.
(٤) سورة الانفال، الآية: ٦٠.

النار على مخفر شرطة ليست إسلاماً ولا أصولية بل جرائم يرتكبها مجرمون قتلة والإسلام اختبار واقتناع وسيلته الدعوة بالحسنى وهو لا يرفع سلاحاً إلا رداً على عدوان ولا يقاتل إلا دفاعاً عن حق مغتصب وهو دين الرحمة والمودة والسماحة والحلم والعفو والمحبة وهو سلام كله تحيته السلام وروحه السلام)[٥].

ثانيا: مكانة المال في القرآن الكريم

يشمل مفهوم المال في الإسلام كل شيء له قيمة مالية مثل: الماشية والأراضي والسلع والدور والعمارات... وحث الإسلام الحنيف على تحصيل المال من الطريق الشرعي كالتجارة والفلاحة والصناعة والحرف.. وحرم بعض الطرق غير الشرعية كالغش والرشوة والربا...كما دعا الشارع المقدس إلى إنفاق المال في الطرق الشرعية من دون إفراط ولا تفريط، كما ونهى عن البخل والإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا[٦]﴾. يكون المنفق معتدلًا على (وجه لا يضر المعطى ولا يكون زائداً على المقدار اللائق)[٧].

والمال في الإسلام مال الله عجل والإنسان نائب عنه في الإشراف عليه، لهذا اشترط الإسلام على المسلم:

التزام حدود الشرع وتعاليمه في كسبه لأن الإنسان محاسب على ذلك، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (..، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه،..)[٨].

التوسط والاعتدال في إنفاقه فالله سبحانه نهى عن تبذير المال لما في ذلك من تضييع، كما حرم البخل لما فيه من حرمان النفس وإضعاف روح التضامن والتعاون. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا[٩]﴾.

(٥) د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي والمعركة القادمة، ص٢١-٢٢.
(٦) سورة الإسراء: الآية: ٢٩.
(٧) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:١٣٠٧هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٨٩.
(٨) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٨/ ٤٠٠.
(٩) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

وورد لفظ المال في القرآن الكريم ٨٦ مرة، مفرداً وجمعاً، معرفاً ونكرة، وفي ذلك بلا شكّ دليل على الاهتمام القرآني الشديد بالمال، والنظرة الإسلامية الخاصة إلى ما يُعد اليوم عصب الحياة.

فأولى الإسلام المال اهتماماً واضحاً لا يخفى على عاقل، فعدّه القرآن الكريم قوام الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا....[١]﴾، و"قياماً" أي: تقوم به المعايش من التجارات وغيرها[٢].

فتطبيق ما جاء به الشرع المقدس على الواقع العملي في حياة المسلمين يجعل لهم نظاماً مالياً متفرداً يمكن أن نلحظ بعضاً من خصائص النظام المالي التي منها: تلبية مهمة الإنسان في الاستخلاف في الأرض على وِفق ما جاء به الشرع. وتوفير الرزق، وتحقيق التعاون والتكافل الاجتماعي بين جميع أفراد الأمة. وتحقيق مصالح الجماعة والفرد. والطّابع الأخلاقي للنشاط الاقتصادي. النظام المالي ذو طابع تعبديّ، ويظهر ذلك من خلال الحرص على الكسب الحلال، وإنفاقه في وجوه الخير، دون أن يكون فيه إسراف، أو بخل؛ لأنّ المسلم يرجو بذلك مرضاة الله تعالى.

والمتدبر في آيات القرآن الكريم يلحظ أنها آيات مترابطة متكاتفة في خلق منظومة إسلامية متكاملة فكل جزئية أو موضوع يتأثر ويؤثر على الأَجزاء الأخرى، فلا يمكن فصل جزء دون الآخر سواء بالجانب العبادي أو الجانب العملي (المعاملات) وهو الذي نفهمه جلياً في الجانب العقائدي الذي لا يقبل التقسيم أو الإيمان بجزء دون الآخر من مفاهيم أصول الدين وهذا ما أَنكره الله سبحانه على الآخرين، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[٣]﴾. فنلحظ أنَّ التردي وسوء التوفيق لا يقتصر على الجانب الآخروي وإنما آثاره تكون في الحياة الدنيا.

(١) سورة النساء: الآية: ٥.
(٢) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٢١٤.
(٣) سورة البقرة: الآية: ٨٥.

وسنقتصر ههنا على جزئية (فريضة) عبادية واحدة ونلحظ أثرها على جانب الجهاد المالي محل البحث، وهذه هي فريضة الصلاة، ولا عجب أن نجد ترابطاً بين فريضة الصلاة والجهاد المالي فبتدبر آيات القرآن الكريم نجد أن فوائد الصلاة أكثر من أن تُحْصَى؛ ولذلك فهي عمود الإسلام ولننظر – مثلاً – إلى ما ذكره ربنا سبحانه في سورة المعارج بخصوص علاج مشكلة الشحِّ الذي يُسيطر على نفوس كثير من الناس.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا[1]﴾ فهو هنا يُشير إلى أن عموم الناس إذا امتلكوا الأموال والثروات الخير فإنه يُمْسِكه ويمتنع عن إنفاقه ولكنه يستثني من هؤلاء مجموعة من البشر هؤلاء درَّبوا أنفسهم على بعض الصفات الحميدة التي تدفعهم دوماً إلى الإنفاق والبذل فمن هؤلاء المستثنون؟!

فنلحظهم في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ[2]﴾. فأول صفات هؤلاء هي أنهم من المصلين وهم لا يؤدون الصلاة كنقر الغراب ولكنهم يُدَاومون عليها ويُحَافِظون على إقامتها ثم تأتي الصفة الثانية مباشرة وهي تابعة للأُولَى فتذكر إنفاقهم للمال للسائل والمحروم وهم لا يَرَوْنَ لأنفسهم بهذا الانفاق فضلاً في ذلك بل يُخْرِجون هذا المال بوصفِه حقّاً من حقوق الفقراء والمساكين ومن ثَمَّ فَهُمْ يُخْرِجُونه بنفس راضية وهذه هي صفات المواظبين على الاتصال الدائم برب العالمين عن طريق الصلاة والصلاة صلة بين العبد وربه ومُحَالٌ على هذا الموصول بالله أن يموت قلبه أو تضعف همَّته، أو يقصر فيما فرض عليه ربه من التزامات وحقوق شرعية.

المطلب الثاني: أهمية المال في القرآن الكريم

المال في اللغة: هو كل ما يتموّل ويعدّه الإنسان مالاً، وجاء في القاموس: تموَّل الرجل:صار ذا مال وموّله غيره تمويلاً والمال عند أهل البادية، النَّعَم كالإبل والبقر

(١) سورة المعارج: الآية: ١٩-٢١.

(٢) سورة المعارج: الآية: ٢٢-٢٥.

والغنم[1].

والمال يشمل كل ما يرغب الناس في اقتنائه من الأشياء كالضياع والنخيل والذهب والفضة ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ[2]﴾.

والمال في المفهوم الشرعي: هو كل ما يمكن حيازته ويمكن الانتفاع به على وجه شرعي. قال ابن عاشور في تعريفه لمال الأمة بأنه: (كل ما به تستغني الناس في تحصيل ما ينفعهم في معاشهم)[3].

وإنَّ نعم الله سبحانه على الإنسان لا تعد ولا تحصى وكل هذه النعم واجب على العباد حفظها ورعايتها واحترامها، ومن هذه النعم نعمة المال. والعلماء قد أجمعوا على أنّ (حفظ المال) هو إحدى الضروريات الخمس الكبرى – الدين، النفس، العقل، النسل، المال– التي عليها مدار الشريعة ومقاصِدها. وسيكون هذا المطلب من الفقرات الآتية:

أولاً: المال وديعة الله عند الإنسان

المال لله سبحانه وتعالى وهذا ما دلت عليه النصوص الشرعية وضعه في أيدي الناس لتيسير أمورهم فهم مستخلفون فيه وليس لهم حق التصرف فيه إلاّ بما أمرهم الله تعالى بحسب قوانينه وسيحاسبون على هذا المال كيف اكتسبوه وفيما أنفقوه، فهو ودائع وأمانات مجردة لا يحق لهم التصرف بها حسبما يشتهون ولكن لينتفعوا بها ويستعملوها على وفق ما شرع الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ...[4]﴾. أي أنفقوا

(١) ظ: الرازي، مختار الصحاح، ص٦٣٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.
(٣) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ١٩٥.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٧.

المال الذي استخلفكم الله فيه بوراثتكم إياه عمن قبلكم وأن هذا المال مثلما صار إليكم سيصير إلى غيركم فاغتنموا الفرصة في إنفاقه في سبيل طاعة الله ومرضاته[١].

والتعبير عن المال بالاستخلاف للترغيب في الإنفاق فإنهم إذا أيقنوا أن المال لله وهم مستخلفون عليه وكلاء من ناحيته يتصرفون فيه كما أذن لهم سهل عليه إنفاقه ولم تتحرج نفوسهم من ذلك[٢].

فأخرج الملكية من يد العبد لعلمه أن النفوس مجبولة على حب المال شحيحة في إنفاقه، فأصل الملك لله سبحانه وتعالى وليس العبد إلاّ بمنزلة النائب أو الوكيل قال تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ[٣]﴾.

فمن أنفق في حقوق الله ولم يسرف كان له الثواب الجزيل والأجر العظيم وأما من تعدى ذلك كان عليه حراماً.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ت:١٤٨هـ): (المال مال الله عز وجل جعله ودايع عند خلقه وأمرهم أن يأكلوا قصداً ويشربوا منه قصداً، ويلبسوا منه قصداً، وينكحوا منه قصداً ويركبوا منه قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على الفقراء المؤمنين...)[٤].

وقال أيضاً عليه السلام: (إنما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله عزّ وجل ولم يعطكموها لتكتنزوها)[٥].

فهو صاحب العطاء ومالك الملك جعله وديعة عند خلقه للتصرف فيه وفق إرادته يأخذون منه على قدر حاجاتهم وينفقون الباقي في سبيله لكن حب الإنسان للمال وتعلقه به يمنعه من ذلك ولو أنه فكر أنه تارك هذا المال للورثة ما جاهد في اكتسابه وكنزه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يقول العبد مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٩/ ٣٨٥.
(٢) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٩/ ١٥١.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٣.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٠/ ١٦.
(٥) الكليني، الكافي، ٤/ ٣٢.

فأبلى أو أعطى فاقتنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس)[1].

ثانياً: توصيات قرآنية في آداب إنفاق المال:

من خلال التدبر في آيات القرآن الكريم نلحظ أنّ هناك جملة من التوصيات التي توضح آداب إنفاق المال ومنها:

أن يكون الإنفاق في سبيل الله عجلان: قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ[2]﴾. أي ان تكون نية الانفاق هو القرب لله سبحانه كأي عمل عبادي يقوم به المسلم قاصداً به وجه الله عجلان لا وجه الناس[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا[4]﴾.

أن يكون الإنفاق مما يملكون ملكاً حلالاً لا مما يملك غيرهم حتى وإن كان يسيراً: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ[5]﴾. ولم تحدد الآية الكريمة مجالات الانفاق وحدوده وجعلته اتفاقاً عاماً لأنه (خرج مخرج المدح في الانفاق مما رزقوا، وذلك لا يكون إلا من الحلال، أي يؤتون ما ألزمهم الشرع من زكاة وغيرها مما يعنّ في بعض الأحوال مع ما ندبهم إليه)[6].

أن يكون الإنفاق في السرّاء والضرّاء على حدٍ سواء، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ[7]﴾. السراء: حالة الغنى، الضراء: حالة الفقر، أي أنهم (في حال الرخاء واليسر والعسر لا يتركون الإنفاق)[8].

(١) مسلم، الجامع الصحيح، ٨/ ٢١١.
(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٦١.
(٣) ظ: د. عدنان خليفات، حديث القرآن عن الانفاق، ص٣٤.
(٤) سورة الإنسان: الآية: ٩.
(٥) سورة البقرة: الآية: ٣.
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/ ١٤٥.
(٧) سورة آل عمران: الآية: ١٣٤.
(٨) الرازي، مفاتيح الغيب، ٩/ ٧.

أفضل الإنفاق ما كان بأشكال متنوعة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[1]﴾. الانفاق في كل الأحوال – سراً أو علانية – هو محل رضا الله سبحانه، والظاهر ان الانفاق الواجب (الفريضة) الأفضل ان يكون علانية لما فيه من تشجيع للآخرين، وأما أفضلية السر فتكون للأنفاق المستحب (المندوب) خشية من دخول الرياء أو العجب الى نفس المُنفق ومن ثم فساد العمل، على كل حال الآية القرآنية داعية الى الانفاق بأشكاله المتنوعة وهذا ما كان يعمله السلف الصالح، قال ابن عباس (ت ٨٦هـ) في سبب نزول الآية محل البحث انها: (نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت معه أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم جهراً)[2].

يكون الإنفاق مما تيسر، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ[3]﴾. وذلك إنّ الانفاق (بجميع طرقه من أعظم ما يعتمد عليه بنية المجتمع وأنه الذي ينفخ روح الوحدة في المجتمع الانساني فتتحد به قواه المتفرقة فتنال بذلك سعادته في الحياة ويقوى به على دفع كل آفة مهلكة أو مؤذية تقصده)[4].

ألا يتبع الإنفاق مناً أو أذىً على الفقير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[5]﴾. أي لا يفعلون مع الذي أحسنوا إليه ما يجرح مشاعره أو يُقلل من كرامته فهم إن فعلوا ذلك حبطت أعمالهم وضاع أحسانهم عند الله عجل وعند الناس[6].

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٧٤.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٣٨٤.
(٣) سورة التوبة: الآية: ٩١-٩٢.
(٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٤/ ١٦.
(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٦٢.
(٦) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٣٢٥.

أن يكون الإنفاق عن رغبة وطواعية لا عن إجبار وإكراه، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ[1]﴾. لأن الانفاق يتقبله الله تعالى من المؤمنين المخلصين، وأما المكرهون والمتثاقلون فلا يثابون لأنهم إنما (يصلون وينفقون للرياء والتستر بالإسلام، لا لأبتغاء مرضاة الله تعالى)[2] ومن ثم يحبط عملهم لأنهم غير راغبين لهذه الطاعة وللقرب الإلهي.

ثالثاً: تشريعات قرآنية لمنع الإخلال بحفظ المال:

١. تحريم إضاعة المال: من خلال تحريم الإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ[3]﴾، وقال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا[4]﴾.

٢. منع المال عن السفهاء لحفظها من التلف: قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا[5]﴾.

معلوم أنّ السفه: هو (عبارة عن خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع)[6].

وهذه الآية الكريمة وإن كانت تبحث حول اليتامى، لكنها تتضمن حكماً كلياً وقانوناً عاماً لجميع الموارد، وهو أنه لا يجوز لأحد مطلقاً أن يعطي أموال من يتولى أمره، أو ترتبط به حياته بنوع من الارتباط، إليه إذا كان سفيهاً غير رشيد، ولا فرق في هذا الحكم بين الأموال الخاصة والأموال العامة.

(١) سورة التوبة: الآية: ٥٤.
(٢) الطبرسي، مجمع البيان ٥/ ٥٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٤) سورة الاسراء، الآية: ٢٦.
(٥) سورة النساء، الآية: ٥.
(٦) الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص١١٩.

٣. تحريم السرقة وإيجاد الحد على السارق: قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[١]﴾، ولا شك في أن تحريم السرقة في الشريعة الإسلامية و وعدّها من الكبائر، بل وإيجاب حد قطع يد السارق – وقد فصلت السنة الشريفة كيفية إقامة الحد بعد ان تكتمل شروط إقامة الحد[٢] – فيه من الردع ما يكفي لحفظ أموال الناس من الاعتداء.

لذا فمن الخطأ القول: إن في قطع يد السارق شدة وغلظة لا تأتلف والمدنية الحديثة والحضارة المعاصرة حتى أن الحضارة تقضي أن يكون الناس عرضة لأهل الجنايات ممن لا أخلاق لهم ولا دين، كما أن في العقاب على السرقة محاربة لتلك الدوافع الإجرامية بدوافع مضادة لها[٣].

٤. تحريم قطع الطريق وإيجاب الحد عليه: ومن المعلوم أن من أهم غايات قطاع الطريق هو الاعتداء على أموال الناس، وقد شرع الإسلام عقوبة شديدة رادعة على هذه الجريمة، لحفظ الأمن والأمان في المجتمع، الذي منه حماية أموال الناس.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ[٤]﴾.

وغني عن القول إن (العقوبات المشددة التي جاء بها الإسلام لقطاع الطريق تتوضح فلسفتها في الأهمية القصوى التي أعارها هذا الدين للدماء البريئة، لكي يحول دون اعتداء الأفراد الأشقياء الأشرار القتلة على أرواح وأموال وأعراض الناس الأبرياء)[٥].

ولا شك في أن عقوبة بهذه الشدة وذلك الحزم كافية لحفظ أموال الناس من الاعتداء،

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.
(٢) ظ: الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٨ / ٢٥٣.
(٣) ظ: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالوضعي، ص٦٥٢.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٣.
(٥) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣/ ٤٥٧.

ناهيك عن حماية المجتمع بأسره من غائلة اختلال أمنهم.

٥. تحريم أكل أموال الناس بالباطل وفي كل سُبله: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ[١]﴾. وفي الآية دلالة واضحة على (تحريم أكل الأموال بالباطل، وعلى تحريم إرشاء الحكام لأكل الأموال بالباطل، وعلى أن قضاء القاضي لا يغير صفة أكل المال بالباطل، وعلى تحريم الجور في الحكم بالباطل ولو بدون إرشاء، لأن تحريم الرشوة إنما كان لما فيه من تغيير الحق، ولا جرم أن هاته الأشياء من أهم ما تصدّى الإسلام لتأسيسه تغييراً لما كانوا عليه في الجاهلية فإنهم كانوا يستحلون أموال الذين لم يستطيعوا منع أموالهم من الأكل فكانوا يأكلون أموال الضعفاء)[٢].

٦. تحريم إتلاف أموال الناس وإيجاب الضمان على ذلك: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ[٣]﴾، وقال النبي الأكرم ﷺ: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أداها الله عنه ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله عز وجل)[٤].

فإن خالف أحد هذه الآية وأتلف مال غيره بأي وسيلة أو طريقة من الطرائق، فقد أوجب الإسلام عليه الضمان حفاظاً على حماية أموال الناس، ومن هنا قرر الفقهاء قاعدة فقهية عظيمة في هذا الباب هي: (قاعدة الإتلاف)[٥]، والمراد من الإتلاف هو استهلاك مال مسلم بدون إذنه ورضاه أعم من أن يكون عن عمد أو عن خطأ، ويكون مفادها هو الضمان على من يتلف مال الآخرين ، كما اشتهر عند الفقهاء المتقدمين والمتأخرين منهم قولهم: من أتلف مال الآخرين فهو له ضامن، فإذا تحقق إتلاف مال الآخر بدون إذنه ورضاه وبدون

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ١٨٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ٢٩.
(٤) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٣٦١.
(٥) ظ: الجواهري (ت:١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام، ٤٢/ ٢٧٩.

قصد الإحسان إليه يكون المتلف هو الضامن حتى يؤدي ما أتلفه إلى مالكه قيمة أو مثلاً. ولا يخفى أنه قد يعبر عن هذه القاعدة: (الإتلاف بقاعدة من أتلف).

رابعاً: عقوبة كنز المال:

بشّر القرآن الكريم كانز المال بالعذاب الأليم ولم يقف على ذلك بل فصل وبين نوع هذا العذاب في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1].

فقوله: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: أي توضع النار على هذه الكنوز لتكون في أسفلها فتشتد حرارتها، وهذا التعبير الحي يجسد شده عذاب أولي الثروة الذين يكنزونها في يوم القيامة[2].

والكي: أن يوضع على الجلد جمر أو شيء مشتعل، وفي ذلك إعمام لكل جهات الاجساد بالكي، فإن تلك الجهات متفاوتة في الاحساس بالألم، فيكون مع إعمام الكي أن يذوق الكانز أصنافاً من الآلام[3].

وإنما خص هذه الأعضاء لأنها معظم البدن ولان داخلها جوف بخلاف اليد والرجل، وقيل إنما خصت هذه المواضع بالعذاب لأن الجبهة محل الوسع لظهورها والجنب محل الألم والظهر محل الحدود، وقيل لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى عينه وطوى كشحه وولاه ظهره[4].

وقيل: (لعل تخصص الجباه والجنوب والظهور لأنهم خضعوا لها وهو السجدة التي تكون بالجباه ولاذوا إليها واللواذ بالجنوب واتكئوا عليها والاتكاء بالظهور)[5].

(١) سورة التوبة، الآية:٣٥.
(٢) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦/ ٤٣.
(٣) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠/ ١٧٩.
(٤) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٥/ ٤٨.
(٥) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣/ ٧٠.

نار وكي وعذاب شديد مستمر، كل ذلك لمن كنز وجمع مالاً فوق حاجته ولم ينفقه في سبيل الله، إن أي إنسان يملك عقلاً واعياً يتعض ويعتبر، فأيها أفضل أن ينفق ما زاد عن حاجته وحاجة عياله وهو في غنى عنه ولا يضره، أم هذا العذاب الشديد.

قال رسول الله ﷺ: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلاّ إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله أما إلى الجنة وإما إلى النار)[1].

وكل كانز مال سيكون عذابه على قدر ما كنز من المال، فمن كنز مالاً كثيراً سيكون عذابه أشد وأعظم، فإن هذه الكنوز يصيرها سبحانه وتعالى صفائح من نار وتكوى بها جباههم وجنوبهم والظهور.

وذكر السيوطي أنّ رسول الله ﷺ قال: (لا يوضع الدينار على الدينار ولا الدرهم على الدرهم ولكن يوسع الله جلده فتكوى بها)[2].

وقد أورد القرآن الكريم مثالاً حياً لكانز المال وعقابه في الدنيا والآخرة لما في كنز المال من ضرر في المجتمع وعلى جميع الأصعدة وليكون عبرة لمن بعده ولكن يبدو أنّ حب المال فوق كل نصيحة أو عظة، وهو العلة في كل ما يصيب الأمم والأفراد من حروب وتناحر واقتتال على مر العصور.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ

(١) مسلم، صحيح مسلم، ٣/ ٧٠.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٤/ ١٧٩. لم أجد الحديث في المصادر الحديثية بحسب تتبعي.

مِنْهُ قُوَّةَ وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾[1].

إن القرآن يحثنا، عن شخصية مرموقة في المجتمع الاسرائيلي تحولت بسبب فتنة المال وحبه إلى طاغية وعبرة لكل الأجيال.

فقارون هذا كان من أرحام نبي الله موسى ولم يكن إنساناً اعتيادياً بل كان حافظاً للتوراة، وعالماً من علماء بني إسرائيل[2].

أتاه الله ثروة عظيمة ومالاً كثيراً وصفه سبحانه وتعالى بالكنوز لكثرته، فلم ينفقه في ما أمر الله تعالى به ولم يضعه موضعه المعروف بأعمال الخير والبر، بل استاثر بهذا المال لنفسه وكنزه في غير حاجة للادخار، واستغله في الإفساد والطغيان بعد أن منعه عن سبيل الله فكانت عقوبته أن خسف الله به الأرض هو وثروته.

فقوله: (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) أي (استطال عليهم لكثرة كنوزه)[3]، أو أنه تجاوز الحد في الظلم وخصوصاً أنه كان يملك المال الذي يعنيه على الظلم ، ويستطيع أن يسخر به الناس لخدمة أهدافه[4].

والمفتاح: المكان الذي يدخر فيه الشيء كالصندوق الذي يحفظ فيه المال ويسمى خزينة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ...[5]﴾، أي خزائن ماله[6].

فيكون المعنى: أن قارون كان ذا مال كثير ووفير من الذهب والفضة بحيث كان يصعب حمل صناديقها على الرجال الأشداء أولي القوة ومع ملاحظة كلمة (عصبة) التي تعني الجماعة المتآزرة يداً بيد على الأمر المهم، يتضح حجم الذهب والفضة والمعادن الثمينة

(١) سورة القصص، الآية: ٧٦، ٧٧، ٧٨.
(٢) ظ: القمي، تفسير القمي، ٢/ ١٤٤، ١٤٥.
(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ٧/ ٤٥٩.
(٤) ظ: الشعراوي، الخواطر، ٦/ ٣٦٩.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٦) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٧/ ٤٥٩.

التي كانت عند قارون[1].

حاول قوم قارون نصيحته بنصائح يمكن عدّها دستوراً للتعامل مع نعم الله التي ينعمها على عباده وكيفية استغلالها وتوظيفها في وجوه البر وهذه النصائح هي:

١. ﴿لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَّ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، فُسّر الفرح بالبطر وهو لازم الفرح المفرط بمتاع الدنيا وهذا لا يخلو من تعلق شديد بالدنيا مما يجره إلى نسيان الآخرة ويورث البطر والتكبر[2].

فإنه سبحانه وتعالى، لا يحب الفرح اللازم للبطر لا الفرح بنعم الله ورحمته من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهَّ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ[3]﴾.

والفرح الذي ينهى عنه سبحانه وتعالى هو فرح قارون وأمثاله بما وهبهم الله تعالى من نعم وغرورهم بها واستخدامهم إياها في المعصية وتكبرهم عن شكره، ولو أنهم آمنوا واتقوا لعلموا إن الذي أعطاهم قادر على أن يسلبهم، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[4]﴾.

٢. ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُّ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾، أي اطلب بما أعطاك الله من كنوز ومال وفير أسباب حصول الثواب بالإنفاق منها في سبيل الله وما أوجبه ورغب فيه من القربات ووجوه البر[5].

فإن ما معك من مال هو هبة وفضل من الله سبحانه وتعالى فابتغ به رضا الله وأنفقه في كل وجوه الخير سواء كان على عيالك أو أهل بيتك أم على المحتاجين وغيرها من وجوه الإنفاق في سبيل الله، المهم أن لا تكنزه وتخفيه وهذا ما دل عليه قوله: ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ

(١) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٢/ ٢٨٨، ٢٨٩.
(٢) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١١/ ٧٦.
(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٥) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠/ ١٧٨.

مِنْ الدُّنْيَا﴾، أي لا تترك نصيبك فإنه سبحانه وتعالى لا يريد التضييق على العباد، فخذ نصيبك منه وانفق الباقي في سبيله.

وقد ورد عن الإمام علي ﷺ في معنى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾، قال: (لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك أن تطلب بها الآخرة)[٦].

فالمال ممكن أن يكون وسيلة للوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى فضلاً عن التنعم به في الدنيا، المهم أن يكون الفرد عارفاً كيف يستخدمه ،وبصيراً بمواضع أنفاقه.

٣. ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾، (أي أنفقه لغيرك إحساناً كما أتاكه الله إحساناً من غير أن تستحقه وتستوجبه)[٧].

فالمال بالأصل هبة الله سبحانه وتعالى وهو إحسان منه لخلقه فلابد من مبادلة الإحسان بالإحسان وذلك بأن يستخدم هذا المال في عمارة الأرض وسائر وجوه البر.

٤. ﴿وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾، أي لا تغرنك هذه الأموال والإمكانات المادية فتجرك إلى الفساد، فإنّ كثيرًا من الأغنياء وعلى أثر جنون زيادة المال يفسدون في الأرض وفعله يجر إلى الفقر والحرمان لاحتكارهم كل شيء بأيديهم بحكم ما يملكون من مال، وهذا يجرهم إلى التكبر والاستعلاء والظن أن الناس عبيد لهم[٨].

لكن قارون رفض هذه النصائح وردّ عليهم بما هو أشنع في قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ فهو كان يرى أن العلم الذي عنده سبب حصوله على المال وهو الذي يبقيه عنده، وهو في الوقت نفسه يعلم أنه كان في من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً وكانوا يظنون أنهم جمعوه عن علم عندهم ومهارات اتقنوها وقد أهلكهم الله بجرمهم[٩].

فظنهم هو ظن قارون نفسه وهذا الذي جعلهم يأمنون العذاب الإلهي ويؤثرون الحياة

(٦) الصدوق، معاني الأخبار، ص٣٢٥.
(٧) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٦/ ٧٥.
(٨) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٢/ ٢٩٢.
(٩) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٦/ ٧٦.

الدنيا على الآخرة، وهذا المنطق القاروني نجده في كل زمان ومكان، فإن صاحب الثروة والجاه كثر ما ينسى أن ما معه من مال هو من فضل الله وإحسانه فيصيبه الغرور والتكبر ولا يعتبر بما أصاب الذين قبله من القرون.

ولم يكتف قارون بهذا الرد وإنما خرج للتباهي أمام قومه وبكامل زينته واتباعه ليفتن أصحاب الإيمان الضعيف من قومه لذلك نراهم انقسموا قسمين، الأول تمنى أن يكون مكان قارون، والقسم الثاني راسخي الإيمان الذي لم تؤثر فيهم لا الكنوز ولا الأموال في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1].

فكان موقف قارون امتحاناً لقوم موسى ﷺ فدائماً هناك من يبيع كل ما يملك من قيم ومبادئ في سبيل المال والجاه. وسبحانه وتعالى يفضحهم بهذه المواقف علهم يتداركون أنفسهم ويتوبون إليه.

وفي الوقت نفسه وصل قارون إلى قمة طغيانه ولم ينجح في امتحانه بالمال والكنوز ولم يتصرف بها كما أمره الله سبحانه وتعالى فخسف الله تعالى به وبداره الأرض في قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ[2]﴾.

فمات قارون كافراً غير مؤمن بالله تعالى على الرغم من أنه كان يعدُّ عارفاً بالتوراة قارئاً لها، عالماً من علماء بني إسرائيل ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ[3]﴾.

(١) سورة القصص، الآية: ٧٩، ٨٠.
(٢) سورة القصص، الآية:٨١.
(٣) سورة القصص، الآية:٨٢.

وواجه عذاب الله عجلاً وحيداً فريداً بدون ناصر، حيث ذهبت قوته وشبابه فصار أمام عذاب الله ضعيفاً، وتركه حلفاؤه وحاشيته فلقي عذاب الله وحيداً، وفقد جميع كنوزه وماله فاستقبل عذاب الله فقيراً[1].

وهذا حال كل من يموت فإنه لا يأخذ معه شيئاً من هذه الدنيا بكل ما فيها من نِعم وأموال، لا يأخذ معه غير عمله التي تصرف به بأمواله، فإذا كان ذلك العمل صالحاً كانت عاقبته خيراً وإذا كان سيئاً كانت عاقبته جهنم وعذاباً أليماً.

المطلب الثالث: أهمية الجهاد بالمال في القرآن الكريم

الجهاد في سبيل الله من المقامات التي يوفق لها الله تعالى من عباده من ارتضى، وهو – كما تقدم – له وجوه متنوعة، والجهاد بالمال أفضل من بعض تلك الوجوه، والجهاد بالنفس أفضل من بعض تلكم الوجوه، إذ النفس أغلى شيء عند الإنسان، فإذا جاهد بها فهذا أفضل الجهاد؛ لأنه جاهد بنفسه.

ومحل بحثنا هو الجهاد بالمال وانفاقه في ما أمر الله تعالى به من وجوه البر والخير وهو المعبر عنه "في سبيل الله" وهو ما سنلحظه في فقرات هذا المطلب، وعلى النحو الآتي:

أولاً: مصطلح (في سبيل الله)

هو مصطلح اقترن بآيات الجهاد بالنفس والمال والإنفاق في القرآن من قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[2]﴾، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى..[3]﴾، فضلًا عن وروده في آيات أخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[4]﴾، إذ بلغ عدد الموارد التي ورد فيها ما يزيد على ستين مورداً مما يدل على سعته وشموله وعظمته وأهميته.

(١) ظ: د. صلاح الخالدي، القصص القرآني، ٣/ ٦١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

فهو مصطلح عام لكنه أكثر ما يستعمل في آيات الجهاد والإنفاق حتى صار خاصاً بها أو هو بالأصل أُريد به الجهاد بالمال والنفس ابتداءً ثم صار عاماً لاستعمال الفقهاء له في الفقه باب الزكاة إذ جُعل أحد الأصناف الثمانية المستحقين للصدقة من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ...[1]﴾.

وعدّوا أن المراد من مصطلح (في سبيل الله) في الآية هم إما: الغزاة المتطوعون وهم غير الجند والمرابطون الذين لهم سهم من غنائم الفيء دون الصدقات[2].

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام (ت:١١٤هـ) قال: (... وفي سبيل الله قوم يخرجون في الجهاد وليس عندهم ما ينفقون، أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يحجون به، أو في جميع سبل الخير، فعلى الامام أن يعطيهم من مال الصدقات حتى يتقوون به على الحج والجهاد)[3].

وفي جواب النبي صلى الله عليه وآله لرجل قال له: (يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم الرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[4].

ويستفاد مما تقدم أنّ مصطلح سبيل الله يراد به هو كل عمل يقوم به الإنسان المسلم فيه منفعة للناس كافة بنية التقرب لله عزوجل، فيكون سبيل الله تعالى هو سبيل الناس جميعاً، فأي عمل ينفع الناس واقع في مصطلح سبيل الله عزوجل وهذا بحد ذاته لطف إلهي بالعباد، ويؤكد هذا المعنى السنة المطهرة ،إذ يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله..)[5].

(١) سورة التوبة، الآية ٦٠.
(٢) ظر: الطوسي، المبسوط، ١/ ٢٥٤، والعلّامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ٢/ ٢٠٨.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٣/ ٦٣.
(٤) مسلم(ت:٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، ٦/ ٤٦، وظ: السيوطي(ت:٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٣/ ٢٤٦.
(٥) الكليني، الكافي، ٢/ ١٦٤.

وهذا المعنى نلحظه أيضاً في كلام المفسرين، فنجد الطوسي (ت:٤٦٠هـ) يقول: (سبيل الله هو كل طريق شرعه الله تعالى لعباده يدخل فيه الجهاد والحج وعمارة القناطر والمساجد ومعاونة المساكين والأيتام)[١].

وكذلك الطبرسي إذ قال: (في سبيل الله هو الجهاد بلا خلاف ويدخل فيه عند أصحابنا جميع مصالح المسلمين)[٢].

ونلحظ ان هذا المعنى أكثر وضوحاً عند السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت:١٩٨٠م) إذ قال: (كلما جاء سبيل الله في الشريعة أمكن أن يعني ذلك تماماً سبيل الناس أجمعين وقد جعل الإسلام سبيل الله أحد مصارف الزكاة، وأراد به الإنفاق لخير الإنسانية ومصلحتها)[٣].

وبهذا يمكن القول إن المراد من (سبيل الله) هو الجهاد أيضاً لأنه في سبيل دفع العدوان والأذى عن الناس وهو في الوقت نفسه مما يوصل إلى مرضاة الله.

قال سيد قطب: (في سبيل الله: باب واسع يشمل كل مصلحة للجماعة تحقق كلمة الله وفي أولها إعداد العدة للجهاد)[٤].

فهذا يدل على أن الجهاد عبادة لابد وأن يقصد به وجه الله تعالى، وفي ذلك إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية والهمجية من قتل الناس، فالإسلام جاء لحفظ الإنسانية والدفاع عن الأنفس والأموال والأعراض ولابد في ذلك من أن يكون في سبيل الله والاخلاص فيه وعدم التعدي على حدوده[٥].

ثانياً: الجهاد بالمال واجب ومطلب ضروري.

يعد المال قوام الحياة به تزدهر المجتمعات وتتطور، وهو أحد أهم مصادر القوة في

(١) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢/ ٧٥.
(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٥/ ٧٥.
(٣) محمد باقر الصدر نظرة عامة في العبادات، ص٣٩.
(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٠/ ٨٢.
(٥) ظ: السبزواري(ت:١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٣/ ١٣٥.

الأمم وسرّ تقدمها، وفي الوقت نفسه هو عزيز على النفس التي جُبلت على حبه والرغبة في جمعه ومن ثم فإن بذله يوجب المشقة على كثير من النفوس.

ولهذا السبب قُرن الجهاد بالمال بالجهاد بالنفس في آيات الجهاد للترغيب في إنفاقه وبيان أهميته فلا يكون الجهاد بالنفس بدون المال، وقدم المال على النفس في تسع آيات للدلالة على أن الجهاد بالمال واجب كالجهاد بالأنفس.

قال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[1]﴾، فهذا أمر من الله بالجهاد في قتال أعدائه بالأموال والأنفس، فمن لم يطق إلاّ الجهاد بالمال فعليه أن يعين به من ليس له مال[2].

وجعل سبحانه وتعالى من الجهاد بالمال فضيلة عظيمة وتجارة رابحة وقرنه بالإيمان بالله والنجاة من النار وهو الواضح في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[3]﴾.

فقد عدّ الإيمان بالله والجهاد في سبيله في الآية تجارة، رأس مالها النفس وربحها النجاة من عذاب أليم[4].

ويعدّ الجهاد بالمال أحد فروع الإنفاق في سبيل الله التي ذكرها في القرآن، فقد ذكر الإنفاق في أكثر من خمسين آية وهو عدد يفوق كل الآيات التي جاء فيها ذكر الصلاة والزكاة والصوم والحج وهذا يدل على أهمية الإنفاق في الخطاب القرآني.

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ[5]﴾، وهنا يقول

(١) سورة التوبة: الآية: ٤١.
(٢) ظ: التبيان في تفسير القرآن، ٥/ ٢٢٤.
(٣) سورة الصف، الآية: ١٠-١١.
(٤) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٩/ ٢٥٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

الطبرسي : (أي انفقوا أموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما أمر الله به من الخير)[1].

فالإنفاق في سبيل الله مصطلح عام يدخل فيه كل وجوه البر التي أمر الله تعالى بها، وهو بهذا المعنى العام: (إخراج الشيء عن ملك مالكه إلى ملك غيره لأنه لو أخرجه إلى هلاك لم يسم إنفاقاً)[2].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ[3]﴾.

والإنفاق من أجل التهيئة للجهاد من المقدمات الأساسية وهو بهذا أحد وجوه الإنفاق في سبيل الله[4]، فكل نص يشمل الإنفاق في سبيل الله يشمل الجهاد بالمال ولا عكس وكل ذلك مرتبط بمصطلح (في سبيل الله) الذي سأبينه في المطالب القادمة فضلاً عن بعض النكت المتعلقة بالجهاد وبالمال والإنفاق في سبيل الله.

ونلحظ أنّ الجهاد بالمال في مضمونه جهادان، جهاد بالمال وجهاد للنفس التي من طبعها الحرص والبخل، فالإنسان حينها يجاهد في المال وجهاد للنفس المانعة، في حين أن الجهاد بالنفس جهاد واحد بنفسه.

ومما يجب بيانه أن الجهاد بالمال في وقت العسرة أعظم وانفع من الجهاد بالمال في زمن اليسر والرفاه، فالله ﷻ ذَكَرَ في القرآن (في سورة الحديد المدنية)، أن مَن أنفق قبل الفتح له أجر أكبر ومنزلة أعلى من الذين أنفقوا بعد الفتح، وما ذلك إلا لأن الإنفاق قبل الفتح يحمل مخاطر أكبر وله منافع أكثر، فالحاجة إليه أعظم بكثير مما هي بعد الفتح؛ لأن الأمور تكون قد استقرت وبدأ تحصيل المنافع من الإنفاق، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ٥/ ١٥١.
(٢) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢/ ١٥١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.
(٤) ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٥/ ٢٢٤.

الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ[1]﴾.

ومن هذا الأمر استخلصنا أن فكرة الإنفاق وحسن توزيع الثروة بين الناس، ليست فكرةً تحفظ المجتمع الإنساني السليم وترعاه فحسب، بل إنها كذلك فكرة تعمل على تأسيسه ورفع أبنيته أيضاً، ففي المرحلة المكّية لم يكن هناك مجتمع إسلامي بعد، كان هناك أفراد مسلمون، ومع ذلك فقد جاء التشريع بالإنفاق من أجل المساعدة على بناء هذا المجتمع.

ثالثاً: الحكمة من تقديم المال على النفس في آيات الجهاد.

قرن الله سبحانه وتعالى ذكر المال مع النفس في آيات الجهاد في عشرة مواضع تقدم المال فيها في تسع آيات مما دعا المفسرون إلى الوقوف عليها وبيان الحكم والآثار المترتبة عليها.

والآيات التي اقترن فيها المال والنفس هي في قوله تعالى:

﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا[2]﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلاَيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[3]﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ[4]﴾.

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٠.

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[1]﴾.

﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ[2]﴾.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ[3]﴾.

﴿لَكِنْ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ[4]﴾.

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[5]﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ[6]﴾.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[7]﴾.

وفي ما يأتي بيان لبعض النكت والآثار المترتبة على تقديم المال على النفس في هذه الآيات:

١. إن الجهاد بالنفس يحتاج إلى المال لإعداد العدة وتجهيز الجيش فالمال مقدمة مهمة وضرورية للجهاد بالنفس فلا يمكن أن يكون جهاد بالنفس بدون المال. لأن المال ينفع

(١) سورة التوبة، الآية: ٤١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٨١.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٨٨.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٦) سورة الحجرات، الآية: ١٥.
(٧) سورة الصف، الآية: ١١.

في جهات كثيرة، يستطاع أن يستأجر به المجاهد، يستطاع أن يجهز به المجاهد، يستطاع أن يشترى به السلاح، يشترى به الطعام والشراب، تشترى به الكسوة، تشتري به المؤونة الذخيرة، فنفع المال متنوع[1].

فهو إذن عصب الحرب ومدد الجيش وأهم من الجهاد بالسلاح فبه يشترى السلاح ووتهيئ المعسكرات والمؤونة وبه تكفل عوائل المجاهدين وترعى مصالحهم عند انشغالهم بالقتال.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ[2]﴾. والقوة في الحرب كل ما يتمشى به الحرب والدفاع من أنواع الاسلحة والرجال المدربين والمعاهد الحربية[3].

والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها إذا فاجأها العدو على غرة، ومن الواجب بنصّ القرآن أن يشمل هذا الاستعداد صنع الأسلحة بأنواعها وتعلم فنون القتال[4].

وهذا ما يحتاج إلى أموال طائلة وخصوصاً في زماننا هذا الذي تطورت فيه الاسلحة والمعدات الحربية حتى صارت أحد أهم أسباب الظفر والفوز في المعركة، بل تغلب السلاح الحديث على كثير من الجيوش وأكبر دليل أن نهاية الحرب العالمية الثانية كانت بسبب قنبلة واحدة، لذلك قدم المال على النفس لأهميته وأن المنفق في سبيل الله ينال رضا الله وجنته.

قال رسول الله ﷺ: (يا علي، اتلو عليك آية في نفقة الخيل: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

(١) ظ: الشنقبطي(ت:١٩٧٣م)، أضواء البيان، ٨/ ١١٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٣) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٩/ ١١٤.
(٤) ظ: محمد رشيد رضا(ت:١٩٣٥م)، المنار في تفسير القرآن، ١٠/ ٥٣.

بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً[1]﴾)[2]. فنلحظ هنا ان النفقة على الخيل المرتبطة في سبيل الله هي التي عنتها الآية الكريمة، و مصاديقها كثيرٌ في زماننا الحاضر.

وقال أيضاً ﷺ: (أفضل الصدقة ظل فسطاط[3] في سبيل الله ومنيحة[4] خادم في سبيل الله أو طروقة فحل[5] في سبيل الله).[6]

٢. تنبيه لذوي الأعذار من النساء والشيوخ والمرضى بإمكان الجهاد والمشاركة بالأجر والثواب مع المقاتلين، فإن كثيراً من المسلمين كانوا قادرين على الجهاد ولكن لا يملكون المال للتجهيز وشراء عدة الحرب حتى جعلهم القرآن مع أصحاب الأعذار مما جعلهم يتألمون حزناً لعدم قدرتهم على الخروج للجهاد، قال تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ[7]﴾.

قال الطبرسي : الجهاد بالمال واجب كالجهاد بالأنفس، فمن لم يطق الجهاد إلاّ بالمال فعليه أن يعين به من ليس له مال[8].

وقد بين رسول الله ﷺ أهمية الإنفاق في الجهاد بمناسبات كثيرة من ذلك قوله: (من أعان غازياً بدِرْهم فله مثل أجر سبعين دراً من درر الجنة وياقوتها وليست منها حبة إلاّ وهي أفضل من الدنيا)[9].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٧/ ٣٥.
(٣) الفسطاط: بيت يتخذ من الشعر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فسط، ٧/ ٣٧١.
(٤) المنيحة: الإعارة، منيحة الناقة أي جعل له وبرها وولدها ولبنها، والمراد هنا أن يمنح عبداً للجهاد في سبيل الله، ظ: المصدر نفسه، مادة منح، ٢/ ٦٠٧.
(٥) طروقة فحل: هي الناقة، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة طرق، ٣/ ٤٥١.
(٦) الترمذي(ت٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح المشهور بـ(سنن الترمذي)، ٣/ ٩١.
(٧) سورة التوبة، الآية:٩٢.
(٨) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ٥/ ٢٢٤.
(٩) الميرزا النوري (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ١١/ ٢٤.

وقال ﷺ: (من جهز غازياً بسِلك أو إبرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)[١].

وعنه أيضاً ﷺ (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا)[٢].

٣. بيان وتذكير للمسلمين بأن الجهاد لا يكون بالنفس وحسب بل بأي وسيلة أمكنت والمال من أهم هذه الوسائل، ولأن الذي يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة الجهاد هو القتال في سبيل الله.

قال ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ): المال أقل حضوراً في الذهن عند سماع الأمر بالجهاد فكان ذكره مهماً بعد الجهاد[٣].

٤. حب الإنسان الشديد للمال واعتزازه به، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا[٤]﴾. فإن إخراج المال وإنفاقه يحتاج إلى مجاهدة للنفس، ولأن المنفق لا يتوقع أن يرجع إليه ماله أو يعوض مكانه، بينما إذا خرج للجهاد والقتال فإنه من الممكن أن ينتصر ويعود بغنيمة الحرب.

قال الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ): (قدم الأموال لحرص الكثير عليها حتى أنهم يهلكون أنفسهم بسببها مع أنه أوفق نظراً إلى التعريض بأولئك حيث إنهم لم يكفهم أنهم لم يجاهدوا بأموالهم حتى جاؤا وأظهروا الإسلام حباً للمغانم وعرض الدنيا)[٥].

وفي مورد آخر يكشف القرآن الكريم عن بعض النفوس المريضة من الذين يصل بهم الأمر الى الاعتذار عن الجهاد بسبب انشغالهم بالأموال وحفظها وتقديمه بالأهمية حتى على أهلهم وهو أمر مخالف لشأن العقلاء!، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا[٦]﴾، أي (لم يكن لنا من يقوم بحفظ ذلك ويحميه عن الضياع، ولعل

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ١١/ ٢٤.
(٢) الترمذي، السنن، ٢/ ٩٢.
(٣) ظ: ابن عاشور (ت:١٩٧٣م)، التحرير والتنوير، ١٠/ ٢٠٧.
(٤) سورة الفجر، الآية: ٢٠.
(٥) الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢٦/ ١٦٩.
(٦) سورة الفتح، الآية: ١١.

ذكر الأهل بعد الأموال من باب الترقي ،لأن حفظ الأهل عند ذوي الغيرة أهم من حفظ الأموال)[١].

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (أنفق وأيقن بالخلف من الله فإنه لم يبخل عبد ولا أمة بنفقة فيما يرضى الله إلاّ أنفق أضعافها فيما يسخط الله عزّ وجل)[٢].

فإذا استطاع المجاهد أن يغلب نفسه ويقدم ماله في سبيل الله تهيأ لتقديم الأغلى والأعز وهي نفسه في سبيل الله.

فإن المضايقة فيها أشد فلا يرضى المجاهد ببذلها حتى وهو مشارك في المعركة إلاّ في آخر المراتب[٣].

أما الآية التي تقدم فيها النفس على المال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ[٤]﴾.

فإن تقديم النفس على المال في هذا الموضع هو الأولى لأسباب نذكرها:

١. لأنه سبحانه وتعالى جعلها مورد العقد وطلب شرائها لنفسه وجعل ثمنها الجنة أما الأموال فهي تبع للنفس المشتراة والعبد وما يملك للمشتري.

قال ناصر مكارم الشيرازي: إن كل معاملة تتكون من خمسة أركان أساسية: المشتري والبائع والمتاع والثمن وسند المعاملة، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذه الأركان وجعل نفسه مشترياً والمؤمنين بائعين وأنفسهم وأموالهم متاعاً والجنة ثمناً والطريق للوصول إلى ذلك هو القتال في سبيل الله[٥].

(١) تفسير روح المعاني، ٢٦/ ٩٨.
(٢) الكليني، الكافي: ٤/ ٤٣.
(٣) ظ: ابو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٣/ ٣٤٥.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٥) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٧/ ٣٢٩.

وقال الرازي (ت:٦٠٦هـ): فقدم ذكر النفس على المال لأن النفس أشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيهاً على أن الرغبة فيها أشد[١].

فهي أعز ما يملك الحي لذلك جعل سبحانه وتعالى مقابلها الجنة وهي أعز ما يوهب.

٢. أنه سبحانه وتعالى ذكر لفظ القتال بدل لفظ الجهاد فصار الأمر مختصاً بالنفس فكان لابد من تقديمها على المال لأنها هي الفاعل والمؤثر في القتال، فالآية هنا لا تتحدث عن الجهاد بكل صورة وإنما تتحدث عن القتال الذي هو نوع من أنواع الجهاد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِّ الَّذِينَ يَشْرونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِّ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا[٢]﴾.

فالأجر العظيم في القتال في سبيل الله على أي حال من الاحوال، سواء استشهد المقاتل أو قاتل وانتصر ونال غنيمة الحرب.

٣. وبما أنه سبحانه وتعالى قد قدم عرضاً لجميع المسلمين وأعطى ثمنه الجنة، فإنه قدم النفس من باب المساواة لأن كل إنسان عنده نفسه التي يجاهد بها ولكن ليس كل المسلمين عندهم الأموال لتقديمها للجهاد بها.

قال ابن عرفة (ت:٨٠٣هـ): (إن كل أحد عنده نفس يجاهد بها وليس كل أحد عنده المال بل الأغلب كان في حقهم عدم الوجدان فبدأ بما هو الأغلب)[٣].

ثم أن الذي يملك المال، عندما يريد الجهاد فإنه يعلم أنه يمكنه تعويضه بالتجارة وغيرها خلاف النفس التي لا يمكن تعويضها فكان من باب العدالة أن يقدم النفس على المال، قال أبو حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ): (وقدم الأنفس على الأموال ابتداء بالأشرف وبما لا عوض له إذا فقد)[٤].

(١) ظ: مفاتيح الغيب، ١١/ ٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٤.
(٣) ابن عرفة(ت:٨٠٣هـ)، تفسير ابن عرفة، ٢/ ٣٢٧.
(٤) البحر المحيط، ٥/ ١٠٥.

خاتمة...

وفي نهاية البحث وبعد هذه الرحلة في الانفاق والجهاد بالمال في القرآن الكريم وأقوال المفسرين أسطّر بعض الملخصات البحثية خاتماً بها البحث، وهي على النحو الآتي:

إن التشريعات الإسلامية لحفظ المال ليس لها مثيل في التشريعات الوضعية القديمة والمعاصرة.

لا يعني تقديمُ الجهادِ بالمالِ على الجهادِ بالنفسِ أنَّ الجهادَ بالمالِ أفضل، فالجهادُ بالنفس مُقدَّمٌ، إلا أنَّ المالَ مُحَبَّبٌ للنفوسِ، يحرِصُ كثيرونَ على جمعِه، فكان لابُدَّ من الجهادِ به تهذيباً للنفس البشرية.

إن جميع المشاكل التي يطرحها القرآن الكريم هي مشاكل واقعية ولا شيء يبعدها عن ذلك، ونقصد بواقعية هذه المشاكل ارتباطها بالإنسان بعلاقاته ثلاثية الأبعاد، أولاً: علاقته مع نفسه، أي طبيعة النفس البشرية (أو ما بأنفسهم، وفق تعبير القرآن)، وثانياً: علاقته مع أخيه الإنسان، أي طبيعة الاجتماع البشري عبر أشكال التنظيمات كافة، وأخيراً: علاقته مع النظام الكوني، والذي يقوم أساساً على أنه مُسخَّرٌ للإنسان بشروط التسخير الواردة في القرآن الكريم.

إن مفهوم (في سبيل الله) جاء لتحقيق ما تقتضيه المصلحة العامة، وتستدعيه البنية التحيتة للمجتمع المتكامل، فهو بمصطلحات اليوم يرادف تماماً مفهوم (الصالح العام).

للأنفاق آداب يجب على المنفق الألتزام بها، ومنها حرمة المنّ والأذى في الصدقات وفسادها بها وبطلان صدقة المان والمؤذي والمرائي بهما وحرمة الرياء وهي من الشرك.

يَدخلُ في ضِمْنِ الجهادِ بالمالِ بناءُ المساجدِ، والمدارسِ، والجامعاتِ، والمستشفياتِ، وبناءُ دور الأيتام، والمؤسسات التربوية وكُلِّ ما يَتِمُّ مِنْ خلالِه بناءُ المجتمعِ المسلمِ، ويَلْحَقُ بذلك كُلُّ أنواعِ الإنفاقِ كافّةً، بمَا في ذلك أعمالُ البِرِّ، وما يكونُ له أَثَرٌ بالغٌ في تأسيسِ جيلٍ إسلاميٍ مؤمن بقيم السماء. والحمد لله رب العالمين .

المصادر و المراجع

١. أحمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، (دت).

٢. الآلوسي محمد بن عبد الله الحسيني (ت:١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

٣. الترمذي محمد بن عيسى بن سورة (ت:٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح المشهور بـ(سنن الترمذي)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.

٤. الجواهري (ت:١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام، دار الكتب العلمية، طهران، ط٣، ١٣٦٧هـ ش.

٥. الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ)، الوسائل، نشر مؤسسة آل البيت ع لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.

٦. ابو حيان التوحيدي (ت:٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٧. الرازي فخر الدين (ت:٦٠٤هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

٨. الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الحديث ، القاهرة، (دت).

٩. السبزواري عبد الأعلى الموسوي (ت:١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط٥، نشر دار التفسير، قم، إيران، مكتبة المهذب، النجف الأشرف، العراق، ٢٠١٠م.

١٠. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط٣٤، ٢٠٠٤م.

١١. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن(ت:٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت.

١٢. الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار (ت:١٩٧٣م)، أضواء البيان، تحقيق: مكتب البحوث للدراسات، ١٩٩٥م.

١٣. الصدوق محمد بن علي (ت:٣٨١هـ)، معاني الأخبار، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ايران، ١٩٧٢م.

١٤. صلاح الخالدي (الدكتور)، القصص القرآني، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، دار البشير جدة، ١٩٩٨م.

١٥. الطبرسي ابو علي الفضل (ت:٥٤٨هـ)، مجمع البيان، مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.

١٦. الطوسي محمد بن الحسين (ت:٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.

١٧. ابن عاشور محمد بن الطاهر بن محمد(ت:١٩٧٣م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م.

١٨. عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:١٣٠٧هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٩. عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالوضعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٠. ابن عرفة محمد بن محمد المالكي(ت:٨٠٣هـ)، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٢١. عدنان خليفات (الدكتور)، حديث القرآن الكريم عن الانفاق، مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية، المجلد الأول، ٢٠١٤، العدد ١.

٢٢. القرطبي محمد بن أحمد الانصاري (ت:٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. مجدي محمد سرور، دار البيان العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢٣. القمي علي بن ابراهيم (ت:٣٢٩هـ)، تفسير القمي، تحقيق: السيد طيب الموسوي، مؤسسة دار الكتاب للطباعة، قم، ايران، ط٣، ١٩٨٣م.

٢٤. ابن كثير (ت:٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار صبح، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.

٢٥. الكليني (ت:٣٢٩هـ)، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ايران، ط٥، ١٣٦٣هـ ش.

٢٦. المجلسي محمد باقر (ت:١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: السيد ابراهيم الميانجي وآخر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٢٧. محمد باقر الصدر نظرة عامة في العبادات، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

٢٨. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.

٢٩. محمد رشيد رضا الحسيني (ت:١٩٣٥م)، المنار في تفسير القرآن، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٣٠. محمد عبده (ت:١٩٠٥م)، شرح نهج البلاغة، دار الذخائر، قم، ١٤٢١هـ.

٣١. مسلم بن الحجاج ابن مسلم النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، (د.ط)، دار الفكر، بيروت.

٣٢. مصطفى محمود (الدكتور)، الإسلام السياسي والمعركة القادمة، الناشر: دار أخبار اليوم، (دت).

٣٣. ابن منظور الافريقي (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٣٤. الميرزا النوري حسين الطبرسي (ت:١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، نشر: مؤسسة

آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٥.ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

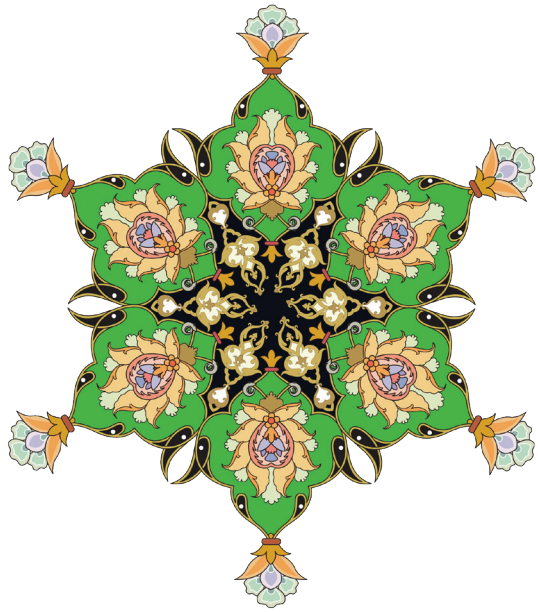

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

رؤية معاصرة في التعدُّد الوظيفي لاستعمال الأداة (أمَّا) في القرآن الكريم والموروث اللغويّ

أ.م. د. كريم حمزة حميري جاسم
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) / أقسام بابل

Contemporary vision in the multifunctionality of the use of the tool (Ama) in the Holy Qur'an and linguistic heritage

Asst.Porf.Dr. Karim Hamza Hamidi Jassim
Imam Al-Kadhim College (peace be upon him)
Email : kareemkareemxx@yahoo.com

ملخص البحث

حَمَلَ البحثُ رؤيةً جديدةً في وظيفة الأداة (أمَّا) في النَّحو العربيّ، لا أزعمُ أنَّها مبتكرةٌ في مجملها، ولكنَّني سعيتُ في جمع ما قاله النَّحويون في وظائفها عمومًا، والوصول إلى نتيجة موحدة، مفادها أنَّ الأداة (أمَّا) تحملُ معنى التفصيل، لا الشرط، وأنَّ معنى الشرط لا يتوافقُ معها، ولا مع طبيعة التركيب الشرطي؛ لذا قُسِّمَ البحثُ على مبحثين، الأول منهما ذكرتُ فيه الوظائف النَّحويَّة للأداة (أمَّا) عند النَّحويين، وقد نقلتُها كما هي عندهم، لأُبيِّن موقفهم منها، وأمَّا المبحثُ الآخرُ فقد أثبتُ فيه عدم شرطيَّة هذه الأداة، بالاعتماد على بعض النصوص القرآنيَّة وعلى آراء بعض النَّحويين النابهين برؤيةٍ عصريةٍ تحترمُ القديمَ وتبحثُ عن جديدٍ.

الكلمات المفتاحية : التعدد الوظيفي ، الأداة (أما) ، القرآن الكريم ، الموروث اللغوي .

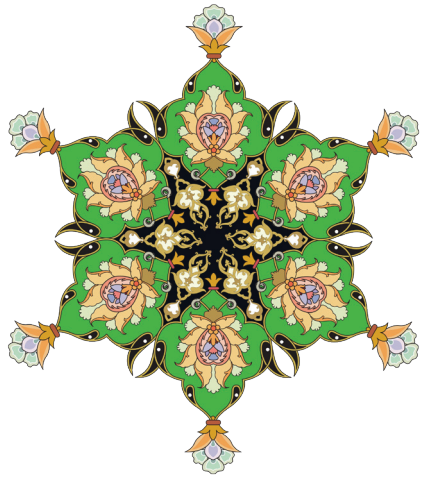

Abstract

The research carried a new vision in the function of the tool (either) in Arabic grammar I do not claim that it is innovative in its entirety but I sought to collect what the grammarians said about its functions in general and to reach a unified conclusion that the tool (either) carries the meaning of detail not the condition and that the meaning of the condition is not compatible with it nor with the nature of the conditional structure; Therefore the research was divided into two sections the first of which I mentioned the grammatical functions of the tool (as) for the grammarians and I transferred it as they have it to show their position on it and as for the other topic it was proven that this tool is unconditional relying on some Qura'nic texts and the opinions of some careful grammarians With a modern vision that respects the old and searches for the new.

Keywords: multifunctionality, the tool (ma), the Holy Qur'an, linguistic heritage.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

المقدِّمة

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد؛

فمن القضايا التي استقراها النحويون قديمًا – وإن كان استقراؤهم لها ناقصًا – هي الأداة (أمَّا)، فلو ألقيتَ نظرةً سريعةً في كتبِ النَّحو المتقدِّمة، لوجدْتَ أنَّهم يكادون يجمعون على أنَّ هذه الأداةَ متضمنةٌ معنى الشرط، بل يذهبُ بعضهم إلى أنَّ معنى الشرط لا يفارقها، ولا تخرج هذه النَّظرة عمَّا أسسوه من قواعد صارمة فيها، وما تمسَّكوا به من آراء حَكَمَتهم فيها النظرة الشكلية للنصوص اللغوية، والصناعة النحويَّة المتعسفة في الغالب.

من هنا شرعتُ بكتابةِ بحثٍ يحملُ رؤيةً جديدةً في وظيفة هذه الأداة، لا أزعمُ أنَّها مبتكرةٌ في مجملها، ولكنَّني سعيتُ في جمع ما قاله النَّحويون في وظائفها عمومًا، والوصول إلى نتيجة موحدة، مفادها أنَّ الأداة (أمَّا) تحملُ معنى التفصيل، لا الشرط، وأنَّ معنى الشرط لا يتوافقُ معها، ولا مع طبيعة التركيب الشرطي؛ لذا قُسِّمَ البحثُ على مبحثين، الأول منهما ذكرتُ فيه الوظائف النَّحويَّة للأداة (أمَّا) عند النَّحويين، وقد نقلتُها كما هي عندهم، لأُبيِّن موقفهم منها.

وأمَّا المبحثُ الآخرُ فقد أثبتُ فيه عدم شرطيَّة هذه الأداة، بالاعتماد على بعض النصوص القرآنيَّة وعلى آراء بعض النَّحويين النابهين برؤيةٍ عصريةٍ تحترمُ القديمَ وتبحثُ عن جديدٍ.

والحقُّ يجب أن يُقال في هذا الموضع، وهو أنَّ ما سيرد في هذا البحث ليس كلُّه من بنات فكر الباحث، فقد سبقنا في عرضِ الفكرةِ – اختصارًا – عددٌ من النَّحويين، وأخيرًا أرجو أن أكون قد بيَّنت شيئًا من أسرار هذه الأداة في هذا البحث المتواضع، فإنْ أكن كذلك فهذا من فضل ربِّي وإن كانت الأخرى فحسبي أني قد سعيت، واللهُ الموفق لكلِّ خير .

المبحث الأوَّل: التعدد الوظيفي للأداة (أمَّا) عند النَّحويين

هي من الأدوات النَّحويَّة التي تتنازعها أكثر من وظيفة نحويَّة، قال النحويون فيها: هي حرفٌ إخباري تضمن معنى الشرط[١]، والتفصيل[٢]، والتوكيد[٣]؛ إذ إنّه حرف شرط وتوكيد دائماً، وحرف تفصيل غالباً[٤]. وقد اختُلِف بشأن هذه الأداة، فهناك من يرى أنها تخلو من معنى الشرط وهو الصواب، وهناك من يرى أنّها تتضمن معنى الشرط؛ لأنّها تقوم مقام أداة أخرى هي (مهما) وفعلها (يكن) والتقدير: (مهما يكن من شيء)، لذلك لا يلي هذه الأداة فعل؛ لأنّه لو وليها، لتُوهم أنّه فعلُ الشرط[٥]. يقول (سيبويه): ((وأمّا «أمّا» ففيها معنى الجزاء. كأنّه يقول: «عبد الله مهما يكن من أمرهِ فمنطلق». ألا ترى أنّ «الفاء» لازمة لها أبداً))[٦]. فـ(سيبويه) يرى أنّ هذه الأداة متضمنة لمعنى الشرط؛ لأنها تحلُّ محلَّ الأداة (مهما)، كذلك لوجود (الفاء) الرابطة الملازمة لها، ولكن هذه (الفاء) تنماز من (الفاء) الرابطة في جواب الشرط، في أنّ (الفاء) الرابطة تقترن بجواب الشرط عندما يكونُ غيرَ صالحٍ لأنْ يكونَ شرطاً لذلك تقترن به لتربطه بالشرط وتجعل بينهما مناسبة لفظية، أمّا إذا كان الجوابُ صالحاً، فلا تقترن به هذه (الفاء)، في حين أنَّ (الفاء) التي تقترن بجواب (أمّا) تبقى ملازمة لهذه الأداة لا تنفك عنها، ولا يُمكنُ حذفها ولا الاستغناء عنها إلّا في مواضع الضرورة.

وقد يكون وجود هذه (الفاء) مع تراكيب أخرى متضمنة معنى الشرط، كالتراكيب التي تتصدرها أسماء موصولة، هو الذي يحدد دلالة الجملة على الشرطية؛ إذ إنّ الصفات الموصولة قد تتضمن معنى الشرط ويستدل على ذلك بوجود (الفاء) في سياقها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

(١) ينظر الأزهية في علم الحروف، للهروي: ١٥٣.
(٢) ينظر شرح ابن عقيل، لابن عقيل: ٢/ ٣٥٨، والمطالع السعيدة، للسيوطي: ٤٥٨.
(٣) ينظر مغني اللبيب، لابن هشام: ١/ ٨٢.
(٤) ينظر أوضح المسالك، لابن هشام: ٤/ ٢٠٩.
(٥) ينظر المطالع السعيدة، للسيوطي: ٤٥٨ .
(٦) الكتاب: ٤/ ٢٣٥ .

أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة/ من الآية٣٤] . فالاسم الموصول هنا تضمن معنى الشرط وهو ما أطلق عليه السيوطي ((شبه الشرط))[١].

ولا يخلو هذا القياس من ضعفٍ من حيثُ التركيب والدلالة، فتركيب (الذي... ف) قد يتضمن معنى الشرط، في حين أنَّ تركيب (أمَّا... ف) يفتقدُ إلى النسق الشرطي المعروف هذا من جهة التركيب، وأمَّا من جهة الدلالة، فتركيب (الذي) قد يتضمن معنى التعليق، ففي الآية المتقدِّمة تعلَّق قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ بعدم إنفاقهم الذهب والفضة التي أكنزوها، وهذا المعنى (أي: التعليق) لا ينطبق عليه تركيب (أمَّا) وسيأتي إثبات ذلك في المبحث الثاني إن شاء الله.

وتحدّث ابنُ جني عن فاء (أمَّا) في باب (إصلاح اللفظ) قائلًا: ((اعلم أنّه لما كانت الألفاظ للمعاني أزِمّة، وعليها أدِلّة، وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة، عُنيت العرب فأولتها صدراً صالحاً من تثقيفها وإصلاحها. فمن ذلك قولهم: «أمّا زيدٌ فمنطلقٌ»: ألا ترى أنّ تحرير هذا القول إذا صرّحت بلفظ الشرط فيه صرت إلى أنّك كأنّك قلت: «مهما يكن من شيء فزيدٌ منطلقٌ»، فتجد «الفاء» في جواب الشرط في صدر الجزأين مقدمة عليهما. وأنت في قولك: «أمّا زيدٌ فمنطلقٌ»، إنّما تجد «الفاء» واسطة بين الجزأين ولا تقول: «أمّا فزيدٌ منطلقٌ»، كما تقول فيما هو في معناه: «مهما يكن من شيء فزيدٌ منطلقٌ». وإنّما فُعِل ذلك لإصلاح اللفظ))[٢].

وهذا القولُ يُفسِّرُ مجيء (الفاء) مع (أمَّا) تفسيرًا دلاليًّا، وهو في الوقتِ نفسِهِ يُحاولُ أن يُفرِّقَ بين وجودها مع تفسير (أمَّا) بـ(مهما)، ووجودها من دون تفسير، وفي ذلك كُلِّه إشارة إلى اختلاف التركيبين اللذين يتضمنان (أمَّا) و(مهما)، ومن ثَمَّ جاز لنا أن نبعدَ (أمَّا) عن الشرط كما سيأتي تفصيله في المبحث الثاني.

وقد تحدّث الرضي عن هذه الأداة وذكر أنّ لها معنيين: تفصيل مجمل، واستلزام شيء

(١) الأشباه والنظائر: ٣/ ٢٥١.
(٢) الخصائص: ١/ ٣١٢.

لشيء، أي إنّ ما بعدها شيء يلزمه حكم من الأحكام، لهذا السبب قيل: إنّ فيها معنى الشرط؛ لأنّ معنى الشرط، هو استلزام شيء لشيء، أي استلزام الشرط بالجزاء، وإنّ هذا المعنى لازم لها في مواقع استعمالها جميعًا بخلاف معنى التفصيل، فإنّها قد تتجرد منه[1].

ويرى (الرضي) في بيان معنى الشرط في هذه الأداة أنّها حرف بمعنى (إنْ) وجب حذف شرطها لكثرة استعمالها في الكلام، ولكونها في الأصل موضوعة للتفصيل وهو مقتضٍ تكرارها، وهو لا يؤيد رأي (سيبويه) على أنّ هذه الأداة هي بمعنى (مهما)، ويستدل على ذلك بكون (أمّا) حرف، و(مهما) اسم؛ لأنّ معنى (مهما يكن من شيء فزيدٌ قائمٌ): (إنْ كانَ شيء فزيدٌ قائمٌ)[2].

أمّا (ابن هشام) فيستدل على شرطية هذه الأداة بملازمة (الفاء) لها، ويبين أنّها ليست عاطفة ولا زائدة، ولو كانت للعطف لم تدخل على الخبر؛ لأنّ الخبر لا يعطف على مبتدئه، ولو كانت زائدة لصحّ الاستغناء عنها[3].

وأمّا معنى التوكيد فيها فيذكر ابن هشام رأي (الزمخشري)، فيقول: ((وأمّا التوكيد فقلّ من ذكره، ولم أرَ من أحكم شرحه غير «الزمخشري»، فإنّه قال: فائدة «أمّا» في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول: «زيدٌ ذاهبٌ»، فإذا قصدت توكيد ذلك، وأنّه لا محالة ذاهب وأنّه بصدد الذهاب وأنّه منه عزيمة، قلت: «أمّا زيدٌ فذاهبٌ» ولذلك قال «سيبويه» في تفسيره: «مهما يكن من شيء فزيدٌ ذاهبٌ»، وهذا التفسير مُدْلٍ بفائدتين: بيان كونه توكيداً، وأنّه في معنى الشرط))[4].

هذه معظم الآراء التي تداولها النحويون في (أمَّا)، وسنترك مناقشتها في المبحث الثاني، الذي خصصناه لإثبات عدم شرطيَّة هذه الأداة.

(١) ينظر شرح الرضي على الكافية: ٤/ ٤٦٦– ٤٦٧.
(٢) ينظر المصدر نفسه: ٤/ ٤٦٧-٤٦٩.
(٣) ينظر مغني اللبيب: ١/ ٨٠.
(٤) المصدر نفسه: ١/ ٨٢.

المبحث الثاني : الأداة (أمَّا) حرف تفصيل، لا شرط

لا يمكننا أنْ نقولَ إنَّ الأداة (أمَّا) من أدوات الشرط غير الجازمة؛ بل هي حرفُ تفصيلٍ؛ وذلك للأسباب الآتية:

١ – أدوات الشرط لها الصدارة في الكلام، فلا يتقدَّم عليها شيء في الغالب، وقد يتقدَّم جواب الشرط على بعض الأدوات كـ(إنْ، وإذا، ولو)، أمَّا الأدوات الأُخرى فلا يتقدَّم عليها شيء، قال ابنُ السرَّاج عن الأدوات الأُخَر: ((وسائرُ الحروف (أي: أدوات الشرط) فإنَّهُ يستحيل في الأسماء منها والظروف. من وجوهٍ في التقديم والتأخير))[١]. ولكن لو تتبعنا النصوص القرآنيَّة التي ترد فيها الأداة (أمَّا)، لوجدنا أنَّها قد سُبقت بكلام، ولم أجد نصًّا قرآنيًا غير مسبوق بكلام أي أنَّ هذه النصوص تتحدث عن كلامٍ قد سبقها، وإنَّما جاءت (أمَّا) والتراكيب التي بعدها لتفصيل هذا الكلام، وأنَّ كثرة استعمال هذا المعنى قد أقرَّها بعض النحويين، ولكنَّهم اشترطوا تكرارها[٢]، قال ابن هشام: ((وَأمَّا التَّفْصِيلُ فَهُوَ غَالبُ أحوالها))[٣].

ومن أمثلة هذا المعنى في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الكهف في الحادثة[٤] التي وقعت بين موسى والخضر ﷺ: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ

(١) الأصول: ٢/ ١٥٩.
(٢) ينظر ارتشاف الضرب، لأبي حيَّان: ٤/ ١٨٩٣، ومغني اللبيب: ١/ ٨١.
(٣) مغني اللبيب: ١/ ٨١.
(٤) لتفصيل أحداث هذه القصة ينظر كتاب قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، أبو العباس محمد بن جبريل الشحري: ٣٧، وكتاب سيدنا الخضر عليه السلام، سيد سلامة غنمي: ٥٥ – ٦٠.

تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾[الكَهف من الآية ٧٨ الى الآية ٨٢].

فنلاحظ أنَّ الأداة (أمَّا)، التي وردت في ثلاثة مواضع قد سُبقت بكلام. ولا شك في أنَّ معنى التفصيل لا يمكنُ أن تؤدِّيه (مهما)، التي فسَّر بها النحويُّون معنى (أمَّا)، يقول الشيخ خالد الأزهري في حديثه عن معاني (أمَّا): ((والثالث: معنى التفصيل، وهذا لا يشعر به (مهما)، ولهذا لا يكاد يُعثَرُ عليها إلاّ مُردفة بأخرى معطوفةً عليها))[1]، وهذا اعترافٌ صريح من الأزهري بأنَّ معنى (أمَّا) هو التفصيل – بدلالة تكرارها – ولا يستقيم هذا المعنى مع عبارة (مهما يكن من شيء)، الذي لا يستساغ مع تكرار الأداة (أمَّا) في معظم النصوص التي ترد فيها.

ومعنى التفصيل هو السمة البارزة لـ(أمَّا) في القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [الضُّحَى من الآية ٩ الى الآية ١١] يقول ابن عاشور عن هذه الجمل: ((وَصُدِّرَ الْكَلَامُ بِـ (أَمَّا) التَّفْصِيلِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ تَفْصِيلٌ لِمُجْمَلِ الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ ... وَقَدْ قُوبِلَتِ النِّعَمُ الثَّلَاثُ الْمُتَفَرِّعُ عَلَيْهَا هَذَا التَّفْصِيلُ بِثَلَاثَةِ أَعْمَالٍ تُقَابِلُهَا. فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّفْصِيلُ عَلَى طَرِيقَةِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ الْمُرَتَّبِ))[2]، أي إنَّ هذه الجمل المفصلة تقابل جملًا أخرى قد سبقتها.

٢- إنَّ الأداة (أمَّا) لم يذكرها أحدٌ من النحويين المُتقدِّمين من بين أدوات الشرط الجازمة، أو غير الجازمة، وإنَّما أقحمها بعضُ النحويين المُتأخِّرين، كابن الحاجب، وابن مالك، والرضيِّ، وابن هشام في دائرة الشرط، ظنًّا منهم أنَّها منها[3].

٣- معنى الشرط كما هو متفق: ((وقوعُ الشيء لوقوع غيرِهِ))[4]، أي إنَّ الشرطَ سببٌ في الجواب غالبًا، وهذا المعنى لا نجدُهُ في تركيب (أمَّا)، فلو نظرنا إلى قول الإمام علي عليه السلام

(١) شرح التصريح: ٤/ ٢٣٢.
(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٠١.
(٣) ينظر إعراب الجمل وأشباه الجمل، د. فخر الدين قباوة: ٥٢، وفي التركيب اللغوي، د. مالك المطلبي: ٨٤.
(٤) المقتضب، للمبرد: ٢/ ٤٥.

من كلامٍ له وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين: ((أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ! فَوَ اللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ))[1]، نجد أنَّ قولهم: (أكُلَّ ذلك كراهية الموت) لم يكن سببًا في عدم مبالاته بالموت، فهو لم يبالِ بالموت سواءٌ أقالوا هذا القول أم لم يقولوا[2]. قال السيوطي: إنَّ أبا حيَّان ذكر أنَّ بعضَ أصحابنا قال: لو كانت (أمَّا) شرطًا لتوقَّفَ جوابُها على شرطها، مع أنَّكَ تقول: (أمَّا عِلْمًا فزيدٌ عالمٌ)، فهو عالمٌ، إن ذكرتَ العلم، أو لم تذكرْهُ، بخلاف: (إنْ قامَ زيدٌ قام عمرٌو)، فقيامُ عمرو مُتوقِّفٌ على قيام زيد[3].

٤- احتجَّ النحويُّونَ بشرطيَّة (أمَّا) بلزوم الفاء في جوابها، وهذه الحُجَّة لا تستقيمُ من ثلاثة وجوه: أوَّلها: أنَّ الفاء ليست رابطةً للجواب عند قسم من النحويين، وإنَّما هي زائدةٌ لازمة، كما لزمت الباء صيغة (أفعل به) في التعجُّب[4]. والثاني: أنَّ هذه الفاء يجوز حذفُها[5]. والثالث: وهو الأهمُّ أنهَّا لو كانت رابطةً حقًّا لجواب الشرط، لالتُزِمَ فيها قياسُ الفاء الرابطة فكانت غير لازمة للفعل[6] في مثل قول كُثيِّرٍ عزَّة[7]:

وما أنصَفَتْ: أمَّا النساءُ فبغَّضَتْ إلينا، وأمَّـا بالنَّوالِ فضَنَّتِ

ومثلُهُ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ

(١) شرح النهج، لابن أبي الحديد المعتزلي: ٤/ ٢٢١.
(٢) ينظر تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة (رسالة ماجستير مخطوطة)، كريم حمزة حميدي: ١٠٩.
(٣) لم أجد هذا القول في كتب أبي حيَّان، وإنَّما نُسِبَ إليه في همع الهوامع، للسيوطي: ٤/ ٣٥٥، وحاشية الصبّان: ٤/ ٦٢. ونَسَبَ ناظرُ الجيش هذا القول إلى بعض المغاربة، ينظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٩/ ٤٥٠٧.
(٤) ينظر حاشية الصبان ٤/ ٦٣، وحاشية الخضري: ٢/ ٢٠٠.
(٥) يكون حذفها في الضرورة الشعرية، أو في ندور في النثر، ومثال حذفها قول الشاعر:
فأمَّا القتالُ لا قتالَ لديكُمُ ولكنَّ سيرًا في عراض المواكبِ
ينظر: المقتضب ٢/ ٦٩، وشرح المفصَّل، لابن يعيش: ٩/ ١٠٤، وأوضح المسالك: ٤/ ٢٣٤ - ٢٣٥، وخزانة الأدب: ١/ ٤٥٢.
(٦) ينظر إعراب الجمل وأشباه الجمل: ٥٥.
(٧) ينظر ديوانه: ٦٥. والنَّوال: العطاء، وضنَّت: بخلت.

فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]، وقوله: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦]، إذ اقترنت فاء (أمَّا) في الآيتين بالجملة الفعليَّة التي فعلها مضارع (يقول)، وهذا الاقتران ليس من مواضع اقتران جواب الشرط بالفاء غالبًا.

وقد فرَّق الدكتور إبراهيم الشمسان بين فاء (أمَّا) وفاء الجزاء، قائلاً عن الأولى: إنَّها ((قد أسهمت[١] في تضليل النحاة فحسبوها (فاء الجزاء)... ولم يُلاحظوا الفرقَ بين الفاءين، وهو أنَّ فاء الجزاء إنَّما تجيء في أحوالٍ خاصَّةٍ يكون الجزاء ممَّا لا يصلح أن يكونَ شرطًا، أمَّا فاء (أمَّا) فهي فاء تلازمها ملازمةً شديدة، ولا يمكنُ أنْ يتمَّ التركيب إلاّ بهما معًا، ونخلُصُ من هذا كلِّهِ إلى أنَّه لابدَّ من النظر إليهما على أنَّهما أداتان مزدوجتان يُشكِّلان نمطًا تركيبيًّا على هذا النحو: «أمَّا...فـ...»))[٢].

٥- فسَّرَ سيبويه قولهم: (أمَّا عبدُ الله فمنطلقٌ)، بقوله: ((كأنَّه يقول: عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلقٌ))[٣]، فتوهَّمَ كثيرٌ من النحويين المُتأخِّرين أنهَّا حرفُ شرطٍ بمعنى: (مهما يكن من شيء)، ولم يعلموا أنَّ سيبويه كان قولُهُ فيها تفسيرَ معنًى للتقريب، لا تقدير إعراب، وأنَّه ليس من الضروري أن يُطابقَ الإعرابُ المعنى[٤]، قال ابنُ جنِّي: ((وليس يمتنع أن يكونَ تفسيرُ المعنى مخالفًا لتقدير الإعراب... وسيبويه كثيرًا ما يُمثِّلُ في كتابه على المعنى فيتخيَّلُ من لا خبرةَ له: أنَّه قد جاء بتقديرِ الإعراب، فيحمِلُهُ في الإعراب عليه، وهو لا يدري، فيكون مخطئًا، وعنده أنَّه مُصيبٌ، فإذا نُوزِعَ في ذلك قال: هكذا قال سيبويه وغيرُهُ))[٥]. وقال الرضيُّ في ذلك: ((تفسيرُ سيبويه لقولهم: (أمّا زيدٌ فقائمٌ) بـ: مهما يكن من شيءٍ فزيدٌ قائمٌ، فليس لأنَّ (أمَّا) بمعنى (مهما)، وكيف، وهذه حرفٌ، و(مهما) اسمٌ، بل قصدُهُ إلى المعنى البَحْت؛ لأنَّ معنى: (مهما يكن من شيءٍ فزيدٌ قائمٌ)، إنْ كان شيءٌ فزيدٌ

(١) في الأصل: (ساهَمتْ)، والصواب ما أثبت.
(٢) الجملة الشرطية عند النحاة العرب: ١٣٥.
(٣) الكتاب: ٢/ ٣١٢.
(٤) ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل ٥٢.
(٥) المنصف: ١/ ١٣١ – ١٣٢. وينظر الخصائص: ١/ ٢٧٩ – ٢٨٤.

قائمٌ، أي: هو قائمٌ ألبتَّة))[١] .

وهناك إشكالٌ آخر هو كيف نُفسِّرُ حرفًا باسمٍ وفعل؟، قال المُراديُّ: ((ما ذكر من قوله: «أما كمهما يك» لا يعني به أن معنى (أمَّا) كمعنى (مهما) وشرطها؛ لأنَّ (أمَّا) حرف، فكيف يصح أن تكون بمعنى اسم وفعل؟ وإنما المراد أن موضعها صالح لهما، وهي قائمة «مقامهما»؛ لتضمنها «معنى الشرط»))[٢]. فعلى الرَّغم من اعتراض المرادي على تفسير الحرف بالاسم والفعل عاد ليقول: إنَّها قائمة مقامهما، وأنَّها متضمنة معنى الشرط!.

٦- صرَّح قسمٌ من النحويين بأنَّ (أمَّا) ليست شرطيَّةً، وجعلوها حرف تفصيل، أو حرف إخبار[٣]، وأمَّا قولُهُم بأنهَّا حرفُ شرطٍ، فقد حِمُلَ على المجاز، قال الدسوقي (ت١٢٣٠هـ): ((التحقيق أنَّها حرفُ إخبارٍ نائبةٌ عن فعل الشرط، لا أنَّها موضوعةٌ للشرط... ولو كانت موضوعةً للشرط لاقتضت فعلاً بعدها فهي قد أغنت عن الجملة الشرطيَّة، وعن أداة الشرط، وهي من أغربِ الحروف؛ لقيامها مقامَ أداة شرط وجملة شرطيَّة))[٤] ، وذهب بعضهم إلى أنهَّا لا تأتي للشرط إلّا في الشعر[٥] .

٧- جاز في تركيب (أمَّا) ما لم يجز في غيره من تراكيب الأسلوب الشرطي، من حيث الفصل بينها وبين فائها؛ إذ تسامح النحويون في مجيء جملة تامَّة بينهما، قال المراديُّ: ((لا يجوز أن يفصل بين (أمَّا) والفاء بجملة، إلا إن كانت دعاء، بشرط أن يتقدم الجملة فاصل بينها وبين أما. نحو: أما اليوم، رحمك الله، فالأمر كذا))[٦]. وكان الأصلُ عند النحويين أن

(١) شرح الرضي على الكافية: ٤/ ٤٦٩، وينظر شرح الدماميني: ١/ ٢٢٩، وشرح الأشموني: ٣/ ٦٠٦، ٢٩٨، وشرح التصريح: ٤/ ٢٣٠.
(٢) توضيح المقاصد: ٣/ ١٣٠٥.
(٣) ينظر الأزهية: ١٥٣، والاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب، للبطليوسي: ١/ ٢٨، وشرح ابن الناظم: ٢٧٩، وحاشية الصبان: ٤/ ٦٢، وإعراب الجمل وأشباه الجمل: ٥٩، والجملة الشرطيَّة عند النحاة العرب: ١٣١ - ١٣٧.
(٤) حاشية الدسوقي: ١/ ١٥٥.
(٥) ينظر التهذيب الوسيط في النَّحو: ٢٩٣.
(٦) الجنى الداني: ٥٢٤.

يفصل بينهما بجزء من الجواب[١].

٨- الفاء الواقعة في جواب الشرط لا يعملُ ما بعدها بما قبلها، بخلاف فاء (أمَّا) التي أجاز النحويون عمل ما بعدها بما قبلها، قال المراديُّ: ((أن الفاء، الواقعة جواباً لها، يجوز أن يعمل ما بعدها فيما قبلها. وهذا متفق عليه في الجملة))[٢].

وقد أثبت الدكتور فخر الدين قباوة عدم شرطيَّة (أمَّا) - لا في الشعر، ولا في النثر - بأدلَّةٍ كثيرة ختمها بقوله: ((والحقُّ أنَّ المعنى الأصلي الثابت لـ(أمَّا) هو التوكيد والتفصيل، أمَّا الشرط فمستفادٌ من القصر الذي تتضمَّنه، ولذلك كان ذكرها بين أحرف الشرط إقحامًا لا مُسوِّغَ له))[٣].

إذًا يُمكننا القولُ وفقًا للأدلَّةِ المُتقدِّمة: إنَّ الأداةَ (أمَّا) ليست من أدوات الشرط، وإنْ دلَّت على هذا المعنى، فإنَّ هذه الدلالة تأتي عن طريق التأويل، لا عن طريق اللفظ والنظم، ولا عن طريق الدلالة، وليس هذا وحسب، بل إنَّ تراكيبها لا تشابه تراكيب الأدوات الشرطيَّة الأُخَر، ولذا ثبت لنا إبعاد (أمَّا) من أدوات الشرط غير الجازمة.

نتائج البحث

في ختام هذا البحث توصلتُ إلى عددٍ من النتائج التي أحسبُ أنَّها جديرةٌ بالنَّظرِ في تقريرِ مصيرِ وظيفة الأداة (أمَّا) من بين أدوات الشرط، وهي على النَّحو الآتي:

أثبت البحث عدم شرطيَّة (أمَّا) خلافًا لما ذكره عدد كبير من النحويين، وقد كانت أدلَّةُ هذا الإثبات مستمدة من آراء بعض النحويين المهتمين بالمعنى، والمبتعدين عن التعسف في الأصول النَّحوية التقليدية، ولا سيَّما المتأخرين منهم، يُزادُ على ذلك الاستعانة بشواهدَ تراثيةٍ مهمةٍ كالقرآن الكريم ونهج البلاغة والشعر العربي؛ لتعزيز تلك الأدلَّةِ وتقويتها.

إنَّ معنى التفصيل هو السمة البارزة لـ(أمَّا) في القرآن الكريم، ونهج البلاغة، والموروث

(١) ينظر شرح ابن الناظم: ٥١٠، وتوضيح المقاصد: ٣/ ١٣٠٥، وشرح التصريح: ٢/ ٤٢٩.
(٢) الجنى الداني: ٥٢٦.
(٣) إعراب الجمل وأشباه الجمل: ٥٩.

اللغوي عمومًا، بدلالة تكرارها، وإنَّ هذا المعنى لا يستقيمُ مع عبارة (مهما يكن من شيء)، الذي لا يستساغ مع تكرار الأداة (أمَّا) في معظم النصوص التي ترد فيها.

إنَّ معنى الشرط ((وقوعُ الشيء لوقوع غيرِهِ)) - أي إنَّ الشرطَ سببٌ في الجواب غالبًا، وهو ما أُطلق عليه مصطلح (التعلُّق) - لا ينطبقُ على تراكيب (أمَّا).

وهمَ كثيرٌ من النحويين المُتأخِّرين في أنَّ (أمَّا) حرفُ شرطٍ بمعنى: (مهما يكن من شيء)، وأنَّ سببَ الوهم هو تفسيرُ سيبويه لها بهذا المعنى، ولم يعلموا أنَّ سيبويه كان قولُهُ فيها تفسيرَ معنًى للتقريب، لا تقدير إعراب، وأنَّه ليس من الضروري أن يُطابقَ الإعرابُ المعنى.

صرَّح قسمٌ من النحويين بأنَّ (أمَّا) ليست شرطيَّةً، وجعلوها حرف تفصيل، أو حرف إخبار، وأمَّا قولُهُم بأنَّها حرفُ شرطٍ، فقد حُمِلَ على المجاز.

هناك فرقٌ كبيرٌ بين الفاء الواقعة بعد (أمَّا) والفاء الرابطة لجواب الشرط، وإنَّ احتجاجَ النَّحويين لشرطيَّة (أمَّا) بلزوم الفاء في جوابها، لا يستقيمُ من ثلاثة وجوه: أوَّلها: أنَّ الفاء ليست رابطةً للجواب عند قسم من النحويين، وإنَّما هي زائدةٌ لازمة، كما لزمت الباء صيغة (أفعل به) في التعجُّب. والثاني: أنَّ هذه الفاء يجوز حذفُها. والثالث: وهو الأهمُّ أنَّها لو كانت رابطةً حقًّا لجواب الشرط، لالتُزِمَ فيها قياسُ الفاء الرابطة فكانت غير لازمة للفعل.

المصادر والمراجع

١. الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب – القاهرة، ط٣/ ٢٠٠٣م.

٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيَّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التوَّاب، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط١/ ١٩٩٨م.

٣. الأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد النحوي الهروي (ت ٤١٥ هـ) ، تحقيق عبد المعين الملوحي، دمشق ، ١٣٩١هـ-١٩٧١م .

٤. الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السرَّاج (ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي، مؤسَّسة الرسالة – بيروت، ط٣/ ١٩٩٦م .

٥. إعرابُ الجُمل وأشباه الجُمل، د. فخر الدين قباوة، دار القلم العربي – حلب، ط٥/ ١٩٨٩م .

٦. الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب، لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ)، القسم الأوَّل بتحقيق: الأستاذ مصطفى السقا، د. حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصريَّة – القاهرة ١٩٩٦م.

٧. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام أبي محمد بن عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، المصري (ت٧٦١ه)، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٨. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)،

الدار التونسية للنشر – تونس/ ١٩٨٤هـ.

٩. تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة (رسالة ماجستير)، كريم حمزة حميدي، جامعة بابل/ كلية التربية (صفي الدين الحلِّيّ)/ ٢٠١١م .

١٠. التهذيب الوسيط في النَّحو، لسابق الدِّين محمَّد بن علي بن أحمد بن يعيش الصنعاني (ت٦٨٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل – بيروت، ط١/ ١٩٩١م.

١١. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١/ ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

١٢. الجملة الشرطية عند النحاة العرب، لأبي أوس إبراهيم الشمسان، القاهرة، ١٩٨١م.

١٣. حاشية الخُضري على شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، لمحمَّد الدمياطي الخُضري (ت١٢٧٨هـ)، ضبط وتشكيل وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر – بيروت ١٩٩٥م.

١٤. حاشية الدُّسُوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، الشيخ مصطفى محمَّد بن عرفة الدُّسوقي (ت١٢٣٠هـ)، ضبطه وصحَّحه ووضع حواشيه: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلميَّة – بيروت، ط٢/ ٢٠٠٧م.

١٥. حاشية الصبَّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لمحمد بن علي الصبَّان (ت١٢٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة التوفيقيَّة – مصر (د.ت).

١٦. خِزانةُ الأدب ولبُّ لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط١/ ١٩٨٣م.

١٧. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتاب العربية، القاهرة، الجزء الأول، ط٢، ١٣٧١ه - ١٩٥٢م، الجزء الثاني، ط٢، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، الجزء الثالث، ط١ ، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م

١٨. ديوان كثيِّر عزَّة، شرحه: عدنان زكي درويش، دار صادر - بيروت، ط١/ ١٩٩٤م.

١٩. شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات أسيانا، قم ، ط١ ، ١٣٨٤هـ

٢٠. سيدنا الخضر (عليه السلام)، لسيد سلامة غنمي، دار الأحمدي للنشر، ط١/ ٢٠٠٠م.

٢١. شرح ألفيَّة ابن مالك، لابن الناظم (ت٦٨٦هـ)، وقد صار الاعتناء بتصحيحه وتنقيحه على نسخ معتبرة بمعرفة محمد بن سليم اللبابيدي، وهو يباع في المكتبة العثمانية بجوار الجامع الكبير العمري في مدينة ولاية بيروت (د.ت).

٢٢. شرح الأشموني على ألفيَّة ابن مالك، المُسمَّى (منهج السَّالك إلى الفيَّة ابن مالك)، لأبي الحسن نور الدين علي بن محمد (ت٩٠٠هـ)، حقَّقه: محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١/ ١٩٥٥م.

٢٣. شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»، لمحمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (ت٧٧٨هـ)، دراسة وتحقيق: أ.د علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط١/ ١٤٢٨ هـ .

٢٤. شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك في النحو، لابن هشام الأنصاري، الشيخ خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ)، ومعه حاشية الشيخ ياسين بن زيد العليمي،

حقَّقه وشرح شواهده: أحمد السيد سيد أحمد، راجعه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).

٢٥. شرح الدماميني على مغني اللبيب، لمحمد بن أبي بكر الدماميني (ت٨٢٨هـ)، صحَّحه وعلَّق عليه: أحمد عزُّو عناية، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١/ ٢٠٠٧م.

٢٦. شرح الرضي على الكافية، لرضي الدين الاستراباذي (ت٦٨٨هـ)، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران ، ط٢ ، (د.ت).

٢٧. شرح المفصَّل، لموفَّق الدين بن يعيش (ت٦٤٣هـ)، تحقيق وضبط وإخراج: أحمد السيِّد سيِّد أحمد، راجعه ووضع فهارسه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقيَّة، مصر – القاهرة (د.ت).

٢٨. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار اللبنانية للنشر، ط١/ ٢٠٠٨م.

٢٩. في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، دراسةٌ لغويَّةٌ في شعر السيَّاب ونازك والبياتي، د. مالك يوسف المطَّلبي، دار الرشيد – بغداد ١٩٨١م .

٣٠. قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، لأبي العباس محمد بن جبريل الشحري، دار عمر بن الخطاب، مصر، ط١/ ٢٠١١م.

٣١. كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣-١٩٨٣م.

٣٢. المطالع السعيدة شرح السيوطي على ألفية المسماة بالفريدة في النحو والتصريف والخط، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق وشرح د.طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية،

١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٣٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين بن هشام الأنصاري، حققه وعلق عليه: د.مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، ط٣، ١٩٧٢م.

٣٤. المقتضب، لأبي العبَّاس محمد بن يزيد المُبرِّد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف – القاهرة، ط٣/ ١٩٩٤م.

٣٥. المُنْصِف، شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني، بتحقيق لجنة من الأستاذين: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، وزارة المعارف العموميَّة – إدارة إحياء التراث القديم، ط١/ ١٩٥٤م.

٣٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيُّوطي، (ج١) شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، د. عبد العال سالم مكرم، و(ج٢ – ٣ – ٤ – ٥ – ٦ – ٧) بتحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب – القاهرة ٢٠٠١م.

سلك عوني الكريم

آية الجزية عند مفسري الإماميّة

(دراسة نقدّية – تحليلية – مقارنة)

د. الشيخ علاء عبد الهادي المالكي

جامعة المصطفى العالمية

The tribute verse according to the Imami interpreters

(Critical Analytical Comparative Study)

Dr. Sheikh Alaa Abdulhadi Al-Maliki

Al-Mustafa International University

ملخص البحث

يتناول البحث تفسير آية الجِزْية قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[1].

وهي الآية التاسعة والعشرون من سورة التوبة، وهي من السور المدنيَّة عدا آيتين قد اختلف فيهما المفسرون، ومفردة الجِزْية وردت في القرآن الكريم مرَّةً واحدة. وهي من الآيات المدنيَّة التي نزلت ضمن آيات سورة التوبة في السنة التاسعة للهجرة النبويَّة قُبيل موسم الحج وقبل معركة تبوك، والمسألة الرئيسة التي يركِّز عليها البحث هي استعراض تفاسير الشيعة الإمامية، وبيان الأُسس التي انطلقوا منها، والقرائن التي اعتمدوها في تفسيرها وتوجيهها. كما أنَّ البحث يركِّز على المقارنة بين التفاسير المتمثِّلة في بيان وجوه الافتراق والالتقاء في تفسير هذه الآية، إذ وجدنا أنَّ هناك أربعة وجوه في تفسيرها، منهم من قال أنَّ أهل الكتاب قد أُقرِّوا على دينهم الباطل بأخذ الجِزْية؛ حرمة لآبائهم وأسلافهم، فيما يرى آخرون أنَّ الجِزْية ليست فرضاً قهراً، وإنَّما هي قِبال منفعة قدَّمها لهم الإسلام، ويعتقد آخرون أنَّها ضريبة مالية فُرضت عليهم تُؤخذ منهم وتُصرف عليهم لحفظ ذمَّتهم وحسن إدارتهم، ولا تستغني عنها أيَّة حكومة، وذهب آخرون إلى أنَّها فُرضت عليهم لرفع القتال عنهم والاستعباد، وأنَّهم يُقرَّون على دينهم ويُسمح لهم بالسكن في دار الإسلام آمنين على أنفسهم وأموالهم.

والجدير بالذكر أنَّ البحث يهدف إلى دراسة الأسباب الحقيقيَّة الكامنة وراء اختلاف المفسِّرين لاسيما القدماء والمعاصرين في نظرهم إلى مفردة الجِزْية ودِلالاتها.

الكلمات المفتاحية: آية، الجِزْية، المفسرون، الشيعة الإمامية.

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

Abstract

This research deals with the interpretation of a Qur'anic verse: Fight those who do not believe in Allah or in the last day and who do not consider unlawful what Allah and His Messenger have made unlawful and who do not adopt the religion of truth from those who were given the Scripture [fight] until they give the jizyah willingly while they are humbled. It is the twenty-ninth verse of Surat al-Tawbah and it is one of the civil Surahs except for two verses in which commentators disagreed. However the word jizyah is mentioned only once in the Holy Qur'an. The main issue on which the research focuses is the review of the interpretations of the Imami Shiites in particular and the foundations from which they departed and the evidence they adopted in their exegesis and at the same time the researcher tries to make a comparison between the exegesis represented in explaining the aspects of divergence and convergence in the interpretation of this verse as we found that there are four aspects in its interpretation among them those who said that the people of the Book had approved their false religion by taking the jizya while others interpreted as a sanctity for their parents

and their ancestors others believe that the tax is not a compulsion but rather in return for a benefit that Islam has offered them and the last interpretation was it is paid be exempted from fighting and enslavement acknowledging their religion and hence were allowed to live in the state of Islam feeling safe about themselves and their money. It is worth noting that this research aims to study the real reasons behind that difference of commentators especially the ancient and contemporary in their view of the word jizyah and its implications.

Keywords: verse, tribute, commentators, Imami Shiites.

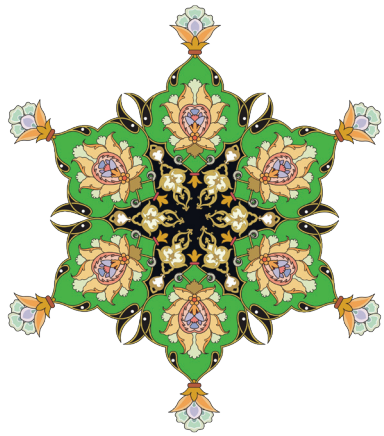

المقدمة

تناول مفسِّرو الإسلام ومحدِّثوهم آية الجِزْية بالبحث والتحليل والتفسير والتأويل، واختلفت كتاباتهم بين الاعتماد على النقل وإمعان النظر والاجتهاد في استنباط أحكامها. والغرض من هذا البحث هو استعراض آراء المفسِّرين من الشيعة الإماميَّة، والوقوف على تفاسيرهم للآية ومناقشتها، وإجراء نوعين من المقارنة، الأُولى: دراسة خاصَّة لكل مفسر، والثانية عامَّة تتناول بيان الاتِّفاق والافتراق بين مفسِّري الإماميَّة.

وقد وقع الاختيار على خمسة من تفاسير الشيعة، مع مراعاة المدد الزمنيَّة، إذ اخترنا بعض التفاسير لمجموعة من المفسِّرين القدماء، والبعض الآخر لمفسِّرين معاصرين، وسنقدم مناقشة وتحليل لكلِّ مفسِّر منهم بعد عرض رأيه، ثمَّ نقوم ببيان الرأي المختار بعد إجراء المقارنة العامَّة بينهم.

ومن الملاحظ أنَّ آية الجِزْية قد اختلف فيها المفسِّرون والفقهاء على مرِّ العصور؛ نتيجة عدَّة عوامل وأسباب شغلت أذهانهم وانعكست على تراثهم، أهمُّها:

أ- اختلافهم في مباني التفسير.

ب- اختلافهم في القرائن التي توضِّح وتبيِّن دلالة الآية الشريفة.

ونحاول في هذا المبحث عرض آراء مفسِّري الفريقين وتحليلها، وبيان مواطن الاتِّفاق والاختلاف فيما بينهم، ومن ثمَّ ترجيح الآراء الصائبة والراجحة.

والجدير بالذكر أنَّنا في هذا المبحث سنقتصر على الأبحاث التفسيريَّة دون الأبحاث الفقهيَّة المعمَّقة التي قد تكون خارجة عن محلِّ بحثنا لكي لا يطول بنا المقال في المقال. فكانت المقارنة بين مفسِّري الشيعة الإماميَّة (القدماء والمعاصرين)؛ نتيجةً لكثرة الاختلافات فيما بينهم، إلا أننا استطعنا تفكيك العبارات وإبراز حقيقة الآراء بالشرح والتدقيق كما وأن للبحث صِلة في ذات الآية.

الصعوبات والعقبات

لقد واجهت الباحث عدَّة صعوبات في هذا الموضوع يمكن إجمالها بما يلي:

١. قلَّة المصادر والدراسات التخصُّصيَّة التي تناولت آية الجِزْية خصوصاً عند المفسِّرين، الأمر الذي أدَّى إلى غموض في كثير من تفاصيل هذا الموضوع.

٢. الغموض الذي يكتنف موضوع الجِزْية، والتفسيرات والتأويلات التي قد تصل إلى حدِّ التعارض فيما بينها، وهذا الأمر قد ضاعف مسؤوليَّة الباحث في تقصِّي المسألة بكلِّ حيثياتها.

المبحث الأوَّل

آية الجِزْية عند مفسِّري الإماميَّة

تمهيد

تناول مفسِّرو الشيعة الإماميَّة آية الجِزْية وركَّزوا فيها على الأحكام الفقهيَّة، وأجابوا خصوصاً المعاصرين منهم عن الإشكالات الموجَّهة إلى الإسلام بشأن حقوق أهل الذمَّة وعموم الأقليَّات الدينيَّة، وسوف نتناول ثمانية من هؤلاء المفسِّرين بعد أنْ نقوم باستعراض خاص لأبرز آرائهم ومتبنياتهم، ومن ثمَّ إجراء مقارنة مختصرة بينهم، وهم كلٌّ من:

١. مُحَمَّد بن النعمان المفيد العكبري (ت ٤١٣هـ).

٢. أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ).

٣. أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ).

٤. مُحَمَّد جواد مَغنية (ت ١٤٠٠هـ).

٥. محمَّد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ).

٦. مُحَمَّد حسين فضل الله (ت ١٤٣١هـ)

٧. ناصر بن مُحَمَّد مكارم الشيرازي (معاصر).

سوف نستعرض جملة من آراء مفسري الشيعة الإمامية (القدماء والمعاصرين) حول آية الجزية بطريقة علمية تفصيلية مستفيضة غير تجزيئية مع مناقشة الآراء ومقارنتها فيما بينها والوصول إلى محصلةٍ نهائية وهي على النحو الآتي:

١ـ الشيخ محمَّد بن النعمان المفيد العكبري (ت ٤١٣ هـ)

عند مراجعة كلام الشيخ المفيد حول الجِزْية في بعض كتبه منها كتاب المقنعة نلاحظ أنَّه أعطى مختصراً مفيداً حولها، إذ اعتبرها فريضةً من الله تعالى على النبي والأئمةﷺ من بعده، وبيَّن الحكمة في أخذها من أهل الكتاب بثلاثة وجوهٍ، الأوَّل: حقناً لدمائهم، والثاني: المنع من استرقاقهم، والثالث: حفظاً لأموالهم، إذ قال: ففرض سبحانه على نبيِّه أخذ الجِزْية من كفَّار أهل الكتاب، وفرض ذلك على الأئمةﷺمن بعده إذ كانوا هم القائمين بالحدود مقامه، والمخاطَبين في الأحكام بما خُوطب به، وجعلها الله تعالى حقناً لدمائهم، ومنعاً من استرقاقهم، ووقايةً لما عداها من أموالهم[١].

وذكر الشيخ المفيدﷺعن حُريز عن زرارة، قال: قلت لأبي عبد اللهﷺ: ما حدُّ الجِزْية على أهل الكتاب؟ فقال: ذاك إلى الإمام، يأخذ من كلِّ إنسان منهم ما شاء على قدر ماله وما يطيق، إنَّما هم قوم فدوا أنفسهم من أنْ يُستعبدوا أو يُقتلوا؛ فالجِزْية تُؤخذ منهم على قدر ما يطيقون. وقال: إنَّ الله يقول: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. فللإمام أنْ يأخذهم بما لا يطيقون حتَّى يُسلموا، وإلاَّ فكيف يكون صاغراً وهو لا يكترث لما يُؤخذ منه، فيألم لذلك فيُسلم[٢].

وقد أضاف رأياً من خلال توضيحه للحقيقة والعلَّة والحُكم معاً بقوله: الجِزْية واجبة... [فهي] عقوبةٌ من الله تعالى لهم؛ لعنادهم الحقَّ، وكُفرِهم بما جاء من محمَّد النبيِّ ﷺ خاتم النبيِّين، وجحدهم الحقَّ الواضح باليقين[٣].

(١) الشيخ المفيد، المقنعة، ص٢٦٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٢، الحرُّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص١١٣ـ ١١٤.
(٣) الشيخ المفيد، المقنعة، ص٢٦٩.

مناقشة وتحليل

أنَّ كلام الشيخ المفيد على اقتضابه يفضي إلى عدة نتائج، أهمُّها:

١. أنَّ الجِزْية تُؤخذ من كفَّار أهل الكتاب دون سواهم.

٢. أنَّها فرض على النبيِّ ﷺ والإمام عليه السلام من بعده ليأخذها من أهل الكتاب.

٣. أنَّ الله جعلها حقناً لدماء أهل الكتاب ومنعاً من استرقاقهم وحفظاً لأموالهم.

٤. اعتمد الشيخ المفيد على رواية الإمام الصادق عليه السلام بأنَّ الجِزْية تُؤخذ من كلِّ إنسان من أهل الكتاب على قدر ما يستطيع.

٥. استفاد الشيخ المفيد من الرواية أعلاه بأنَّ الإمام عليه السلام يأخذ أهل الكتاب بما لا يطيقون حتَّى يُسلموا، وهذا هو معنى الصِّغار، إذ تُؤخذ منهم الجِزْية وهم يألمون لذلك.

ومن هنا نفهم أنَّ الأصل المراد في أخذ الجِزْية هو دخولهم في الإسلام، وهنا تكمن النكتة العقديَّة.

ولقد استبغ تفسير الشيخ المفيد بالصبغة الفقهيَّة، وأنَّه لم يخض في تفسير آية الجِزْية إلا من خلال بيان الحكمة من فرضها على أهل الكتاب؛ وهي حقن دمائهم وحفظ أموالهم والمنع من استرقاقهم، وعليه لا يمكن اعتبار ما قدَّمه الشيخ المفيد تفسيراً متكاملاً للآية، بل هو إشارات قابلة للمناقشة بلا ذكر دليل قرآني أو روائي، لذا كان بالإمكان أنْ ندافع عمَّا ذهب إليه بالقول: إنَّه لم يكن في مقام تفسير الآية، وإنَّما كان في مقام بيان الحكم والعلَّة.

٢ـ أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)

يرى الشيخ الطوسي في تفسيره أنَّ الله تعالى أمر نبيَّه ﷺ والمؤمنين وفقاً لهذه الآية بأنْ يقاتلوا الذين لا يعترفون بتوحيد الله، ولا يقرُّون باليوم الآخر والبعث والنشور، مستدلاً بها على أنَّ اليهود والنصارى وأمثالهم لم يكونوا عارفين بالله وإنْ أقرُّوا بذلك بألسنتهم، وإنَّما يجوز أنْ يكونوا معتقدين بذلك اعتقاداً من غير علم، لذا يجب قتالهم ﴿حَتّى يُعطُوا

الجِزْية عَن يَدٍ﴾[1].

وأمَّا فيما يتعلَّق بقوله تعالى: ﴿وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾، فذهب الشيخ الطوسي إلى أنَّ دين اليهوديَّة والنصرانيَّة غير دين الحقِّ، وهذا يرجِّح كونهم غير عارفين بالله تعالى؛ إذ لو كانوا عارفين به لكانوا محقِّين. وقد ذكر تعليلين على ذلك:

الأوَّل: أنَّ شريعتهم قد نُسخت بالشريعة الإسلاميَّة.

الثاني: التحريف والتبديل الذي طال التوراة.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾، فهو بحسب ما يذهب إليه الشيخ الطوسي يعني عدم اعتراف أهل الكتاب بالإسلام الذي هو الدين الحقُّ، وعدم تسليمهم لأمر الله الذي بعث به نبيَّه محمَّداً ﷺ في تحريم حرامه وتحليل حلاله[2].

وفيما يتعلَّق بفلسفة الجِزْية وعلَّتها، فقد ذهب الشيخ في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾، إلى أنَّ الجِزْية عقوبة من الله تعالى؛ جزاءً على الكفر بما جاء به النبيُّ ﷺ ووضعه على أهل الذمَّة. وأمَّا المراد من قوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، فيرى أنَّ الصِّغار هو الذل والنكال الذي يصغر قدر صاحبه.

ويعتقد الشيخ الطوسي أنَّ الجِزْية لا تُؤخذ إلاَّ من اليهود والنصارى والمجوس، وأمَّا غيرهم فلا يُقبل منهم غير الإسلام أو السبي. ويرجع سبب ذلك إلى أنَّ أهل الكتاب على الرُّغم من كفرهم كانوا يقرُّون بألسنتهم بالتوحيد وبعض الأنبياء عليهم السلام وإنْ لم يكونوا بالحقيقة عارفين، وأمَّا غيرهم فإنَّهم ينكرون ذلك تماماً[3].

ثمَّ يطرح إشكالاً في أنَّ إعطاء الجِزْية من قِبل أهل الكتاب لا يخلو من أحد أمرين؛ إمَّا أنْ يكون طاعةً فيجب أنْ يكونوا مطيعين، وهذا غير متصوَّر في حقِّهم، وإمَّا يكون معصيةً فكيف يأمر الله تعالى بها؟ ولكنَّه يحاول أنْ يجيب على هذا الإشكال بقوله: (إعطاؤهم ليس

(١) يُنظر: جعفر بن محمَّد الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص ١٨٢.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه.
(٣) يُنظر: المصدر نفسه.

بمعصية، وأمَّا كونها طاعة لله فليس كذلك؛ لأنَّهم إنَّما يعطونها دفعاً للقتل عن أنفسهم لا طاعة لله؛ فإنَّ الكافر لا يقع منه طاعة عندنا بحال؛ لأنَّه لو فعل طاعة لله لاستحق الثواب، والاحباط باطل، فكان يجب أنْ يكون مستحقّاً للثواب، وذلك خلاف الاجماع[١].

ويُستفاد من الآراء الأُخرى للشيخ الطوسي في كتابه (الاقتصاد) وغيره، في توضيح الحكم دون الحقيقة عن الكفَّار الذين يُعارضون ويُحاربون الإسلام بأنَّ كلَّ مَن خالف الإسلام وأنكر الشهادتين وجب جهاده وقتاله. ثمَّ هم ينقسمون قسمين: أحدهما لا يرجع عنهم إلاَّ أنْ يُسلموا أو يقبلوا الجِزْية ويلتزموا شرائط الذمَّة، وهم اليهود والنصارى والمجوس... ومتى خالفوا شيئاً من ذلك فقد خرجوا من الذمَّة. ومن عدا الثلاث فرق يجب قتالهم إلى أنْ يُسلموا أو يُقتلوا وتُسبى ذراريهم وتُؤخذ أموالهم، ولا تُؤخذ منهم الجِزْية بحال[٢].

وقال في تمام ذكره للحكم: لا يجوز أخذ الجِزْية من عُبَّاد الأوثان، سواء كانوا من العجم أو من العرب، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: تُؤخذ من العجم ولا تُؤخذ من العرب. وقال مالك: تُؤخذ من جميع الكفَّار إلاَّ مشركي قريش[٣]. ثمَّ حدَّد أنَّ أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والمجوس دون سواهم، وإذا ما قبلوا الجِزْية فعليهم أنْ يلتزموا بشروط الذمَّة، وأنَّ للإمام الخيار في تقدير المصلحة في حال غناهم أو فقرهم، وأنَّ الجِزْية ليس لها حدٌّ معين[٤]. وقال في النهاية: كلُّ مَن خالف الإسلام من سائر أصناف الكفَّار يجب مجاهدتهم وقتالهم. غير أنَّهم ينقسمون قسمين: قسم لا يُقبل منهم إلاَّ الإسلام والدخول فيه، أو يُقتلون وتُسبى ذراريهم وتُؤخذ أموالهم، وهم جميع أصناف الكفَّار، إلاَّ اليهود والنصارى والمجوس. والقسم الآخر هم الذين تُؤخذ منهم الجِزْية، وهم الأجناس الثلاثة الذين ذكرناهم، فإنَّهم متى انقادوا للجِزْية وقبلوها وقاموا بشرائطها، لم يجز قتالهم، ولم يسغ

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص ١٨٣.
(٢) جعفر بن محمَّد الطوسي، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، ص٣١٣.
(٣) المصدر نفسه، ص١٩.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه.

سبي ذراريهم، ومتى أبوا الجِزْية أو أخلُّوا بشرائطها، كان حكمهم حكم غيرهم من الكفَّار في أنَّه يجب عليهم القتل وسبي الذراري وأخذ الأموال[1].

وقال في الجُمل والعقود: الكفَّار على ضربين: ضرب يُقاتَلون إلى أنْ يُسلموا أو يُقتلوا أو يقبلوا الجِزْية، وهم ثلاث فرق: اليهود، والنصارى، والمجوس. والآخر لا يُقبل منهم الجِزْية، ويقاتلون حتَّى يُسلموا أو يُقتلوا، وهم كلُّ مَن عدا الثلاث الفرق المذكورين[2].

مناقشة وتحليل

يمكننا من خلال البيان المتقدِّم للشيخ الطوسي في أغلب كتبه المعتمدة نستنتج النقاط الآتية:

١. يجب مقاتلة أهل الكتاب، وهؤلاء هم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يدينون بدين الحقِّ الذي هو الإسلام حتَّى يُعطوا الجِزْية.

٢. أنَّ أهل الكتاب غير عارفين بالله تعالى؛ وذلك لسببين، الأوَّل: نسخ شريعتهم، والثاني: تحريف كتابهم.

٣. أنَّ الجِزْية إنَّما فُرضت على أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس؛ جزاءً على كفرهم بالله وعلى ما وضعها النبيﷺ على أهل الذمَّة.

٤. أنَّهم يعطون الجِزْية وهم بحالة الذل والنكال.

٥. أنَّ المشركين من غير أهل الكتاب لا تُؤخذ منهم الجِزْية، وهم بين أمرين، إمَّا أنْ يُسلموا وإمَّا أنْ يُسبَوا.

٦. أنَّ أهل الذمَّة إنَّما يعطون الجِزْية دفعاً للقتل عن أنفسهم، وهو ليس طاعة أو معصية.

٧. على أهل الكتاب، وبعد قبولهم إعطاء الجِزْية، أنْ يلتزموا بشروط الذمَّة، وأنَّ تحديد مقدارها موكولٌ إلى المصلحة التي يراها الإمام، ولا حدَّ لها.

(١) جعفر بن محمَّد الطوسي، النهاية، ص٢٩١.
(٢) جعفر بن محمَّد الطوسي، الجُمل والعقود، ص١٥٥.

٨. أنَّ الجِزْية بحسب ما يرى الشيخ الطوسي لا تُؤخذ من عبَّاد الأوثان مطلقاً، وليس لهم إلاَّ الإسلام أو السيف.

ويظهر جلياً أن الشيخ الطوسي أعطى تصوُّراً وافياً في تفسير الآية من خلال الاستدلال بها، وهو دلالتها على وجوب مقاتلة أهل الكتاب الذين ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الذي هو الإسلام، وأنَّ هؤلاء غير عارفين لنسخ شريعتهم وتحريف كتابهم، وأنَّ المقصود من ﴿وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾، أي ما حُرِّم في الإسلام، إلاَّ أنَّ الخلاف مع الطوسي هو في ذهابه إلى أخذها منهم بحالة الذل والنكال، ولم يشر إلى خصوص المحاربين أو غيرهم، وهذا يعني أنَّ الجِزْية تُؤخذ من أهل الكتاب في حالٍ من الأحوال ذلاً وصغاراً واحتقاراً، يضاف إلى ذلك أنَّ الطوسي لم يتعرَّض إلى سبب نزول الآية التي فيه من الخصوصيَّات التي توجِّه الآية توجيهاً آخر.

٣ـ أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسي (ت ٥٤٨هـ)

لقد عرض الشيخ الطبرسي في بداية حديثه عن الجِزْية بعض التعاريف، ثمَّ أوضح معانيها كالذين سبقوه. ونفهم إجمالاً من ذكره للجِزْية أنَّها عطية مخصوصة؛ جزاءً لهم على تمسكهم بالكفر، وعقوبة لهم. كما أنَّه يرى أنَّ الصِّغار يُقصد منه الذل والنكال للكافرين وتصغيراً لقدر ومنزلة المشركين، معللاً بأنَّ الآية نزلت حين أمر رسول اللهﷺ بحرب الروم، فغزا تبوك، واستفاد منها العموم حسب مفاده عن مجاهد[1].

ومن المعاني التي فسَّرها الطبرسي جواز إبقاء الكفَّار على عقائدهم في دار الإسلام وغيره، بشرط عقد الذمَّة ودفع الجِزْية صاغرين وإنْ كانوا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يعترفون بالتوحيد ولا يقرُّون بالبعث والنشور. ثمَّ يذهب إلى أنَّ هذا التفسير لآية الجِزْية هو ما ذهب إليه إجماع الأصحاب (أي الطائفة) وإنْ كانت الآية صريحة بأنَّ أهل الكتاب الذين تُؤخذ منهم الجِزْية هم الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا باليوم الآخر. وعلَّل متسائلاً:

(١) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١٠، ص٣٩.

ومَن قال: إنَّه يجوز أنْ يكونوا عارفين بالله، قال: إنَّ الآية خرجت مخرج الذم لهم؛ لأنَّهم بمنزلة لا يقرُّ به في عظم الجرم، وأنَّ الصفات التي وصُفوا بها جاء من خلالها التحريض على قتالهم؛ لما هم عليه من صفات الذمِّ التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم[1].

وفسَّر الطبرسي قوله تعالى: ﴿وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾، يقصد موسى وعيسى عليهما السلام من كتمان نعت محمَّد صلى الله عليه وآله، وقيل: يعني ما حرَّمه محمَّد صلى الله عليه وآله وإنْ لم يأتِ اسمه صراحةً، ولكن هو المخاطَب والمقصود بالرسول. وقال في معنى ﴿مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، هذا وصف لهم بأنَّهم من أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، وأمَّا المجوس فحكمهم حكم اليهود والنصارى[2].

مناقشة وتحليل

أنَّ ما ذكره الشيخ الطبرسي يمكن أنْ يفضي إلى عدة نتائج هي:

١. أنَّ الجِزْية مالٌ مخصوص يُؤخذ من أهل الكتاب؛ لتمسُّكهم بالكفر، وعقوبة إلهيَّة لهم.

٢. تُؤخذ الجِزْية من المحارب الكافر إذلالاً ونكالاً وتصغيراً، وتكون يداً بيد حتَّى يعطوا الجِزْية وهم صاغرون، أي نقداً من غير نائبٍ حتَّى يستشعر الخضوع لدولة الإسلام، والقهر والذل للمسلمين، حيثُ إنَّ الذي يُعطي الجِزْية قائماً والآخذ جالساً.

٣. أنَّ الجِزْية شُرِّعت في وقت الإعداد لغزوة تبوك، ولكن آية الجِزْية يُستفاد منها العموم وليس الخصوص في وقت أو واقعة محددَّة.

٤. نقل الطبرسي عن جملة من الأصحاب جواز أخذ الجِزْية من الذين لا يؤمنون بالله من أهل الكتاب، حيث لم يذكر أنَّهم كانوا عرباً أو عجماً، بشرط أنْ يكونوا يهوداً أو نصارى أو مجوساً. ومن الملفت للنظر أنَّه لم يُلحق الصابئة بهم في هذا المورد، بل

(١) المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٠.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه.

لم يذكرهم في تفسير آية الجِزْية مطلقاً.

٥. يرى الطبرسي أنَّ آية الجِزْية جاءت في محلِّ الذم والطعن بالكفَّار وإنْ أجازت الإبقاء عليهم في قِبال الجِزْية، كما ورد صريح القرآن في ذكر صفاتهم الثلاثة ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ و ﴿وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾، أي ما حرَّمه أنبياؤهم، ﴿وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾.

ولم يختلف الشيخ الطبرسي عن الشيخ الطوسي في تفسيره للآية سوى أنَّه فصَّل ما أجمله هذا الأخير في تفسيره، وأضاف وتعرَّض إلى سبب نزول الآية؛ ليدعم ما ذهب إليه من أنَّ المراد من الصِّغار هو الذل والنكال، ومن هنا فإنَّ الرؤية التي قدَّمها الطبرسي لا تختلف عمَّا ذهب إليه كثير من المفسِّرين القدماء في فهمهم وتفسيرهم للآية.

٤ـ محمَّد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)

تناول محمَّد جواد مغنية آية الجِزْية، وقد أفاد أنَّ هذه الآية تأمر بقتال أهل الكتاب وتصفهم بأنَّهم ثلاثة أوصاف، وهي: عدم أيمانهم بالله واليوم الآخر، وعدم تحريمهم ما حرَّمه الله، ولا يدينون بدين الحقِّ، ويرى أنَّ حرف (من) في قوله تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ﴾، هو لبيان الجنس تماماً وليس للتبعيض

ويعتقد أنَّ اليهود والنصارى بدلالة الآية: ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾، أنَّهم يؤمنون بإله لا وجود له إلاَّ في أوهامهم، أمَّا الإله الحقيقي فإنَّهم لا يؤمنون به، ولا تربطهم به أيَّة علاقة حقيقيَّة، ولذلك نفت الآية الكريمة الإيمان بالله واليوم الآخر، وأنَّهم لا يدينون دين الحقِّ، فاليهود يعبدون المال، والكنيسة تبيع صكوك الغفران، وتقول بالحلول والاتِّحاد[1]. ويخلص إلى نتيجة مفادها أنَّ هؤلاء لا يؤمنون بالله تعالى، ومن البديهي أنَّ الذي لا يؤمن بالله لا يؤمن بالآخرة إيماناً صحيحاً، ولا يدين بدين الحقِّ.

وقد عرج المفسِّر مغنية على الجواب عن أنَّ الإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه، فكيف

(١) محمَّد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ج٤، ص٣١.

يأمر بقتال أهل الكتاب إلى أنْ يؤمنوا حتَّى يُعطوا الجِزْية وهم صاغرون؟ ويرى أنَّ الأمر بقتالهم كان حكماً خاصَّاً في ذلك الوقت، معتقداً أنَّ الأمر بقتال أهل الكتاب في الآية المذكورة آنفاً أمرٌ خاص بالذين كانوا في الجزيرة العربيَّة؛ لأنَّهم كانوا يتحالفون مع المشركين على محاربة المسلمين. يضاف إلى ذلك أنَّ محور سورة (التوبة) كان قائماً على غزوة تبوك، وأنَّ هؤلاء، وبسبب تآمرهم على النبيِّ ﷺ ومَن اتَّبعه من المؤمنين، صار حكمهم القتل أو إلقاء السلاح والخضوع لحكم الإسلام، فإنْ أعطوا الجِزْية ودخلوا في الذمَّة «وجب تأمينهم وحمايتهم والدفاع عنهم، وإعطاؤهم الحرِّيَّة في دينهم ومعاملاتهم، وإذا أسلموا كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وإلاَّ فالقتل اتِّقاء لشرِّهم[1]».

مناقشة وتحليل

يمكننا من خلال البيان المتقدِّم أنْ نستنتج رؤية الشيخ مغنية في تفسيره للآية بالآتي:

١. أنَّ الآية أمرت بقتال أهل الكتاب، وذكرت ثلاثةً من أوصافهم.

٢. أنَّ حرف (من) هو لبيان الجنس وليس للتبعيض.

٣. أنَّ اليهود والنصارى بدلالة الآية الثلاثين من السورة تشير إلى أنَّ هؤلاء كانوا لا يؤمنون بالله تعالى، بل يؤمنون بإله في أوهامهم، وأنَّ الذي لا يؤمن بالله ولا يؤمن بالآخرة إيماناً صحيحاً فسوف لا يدين بدين الحقِّ.

٤. أنَّه لا منافاة بين دعوة القرآن الكريم بعدم الإكراه في الدين، والأمر بقتال أهل الكتاب بهذه الآية؛ لأنَّ الآية جاءت لحكم الخاص، فقد كانت تأمر بقتال أهل الكتاب الذين كانوا في الجزيرة العربيَّة؛ لأنَّهم كانوا يتحالفون مع المشركين ضد المسلمين، وأنَّ محور سورة التوبة كان يقوم على غزوة تبوك.

٥. أنَّ هؤلاء المشركين، وبسبب محاربتهم وعدائهم للمسلمين، صار حكمهم القتل والخضوع لحكم الإسلام، فإنْ أعطوا الجِزْية ودخلوا في الذمَّة وجب تأمينهم وحمايتهم والدفاع عنهم، وإعطاؤهم الحرِّيَّة في دينهم ومعتقداتهم ومعاملاتهم، وإلاَّ فالقتل اتِّقاءً

(١) المصدر نفسه، ص٣٢.

لشرِّهم.

ويمكن أنْ نورد بعض الملاحظات على التفسير الذي قدَّمه الشيخ محمَّد جواد مغنية للآية، وهي:

١-أنَّه لم يذكر دليلاً أو شاهداً على أنَّ المراد من حرف (من) هو لبيان الجنس.

٢-أنَّه كان متشدِّداً في نسبة الكفر إلى أهل الكتاب، ولم يميِّز بين المؤمنين منهم والكافرين، جاعلاً الجميع في دائرة واحدة.

٣-أنَّنا لم نفهم مراده من الحكم الخاص الذي ذكره سبباً لقتال المشركين، فهل كان يقصد حكماً خاصَّاً في ذلك الزمان، حيث كان أهل الكتاب يتحالفون مع المشركين ضد المسلمين، فيكون قتالهم حينئذٍ خاصَّاً بذلك الزمان أو تلك الواقعة ولا يسري الحكم إلى ما بعدها، أو أنَّ المراد غير هذا؟

يمكن أنْ نقول: إنَّ المراد من الحكم الخاص هو في حال تآمر أهل الكتاب الساكنين في الدولة الإسلاميَّة مع أعداء الإسلام من المشركين وغيرهم، فيجب حينئذٍ قتالهم في كلِّ

٤-حال من الأحوال، إلاَّ أنَّ هذا لا يُفهم من نص الآية، بل من خلال قرائن أُخرى، وفي هذه الحالة لا تكون هناك مزيَّة لأهل الكتاب عن غيرهم فيما لو تآمروا على الإسلام بضرورة مقاتلتهم؛ فمَن يتآمر على الإسلام ويلحق الضرر بالدولة الإسلاميَّة فإنَّه يُقاتل سواء كان كتابيَّاً أم غيره.

ولا يخفى أنَّ الشيخ مغنية قد انفرد من بين المفسِّرين بذكر هذه النقطة، وهي بحاجة إلى التحقيق؛ لأنَّها مسألة مبنائيَّة تُبحث في المباني التفسيريَّة[1].

٥ـ محمَّد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)

يعتقد العلاَّمة الطباطبائي أنَّ المراد من أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وهو المستفاد من آيات قرآنيَّة كثيرة، كما أنَّه يلحق المجوس والصابئة بأهل الكتاب، ويستشهد

(١) تُبحث هذه المسألة عادةً في موقف المفسرِّ من بعض قرائن التفسير، من قبيل: سبب وشأن النزول، ومدى اعتبارها في نظر المفسِّر.

بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

ويذهب الطباطبائي إلى أنَّ لفظة (من) في قوله تعالى: ﴿مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، بيانيَّة وليست تبعيضيَّة، ويستدل على ذلك بالسياق؛ وذلك لأنَّ كلاً من اليهود والنصارى والمجوس أمَّة واحدة كالمسلمين في إسلامهم، ولو كان المرادُ قتال البعض وإثبات الجِزْية على الجميع أو على ذلك البعض بعينه لاحتاج المقام في إفادة ذلك إلى بيان غير هذا البيان ليحصل به الغرض[2]. وبما أنَّ قوله تعالى: ﴿مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يعتبر بياناً لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، فتكون الأوصاف الثلاثة المذكورة عدم الايمان بالله واليوم الآخر، وعدم تحريم ما حرَّم الله ورسوله، وعدم التديُّن بدين الحقِّ أوصافاً عامَّة لجميعهم.

وقد علَّل فيما يتعلَّق بنفي الايمان بالله واليوم الآخر عن أهل الكتاب إلى أنَّهم لا يرون ما هو الحقُّ من أمر التوحيد والمعاد وإنْ أثبتوا أصل القول بالإلوهيَّة؛ لا لأنَّ منهم مَن ينكر القول بإلوهيَّة الله سبحانه أو ينكر المعاد، فإنَّهم قائلون بذلك على ما يحكيه عنهم القرآن وإنْ كانت التوراة الحاضرة اليوم لا خبر فيها عن المعاد أصلاً[3].

ويذهب الطباطبائي إلى أنَّ المراد من قوله تعالى: ﴿وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، أي ما حرَّمه الإسلام كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وغيرهما ممَّا ثبت تحريمها في شرائع موسى وعيسى عليهما السلام، ويكون حينئذٍ توصيفهم بعدم تحريمهم ما حرَّم الله ورسوله بغرض تأنيبهم والطعن فيهم، ولبعث المؤمنين وتهييجهم على قتالهم؛ لعدم اعتنائهم بما حرَّمه الله ورسوله في شرعهم، واسترسالهم في الوقوع في محارم الله وهتك حرماته[4].

وأمَّا الغرض من قتال أهل الكتاب حتَّى يُسلِّموا الجِزْية فيرجعه الطباطبائي إلى المقاصد العامَّة الإسلاميَّة التي يفضي التدبُّر فيها إلى أنْ يظهر دين الحقِّ وسُنَّة العدل وكلمة التقوى

(١) سورة الحج، الآية: ١٧.
(٢) يُنظر: محمَّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٤٤.
(٣) يُنظر: المصدر نفسه.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه.

على الباطل والظلم والفسق، فلا يعترضها في مسيرها اللعب والهوى فتسلم التربية الصالحة المُصلحة من مزاحمة التربية الفاسدة المُفسدة، حتَّى لا ينجر إلى أنْ تُجذب هذه إلى جانب وتُجذب تلك إلى جانب آخر، فيتشوَّش أمر النظام الإنساني، وهذا غاية العدل والنّصفة من دين الحقِّ الظاهر على غيره[1].

ولازم ذلك أنْ يكون المراد بالمحرَّمات هي المحرَّمات التي حرَّمها الله ورسوله محمَّدﷺ الصادح بالدعوة الإسلاميَّة، وأنَّ الأوصاف الثلاثة في الآية لـ ﴿الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُّ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾، تفيد حكمة الأمر بقتال أهل الكتاب[2].

ويرفض العلاَّمة الطباطبائي ما أورده البعض على هذا الوجه من أنَّه لا يعقل أنْ يحرِّم أهل الكتاب على أنفسهم ما حرَّم الله ورسوله علينا إلاَّ إذا أسلموا، وإنَّما الكلام في أهل الكتاب لا في المسلمين العاصين. وأمَّا وجه فساد وبطلان هذا الرأي فيعتقد الطباطبائي أنَّ الغرض من قتالهم هو ألاَّ يظهر في الناس تجاهرهم بالمحرَّمات من غير مانع يمنع شيوعها والاسترسال فيها، كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وأكل المال بالباطل على سبيل العلن، ومن هنا يخلص الطباطبائي إلى نتيجة مهمَّة، وهي أنَّ مقاتلتهم لكي لا يظهروا ويتظاهروا بالفساد، ويبقى الشرُّ مطوَّقاً عندهم[3].

ثمَّ يبحث الطباطبائي الصفة الثالثة لهؤلاء، وهي أنَّهم لا يدينون بدين الحقِّ، ويستدل بآيات قرآنيَّة أخرى وفقاً لمنهجه الذي اختطَّه، وهو تفسير القرآن بالقرآن على أنَّ المراد من الدين الحقِّ هو الإسلام، وأنَّ هؤلاء المذكورين في الآية لا يأخذونه ديناً وسُنَّة حيويَّة لأنفسهم[4]، ويخلص إلى نتيجة هي: عدم إيمان أهل الكتاب بالله واليوم الآخر، وعدم تلبُّسهم بالإيمان المقبول عند الله سبحانه، وعدم تحريمهم ما حرَّم الله ورسوله، وعدم

(١) يُنظر: محمَّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٤٤.
(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٤٥.
(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٤٧.
(٤) يُنظر: محمَّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٤٧.

مبالاتهم في التظاهر باقتراف المناهي التي يفسد التظاهر بها المجتمع البشري، ويخيب بها سعي الحكومة الحقَّة الجارية فيه، وعدم تديُّنهم بدين الحقِّ، وعدم استنانهم بسُنَّة الحقِّ المنطبقة على الخلقة والمنطبقة عليها الخلقة والكون[1].

ويؤيِّد الطباطبائي رأي الراغب الأصفهاني في أنَّ المراد من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، هو أنَّ الجِزْية ما يُؤخذ من أهل الذمَّة، وتسميتها بذلك للاجتزاء بها في حقن دمهم، فهي عطيَّة ماليَّة مصروفة في جهة حفظ ذمَّتهم، وحقن دمائهم، وحسن إدارتهم[2].

وأمَّا المراد بصغارهم فهو خضوعهم للسنَّة الإسلاميَّة والحكومة الدينيَّة العادلة في المجتمع الإسلامي، فلا يكافئون المسلمين ولا يبارزونهم بشخصيَّة مستقلَّة حرَّة في بثِّ ما تهواه أنفسهم، وإشاعة ما اختلقته هوساتهم من العقائد والأعمال المفسدة للمجتمع الإنساني مع ما في إعطاء المال بأيديهم من الهوان[3].

ويرفض الطباطبائي ما ذهب إليه بعض المفسِّرين من أنَّ المراد من صغارهم إهانتهم والسخرية بهم من جانب المسلمين أو أولياء الحكومة الدينيَّة، ويرى أنَّ ظاهر الآية لا يساعد على هذا المعنى، وهذا لا ينسجم مع السكينة والوقار التي يحملها الدين الإسلامي[4].

وأمَّا المراد من اليد في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾، فيطرح الطباطبائي معنيين ولا يرجِّح واحداً منهما، وهذا يشير إلى قبولهما معاً؛ فالأوَّل إنْ كان المقصود من اليد هو اليد الجارحة فسيكون المعنى حتَّى يعطوا الجِزْية متجاوزة عن يدهم إلى يدكم، وإنْ كان المراد منها القدرة والنعمة فيكون المعنى حتَّى يعطوا الجِزْية عن قدرة وسلطة لكم عليهم وهم صاغرون غير مستعلين عليكم ولا مستكبرين[5].

(١) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٤٩.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٤٩.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه.
(٥) يُنظر: المصدر نفسه.

والنتيجة التي يتوصَّل إليها الطباطبائي في تفسيره للآية هي: قاتلوا أهل الكتاب لأنَّهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، إيماناً مقبولاً غير منحرف عن الصواب، ولا يحرِّمون ما حرَّمه الإسلام ممَّا يفسد اقترافه المجتمع الإنساني، ولا يدينون ديناً منطبقاً على الخلقة الإلهيَّة. قاتلوهم ودوموا على قتالهم حتَّى يصغروا عندكم ويخضعوا لحكومتكم، ويعطوا في ذلك عطية ماليَّة مضروبة عليهم يمثِّل صِغارهم، ويصرف في حفظ ذمَّتهم وحقن دمائهم وحاجة إدارة أمورهم[1].

مناقشة وتحليل

يمكننا من البيان المتقدِّم للعلاَّمة الطباطبائي أنْ نستنتج النقاط الآتية :

١. أنَّ المراد من أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والصابئة والمجوس.

٢. أنَّ مفردة (من) الواردة في الآية الكريمة بيانيَّة لا تبعيضيَّة؛ وذلك بشهادة السياق.

٣. أنَّ نفي الإيمان بالله واليوم الآخر عن أهل الكتاب مرده؛ لأنَّهم لا يرون ما هو الحقُّ من أمر التوحيد والمعاد وإنْ كانوا مؤمنين بأصلهما.

٤. أنَّ المراد من المحرَّمات الإسلاميَّة هي التي عزم الله تعالى ألاَّ تشيع في المجتمع الإسلامي، والمراد من الدِّين الحقِّ هو الدين الذي يعزم أنْ يكون هو المتَّبع في المجتمع.

٥. أنَّ الأوصاف الثلاثة المذكورة في الآية هي لمعنى التعليل، ويستفاد منها حكمة الأمر بقتال أهل الكتاب.

٦. ليس الغرض من قتال أهل الكتاب هو أنْ يُحرِّموا ما حُرِّم في الإسلام، بل الغرض عدم تجاهرهم بالمحرَّمات من غير مانع يمنع شيوعها.

٧. أنَّ الغرض من قتال أهل الكتاب مرتبط بالمقاصد العامَّة للإسلام؛ حتَّى يظهر دين الحقِّ وسُنَّة العدل وكلمة التقوى.

(١) محمَّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٥٠.

٨. أنَّ الجِزْية عطية ماليَّة مأخوذة من أهل الكتاب مصروفة في حفظ ذمَّتهم وحسن إدارتهم، ولا غنى عن مثلها لحكومة قائمة على ساقها حقَّة أو باطلة.

٩. أنَّ المراد من مفردة ﴿صَاغِرُوْنَ﴾ هو خضوعهم للسُنَّة الإسلاميَّة والحكومة الدينيَّة العادلة في المجتمع الإسلامي.

١٠. أنَّ المراد من مفردة ﴿يدٍ﴾ هو من يد أهل الذمَّة إلى يد المسلمين، أو إعطاؤهم للجِزْية عن قدرة وسلطة للمسلمين عليهم.

ويجب الاعتراف أنَّ التفسير الذي قدَّمه العلاَّمة الطباطبائي للآية كان تفسيراً وافياً ومستوعباً للكثير من مفاصلها وجزئياتها، وبالأخص اعتماده على قرائن معتبرة بحسب المبنى الذي يعتقد به، وأنَّ المنهج الذي سار عليه هو منهج تفسير القرآن بالقرآن الذي اعتمده في تفسيره الميزان، فقد اعتمد على السياق في معرفة أنَّ مفردة (من) يراد منها البيان لا التبعيض، فتكون الأوصاف الثلاثة المذكورة هي أوصاف عامَّة لجميع أهل الكتاب، كما أنَّه أرجع الغرض من قتال أهل الكتاب حتَّى يسلموا إلى المقاصد الإسلاميَّة العامَّة، وألاَّ يظهر في الناس تجاهر أهل الكتاب في المحرَّمات، وهي العلَّة لمقاتلتهم.

وقد أفاد الطباطبائي من الآيات الأُخرى لبيان المراد من الدين الحقِّ هو الإسلام، كما أنَّه يرفض من أنَّ المراد من الصِّغار هو الإهانة والسخرية بأهل الكتاب، ومن هنا فإنَّه يستدل بظاهر الآية على عدم صحة هذا المعنى، وهذا ما لم نجده في أغلب التفاسير. إلاَّ أنَّه يمكن أنْ يقال: إنَّ العلاَّمة الطباطبائي لم يفصل بين أهل الكتاب المحاربين وغيرهم، فهل يا تُرى أنَّ ما ذهب إليه يشملهم جميعاً أو أنَّه يشمل القسم الأوَّل منهم فقط؟ يظهر من كلمات العلاَّمة أنَّه لا فرق بين المحاربين الذين يكيدون للإسلام وغيرهم؛ لأنَّ هناك نظرةً خاصَّة للعلاَّمة بشأن أسباب النزول، وهو عدم الاعتماد عليها؛ لأنَّها لا تورث علماً، وعليه فالمتَّبع عنده هو منهج تفسير القرآن بالقرآن.

٦ـ محمَّد حسين فضل الله (ت ١٤٣١هـ)

ينطلق محمَّد حسين فضل الله في تناوله للآية الكريمة من منطلق الانتماء الذي يفرضه الإسلام على مواطنيه، ويتحدَّث عن الأوصاف التي ذكرتها آية الجِزْية، ويطرح سؤالاً مُفاده: كيف يصف القرآن الكريم أهل الكتاب بهذه الأوصاف التي لا تتناسب مع طبيعة الانتماء الذي يتضمَّنه الكتاب من الإيمان بالله وشرائعه ودينه واليوم الآخر، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخر وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُّ وَرَسُولُهُ﴾[١].

وأمَّا فيما يتعلَّق بالمراد من مفردة (الرسول) في قوله تعالى: ﴿مَا حَرَّمَ اللهُّ وَرَسُولُهُ﴾، فيرجِّح هذا المفسِّر أنَّ المراد بها رسلهم الخاصُّون بهم، كموسى بالنسبة لليهود، و عيسى بالنسبة للنصارى، ولا يقبل ما ذهب إليه بعض المفسِّرين من أنَّ المراد بـ (الرسول) هو النبيُّ محمَّد؛ لأنَّه لا ينسجم مع جو الآية التي تريد تأكيد عدم التزامهم بالكتاب في ما يشرِّعه بوصفه دليلا على عدم جدِّيتهم في الانتماء مع المحافظة على صفتهم تلك في طبيعة الموقف[٢].

ويذهب فضل الله إلى أنَّ المراد من دين الحقِّ في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾، هو ما أنزله الله على رسله في إسلام الفكر والقلب والحياة لله تعالى، الأمر الذي يجعل الإنسان في حركة دائمة في خطِّ الرسالات الواحد مهما اختلفت تفاصيلها من خلال اختلاف الزمن الذي يحتوي هذه الرسالة أو تلك.

وأمَّا المقصود من ﴿الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾، فيرى هذا المفسِّر أنَّهم اليهود والنصارى والمجوس، وأنَّ المراد من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، هو ما يمثِّله ذلك من الخضوع للسلطة الإسلاميَّة في مواجهة حالة التمرُّد والكبرياء التي كانوا يعيشونها قبل ذلك.

وفي معرض حديث فضل الله عن الآية القرآنيَّة يعتقد أنَّها تمثِّل حالة جزئيَّة من حالات

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.
(٢) يُنظر: محمَّد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ج١١، ص٧٧.

أهل الكتاب، فمنهم المؤمنون، ومنهم الذين لا يعيشون الكتاب إلا أمانيَّ، ولا يجدون فيه إلاَّ واجهةً للموقع، ومن هنا فإنَّه يخلص إلى نتيجة هي: أنَّ المأمور بقتالهم هم الفريق الثاني الذي يمثِّل الخطر الكبير على الإسلام والمسلمين، وهذا الفريق هو الذي يتستَّر بالدين كقناعٍ مزيَّف يُخفي الحقيقة الواقعيَّة في داخله، وهي الكفر في العقيدة والعمل[1].

وهذا كلُّه مبنيٌّ على أنَّ فضل الله يرى أنَّ لفظة (من) في قوله تعالى: ﴿مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، تبعيضيَّة وليست بيانيَّة توضيحيَّة، إذ قال ما نصّهُ: وقد نستفيد ذلك من ظهور كلمة (من) التي تفيد التبعيض لا البيان والتوضيح [2] أي أنَّ المأمور بقتالهم حتَّى يعطوا الجِزْية هم المتسترون بالدين، ومَن يخفون في داخلهم الكفر في العقيدة والعمل[3].

كما أنَّه يستوحي هذا المعنى من بعض الآيات القرآنيَّة التي تتحدَّث عن الفريقين من أهل الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4]. ويفرِّق بين واقع الممارسة وشكليَّة الانتماء في فهمه للآية، وأنَّ ثمة فارقاً كبيراً بينهما، ولأجل هذا جاءت الآية للإيحاء ﴿مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾؛ لأنَّ هؤلاء لم يأخذوا الإيمان بشكل عملي. وأمَّا شموليَّة الحكم بأخذ الجِزْية من الجميع فالآية لا تساعد عليه، فيعود بحسب ما يعتقد فضل الله إلى دليل خارجي. وقد يرجع شمول الحكم بأخذ الجِزْية باعتبار الظاهرة البارزة في مجتمعهم بأساس لتغليب الحكم على الجميع، وذلك باعتبار أنَّ التفريق بين الفريقين من أهل الكتاب لا يعتبر أمراً عمليَّاً.

ويرى فضل الله أنَّ المجتمع الذي تحكمه عقيدة معيَّنة، ويكون الحكم فيه ملتزماً بخطٍّ معيَّن، لا بدَّ من أنْ يملك حكم أفراده الذين يؤمنون بتلك العقيدة من خلال التزامهم العقيدي الذي يحركهم نحو الطاعة والخضوع للنظام، أمَّا الأفراد الذين لا يؤمنون بتلك العقيدة فلا بدَّ من أنْ يحكمهم من خلال إخضاعهم للسلطة على أساس حالة تعاقديَّة،

(١) المصدر نفسه، ج١١، ص٧٧ / ٧٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

ولا يكون فيها الحكم مجرَّد طرف اختياري في التعاقد في مواجهة الطرف الآخر، بل يكون الطرف الأقوى هو الذي يفرض السلطة على الطرف الآخر من دون الإساءة إلى حقوقه الطبيعيَّة في الحياة الكريمة الخاضعة للحكم المسؤول(١).

ومن هنا يمكن فهم الآية وفق الرؤية التي يقدِّمها فضل الله بأنَّ المسألة التنفيذيَّة والتشريعيَّة تشمل أهل الكتاب جميعاً؛ لتُطبَّق عليهم أحكام القانون في القضايا المتعلِّقة في المصلحة العامَّة حتَّى يمارسوا حرِّيَّتهم العباديَّة والعمليَّة فيما لا يتنافى مع الصالح العام. ويعلِّل سبب ذكر الجِزْية مرَّة واحدة في القرآن الكريم، وفي هذه الآية تحديداً، بأنَّ القرآن الكريم كان يركِّز على الموضوع من ناحية المبدأ؛ ليعالج حالة قائمة للمجتمع الأوَّل في الدعوة، لتكون نقطة الانطلاق للتشريع الذي تقوم به السُّنَّة النبويَّة من خلال ما يلهم الله به نبيَّه ﷺ من تفاصيل الشريعة(٢).

مناقشة وتحليل

يمكن من البيان المتقدِّم لرأي فضل الله أنْ نستنتج النقاط الآتية:

١. أنَّ أهل الكتاب هم الفئة التي تنتمي إلى الكتب السماويَّة التي تؤكِّد الإيمان بوصفه حقيقة وإنْ كانت تنحرف ببعض التفاصيل.

٢. أنَّ المراد من التحريم الوارد في الآية ﴿وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾، هو الذي كان على أيدي أنبيائهم السابقين كموسى وعيسى عليهما السلام.

٣. أنَّ المراد من ﴿دِيْن الحقِّ﴾ هو الذي أنزله الله تعالى على جميع رسله، وهو إسلام الفكر والقلب والحياة لله تعالى.

٤. أنَّ حرف (من) في قوله تعالى: ﴿مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، هو للتبعيض، والمقصود هو فريق من اليهود والنصارى والمجوس، وبهذا انفرد فضل الله عن بقية المفسِّرين الذين يعتقدون أنَّ (من) في الآية بيانيَّة وليست تبعيضيَّة.

(١) يُنظر: محمَّد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ص٧٩.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ص٨٠.

٥. أنَّ المقصود من قوله تعالى: ﴿عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، هو خضوعهم للسلطة الإسلاميَّة، في مواجهة حالة التمرُّد والكبرياء التي كانوا يعيشونها قبل ذلك.

٦. أنَّ سبب ذكر الجِزْية مرَّة واحدة في القرآن الكريم يعود إلى أنَّ الكتاب العزيز كان يركِّز على الموضوع من ناحية ترسيخ أصل مبدأ القانون؛ ليعالج حالة قائمة في ذلك الوقت، وإيكال التفاصيل إلى السُّنَّة الشريفة.

٧. أنَّ فضل الله كان يفرِّق بين واقع الممارسة وشكليَّة الانتماء في فهمه للآية الكريمة، وأنَّ شموليَّة الحكم للفريقين من أهل الكتاب لا تساعد عليها الآية، بل تحتاج إلى دليل خارجي.

٨. أنَّ الرسالات مهما اختلفت في تفاصيلها، ومرَّ عليها الزمن، فإنَّها بالجوهر تدعو إلى التوحيد والإيمان بالخالق تعالى، وهذا يعبِّر عنه فضل الله بإسلام الفكر والقلب الذي يجعل الإنسان في حركة التوحيد، ثمَّ فصَّل بين التوحيد العملي والتوحيد الفكري الذي عاشه بعضهم كانتماء وممارسة شكليَّة.

٩. من اللافت للنظر أنَّ فضل الله لم يتعرَّض للصابئة، وهل يُلحقون بأهل الكتاب أو لا؟ وهل تُؤخذ منهم الجِزْية؟ ولكننا نفهم من بعض قرائن منهجيَّته التفسيريَّة أنَّه يلحقهم بأهل الكتاب، وأنَّه يؤمن بطهارتهم.

١٠. يرفض فضل الله بأنَّ المقصود من آية الجِزْية تحقير وإذلال وإهانة أهل الكتاب أو الأقليَّات الدينيَّة الأُخرى؛ لأنَّه لا ينسجم مع روح وتعاليم الإسلام.

لقد أعطى فضل الله تصوُّراً عامَّاً حول آية الجِزْية يختلف إلى حدٍّ ما عن الرؤية التي قدَّمها بقية المفسِّرين، وهذا يعود إلى روح الانفتاح الفكري والعملي والأجواء التي يعيشها المفسِّر في بلد يكثر فيه أهل الكتاب؛ ولعلَّه كان ينظر إلى الآية نظرة مختلفة عمَّا كان ينظر إليها المفسِّرون، إذ ذهب إلى أنَّ المراد من كلمة (الرسول) في قوله تعالى: ﴿مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾، هما موسى وعيسى عليهما السلام رسولا أهل الكتاب الخاصيِّن بهم، معللاً ذلك بعدم انسجام جو

الآية مع المراد من الرسول، وهو النبيُّ محمَّدﷺ، إذ إنَّ الآية تريد أنْ تؤكِّد عدم التزامهم بالكتاب فيما يشرِّعه كتدليل على عدم جدِّيتهم في الانتماء.

وفي هذا الكلام مخالفة صريحة لظاهر الآية؛ لأنَّ ظاهرها يدلُّ على أنَّ المراد من الرسول هو النبيُّ محمَّدﷺ، يضاف إلى ذلك فإنَّ كلمة ﴿رَسُولُهُ﴾ إذا ما جاءت في القرآن الكريم مطلقة فإنَّه يُراد منها النبيُّ محمَّدٌﷺ حسب مراد الضمير والسياق. وكذلك أنَّ الآية الثالثة والثلاثين من سورة التوبة كانت تتحدَّث عن إرسال النبيِّ محمَّدﷺ بالهدى ودين الحقِّ، وهذا يمكن الإطلاق عليه بالسياق المتَّصل للآيات.

ويبدو أنَّ فضل الله يذهب إلى أنَّ المراد من عدم تديُّنهم بدين الحقِّ هو الدين الحقيقي الذي أنزله الله تعالى على الرُّسل، ويمكن القول بأنَّه لا منافاة بين الدين الذي دعا إليه الأنبياء جميعاً؛ لأنَّه يصدر من منبع ومشكاة واحدة. ويرى أنَّ المقصود من أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والمجوس، لكنَّه لم يذكر الصابئة، وهذا يحتمل أمرين: إمَّا هو من باب سهو القلم، أو لعدم اعتقاده بكتابيَّتهم، وهو مستبعَد لمَن اطَّلع على منهج واتِّجاه المفسِّر المنفتح على الأقليَّات.

وأمَّا حديث المفسِّر عن الصِّغار، فقد كان يعتقد أنَّه يمثِّل الخضوع للسلطة الإسلاميَّة في مواجهة حالة التمرُّد والكبرياء التي كانوا يعيشونها، وهو كلام وجيه، وأمَّا ما ذهب إليه من أنَّ لفظة (من) في قوله تعالى: ﴿مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، هي تبعيضيَّة وليست بيانيَّة، فيكون معنى الآية هو الأمر بقتال بعض أهل الكتاب، وهم المتستِّرون بالدين، ومَن يخفون بداخلهم الكفر بالعقيدة والعمل، بل ويكيدون للإسلام المكائد.

ويستشهد فضل الله بقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، على أنَّ مفردة (من) للتبعيض، وهي التي تفرِّق بين أهل الكتاب بأنَّ منهم مؤمنين ولكنْ أكثرهم فاسقون، فهي تشير إلى تلك الحقبة التي كانت في زمان أنبيائهم؛ فبعضهم كان مؤمناً والآخر كان فاسقاً، والتحريف الذي وقع في الديانتَين اليهوديَّة والنصرانيَّة كان كبيراً إلى الدرجة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

التي يمكن أنْ يقال بأنَّ الشريعتين قد تغيَّرتا وانحرفتا عن الخط الالهي.

ويلاحظ عليه أنَّ ما ذهب إليه كان مخالفاً لسياق الآية، فإنَّ التأمُّل في السياق يفضي إلى عدم التفريق بين أهل الكتاب، سواء كانوا مؤمنين أم لم يكونوا كذلك؛ لأنَّ الآية جاءت مطلقة، يضاف إلى ذلك عدم إمكان التفريق عمليَّاً بين المؤمنين من أهل الكتاب ومَن يبطنون في دواخلهم الكفر.

والنتيجة أنَّ فضل الله يرى أنَّ شريعة الجِزْية وتطبيقاتها العمليَّة لا تقع على جميع أهل الكتاب فضلاً عن الذين ورد استثناؤهم بالروايات، بل يعتقد أنَّها جاءت في محل التقنين كمقدِّمة لعقد الذمَّة، إذ وجبت على كلِّ محارب لا يؤمَن جواره، فقام الإسلام بإخضاعه للنظام العام. وهذا يعتبر استمراريَّة للتعايش السلمي مع الآخر الديني، وتحجيماً وضبطاً للسلوكيَّات العامَّة، وتحقيقاً لمبدأ العدالة الاجتماعيَّة في التكافل والتساوي في الحقوق والواجبات في الوطن الواحد.

٧ـ ناصر بن محمَّد مكارم الشيرازي (معاصر)

يعدّ مكارم الشيرازي أنَّ خطة الإسلام تقتضي بقلع جذور الشرك والوثنية من الكرة الأرضيَّة، غير أنَّ الإسلام يسمح بالعيش مع أهل الكتاب في صورة ما لو احترم أهل الكتاب الإسلام، ولم يتآمروا ضده، أو يكون لهم إعلام مضاد.

ويذهب المفسِّر إلى أنَّ علامة موافقة أهل الكتاب على الحياة السلميَّة المشتركة مع المسلمين هي أنْ يوافقوا على إعطاء الجِزْية، وذلك بأنْ يعطوا كلَّ عام إلى الحكومة الإسلاميَّة مبلغاً قليلاً من المال بحدود وشروط معيَّنة، وأمَّا إذا امتنعوا فإنَّ الإسلام يأمر بمقاتلتهم[1].

وأمَّا سبب هذا الحكم الشديد بحقِّهم فيوضِّحه القرآن الكريم في ثلاث جمل في الآية:

الأولى: عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر، وهؤلاء وإنْ كانوا في الظاهر يؤمنون بالله ويقرُّون بالمعاد لكنَّه إيمان ممزوج بالخرافات والأوهام، ومنه اعتقاد طائفة من اليهود أنَّ عزيراً ابن

(١) يُنظر: مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٥، ص٣٦٠.

الله، واعتقاد المسيحيِّين عامَّة بإلوهيَّة المسيح والتثليث، كما أنَّ اليهود والنصارى مشركون في عبادتهم، ويعبدون أحبارهم عمليّاً، ويطلبون منهم العفو والصفح عن الذنب، وهذا ممَّا يختص به الله تعالى، مضافاً إلى تحريف الأحكام الإلهيَّة بصورة رسميَّة. وأمَّا الانحراف في إيمانهم بالمعاد فيعود إلى أنَّ إيمانهم كان منحصراً بالمعاد الروحاني.

الثانية: عدم تحريمهم ما حرَّم الله ورسوله. ويطرح الشيخ مكارم احتمالين في تفسير كلمة ﴿رَسُولُهُ﴾، ويرجِّح الاحتمال الثاني، فالاحتمال الأوَّل هو أنْ يكون المراد منها هو نبيهم موسى أو عيسى؛ لأنَّهم كانوا يرتكبون كثيراً من المحرَّمات الموجودة في دين موسى أو عيسى، بل كانوا يحكمون بحلِّيتها أحياناً. وأمَّا الاحتمال الثاني فيمكن أنْ يكون المراد من ﴿رَسُولُه﴾ نبيُّ الإسلام محمَّدٌ؛ وذلك لعدم إذعانهم لما حرَّمه الله على يد نبيِّه، وارتكبوا جميع أنواع الذنوب.

وأمَّا وجه تقريب هذا الاحتمال فيذكر له شاهدين:

أ- الآية الثالثة والثلاثين من سورة التوبة التي تتحدَّث عن إرسال النبيِّ محمَّد بالهدى ودين الحقِّ.

ب- أنَّ كلمة ﴿رَسُولُهُ﴾ إذا ما وردت في القرآن مطلقة فإنَّ المراد منها هو النبيُّ محمَّد.

٣. وفي هذه الصورة ستكون الآية من باب تحصيل الحاصل أو توضيح الواضح؛ لأنَّ من البديهي أنَّ غير المسلمين لا يحرِّمون ما حرَّمه الإسلام[1].

الثالثة: ﴿وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾، وفي هذه الصفة يطرح الشيخ مكارم احتمالين لتفسير المراد من ﴿دِينَ الْحَقِّ﴾، فقد يراد منه دين الإسلام الذي سيُشار إليه بعد بضع آيات، وهذا ما يقبله الشيخ نفسه، وإمَّا أنْ يكون المراد أديانهم اليهوديَّة والنصرانيَّة. وذكرُ هذه الجملة بعد عدم اعتقادهم بالمحرَّمات الإسلاميَّة هو من قبيل ذكر العام بعد الخاص، أي أنَّ الآية أشارت أوَّلاً إلى ارتكابهم لمحرَّمات كثيرة كشرب الخمر والربا وأكل لحم الخنزير، وارتكاب

(١) يُنظر: مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٥، ص ٣٦١.

الكثير من الكبائر التي كانت تتَّسع يوماً بعد يوم.

ويذهب الشيخ مكارم إلى أنَّ كلمة (من) في الآية هي بيانيَّة لا تبعيضيَّة، فيكون معنى الآية أنَّهم لا يدينون بدين الحقِّ، وأنَّهم انحرفوا عن المعتقدات الصحيحة، وهذا الحكم يشملهم جميعاً.

وأمَّا (الجِزْية) فهي مأخوذة من مادَّة الجزاء، ومعناها المال المأخوذ من غير المسلمين الذين يعيشون في ظلِّ الحكومة الإسلاميَّة، وهي جزاء حفظ أموالهم وأرواحهم.

وأمَّا (الصَّاغر) فإنَّ المراد منه في الآية هو دفعهم للجِزْية حال كونهم خاضعين للإسلام والقرآن الكريم، وهي علامة الحياة السلميَّة، وقبول كون الدافع للجِزْية من الأقليَّة المحفوظة والمحترمة بين الأكثريَّة الحاكمة[1].

ويرفض الشيخ مكارم ما ذهب إليه بعض المفسِّرين من أنَّ المراد من الجِزْية في الآية هو تحقير أهل الكتاب وإهانتهم والسخرية منهم؛ وذلك لعدم استفادة ذلك من المفهوم اللغوي، وعدم انسجامه مع روح التعاليم الإسلام السمحة، وعدم انطباقه مع سائر التعاليم التي وصلتنا في شأن معاملة الأقليَّات. ويرى أنَّ التعبير بـ ﴿وهُمْ صَاغِرُوْنَ﴾ فيه إشارة إجماليَّة إلى سائر شروط الذمَّة؛ لأنَّه يستفاد من هذه الجملة بأنَّهم مثلاً يعيشون في محيط إسلامي، فليس لهم أنْ يظاهروا أعداء الإسلام، ولا يكون لهم إعلام مضاد للإسلام، ولا يقفوا حجر عثرة في رقيِّه وتقدُّمه وما إلى ذلك؛ لأنَّ هذه الأُمور تتنافى وروح الخضوع والتسليم للإسلام والتعاون مع المسلمين[2].

مناقشة وتحليل

يمكننا من البيان المتقدِّم لشيخ مكارم الشيرازي أنْ نستنتج النقاط الآتية :

١. أنَّ الإسلام يسمح بالتعايش مع أهل الكتاب إذا احترموا الإسلام ووافقوا على دفع الجِزْية.

(١) يُنظر: المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٦٣ .
(٢) المصدر نفسه.

٢. على الرُّغم من إيمان أهل الكتاب بالله واليوم الآخر إلاَّ أنَّ إيمانهم هذا ممزوج بالخرافات والأوهام، وهذا لا يخرجهم عن نظام التوحيد العام، أي أنَّهم يبقون كتابيِّين ظاهراً وإنْ كان لهم شرك في العبادة أو الطاعة.

٣. أنَّ المراد من ﴿رَسُولُهُ﴾ في الآية الكريمة هو نبي الإسلامﷺ؛ وذلك لعدم إيمانهم وإذعانهم لما جاء به.

٤. أنَّ المراد من ﴿دِيْنَ الْحَقِّ﴾ هو دين الإسلام، وقد جاء ذكره بعد ذكر ارتكابهم للمحرَّمات. والمعلوم أنَّ الأنبياء جميعاً جاؤوا بالإسلام وإن اختلفت شرائعهم.

٥. أنَّ كلمة (من) بيانيَّة لا تبعيضيَّة، فيكون الحكم شاملاً لجميع أهل الكتاب.

٦. جاءت تسمية الجِزْية جزاءً لحفظ أموال أهل الذمَّة وأرواحهم.

٧. أنَّ المراد من كلمة ﴿صَاغِرُوْنَ﴾ هو دفعهم للجِزْية في حال خضوعهم للإسلام، وهي علامة الحياة السلميَّة منهم.

٨. ليس المراد من كلمة ﴿صَاغِرُوْنَ﴾ تحقير أهل الكتاب وإهانتهم؛ وذلك لعدم انسجامه مع المعنى اللغوي، ومنافاته لتعاليم الإسلام، وعدم انطباقه مع تعاليم معاملة الأقليَّات.

وينبغي الاعتراف أنَّ التفسير الذي قدَّمه مكارم الشيرازي للآية الكريمة كان جيداً ومستوعباً لأهمِّ المفاصل فيها، إلاَّ أنَّه يمكن أنْ نطرح بعض الملاحظات:

١. أنَّه لم يتعرَّض إلى ما ذكره بعض المفسِّرين القدماء، وهو التفريق بين المؤمنين من أهل الكتاب والكافرين منهم وإنْ كان ذهاب المفسِّر إلى كون حرف (من) للبيان وليس للتبعيض، وهذا يعني شمول الحكم لأهل الكتاب جميعاً، سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ﴾[1]. كما أنَّ المفسرِّ لم يبينِّ سبب كون حرف (من) هو للبيان وليس للتبعيض.

٢. أنَّنا نتَّفق بالجملة مع ما ذهب إليه المفسِّر من أنَّ المراد من أخذ الجِزْية من أهل الكتاب هو عدم قصد تحقيرهم وإذلالهم والسخرية منهم، ولكننا نناقش في المفهوم اللغوي لمادَّة الصِّغار، فهل هي في اللغة تدلُّ على التحقير أو لا؟

وبعد مراجعة كلمات أكثر اللغويِّين في معنى الصِّغار يتَّضح أنَّ المراد منه الاعْتِرَاف بالذلِّ وَالإِقْرَار بِهِ وَإِظْهَار صغر، وهو يدلُّ على قِلَّةٍ وحَقارةٍ[2]. وذهب جماعة من مفسرِّي الفريقين إلى أنَّ مجرد إعطائهم إياها أي الجِزْية هو الصِّغار[3].

ومن هنا يتَّضح أنَّ معنى الصِّغار هو الذلُّ لغةً، وأنَّ دلالته دلالة سلبيَّة تعني التحقير لا كما ذهب إليه المفسِّر من أنَّ البحث اللغوي لا يدلُّ على التحقير. نعم إنَّ سياق الآية يصرف المعنى اللغوي للصِّغار إلى معنىً آخر هو الخضوع والاستسلام لسلطة الدولة الإسلاميَّة.

ويمكن أنْ يقال بأنَّ المقصود من الصِّغار هو التحقير والإذلال للمحاربين الذي يكيدون للإسلام العِداء أو الذين يعتدون على المسلمين، فحينئذٍ يكون حكمهم أنْ يُرغموا بدفعها وهم صاغرون؛ لأنَّهم يستحقون التحقير والإذلال حسب دلالة الآية. ولكن يقع الكلام في كيفية وطريقة الصِّغار، فهل يُقصد به الصِّغار المعنوي أو الصِّغار المادي؟ هذا ما سنخصِّص له نقطة مستقلَّة في الرأي المختار من هذا الفصل.

المبحث الثاني: مقارنة بين مفسِّري الشيعة الإماميَّة

يمكن أنْ يقال: إنَّ هناك تشابهاً كبيراً في تفسير الآية بين مفسِّري الإماميَّة القدماء حتَّى الشيخ الطبرسي، وفي قِباله تشابه كبير بين مفسِّري الإماميَّة المعاصرين. وهذا الاختلاف بين القدماء والمعاصرين في تفسير الآية يعود بحسب ما يتصوَّر الباحث إلى اختلاف بيئة المفسِّر والملابسات التي تحيط به؛ فالمفسِّرون القدماء كانوا ينظرون إلى الآية من خلال النصوص

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩.
(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٩٠، قاسم الحنفي، غريب القرآن، ص٩١.
(٣) محمَّد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج١٤، ص٢٠١.

والقرائن المتوِّفرة لديهم والتي تفضي إلى قراءة معيَّنة قد يكون فيها نوع من التشدُّد، ولعل طبيعة الدولة التي كانوا يعيشون فيها ذات طابع إسلامي تقليدي لم تكن هناك تحدِّيات تتعلَّق بحقوق الأقليَّات تفرض عليهم أنْ يعطوا تفسيراً جديداً أو قراءة جديدة تدفع لوجود بعض الإشكاليَّات المطروحة في المقام، أمَّا المفسِّرون المعاصرون فقد واجهوا أحداثاً كثيرة ورسائل تتحدَّث عن حقوق الأقليَّات، والذي ساعد عليه هو تمدُّد الفكر الغربي عن طريق المستشرقين وغيرهم، ممَّا اقتضى إمعان النظر في تقديم قراءة جديدة للآية القرآنيَّة، ومع هذا فلم يكن الفارق بين القدماء والمعاصرين في تفسير الآية كبيراً، وهذا لا يعني عدم وجود خلاف بين القدماء أنفسهم وبين المعاصرين أنفسهم، فلكلِّ مفسِّر رؤيته الخاصَّة التي تنطلق من المباني والقواعد التفسيريَّة التي يعتمدها، والمنهج الذي يسلكه والاتِّجاه الحاكم عليه، ومدى إفادته من القرائن الأُخرى. وسنوضح نقاط الاتِّفاق والافتراق فيما بين المفسِّرين القدماء والمعاصرين.

الفرع الأوَّل: أوجه الاتِّفاق

بعد أن استعرضنا آراء مفسري الإمامية وناقشناها بتفصيل لا بد من التطرق إلى أوجه الإتفاق والتشابه عندهم في تفسير آية الجزية، والحق يُقال أنَّ وجوه التشابه كثيرة وهذا لا يعني عدم وجود اختلاف في تعاطيهم مع الآية وسنذكر هذه الوجوه بالشكل الآتي:

١. اتَّفق مفسِّرو الإماميَّة جميعاً على أنَّ الجِزْية عطية ماليَّة مخصوصة تُؤخذ من أهل الذمَّة، وتُصرف عليهم في قِبال حمايتهم والدفاع عنهم.

٢. اتَّفقوا على أنَّ الجِزْية تُؤخذ من أهل الكتاب ومنهم المجوس[1] أو مَن بحكمهم، وأمَّا الصابئة فقد ذكرهم بعض المفسِّرين.

٣. اتَّفقوا على أنَّ آية الجِزْية جاءت في محلِّ الذمِّ والطعن بالكفَّار المحاربين وإنْ أجازت

(١) يرى الشيخ الطوسي كما ذكرنا سابقاً أنَّ الجِزْية تؤخذ من أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى والمجوس... ومن عدا الثلاث فرق يجب قتالهم إلى أنْ يُسلموا أو يُقتلوا وتُسبى ذراريهم وتُؤخذ أموالهم، ولا تُؤخذ منهم الجِزْية بحال. يُنظر: جعفر بن محمَّد الطوسي، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، ص٣١٣.

الإبقاء عليهم في قِبال الجِزْية.

٤. اتَّفقوا عدا فضل الله على أنَّ كلمة (من) في الآية بيانيَّة وليست تبعيضيَّة.

٥. اتَّفقوا على أنَّ القرآن الكريم لم يتعرَّض إلى ذكر مقدار الجِزْية المأخوذة من أهل الذمَّة.

٦. اتَّفقوا على أنَّ الجِزْية توضع على جماجم الرجال المقاتلين دون النساء والصبيان، والشيوخ والرهبان، وذوي العاهة والحاجة.

الفرع الثاني: أوجه الافتراق

أمَّا أوجه الافتراق في تفسير الآية لدى القدماء والمعاصرين من مفسِّري الإماميَّة فتكمن في النقاط الآتية :

١ – اختلف مفسِّرو الإماميَّة في الحكمة من أخذ الجِزْية من أهل الكتاب؛ فبين قائل: إنَّها تُؤخذ حقناً لدمائهم، ومنعاً من استرقاقهم، وحفظاً لأموالهم، وجزاء على تمسُّكهم بالكفر، وهذا ما ذهب إليه من القدماء الشيخ المفيد والطوسي والطبرسي، وبين قائل: إنَّها تُؤخذ من أهل الكتاب وتُصرف في حفظ ذمَّتهم وأرواحهم وأموالهم وحسن إدارتهم، كالعلاَّمة الطباطبائي ومحمَّد جواد مغنية، وفضل الله، ومكارم الشيرازي.

٢ – اختلفوا بالمراد من (الرسول) في قوله تعالى: ﴿مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾، فذهب الأعم الأغلب منهم إلى أنَّ المقصود به هو الرسول الأكرم محمَّدﷺ، كالشيخ الطوسي والطبرسي والطباطبائي ومكارم الشيرازي، وذهب فضل الله إلى أنَّ المقصود منه أنبياؤهم الخاصُّون كموسى وعيسىعليهما السلام، فالرسول هي صفة للرسالة، وهي أعمُّ من رسالة الخاتمﷺ، بينما لم يتعرَّض بقية المفسِّرين إلى المراد من الرسول في الآية.

٣– انقسموا بشأن طائفة الصابئة، وهل يُلحقون بأهل الكتاب أو لا؟ فقد صرَّح البعض منهم كالطباطبائي[١] والخوئي[٢] في ذلك، بينما لم يصِّرح الآخرون، وهذا لا يعبِّر

(١) يُنظر: محمَّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٤٤.
(٢) يُنظر: أبو القاسم الخوئي، منهاج الصالحين، ج١، ص٣٩١.

بالضرورة عن نظرهم التفسيري والفقهي بقدر ما هو الوقوف عند تفسير الآية إجمالاً.

٤- اختلف القدماء من مفسِّري الإماميَّة والمعاصرون في تفسير قوله تعالى: ﴿عَنْ يَدٍ﴾، فذهب القدماء كالطوسي والطبرسي إلى أنَّها في قِبال الكفر، والمراد منها إعطاؤها نقداً من غير نائب، حتَّى يستشعر الخضوع والذلَّ لدولة الإسلام، وأنَّ مَن يعطي الجِزْية قائم والآخذ جالس، بينما ذهب المعاصرون كالطباطبائي إلى أنَّ المراد من اليد إنْ كانت الجارحة فيكون المعنى إعطاء الجِزْية متجاوزة عن يدهم إلى يدكم، وإنْ كان المراد منها القدرة والنعمة فيكون المعنى إعطاء الجِزْية عن قدرة وسلطة لكم عليهم.

٥- اختلفوا في تفسير المراد من مفردة (الصِّغار)، إذ ذهب القدماء كالمفيد والطوسي والطبرسي إلى أنَّ المراد منها إعطاء الجِزْية في حالة الخضوع لدولة الإسلام مع الذلِّ والنكال والصِّغار، وللإمام أنْ يأخذهم بما لا يُطيقون حتَّى يُسلموا[1]، فيما ذهب المعاصرون كالطباطبائي ومحمَّد جواد مغنية ومحمَّد حسين فضل الله ومكارم الشيرازي إلى أنَّ المراد من (الصِّغار) هو خضوعهم للحكومة الدينيَّة العادلة في المجتمع الإسلامي حتَّى يعطوا الجِزْية عن قدرة وسلطة لكم عليهم وهم صاغرون، غير مستعلين عليكم ولا مستكبرين.

٦- اختلف المفسِّرون في العلَّة من قتال أهل الكتاب، فقد ذهب الطوسي إلى أنَّ الله أمر نبيَّه محمَّداً ﷺ بقتال الكفَّار؛ وذلك لعدم إيمانهم بالتوحيد والبعث والنشور، وأنَّ اعتقادهم هو من دون علم، وأنَّهم لا يدينون دينَ الحقِّ؛ بسبب نسخ شرائعهم وتحريفهم للتوراة، فدينهم غير دين الحقِّ[2]. وذهب الآخرون إلى أنَّ العلَّة من القتال هو أمرٌ خاص بالذين كانوا في الجزيرة ممَّن يتحالفون مع المشركين على المسلمين. وقد تبنَّى هذا الرأي كلٌّ من محمَّد جواد مَغنية ومحمَّد حسين فضل الله، ويرى الطباطبائي أنَّ الغرض من قتال أهل الكتاب هو تجاهرهم بالمحرَّمات من غير مانع يمنع من شيوعها، والقتال لا يتوقَّف إلاَّ على دخول الإسلام أو دفع الجِزْية حصراً.

(١) يُنظر: الحرُّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، باب٦٨ من أبواب جهاد العدو، ح١٢، ص١١٣- ١١٤، محمَّد علي أيازي، تفسير القرآن المجيد المستخرج من تراث الشيخ المفيد، ص٢٤٠.

(٢) يُنظر: جعفر بن محمَّد الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص ١٨٢.

الخاتمة

بعد أن استعرضنا آراء مفسِّري الشيعة الإماميَّة، وبيَّنا نقاط الالتقاء والاختلاف فيما بينهم، وذكرنا أنَّ الاختلاف الحاصل في الآية إنَّما كان بين القدماء والمعاصرين، فسوف نقدِّم في هذه الخاتمة الرأي المختار الذي نراه متناسباً مع حقوق الأقليَّات وروح القرآن الكريم الذي حفظ أموال وأعراض ودماء مَن يدخلون في حمايته، فنقول: إنَّ آية الجِزْية نزلت كما نقل مجاهد حين أُمر رسول اللهﷺ بحرب الروم، فغزا بعد نزولها غزوة تبوك[1]، أو أنَّها نزلت في قريظة والنضير من اليهود، وأراد رسول اللهﷺ قتالهم فصالحوه، فكانت أوَّل جِزْية أصابها أهل الإسلام، وأوَّل ذلٍّ أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين، كما ذكر الكلبي[2].

ولا منافاة بين القولين، سواء قلنا: إنَّها نزلت بخصوص يهود بني قريظة وبني النضير أو لتحريض المسلمين على قتال الروم؛ لأنَّ مَن يدرس الظروف التي واجهت النبيَّﷺ والمسلمين، خصوصاً بعد انتصار حكومة النبيِّﷺ في المدينة وتمدُّدها ووصولها إلى تخوم الشام، بدأت محاولات داخليَّة وخارجيَّة لإضعاف تلك الدولة، وكان العامل المحرِّك فيها هم اليهود والنصارى القاطنين في حدود الدولة الإسلاميَّة، وعلى إثر ذلك حدثت تحالفات من جانبين، الأوَّل: مع المشركين، والثاني: مع الروم، وربما كانت هناك تحالفات مع الفرس؛ باعتبار أنَّ لهم مَن يواليهم في تلك البلاد. إذاً فالدولة الإسلاميَّة الفتيَّة التي أسَّسها الرسولﷺكانت تواجه تحدِّيات كبيرة وخطيرة، وتثير حفيظة أعداء الإسلام، وهؤلاء كانوا يحرِّكون أدواتهم من اليهود والنصارى والمنافقين.

ومن جهة أُخرى، إذا ما نظرنا إلى سورة التوبة فإنَّنا نجد أنَّها نزلت لتضع حدَّاً للتعامُل مع المشركين لتنظيم العلاقة معهم، وبعدها انطلقت لتنظيم العلاقة مع أهل الكتاب، ويذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ قسماً منها نزل قبل معركة تبوك، وقسماً منها نزل عند

(١) أبو إسحاق الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٥، ص٢٨ .
(٢) المصدر نفسه.

الاستعداد للغزوة، وقسماً منها نزل بعد الرجوع من الغزوة والفراغ منها[1].

وكيف كان فإنَّ زمن نزول الآية وحيثياتها الأُخرى لا تخصِّص الآية وتوجِّهها توجيهاً معيَّناً بقدر ما تلقي ظلالاً على الظروف والمناسبات التي اكتنفت نزولها؛ لأنَّ المورد لا يخصص الوارد كما يقول الأُصوليُّون، بمعنى أنَّ الآية إذا نزلت بسبب خاص فإنَّه لا يعني أنْ يكون حكمها مخصَّصاً بذلك السبب، بل يكون حكمها عامَّاً. على أنَّ تطبيق هذا الكلام على آية الجِزْية يفضي إلى نتائج عدَّة سنوضِّحها في المبحث القادم عند دراسة آراء مفسري السنة؛ ولكن بالإجمال لقد اتَّفق مفسِّرو الإماميَّة قديماً وحديثاً على أنَّ الجِزْية عطية مالية تُؤخذ من أهل الذمَّة وتُصرف عليهم، كما أنَّهم اتَّفقوا على أخذها من المجوس واختلفوا في الصابئة، واتَّفقوا إلاَّ مَن شذَّ عنهم على أنَّ المراد من مفردة ﴿مِنْ﴾ في الآية بيانيَّة وليست تبعيضيَّة، كما أنَّهم اتَّفقوا على أنَّ الجِزْية تُفرض على جماجم الرجال المقاتلين دون النساء والصبيان والمرضى والرهبان.

بالمقابل اختلف مفسِّرو الإماميَّة في الحكمة من أخذ الجِزْية من أهل الكتاب، والمراد من كلمة ﴿وَرَسُولُهُ﴾ و﴿عَنْ يَدٍ﴾ و﴿صَاغِرُونَ﴾ في الآية، وقد تعمَّق هذا الخلاف بين القدماء والمعاصرين.

والخلاصة: إنَّ الآية جاءت في محلِّ الذمِّ لأهل الكتاب المحاربين والطعن فيهم وإنْ أجازت الإبقاء عليهم في قِبال دفعهم للجِزْية، وفي ذلك نقول الآتي:

أوَّلاً: الاستعمال اللغوي

يرى كثير من اللغويِّين أنَّ الصِّغار أصل صحيح يدلَّ على القلَّة والحقارة، ويعني تحقيق الذلِّ والهوان، بحيث يكون صاحبه معترفاً به، وهو في قِبال الكبر الذي يعني إظهار العظمة والشأن[2].

(١) يُنظر: مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٥، ص٣١٧.
(٢) يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص٥٤٥، حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٦، ص٢٩٥.

ثانياً: الاستعمال القرآني

يمكن تقسيم الصِّغار في هذا الاستعمال على قسمين:

الأوَّل: الصِّغار المادِّي، كما في قوله تعالى: ﴿وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمْ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[2].

الثاني: الصِّغار المعنوي، كما في قوله تعالى: ﴿غُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾[3]. فالآية تشير إلى تحقُّق الصِّغار في قوم فرعون. وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[4]. وهذه الآية تشير إلى تحقُّق الصِّغار للمتكبِّر إبليس. وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[5]. وهذه الآية تشير إلى تحقُّق الصِّغار في أهل الكتاب الذين امتنعوا عن قبول الحقِّ واختاروا الجِزْية. وقوله تعالى:﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[6]. وهذه الآية تشير إلى قوم سبأ وإخراجهم ﴿منْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[7].

ومن هذه الآيات الأربعة الأخيرة نستنتج أنَّ المقصود من الصِّغار هو الصِّغار المعنوي الذي يعني الإذلال، وعليه فإنَّ الصِّغار المنظور في آية الجِزْية هو بمعنى الإذلال للذين كانوا محاربين من أهل الكتاب، والمتحالفين معهم ضد الدولة الإسلاميَّة، فهؤلاء يُؤخذون على الصِّغار، وأمَّا أهل الذمَّة المسالمون فيكون الصِّغار بحقِّهم هو خضوعهم للحكومة الدينيَّة

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١١٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٢٩.
(٦) سورة النّمل، الآية: ٣٧.
(٧) يُنظر: المصطفوي، حسن، تحقيق في كلمات القرآن، ج٦، ص٢٩٥-٢٩٦.

العادلة في المجتمع الإسلامي حتَّى يعطوا الجِزْية عن قدرة وسلطة للمسلمين عليهم، غير مستعلين ولا مستكبرين.

ومن هنا يتضح أنَّ الجِزْية شريعة إلهيَّة وفريضة على النبيِّ ﷺ والإمام عليه السلام من بعده، وقد جاءت في القرآن الكريم مرةً واحدة لتنظيم شؤون العباد، وحفظ مصالح الأقليَّات الدينيَّة في المجتمع الإسلامي، وهي نتيجة طبيعيَّة لقانون عقد الذمَّة في الإسلام، فهي تمنع الاسترقاق وتحفظ الدماء وتقي أهلها من الاعتداء الداخلي والخارجي، وأنَّها تُؤخذ من أهل الكتاب على قدر ما يستطيعون، شرط ألاَّ يُرهَقوا بها، أمَّا مَن كان كافراً محارباً معتدياً، متحالفاً مع أعداء الإسلام، فإنَّه تنزل فيه أقصى العقوبات، وهذا الأمر كان وما زال موجوداً حتَّى في الأنظمة الحديثة، وعليه يجب أنْ يدفعها صاغراً ذليلاً حفظاً لهدر دمه، وعقوبةً لعناده الحقَّ، وكفره بما جاء به النبيُّ محمَّد ﷺ، فإنْ أبى فلا حرمة له بعد ذلك.

وللبحث صِلة إن شاء الله تعالى

المصادر والمراجع

١. المفيد، النعمان، المقنعة، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤١٠هـ .

٢. الحر العاملي، مُحَمَّد بن الحسن الحر (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤٠٩هـ.

٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الثانية، بيروت، الأعلمي، سنة النشر: ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.

٤. الطبرسي، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن، جوامع الجامع، تحقيق: جواد السيد كاظم الحكيم، الطبعة الأولى، كربلاء الكفيل، العتبة العباسية، سنة النشر: ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م.

٥. الطوسي، جعفر بن مُحَمَّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، تحقيق مركز الإمام الحسن المجتبى عليه السلام للتحقيق والدراسات، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٦. الطوسي، جعفر بن مُحَمَّد، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، الطبعة الأولى، إيران قم، سنة النشر: ١٤٠٠هـ.

٧. الطوسي، جعفر بن مُحَمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، النهاية، إنتشارات قدس مُحَمَّدي، قم شارع إرم، ومؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

٨. الطوسي، أبو جعفر مُحَمَّد بن الحسن بن علي الطوسي، الجمل والعقود، تقديم وتصحيح: مُحَمَّد واعظ زاده خراساني، مكان النشر: مشهد، الناشر: چاپخانه دانشگاه مشهد، سنة النشر: ١٣٤٧هـ .

٩. الطباطبائي مُحَمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٢هـ

١٠. مغنية، مُحَمَّد جواد تفسير الكاشف، الناشر: دار الأنوار للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة.

١١. فضل الله، مُحَمَّد حسين، تفسير من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧م.

١٢. الشيرازي ناصر مكارم (معاصر)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت دار الأميرة، للطباعة، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١٣. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٨م.

١٤. الحنفي، قاسم الحنفي (ت٨٧٩هـ)، غريب القرآن، تحقيق: د. جميل عبد الله عويضة، بيروت، سنة النشر: ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٥. الخوئي، أبو القاسم منهاج الصالحين، الطبعة: الثامنة والعشرون، المطبعة: مهر، قم المقدسة سنة النشر: ذي الحجة، ١٤١٠هـ..

١٦. الحر العاملي، مُحَمَّد بن الحسن الحر (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤٠٩هـ.

١٧. أيازي، السيد مُحَمَّد علي، تفسير القرآن المجيد المستخرج من تراث الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، قم بوستان كتاب، ١٤٢٤هـ ١٣٨٢ش.

١٨. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

١٩. الشيرازي ناصر مكارم (معاصر)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت دار الأميرة، للطباعة، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٢٠. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الطبعة الأولى، طهران، مركز نشر: آثار العلامة المصطفوي، ١٣٨٥ش، والطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

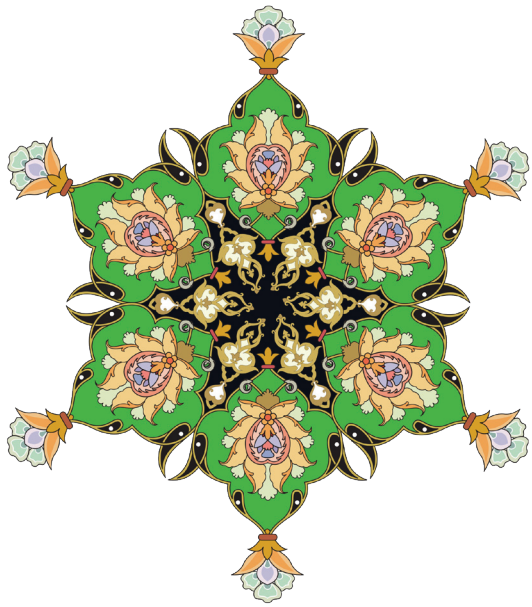

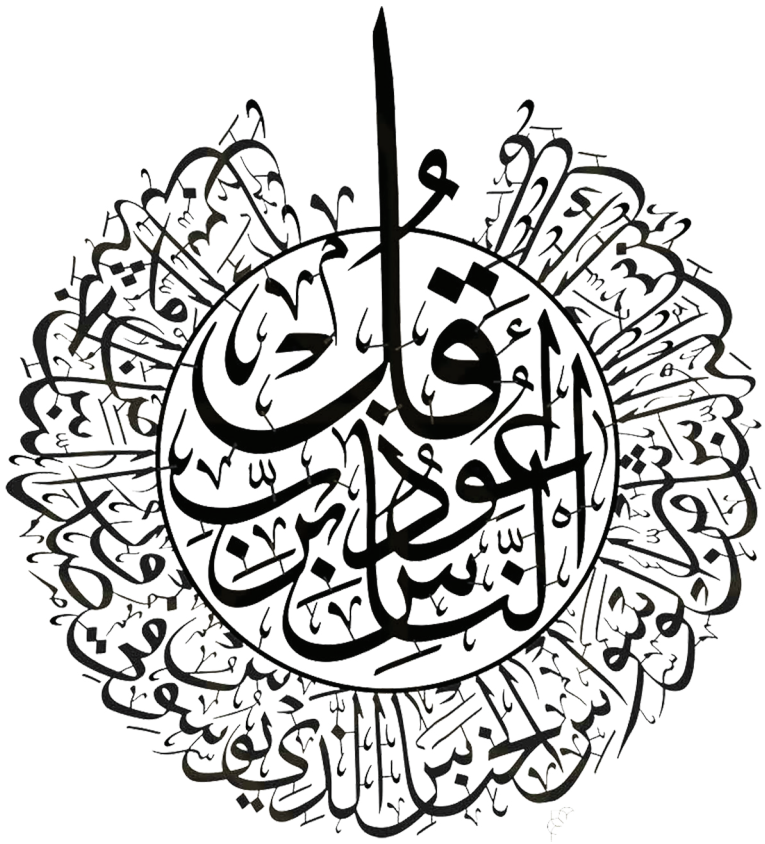
قل أعوذ برب الناس

قوله تعالى : ﴿ قُولُوا حِطَّةٌ ﴾

دراسة دلالية – تاريخية – مقارنة

أ.د.كبرى روشنفكر
جامعة تربيت مدرس / طهران
Email: kroshan@modares.ac.ir

امير حسين كلشني
جامعة تربيت مدرس/ طهران
Email: amir.hosseiyn.golshani@gmail.com

A Semantic-Historical Study In the words of God Almighty "Qulwa Hatta"

Asst.Prof.Dr.kobra roshanfekr
University of Tarbiat modares / Tehran
Amir Hossein Golsheni
University of Tarbiat modares / Tehran

ملخص البحث

علم الدلالة من أهم العلوم التي تساعدنا على الفهم الدقيق لكلمات القرآن و مفاهيمها. وفى الدراسات الدلالية للقرآن علينا تحليل لغته – أي الكلمات العربية – لنجد طريقة الوصول إلى قلب الآيات والكلمات حتى يمكننا أن نشرب من تعاليمه الواضحة. كلمة «حطّة» استعملت مرتين في القرآن وفى موضع واحد.نظرا للغموض الذي يوجد في معنى هذه الكلمة في القرآن ، فإن المقال هذا يهدف الى تحليل التطور الدلالي ثم تقييم كيفية ترجمة هذه الكلمة بمنهج وصفي – تحليلي اعتمادا على اتجاه علم الدلالة استعانة بالايتمولوجيا و مراجعة الترجمات الفارسية و الانجليزية. حسب معاني «حطّة» المختلفة في أشعار الشعراء الجاهليين تشير النتائج الى أنّ بعض المعاني قريبة من جذرها وتقع في مجال دلالي معين لكن المعاني الأُخر مثل «إنزال شيء ما من فوق» و «إنزال ثقل الماشية» تقع في دائرة المعاني الفرعية. لدى المترجمين الإنجليز مثل المترجمين الفرس أكثر اعتقادا بمعنى «الاستغفار وطلب العفو» للترجمات التي قدموها لكلمة «حطّة» و السياق فى الآيتين اللتين استعملت فيهما هذه الكلمة مختلف و له معان دقيقة وخاصّة.

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم، علم الدلالة، الترجمة، حطّة.

Abstract

Semantics is one of the most important sciences that helps us to understand the words and concepts of the Qur›an accurately. And in the semantic studies of the Qur'an we must analyze its language - that is Arabic words in order to find its way into the heart of the verses and words and depending on our scope drink the clarity of its teachings. The word “Hatta” has been used twice and in the same position in the Qur'an. Due to the ambiguity regarding the meaning of this word in the Qur'an the purpose of this article is to use a descriptive-analytical method based on a semantic approach based on etymology and referring to Persian and English translations semantic evolution and how to translate this Analyze the word. Considering the different meanings of “Hatta” in the poems of the poets of the pre-Islamic period the results indicate that some meanings are close to their roots and are in a specific semantic domain but other meanings such as “lowering something from above” and “lowering the burden” “Cattle” is in the circle of sub-meanings. The English translators according to the equivalents that have been considered for the word “Hatta” like the Persian translators have more

faith in the meaning of “asking for forgiveness” and the context in the two verses in which this word is used is different and the meanings are different. It is special and accurate.

Keywords: the Holy Qur’an, semantics, translation, Hatta.

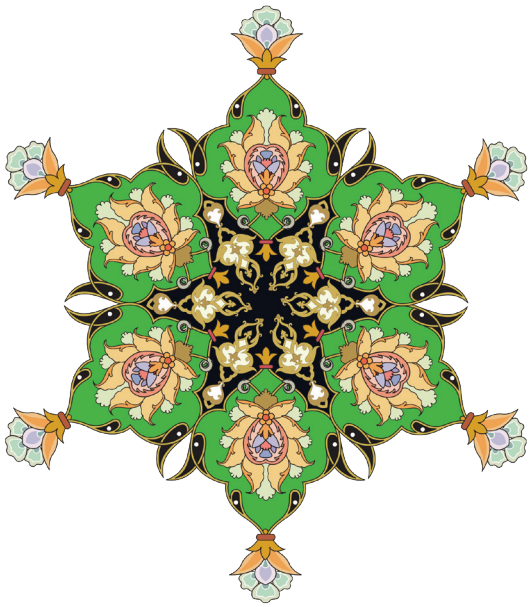

١ -المقدمة

من خصائص الإنسان أنه يهتم بالبحث عن الجذور دائما وتتبلور هذه الخصيصة أيضًا في كشف جذور الكلمات ومعانيها القديمة. في الواقع الكلمات مثل الكائنات الحية تتغير إثر تحولات البيئة وتأخذ معاني مختلفة جديدة، و على هذا الأساس لابد من دراسة التغيرات الطارئة في معاني الكلمات للوصول إلى معناها الأصلي؛ وكلمات القرآن بما أنه الكتاب الإلهي حسب تغيراتها الدلالية تعبّر عن معنى خاصّ في نسج الآيات.

إنّ علم الدلالة بوصفه أحد الفروع الرئيسية لعلم اللغة هو علم معروف في مجال الأبحاث اللغوية ، وهذا ما يوحي به اسمه فهو علم يتعامل مع دراسة المعنى[١]. يُعيننا هذا العلم بجانب المعنى الأصلي للكلمة على الوصول الى المعنى الثانوي للكلمة في سياق النصوص المختلفة. تعتبر معلومات اللغويين أداة مهمة جدًا في فهم المعاني الجديدة للكلمات في هذا العلم؛ لأنها يبيّن لنا تاريخ التطور الدلالي لكل كلمة. حسب قول فرانك بالمر اللغوي الانجليزي، أطلق مصطلح «علم الدّلالة» للمرة الاولى على تطور المعنى و تكامله طوال الزمن[٢]. ومن بين اللغويين الأوائل، استخدم المستشرق الياباني إيزوتسو منهج «علم الدّلالة» للتعبير عن المعاني الدقيقة والصحيحة للكلمات في قلب آيات القرآن. في رأيه، لفهم معاني الكلمات بشكل صحيح يجب علينا الانتباه إلى السياق والنّسج؛ خاصة في نصوص القرآن الكريم التي لم تجمع عشوائيًا وغير منظم والكلمات جنبا لجنب لها معانيها الخاصة[٣].

كلمة «حطّة» استعملت مرتين في موضوع واحد في القرآن الكريم ومعناها في الآيات يخلق غموضا للمخاطب. ومن معانيها «السقوط و الانزال » وهو الأكثر استعمالاً من

(١) مزبان، ١٣٩٤: ١
(٢) پالمر، ١٣٦٦: ٣٠
(٣) ايزوتسو، ١٣٦١: ٢٥

المترجمين و المفسّرين. إن كون هذه الكلمة دخيلا او أصليا و كذلك دورها النحوي في الآيات المذكورة موضع الخلاف بين العلماء والمفسرين.

أسئلة البحث

نسعى في هذا المقال للإجابة عن السؤالين الآتين:

ما التطور الدلالي لكلمة «حطّة»؟

كيف ترجم المترجمون الفارسيون والإنجليز كلمة «حطّة»؟

سابقيّة البحث

من أهم الكتب في مجال علم الدلالة كتاب «نگاهی تازه به معنی شناسی»(نظرة جديدة إلى علم الدّلالة)الذي كتبه فرانك بالمروترجمه كورش صفوى، الذي يشير إلى الموضوعات التي يتم دراستها في علم الدلالة والأساليب المستعملة في دراسة دلالات الألفاظ وتعبر علم الدلالة جزءًا من علم اللغة فى أنّه لا يدرس التطور التاريخي للمعنى فقط.

في مجال المقالات،لم يتم إجراء بحث مستقل حول الدراسة الدلاليّة لكلمة «حطّة» في القرآن. وعدد من الكلمات الأخرى التي نوقشت معانيها في القرآن الكريم مذكورة في أدناه:

١- «تحليل معنى شناسى حق»(التحليل الدلالي للحق) لمحمود نبويان (١٣٨٩)، الذي قام من خلال الوصف والتحليل بمنهج دلالي بفحص كلمة "الحق" في أعمال المفكرين المسلمين والغربيين وذكر أن "الحق" في أعمال المفكرين المسلمين تعني «السّلطة» وفي أعمال المفكرين الغربيين هو نفس «الربح».

٢- «معنى شناسى واژه رب»(الدراسة الدلالية لكلمة رب)كتبته نسرين كرد نژاد (١٣٨٩)، التي تناولت التطور الدلالي لهذه الكلمة من خلال منهج الدراسة الدلالية والتاريخية والوصفية، وتوصلت إلى استنتاج مفاده إنّ هذه الكلمة دخلت اللغة العربية من اللغة العبرية وفي استعمالها الأولي تعني «ملك»ثم تطوّر معنى «الله» في المجتمعات المسيحية

السورية.

٣- «معنى شناسى عبوديت در قرآن»(الدراسة الدلالية للعبودية في القرآن) لأصغر هادي (١٣٩١)، الذي استعمل منهجًا وصفيًا تحليليًا قائمًا على المنهج الدلالي لمعنى كلمة العبادة قبل الإسلام وبعده، ويدرس استعمالها في القرآن ويذكر أن كلمة «عبد» قبل الإسلام كان لها معنى «المملوك» ، ولكنها بعد الإسلام استعملت بمعنى «الرقّ والرفق مع الآلهة بالقداسة».

٤- «معنى شناسى واژه ذكر در قرآن كريم»(الدراسة الدلالية لكلمة ذكر في القرآن الكريم)بقلم سهراب مروتى وسارا ساكي (١٣٩٢)، أنهما قاما بتحليل كلمة «ذكر» في القرآن باستخدام أسلوب وصفى وثائقي واجتياز المراحل الثلاث للتحليل والتفسير وأهم نتيجة لها هي الكشف عن الارتباط الدلالي العميق للذكر بكلمات الحقل الدلالي المشترك في القرآن.

٥- «معنى شناسى تاريخى و توصيفى واژه عدن در قرآن كريم» (الدراسة الدلالية التاريخية و الوصفية لكلمة عدن في القرآن الكريم بقلم جعفر نكونام ومحمد معظمي گودرزى (١٣٩٢) اللذين درسا التطور الدلالي لكلمة «عدن»قبل نزول القرآن وبعده بمنهج دراسة دلالية _ تاريخية و وصفية، ومن أهم نتائجهما هو تعبير «جنة عدن»في القرآن الكريم لا يختلف بشكل واضح عن التفسيرات الأخرى ويشير إلى الجنّة الأخرويّة.

٦- «ارزيابى ديدگاه مفسران دربارۀ معناشناسى «معيشت ضنک» در آيه ١٢٤ طه»(تقويم آراء المفسرين عن الدراسة الدلالية لمعيشة ضنك في الآية ١٢٤ طه)لسيد محمد موسوى مقدم، فتح الله نجارزادگان و شيما محمود پور (١٣٩٥) أنهم قاموا بتقسيم أقوال المفسرين في ما يتعلق بهذه العبارة على قسمين؛واحد هو الآخرة والآخر هو حياة العالم وقد ذكروا أن أمثلة هذه الحياة ينبغي البحث عنها في الدنيا ثم في البرزخ وبطريقة القرآن بالقرآن فقد أثبت أن معنى «معيشة ضنک» هو عدم السكينة وطمأنينة القلب.

٧- «بررسى واژه هاى «يذبحون»، «صفوان»، «نُكسُوا»، «يخادعون»، «سفهاء»،

«يَصطَرِخُون» و «حطه» بر اساس تجزيه آحاد واژگان»(دراسة كلمات «يذبحون» و «صفوان» و «نكسوا» و «يخادعون» و «سفهاء» و «يصطرخون» و «حطّة» بناءً على تجزية وحدات الكلمات). كتبه محمد شريفى و هوشنگ بيگى يارولى(١٣٩٦) اللذان يحاولان الإجابة عن السؤال من خلال تحليل وحدات الكلمات: هل اهتم مترجمو اللغة الفارسية للقرآن الكريم بالعناصر المكوّنة لمعنى كلمات القرآن في عملية الترجمة وهل رأوها في ترجماتهم أم لا؟ ايضا انتقدوا بعض المترجمين بناءً على القواميس والتفسيرات، وأظهرت النتائج أن المترجمين لم يهتموا اهتمامًا كافيًا بمبدأ دقة البحث عن الكلمات وأنهم لم يرعوا المكونات الدلالية للغة المبدأ.ولكن فى هذا المقال بادرنا بتحليل الترجمات الإنجليزية علاوة على الترجمات الفارسية واختلاف معاني كلمة «حطّة» في الأشعار الجاهلية والنقاط النحوية و البلاغية و الايتمولوجية لهذه الكلمة و دراسة التفسيرات حول هذه الكلمة.

٨- «معناشناسى ساختارى واژه «ضرب» در قرآن كريم»(الدراسة الدلالية- البنيويّة لكلمة ضرب في القرآن الكريم) لفتحيه فتاحى زاده، ناهيد حسين نتاج و فريده امينى(١٣٩٩) الذين اكتشفوا المكونات الدلالية لكلمة الضرب بناءً على العلاقات المصاحبة و الخلافة بالاتّجاه البنيويّ. وفقًا للنتائج ، من خلال العلاقات المصاحبة تكون المكونات الدلالية هي: الاتصال ، والانضمام ، والإغلاق ، والمغادرة، والإدبار ، والتشابك، والظهور ، والإحاطة ، وكذلك الفعل الدالّ على الظهور الخارجي ، والقوة ، والثقل ، والتأثير والتغيير و يمكن أيضًا الوصول الى المكونات الدلالية : الذهاب ، والقطع ، والمغادرة ، والإدبار،والإحاطة، والغطاء ، والضغط ، والتشابك" من خلال محور العلاقات الخلّاقة لكلمة «الضرب».

٢-علم الدّلالة

يسعى «علم الدّلالة[١]» إلى اكتشاف كيفية تنظيم المعلومات في الكلام ودراسة تأثيرها

(١) . Semantic

الدلالي في القارئ أو المستمع[١]. هذه الكلمة مشتقة من اسم بمعنى «العلامة [٢]» و اسم آخر بمعنى «الدلالة وتقديم المعنى[٣]». يجب عدُّ «علم الدّلالة» جزءًا من علم اللغة لأن جزءًا من علم اللغة يتضمن قضايا ظاهريّة مثل علم الصرف و النحو وما إلى ذلك ويتضمن الجزء الآخر دراسة الرموز والجوانب الدلالية للغة. وفقًا لقول بالمر فإن علم الدلالة هو جزء من علم اللغة وهو الدراسة العلمية للغة[٤].

٢-١- موضوعات علم الدلالة

أ-دراسة بنية المفردات

في هذا القسم، يتم دراسة جذر الكلمة و تحليل العلاقة بين بنية الكلمة ومعناها. في هذه الدراسة، من خلال بناء الكلمات يمكننا تحقيق معانيها المختلفة؛ في الواقع ستؤدي التغييرات البنيويّة للكلمات إلى تنوّعها الدلالي، مما سيساعد دارس الدّلالة على تحليل هذه التغييرات. يشبه اللغوي السويسري دي سوسور اللغة بلعبة الشطرنج والكلمات بقطع الشطرنج، ثم يضيف:«معنى كل قطعة شطرنج هو الدور الذي تلعبه في اللعبة»[٥].

ب- دراسة المعنى الكامل للجملة والعلاقات النحوية بينها

تبيّن المفردات في سياق الجملة معناها الرئيس، لذلك هذا العلم بعد دراسة الكلمات يحلّل معنى الجملة ومناقشتها النحوية، وفي هذا القسم يظهر دور علم اللغة. في الواقع، تلعب الكلمات مثل الممثلين، دورًا في سياق الجملة وتنقل معنى محددًا.

ج- دراسة العلاقة بين الكلمات وحقائقها الخارجية

يشير هذا القسم الخاص من علم الدّلالة إلى علم «السيميائية»[٦]، وهو جزء من علم

(١) شعيرى، ١٣٨١: ٣ .
(٢) Sema .
(٣) Semaino .
(٤) پالمر، ١٣٦٦: ٢٠ .
(٥) بدره اى، ١٣٤٦: ٦٦ .
(٦) semiology .

الدلالة. في علم «السيميائية»، تُدرس الكلمات بدورها رموزاً لحقيقة خارجية[١].

٢-٢- المفهوم و المصداق

قد يخطئ موضوع التشابه بين «المفهوم» و «المصداق» دارس الدّلالة في دراساته الدلالية. وفقًا لقول بالمر يطلق المصداق على الارتباط الذي يتكون بين العناصر اللغوية (الكلمات والجمل وما إلى ذلك) والتجارب غير اللغوية للعالم الخارجي، وله معنى أوسع مقارنة بـ «المفهوم»؛ لكن «المفهوم» يشير إلى نظام الاتصال الغامض الذي يسود بين العناصر اللغوية (عادة الكلمات) ويتضمن العلاقات الداخلية للغة[٢].

٢-٣- أنواع المعنى

في هذا القسم، تتبيّن المكونات اللغوية التي يقوم عليها علم الدلالة بالاختصار .

أ- المكوّن الصّوتي (الوظيفة الدلالية للصوت)

يوجد تقسيم آخر لعلم الدّلالة في وصف أحد أجزاء سلسلة الكلام: يمكن تقسيم سلاسل الكلام على ثلاثة أجزاء و هي الأصوات والكلمات والتركيبات النحوية [٣]. ترتبط دراسة صوت الكلمات بعلم الأصوات، ودراسته ذات وجهين، أحدهما مرتبط بالصوت نفسه والآخر مرتبط بوظيفة الأصوات في الكلام، وفي هذا الموضوع يكون الصوت مؤثرًا في المعنى و تتكون الكلمة من قطع صوتية ، ينتج كل منها معنى داخل النظام اللغوي[٤].

ب- المكوّن الصّرفي (الوظيفة الدلالية للبنية الصرفية)

تساعدنا معرفة بنية الكلمة في الوصول إلى المعنى. الأسماء والأفعال والحروف لها معنى خاص؛ إذا كان الاسم مصدراً فهو يدل على حدوث شيء، مثل «الجلوس»، وإذا كان اسمًا معينًا فيشير إلى الذات مثل السرير. يشير الفعل إلى حدوث شيء ما في وقت معين، مثل «كَتَبَ» تعني الكتابة الدالّة على الماضي و تشكّل الأحرف أيضًا مكوّنات الكلمة(المصدر نفسه).

(١) يونس علي، ٢٠٠٤: ١٢.
(٢) پالمر، ١٣٦٦: ٦٠ .
(٣) انارى بزچلوئى و شيخ حسينى، ١٣٩٤: ١٢٤ .
(٤) مزبان، ١٣٩٤: ٢٩ .

ج-المكوّن النّحوي (الوظيفة الدلالية للبنية النحوية)

إن دراسة دور الكلمة في الجملة أمر يؤدي إلى الفهم الصحيح لمعناها. وتعبر الكلمات عن معناها الرئيس في سياق الجملة. أن دور الفعل يدلّ على أمر ما والفاعل يشير إلى الشخص الذي يعمل شيئا و المفعول يومئ إلى الأمر الذي يتم عمل الشيء عليه. علم الدلالة هو دراسة دور الكلمات وهذا الدور هو إرسال المعنى إلى المخاطب[١].

د-المكون الاجتماعي (الوظيفة الدلالية للبنية الاجتماعية)

تتجلى هذه الوظيفة الدلالية من خلال المحادثات في طوال الزمن وبعد تعلّم لغة الأم[٢]. تعيش الكلمات مع الناس ولها معنى اجتماعي في المواقف المختلفة و يمكن أن نسمّي هذه الوظيفة الدلالية «نسج المقام»[٣].

٣-مسار التطور الدلالي لكلمة «حطّة»

٣-١-ايتمولوجيا كلمة «حطّة»

يعد جميع مؤلفي المعجمات كلمة «حطّة» من جذر(ح-ط-ط)؛ لكن ابن دريد في كتابه «جمهرة اللّغة» عدّها من جذر(ح-ط-ه) [٤].كون هذه الكلمة دخيلة أو أصيلة هو أحد التحديات التي لفتت انتباه باحثي المفردات القرآنية. الرأي الشائع لدى مؤلفي المعجمات العرب هو أنها كلمة عربية[٥].كذلك يتفق بعض المفسرين و باحثي المفردات القرآنيّة على أنها أصيلة[٦]. من ناحية أخرى، هناك علماء يعدّون كلمة «حطّة» من الكلمات الدخيلة، مع اختلاف أن الفرّاء عدّها كلمة نبطية [٧]و السيوطي عدّها كلمة عبرية[٨].

(١) زمرديان،١٣٥٣: ٣٠٩ .
(٢) مزبان :٣٥ .
(٣) المصدر نفسه: ٣٥و ٣٦ .
(٤) ابن دريد، ١٣٤٥هـ، م٢: ١٧٤ .
(٥) الجوهرى، ١٤٠٤م، م٣: ١١١٩و فيومى، ١٤١٤م، م١: ١٤١ .
(٦) الطوسى، د تا، م١: ٢٦٣و٢٦٤ و طبرى، د تا، م١: ٤٢٧و٤٢٨ و اصفهانى،١٤١٢هـ: ٢٤٢ .
(٧) الزبيدى، ١٩٩٤م، م١٠: ٢١٨ .
(٨) السيوطى، ١٤٢٩هـ، م١: ٢٩٢.

العلماء الآخرون يعدونها كلمة سريانية [١]،وفقًا لجهود عدد من العلماء الأوروبيين لتقديم جذر عبري للكلمة، فإنه يشير إلى وحدة رأيهم مع السيوطي؛و على الرغم من قبول كون هذه الكلمة دخيلة فقد وصف البعض جذر هذه الكلمة وأصلها بالغموض و اللغز. إن عدم ورود هذه الكلمة في بعض المصادر المتعلقة بالكلمات الدخيلة في القرآن، مثل «هل في القرآن أعجمي» و «أقوال القبائل الواردة في القرآن» وتشتت آراء المؤيدين لرأي الدخيل، يمكن أن يؤكد الرأي السائد بأن هذه الكلمة أصيلة[٢].

٣-٢-كلمة«حطّة» قبل الإسلام

كان للكلمة المذكورة ومشتقاتها معان مختلفة في أشعار شعراء العصر الجاهلي، التي سنذكرها في هذا القسم.

أ-إنزال الشيء من الأعلى إلى الاسفل

مثل قول امرؤ القيس:

مِكـرٍّ مِـفـرٍّ مُـقـبـلٍ مُـدبـرٍ معاً كَجلمودِ صخرٍ حَطَّه السيلُ مِنْ عَلِ[٣]

فعل «حطّ» في البيت يعني «إنزال الجلمود من العلى».

ب-النعومة و اللينة

مثل قول النابغه الذبياني:

محـطـوطـةُ المـتـنـينِ ،غـيـرُ مُفاضةٍ ريّـا الــروادفِ، بَـضّـةُ المـتـجـرّد[٤]

عبارة « محطوطة المتنين» في البيت تعني «الخصر الناعم».

ج-وجه غير صاف

مثل قول المتنخّل الهذليّ:

(١) جفري،١٣٨٦: ١٨٠ .
(٢) جفرى، ١٣٨٦هـ:١٨٠ .
(٣) امروالقيس، ٢٠٠٤م :٥٤ .
(٤) ذبيانى، ١٩٩٦م: ١٠٧ .

و وجـهٍ طَـرَقْـتُ أُمَـيْـمَ صـافٍ أسـيـلٍ غـير جَـهْـمٍ ذي حَـطـاطِ[1]

كلمة «حطاط» في البيت تعني «وجه غير صاف». [2]

د-إنزال الحمل من ظهر الدابّة

مثل قول زهير بن أبى سلمى:

و ليس لِمَنْ لم يركبِ الهـولَ بُغيَة و ليس لِرَحـلٍ حطَّه اللهُ حاملُ[3]

عبارة «حطّ الرحل» في البيت تعني «إنزال الحمل من ظهر الدّابّة». [4]

هـ-إنزال قَدْر الإنسان

مثل قول أشجع بن السلمى:

و لا يـرفـعُ الـنـاسُ مَـنْ حَـطَّـهُ و لا يـضـعـون الّـــذي يـرفـع[5]

كلمة «حطّ» في البيت تعني«إنزال قَدْر الإنسان».

ل-الناقة الناعِبَة

مثل قول النابغه الذبيانى:

فما وَخَـدتْ بمثلك ذاتُ غَـربٍ حَـطـوطٌ في الـزِّمـام و لا لجـون[6]

كلمة «حطوط» هنا تعني«الناقة الناعبة».

ى-الصقل بالحديد

مثل:

تُـبـينُ و تُـبـدي عـن عـروق كأنّها أعـنـةُ خـــرّاز تُحَـــطُّ و تُـبـشر[7]

كلمة«تُحَطُّ» في البيت تعني «الصقل بأداة حديديّة».

(١) الهذلىّ، ١٩٦٥م: ٢٣ .
(٢) ابن منظور،د تا، م٢: ٩١٥ .
(٣) ابى سلمى، ١٩٩٧م: ٨٠ .
(٤) ابن منظور،د تا،م٢: ٩١٥ .
(٥) السلمى، ٨١١ م: ٥ .
(٦) ابن منظور، دتا، م٢: ٩١٥ .
(٧) المصدر نفسه .

بالنظر إلى المعاني المختلفة لكلمة «حطّة» قبل العصر الإسلامي في أشعار الشعراء الجاهليين، يمكن الاستنتاج أن بعض المعاني قريبة من جذر الكلمة و يكون في شبكة اتصال معينة، والمعاني الأخرى معان فرعية؛أي أن معاني «إنزال شيء من العلوّ» و«إنزال الحمل من ظهر الدّابّة» و«إنزال قَدْر الإنسان» يمكن عدها المعاني الرئيسة لهذه الكلمة وتحت معنى واحد، أي«إنزال شيءما»ومعاني «الخصر الناعم»، و« وجه غير صاف»، و«الناقة الناعبة»، و«الصقل بأداة حديديّة» تكون تحت المعاني الفرعيّة.

٤-كلمة «حطّة» في القرآن

ذكرنا أنّ كلمة «حطّة» استخدمت مرتين في القرآن الكريم، وهما الآية ٥٨ من سورة البقرة والآية ١٦١ من سورة الأعراف،و نظرًا للتنوع الدلالي لمشتقات هذه الكلمة قبل الإسلام معناها في القرآن الكريم غامض. أشيع معنى لهذه الكلمة في القرآن هو معنى سقوط الذنوب ولكن بسبب الاختلافات المتعلقة بالدور النحوي وبنية هذه الكلمة في الآيات، ليس من السهل فهم معناها الواضح. نذكر أولاً الآيتين:

﴿وَ اذْ قُلْنا ادْخُلُوا هذِهِ القَرِيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيثُ شِئتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُم خطاياكُمْ و سَنَزِيدُ الْمُحْسنِينَ﴾ [بقره:الآية ٥٨]

﴿وَ اِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ القرية وَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئتُمْ وَ قُولُوا حِطّةٌ وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحسِنِينَ﴾ [اعراف:الآية ١٦١]

٤-١ المستوى اللغوى

يبيّن الجدول الآتي آراء بعض مؤلفي المعجمات في كلمة «حطّة» في القرآن:

الفراهيدي	«بلغنا أن بني إسرائيل حيث قيل لهم: وَ قُولُوا حِطَّةٌإنما قيل لهم ذلك حتى يَسْتَحِطُّوا بها أوزارهم فتُحَطَّ عنهم»(١)
الأزهري	«يقال: حَطّ اللهَّ عنك وِزْرَك في الدعاء أي خَفّف عن ظهرك ما أثقله من الإزْر» (٢)
الصاحب بن عباد	«حِطَّةٌ: كلمةٌ تُسْتَحَطُّ بها الأوْزار» (٣)
الجوهري	« قوله تعالى: حِطَّةٌ، أى حُطَّ عنَّا أوزارَنا. و يقال: هى كلمةٌ أُمِرَ بها بنوإسرائيلَ لو قالوها لَحُطَّتْ أوزارُهُمْ» (٤)
ابن فارس	«قوله تعالى: حِطَّةٌ قالوا: تفسيرها اللهم حُطّ عنا أوزارَنا» (٥)
ابن منظور	«حطّ الله عنه وزره في الدعا إي وَضَعه و حُكِي أنّ بني اسرائيل قيل لهم : قولوا حطه ليَسْتَحِطّوا بذلك اوزارَهم فَتُحطّ عنهم» (٦)
الزبيدى	«حُكِيَ أَنّ بَني إسرائيلَ إِنَّمَا قِيلَ لَهُم: وَ قُولُوا حِطَّةٌ لِيَسْتَحِطُّوا بذلِكَ أَوْزَارَهُم فتُحَطّ عنهم» (٧)

يبيّن هذا الجدول أن آراء مؤلفي المعجمات حول كلمة «حطّة»في القرآن تأثرت بالخليل بن أحمد الفراهيدي(القرن الثاني)، الذي كتب أول قاموس عربي«العين»، وتبع مؤلفو المعجمات آراءه حول كلمة«حطّة» في القرآن أي أن الكلمة لها معنى «طلب إنزال أعباء الذنوب الثقيلة» التي طلبها بنو إسرائيل.

(١) الفراهيدي، ٢٠٠٣م، م١: ٣٣٠ .
(٢) الأزهري، ٣٧٠هـ،م٣: ٢٦٧ .
(٣) الصاحب بن عباد، ٣٢٦هـ،م٢: ٣٠٤ .
(٤) الجوهري، ١٩٩٠هـ،م٣: ١١١٩ .
(٥) ابن فارس، ١٣٦٦هـ،م٢: ١٣ .
(٦) ابن منظور، دتا،م٢: ٩١٥ .
(٧) الزبيدي، ١٩٩٤م،م١٠: ٢١٦ .

حسب المعنى الذي تلّقاهُ مؤلفو المعاجم من كلمة«حطّة» في القرآن، فيمكن القول إنهم أكدوا معنى «السقوط والإنزال»، ويعد المعنى الرئيس الذي قاله شعراء العصر الجاهلي (إنزال شيء)، و وفقًا لوضع هذه الكلمة في نسج الآية المعينة يعتقدون ب«إلقاء عبء الخطايا الثقيل و سقوطها». إلا أن قرشي، بصفته أحد مؤلفي المعاجم القرآنية في كتاب «قاموس القرآن»، قد ابتعد عن الآراء السابقة وكان له رأي مغاير، معتقداً أن أبناء إسرائيل يعيشون في صحراء سيناء و لم يلتزموا بالقوانين والشروط؛ ولكن في الآية يلتزم بنو إسرائيل بالقوانين والشروط الخاصّة مع بداية التحضر ولم يعد لديهم حرية العيش في الصحراء، لذلك من وجهة نظره لا يعني أنهم يدخلون من باب خاص في أثناء السجود ويقولون:«حُطَّ عنّا خطايانا» بل يعني دخول المدينة خضوعًا للقوانين والشروط ومعرفة أن هذا الدخول هو النزول من الحرية المطلقة والاقتصار على ظروف التحضر[1].

٤-١-١ مستوى التفسير

في الجدول الآتي نبيّن آراء المفسرين في كلمة «حطّة» في الآيات المذكورة:

تفسير مقاتل بن سليمان (القرن الثاني)	﴿قُولُواْ حِطَّةٌ﴾ يعنى «حُطَّ عنّا خطايانا»[2].
تفسير القمى (القرن الثالث)	﴿قُولُواْ حِطَّةٌ﴾ يعنى «حُطَّ عنّا ذنوبنا» أنّ بني إسرائيل قالوا: «حنطة»[3].

(١) القرشي،١٧٣١،م٢: ٢٥١ .
(٢) مقاتل ١٤٢٣هـ، م ١: ١١٠ .
(٣) القمي ٢٣٦٣هـ، م ١: ٤٨ .

التفسير المنسوب إلى الامام الحسن بن العسكرى عليه السلام (القرن الثالث)	﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أَيْ قُولُوا: إِنَّ سُجُودَنَا لِلَّهِ تَعَالَى- تَعْظِيماً لِمِثَالِ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ اعْتِقَادَنَا لِوَلَايَتِهِمَا- حِطَّةٌ لِذُنُوبِنَا وَ مَحْوٌ لِسَيِّئَاتِنَا.قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ [أَيْ] بِهَذَا الْفِعْلِ «خَطاياكُمْ» السَّالِفَةَ، وَ نُزِيلُ عَنْكُمْ آثَامَكُمُ الْمَاضِيَةَ[1].
تفسير العياشي (القرن الرابع)	﴿قُولُواْ حِطَّةٌ﴾ يعنى «مغفرة » «اِغْفِرْ لنا».فِي قَوْلِ اللهَّ ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام نَحْنُ بَابُ حِطَّتِكُم [2].
التبيان فى تفسير القرآن(القرن الخامس)	قال الحسن، و قتادة و أكثر أهل العلم: معناه حُط عنا خطايانا. و روي عن ابن عباس أنه قال: أمروا أن يستغفروا. و روي عنه أيضاً أنه قال: أمروا أن يقولوا: هذا الأمر حق: كما قيل لكم. و قال عكرمة: أمروا أن يقولوا لا إله إلّا اللهّ. و كل هذه الأقوال محط الذنوب فيترحم لحطة عنها[3].

(١) الحسن بن علي ،٤٠٩هـ،م١: ٢٦٠ .
(٢) العياشي، ١٣٨٠هـ،م١: ٤٥ .
(٣) الطوسي، دتا،م١: ٢٦٣ .

مجمع البيان فى تفسير القرآن (القرن السادس)	«حِطَّةٌ» قال الحسن و قتادة و أكثر أهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا و هو أمر بالاستغفار و قال ابن عباس أمروا أن يقولوا هذا الأمر حق و قال عكرمة أمروا أن يقولوا لا إله إلا الله لأنها تحط الذنوب و كل واحد من هذه الأقوال مما يحط الذنوب فيصح أن يترجم عنه بحطة وروي عن الباقر ﷺ أنه قال نحن باب حطتكم[١].
تفسير جوامع الجامع (القرن السادس)	«قولوا حطة» يعنى «حُطَّ عنا ذنوبنا»[٢].
روض الجنان و روح الجنان فى تفسير القرآن (القرن السادس)	«قولوا حطة» لها ثلاث حالات: ١- «اللهم حط عنا خطايانا» ٢- «لا إله الا الله» ٣-الاستغفار[٣].
الكشاف (القرن السادس)	«قولوا حطة» يعنى أمرنا حطة، أى أن نحط في هذه القرية و نستقرّ فيها[٤].
نهج البيان عن كشف معاني القرآن (القرن السابع)	«قولوا حطة»: ١- «حطّ عنا ذنوبنا» ٢- «اِسْتَغْفِروا»[٥].

(١) الطبرسي، ١٣٧٢هـ،م١: ٢٤٧ .
(٢) الطبرسي، ١٤١٢هـ،م١: ٤٨ .
(٣) الرازي، ١٤٠٨هـ،م١: ٣٠٢و٣٠٣ .
(٤) الزمخشري، ١٤٠٧هـ، م١: ١٤٣ .
(٥) الشيباني، ١٤١٣هـ، م١: ١٤٩ .

زبدة التفاسير (القرن العاشر)	وَ قُولُوا حِطَّةٌ أي: مسألتنا أو أمرك حطّة. و هي فعلة من الحطّ، كالجلسة. و معناه: حطّ عنّا ذنوبنا حطّة. و هو أمر بالاستغفار[١].
تفسير الصافي (القرن الحادي عشر)	«قولوا حطة» يعنى «قولوا سجودنا للهَّ تعظيماً للمثال و اعتقادنا الولاية حطة لذنوبنا و محو لسيئاتنا»[٢].
روح المعانى (القرن الثالث عشر)	وَ قُولُوا حِطَّةٌ أي مسألتنا، أو شأنك يا ربنا أن تحط عنا ذنوبنا، و هي فعلة من- الحط- كالجلسة، و ذكر أبان أنها بمعنى التوبةو الحق أن تفسيرها بذلك تفسير باللازم، و من البعيد قول أبي مسلم: إن المعنى أمرنا- حطة- أي أن نحط في هذه القرية و نقيم بها لعدم ظهور تعلق الغفران به و ترتب التبديل عليه إلا أن يقال كانوا مأمورين بهذا القول عند الحط في القرية لمجرد التعبد، و حين لم يعرفوا وجه الحكمة بدلوه، و قرأ ابن أبي عبلة بالنصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حِطَّةٌ أو نسألك ذلك [٣].
الميزان (القرن الرابع عشر)	«قولوا حطة» يعنى «حطّ عنا خطايانا»[٤].

(٢) الكاشاني، ١٤٢٣هـ، م١: ١٥٤ .
(٣) الفيض الكاشاني، ١٤١٥هـ،م١: ١٣٥ .
(٤) الآلوسي، ١٤١٥هـ، م١: ٢٦٦ .
(٥) الطباطبايي، ١٣٨٠، م١: ٢٨٥ .

التحرير والتنوير (القرن الرابع عشر)	وَ قُولُوا حِطَّةٌ الحطة فعلة من الحط و هو الخفض و أصل الصيغة أن تدل على الهيئة و لكنها هنا مراد بها مطلق المصدر، و الظاهر أن هذا القول كان معروفا في ذلك المكان للدلالة على العجز أو هو من أقوال السّؤّال و الشحاذين كيلا يحسب لهم أهل القرية حسابا و لا يأخذوا حذرا منهم فيكون القول الذي أمروا به قولا يخاطبون به أهل القرية.و قيل: المراد من الحطة سؤال غفران الذنوب أي حط عنا ذنوبنا أي اسألوا اللّه غفران ذنوبكم إن دخلتم القرية. و قيل: من الحط بمعنى حط الرحال أي إقامة أي ادخلوا قائلين إنكم ناوون الإقامة بها إذ الحرب و دخول ديار العدو يكون فتحا و يكون صلحا و يكون للغنيمة ثم الإياب. و هذان التأويلان بعيدان و لأن القراءة بالرفع و هي المشهورة تنافي القول بأنها طلب المغفرة لأن المصدر المراد به الدعاء لا يرتفع على معنى الإخبار نحو سقيا و رعيا و إنما يرتفع إذا قصد به المدح أو التعجب لقربها من الخبر دون الدعاء و لا يستعمل الخبر في الدعاء إلا بصيغة الفعل نحو رحمه اللّه و يرحمه اللّه.و (حطة) بالرفع على أنه مبتدأ أو خبر نحو سمع و طاعة و صبر جميل[1].

(١) ابن عاشور، ١٩٨٤هـ، م١: ٥١٥ .

بركزيده تفسير نمونه(القرن الربع عشر)	«حطّة» تعني لغةً «إنزال الذنوب»؛ وتعني في الآية أن "اللهم نسألك أن تغفر ذنوبنا»[1].
تفسير نور (القرن الواحد وعشرون)	«حطة» بمعني «سقوط الذنوب و طلب العفو و اظهار التوبه»[2].

تظهرُ دراسة آراء المفسرين من القرون الأولى إلى القرون الأخيرة باستثناء الزمخشري، فإن معنى «طلب مغفرة الذنب والاستغفار» أكثر شيوعًا، وقد نُقِلَ هذا الاعتقاد الدلالي من المفسّرين الأوائل كمقاتل بن سليمان إلى المفسرين اللاحقين.

٤-١-٢ مستوى الترجمة

أ: الترجمة الفارسية

نُقدّم آراء المترجمين الفارسيّين مقارنا تاثرهم باللغويين والمفسرين في الجدول الآتي:

المترجم	الترجمة	المرجع التفسيري
الهى قمشه‌اى	«(خدايا) گناهان ما را فرو ريز»[3]	مقاتل بن سليمان
انصاريان	«(خدايا خواسته ما) ريزش گناهان است»[4]	مقاتل بن سليمان

(١) شيرازى، ١٣٨٠هـ،م١: ١٨٠ .
(٢) قرائتي، ١٣٧٩، م١: ١٢١ .
(٣) الهى قمشه‌اى، ١٣٨٠هـ: ٩ .
(٤) انصاريان، ١٣٨٣هـ: ٩ .

آیتی	«بار گناه از ما فرو نه» (۱)	مقاتل بن سلیمان
فولادوند	«(خداوندا) گناهان ما را بریز» (۲)	مقاتل بن سلیمان
موسوی گرمارودی	«از لغزش ما بگذر» (۳)	مقاتل بن سلیمان
دهلوی	«سوال ما آمرزشست» (٤)	التبیان فی تفسیر القرآن
کاویان پور	«خدایا، ما را بیامرز (و از تقصیرات ما درگذر)» (٥)	التبیان فی تفسیر القرآن
صفوی	«پروردگارا گناهانمان را فرو ریز» (٦)	مقاتل بن سلیمان
ارفع	«بگویید: خدایا ما را ببخش»	التبیان فی تفسیر القرآن
برزی	«بگویید: حطه (خدایا! بار گناهان ما را بریز» (۷)	مقاتل بن سلیمان
بروجردی	«بگوئید خدایا از گناهان ما در گذر» (۸)	مقاتل بن سلیمان
پورجوادی	«بگویید: گناهان ما را فرو ریز» (۹)	مقاتل بن سلیمان

(۱) آیتی، ۱۳۷٤هـ: ۹ .
(۲) فولادوند، ۱٤۱۸هـ: ۹ .
(۳) گرمارودی، ۱۳۸٤هـ: ۹ .
(٤) دهلوی، د تا: ۱۷ .
(٥) کاویان پور، ۱۳۷۲هـ: ۹ .
(٦) صفوی، ۱۳۸۸هـ: ۱۷۱ .
(۷) برزی، ۱۳۸۲هـ: ۹ .
(۸) بروجردی، ۱۳٦٦هـ: ۱٤ .
(۹) پورجوادی، ۱٤۱٤هـ: ۸ .

صلواتی	«بگویید: [بار خدایا] بخششی!» [1]	التبیان فی تفسیر القرآن
معزی	«بگوئید کاهشی» [2]	
نوبری	«بگوئید خدایا داخل شدن ما به اینجا سبب ریزش گناهان است» [3]	مقاتل بن سلیمان

فی تحلیل هذا الجدول للمترجمین یمکن القول إنّ عددًا کبیرًا منهم یؤمن بمعنی «سقوط الخطیئة» وقد جعل مرجعهم التفسیري هو التفسیرات الأولی مثل «مقاتل ابن سلیمان»، لکن عددٌ قلیلٌ منهم افترق عن بعض التفسیرات الأولی وقد ترجموا کلمة «حطّة» بمعنی أحدث، أي «الاستغفار و طلب الغفران»، واختاروا تفسیرات مثل «التبیان في تفسیر القرآن»، أي بعد القرون الأولی و جعلوا معنی «الاستغفار» جانب معنی «سقوط الذنب»

ب: الترجمة الإنجیلیزیة

تُذکر في الجدول التالي المعادلات التي قدّمها بعض المترجمین الإنجلیز لکلمة «حطّة»في القرآن:

حمید شاکر	«forgive» [4] یعني العفو
اروینگ	«forgive» [5]
صفار زاده	«forgive» [6]
قرایي	«forgive» [7]

(١) صلواتی، ١٣٨٧هـ: ٩ .
(٢) معزی، ١٣٧٢هـ: ٩ .
(٣) نوبری، ١٣٩٦هـ: ٧ .
(٤) حمید شاکر،١٩٨٢م: ٩ .
(٥) اروینگ،١٣٩٠هـ: ٩ .
(٦) صفار زاده، ١٣٨٨هـ: ٢١ .
(٧) قرایی،١٣٩٢هـ: ٩ .

پیکتال	«forgive» [1]
احمد	«forgiveness» [2]
یوسف علي	«forgive» [3]

وفقًا للمعادلات التي اختارها المترجمون الإنجليز لكلمة «حطّة»، استنتج أن جميعهم مثل المترجمين الفرس لديهم معنى «الاستغفار و طلب الغفران» ولا توجد معادلات تشير إلى معان أُخر.

٤-٢-التحليل النحوي و البلاغي لكلمة «حطّة»

إنّ لكلمة «حطّة» في عبارة «قولوا حطّة» حسب المصادر إعراب الرفع أو النصب. ونظراً لفعل «قولوا» الذي يُخطِر طلبًا ببالنا، يمكن تقدير الجملة الطلبيّة التي بيّنت في إطار الجملة الإنشائيّة او الخبريّة. يعتقد بعض المفسّرين أن كلمة «حطّة» كانت منصوبا، لكنها استخدمت في الشكل المرفوع لتبيين الثبوت والدوام و مثل جملة « اِصبِر صبراً» هي على شكل «حُطَّ عنا خطايانا حطةً » واعتبروها المفعول المطلق للتوكيد [4]؛ وفعل الأمر«قولوا» له دلالات مختلفة كالارشاد. بالنظر إلى سياق الآية وفعل «نغفر» الّذي أتى في جواب الطلب و قد صار مجزوما بعد فعل الأمر«قولوا»، من أجل ثبوت الاستغفار وطلب التوبة من قبل بني إسرائيل من الله تعالى، الأمر الذي يؤدي حسب الآية نفسها إلى مغفرتهم.

ويمكن عد كلمة «حطّة» خبراً للمبتدأ المحذوف كما رفعت في الآية وعدّ الجملة جملة خبريّة من نوع الجملة الاسمية أي «طلبُنا حطّة» إذ يكون كل الجملة منصوبا على المفعول حتّى تصبح جملة خبريّة تظهر معنى الجملة الإنشائية ودوام طلب بني إسرائيل. كما عدَّ

(١) پيكتال، ١٣٧٧هـ: ٩ .
(٢) احمد، ١٩٧٩م: ٩ .
(٣) يوسف علي، د تا: ٩ .
(٤) الزمخشري، ١٤٠٧هـ، م١: ١٤٢ .

محمود صافي في كتابه «الجدول فى اعراب القرآن »، كلمة «حطّة» خبرا للمبتدا المحذوف أي «مسالتنا حطّة»[1]. كذلک محيى الدين الدرويش له اعتقاد مشابه ويبينّ :« (و قولوا) عطف على ادخلوا (حطّة) خبر لمبتدا محذوف أي مسألتنا حطّة أو أمرنا حطّة والجملة الإسمية مقول القول والأصل فيها النصب، لأن معناها حطّ عنا ذنوبنا ولكنه عدل الى الرفع للدلالة على ديمومة الحطّ و الثبات عليه»[2].

فى حقل التقديم و التأخير للدخول فى الباب سجّدا في الآيتين المختلفتين ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البَقَرَة الآية ٥٨] و﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الاعراف الآية ١٦١] وقف الزمخشريّ على هذا الاختلاف على استحياء ولم يشأ الدخول في غماره و أعماقه ،فاكتفى بقوله: لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ، ولاتناقض بين قوله ﴿ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا﴾ و بين قوله ﴿فَكُلُواْ﴾ لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها ، سواء قدّموا الحطة على دخول الباب أو أخّروها فهم جامعون في الايجاد بينهم، وترك الرغد لا يناقض إثباته[3].

والحق أنّ السياق اختلف فأدّى إلى معانٍ بلاغية دقيقة ، فقد جاء صدر الآية في السياق الأول بالفعل المبني للمعلوم بإثبات (نا) لله تعالى على التعظيم فقالوا : ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ فناسب ذلك المقام ذكر ﴿رَغَدًا﴾ على التنكير التفخيمي و لما كان الدخول في قوله ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ غير السكن في قوله : ﴿ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ لان السكن يعني اللبث والاقامة والاطمئنان، فقد جاء في السياق الاول الفاء في ﴿فَكُلُواْ﴾ والثاني ﴿وَكُلُواْ﴾... وقدّم ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ على قوله : ﴿قُولُواْ حِطَّةٌ﴾ في سورة البقرة و أخّرها في الأعراف لأن السابق في هذه السورة(ادخلوا) فبيّن كيفية الدخول.. وفي هذه السورة (أي سورة البقرة)﴿وَسَنَزِيدُ﴾

(١) – الصافى، ١٩٩٥م، م١: ١٣٥ .
(٢) – الدرويش،٢٠٠٩م، م١: ١٠٨ .
(٣) الزمخشري،١٩٨٧،م٢: ١٧٠ .

بواو ، وفي سورة الأعراف ﴿سَنَزِيدُ﴾ بغير واو، لأن اتصالها في هذه السورة أشد لاتفاق اللفظين . واختلفا في سورة الاعراف فكان اللائق به ﴿سَنَزِيدُ﴾ فحذف الواو ليكون استئنافا للكلام. (١) إن رصف الكلمات في الآيتين له معان مهمة ومساعدة لإرسال المعنى الى المخاطب و هذا الموضوع دور مهم في هاتين الآيتين .

الله تعالى لم يرد ذكر الأكل بعد دخول القرية مباشرة و إنما أمرهم بالسكن أولا ثم الأكل ﴿ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ﴾... جعل الأكل عقب الدخول وهذا من مقام النعمة والتكريم ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ﴾ الفاء تفيد الترتيب والتعقيب ولم يذكر رغدا لأنهم لا يستحقون رغد العيش مع ذكر معاصيهم ... ﴿رَغَدًا﴾ تذكير بالنعم وهم يستحقون رغد العيش كما لسياق الآيات دلالة على هذا(٢).

فى قوله تعالى : ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [الأَعرَاف الآية ١٦١] لم يقدّم السجود هنا لأن السجود من أدنى ما يكون العبد لربه وهم في السياق هنا مبعدون عن ربهم لمعاصيهم... ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ بُديء به في مقام التجليل وتقديم السجود وعمل مناسب للأمر بالصلاة الّذي أتى في سياق السورة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾[البَقَرَة الآية ٤٣] والسجود هو من أشرف العبادات و ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ [البَقَرَة الآية ٥٨] والخطيئات جمع الخطيئة و يدل هذا الجمع على ذنوب قليلة بالنسبة للخطايا و أتى هنا في مقام التأنيب وهو يتناسب مع مقام التأنيب والذم في السورة .. ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ الخطايا ايضا جمع كثرة للخطيئة وإذا غفر الخطايا فقد غفر الخطيئات بالطبع وهذا يتناسق مع مقام التكريم الذي جاء في السورة و ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ لم يأت الله تعالى بالواو هنا لأن المقام ليس فيه تكريم و تنعيم و تفضل .. و ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الإتيان بالواو هنا تشير إلى الاعتناء و التقسيم و لذلك تأتي الواو في موقع العناية و ذكر

(١) الكرماني،١٩٩٨: ١١٠ .

(٢) السامرائى،٢٠٠٣م:٤٩٦ .

النعم.[1]

من خلال الاهتمام بالتوضيحات الآنفة وتقدير العبارة الاسمية «طلبنا حطّة» المخفية في عبارة «قولوا حطّة» والدلالة على الثبوت، يمكن استلام معنى الاستغفار والتوبة من بني إسرائيل مع الثبوت و الدوام و إراءة عبارة «قولوا حطّة»في الآية شكل طلب دائم في الترجمة الفارسية، أي (بگوييد (خدايا) خواسته هميشگى ما، استغفار و طلب توبه است).

٥- النتائج

بناء على ما ذكر يمكن الإشارة إلى النتائج الآتية :

حسب المعاني المختلفة لكلمة «حطّة» قبل العصر الإسلامي في أشعار الشعراء الجاهليين، يمكن الاستنتاج أن بعض المعاني قريبة من جذر الكلمة ويكون في شبكة اتصال معينة، والمعاني الأخرى معانٍ فرعية؛أي أن معاني «إنزال شيء من العلوّ» و«إنزال الحمل من ظهر الدّابّة» و«إنزال قَدْر الإنسان» يمكن عدّها المعاني الرئيسة لهذه الكلمة وتحت معنى واحد، أي« إنزال شيءما»ومعاني « (الخصر) الناعم»، و« (وجه) غير صاف»، و«(الناقة) الناعبة»، و«الصقل بأداة حديديّة» تكون في ضمن المعاني الفرعيّة.

أظهر جدول مؤلفي المعجمات آراءهم حول كلمة «حطّة» في القرآن متأثرة بالخليل بن أحمد الفراهيدي ، الذي كتب أول القاموس العربي «العين»، وتبع مؤلفو القواميس آراءه حول كلمة« حطّة»في القرآن وهو معنى «طلب إنزال أعباء الخطيئة الثقيلة» الّذي سأله بنو إسرائيل.

أظهرت دراسة آراء المفسرين من القرون الأولى إلى القرون الأخيرة أن معنى « الاستغفار و طلب سقوط الذنوب» بينهم له أكثر رواجا إلّا الزمخشري، وقد انتقل هذا الاعتقاد الدلالي من المفسرين الأوائل مثل مقاتل بن سليمان إلى المفسرين الآتيين.

كان تفسير جدول المترجمين الفارسيين أن عددا كثيرا منهم يؤمن بمعنى "سقوط

(١) المصدر نفسه : ٤٩٦ .

الخطيئة" ووضعوا مرجعهم التفسيري التفسيرات الأولى مثل «مقاتل بن سليمان» ولكن قليل منهم ابتعدوا عن التفسيرات السابقة و لقد ترجموا كلمة «حطّة» بمعنى «الاستغفار و طلب الغفران» واختاروا تفسيرات مثل "التبيان في تفسير القرآن" كمرجع لهم.

على وفق المعادلات التي اختارها المترجمون الإنجليز لكلمة «حطّة»، يمكننا الإستنتاج أنّهم مثل المترجمين الفارسيين، لهم رغبة كبرى في معنى «الاستغفار و طلب الغفران» وتأثروا بتفسير «التبيان في تفسير القرآن».

بالنظر إلى سياق الآيات والدور النحوي لهذه الكلمة وتقدير العبارة الاسمية «طلبنا حطّة» في الآية المستخدمة في معنى الجملة الإنشائيّة، يمكن القول إنها تعني « ثبوت طلب بني إسرائيل و استمراره » و في الترجمة من الضروري أن نهتمّ بهذه النقطة واقترحنا ترجمها على هذا النحو« خدايا خواسته هميشگی ما، ريزش گناهان است»

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم

٢. ديوان امروالقيس، ابن حجر الكندى، امروالقيس (٢٠٠٤). شرح: عبدالرحمن المصطاوى، چاپ دوم، لبنان: دارالمعرفه.

٣. جمهره اللغه، ج٢، ط١،ابن دريد، محمد بن حسن (١٣٤٥). حيدرآباد: مجلس دائره المعارف العثمانيه الكائنه.

٤. تفسير التحرير و التنوير،ابن عاشور، محمد طاهر (١٩٨٤). م١، تونس: الدار التونسيه للنشر.

٥. التفسير المنسوب الى الامام الحسن بن على العسكرى،ابن على(ع)، الحسن (١٤٠٩). م١، ط١، قم: مدرسه الامام المهدى(ع).

٦. مقاييس اللغه، تحقيق: محمد هارون، مابن فارس، احمد (١٣٦٦).٢، ط١، قاهره: دار احياء الكتب العربيه.

٧. لسان العرب،ابن منظور، محمد (لاتا). م٢، قاهره: دار المعارف.

٨. روض الجنان و روح الجنان فى تفسير القرآن،ابوالفتوح رازى، حسين بن علي (١٤٠٨). تصحيح: محمد ناصح و محمد ياحقى، ج١، چاپ اول، مشهد: آستان قدس رضوى.

٩. ترجمه قرآن كريم،الهى قمشه اى، مهدى (١٣٨٠). چاپ دوم، قم: فاطمه الزهرا(س).

١٠. ديوان كعب بن زهير،ابى سلمى، كعب بن زهير (١٩٩٧). تحقيق: على فاعور، لبنان: دار الكتب العلميه.

١١. ترجمه انگليسى قرآن كريم،احمد، محمد (١٩٧٩). لندن: بى‌نا.

١٢. ترجمه قرآن کریم، چارفع، کاظم (١٣٨١). اپ اول، تهران: فیض کاشانی.

١٣. ترجمه انگلیسی قرآن کریم،ارووینگ، تی. بی (١٣٩٢). چاپ سوم، بی‌جا: شرکت چاپ و نشر بین الملل.

١٤. تهذیب اللغه،ازهری، محمدبن احمد (٣٧٠هـ). تحقیق: ریاض زکی قاسم، ج٣، لبنان: دارالمعرفه.

١٥. المفردات فی غریب القرآن،اصفهانی، راغب (١٤١٢). تحقیق: صفوان عدنان الداودی، چاپ اول، بیروت: دار القلم.

١٦. ترجمه قرآن کریم،انصاریان، حسین (١٣٨٣). چاپ اول، قم: اسوه.

١٧. ساختمان مفاهیم اخلاقی –دینی در قرآن،ایزتسو، توشی هیکو (١٣٦١). ترجمه: فریدون بدره‌ای، تهران: قلم.

١٨. روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم و السبع المثانی،آلوسی، محمود بن عبدالله (١٤١٥). تحقیق: علی عبدالباری عطیه، گردآورنده: سنا بزیع شمس الدین و ابراهیم شمس الدین، ج١، چاپ اول، لبنان: دار الکتب العلمیه.

١٩. ترجمه قرآن کریم، آیتی، عبدالمحمد (١٣٧٤). چاپ چهارم، تهران: سروش.

٢٠. ترجمه قرآن کریم و نکات نحوی،برزی، اصغر (١٣٨٢). چاپ اول، تهران: بنیاد قرآن.

٢١. ترجمه قرآن کریم،بروجردی،محمد (١٣٦٦). چاپ ششم، تهران: کتابخانه صدر.

٢٢. تفسیر مقاتل بن سلیمان،بن سلیمان، مقاتل (١٤٢٣). تحقیق: عبدالله شحاته، ج١، چاپ اول، لبنان: دار احیا التراث العربی.

٢٣. نگاهی تازه به معناشناسی،پالمر، فرانک (١٣٦٦). ترجمه: کورش صفوی، چاپ اول، تهران: مرکز.

٢٤. ترجمه انگلیسی قرآن کریم،پیکتال، مارمادوک (١٣٧٧). چاپ اول، تهران: جاجرمی.

٢٥. واژه‌های دخیل در قرآن مجید،جفری، آرتور (١٣٨٦). ترجمه: فریدون بدره‌ای، تهران: توس.

٢٦. الصحاح تاج اللغه و صحاح العربیه، تاجلجوهری، اسماعیل بن حماد (١٤٠٤). حقیق: عبد الغفور عطار، ج٣، لبنان: دار العلم للملایین.

٢٧. علم الدلاله،جیرو، پیر (١٩٨٨). ترجمه: دکتور منذر عیاشی، چاپ اول، ،دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمه والنشر.

٢٨. ترجمه قرآن کریم،چورجوادی، کاظم (١٤١٤). چاپ اول، تهران: بنیاد دائره المعارف اسلامی.

٢٩. حمیدشاکر، محمد (١٩٨٢). ترجمه انگلیسی قرآن کریم، نیویورک: بی‌نا.

٣٠. ترجمه قرآن کریم،دهلوی، احمد بن عبدالرحیم (بی‌تا). چاپ اول، سراوان: کتاب فروشی نور.

٣١. دیوان نابغه ذبیانی،الذبیانی، نابغه (١٩٩٦). شرح: عباس عبد الساتر، چاپ سوم، لبنان: دار الکتب العلمیه.

٣٢. تاج العروس من جواهر العروس، الزبیدی، سید مرتضی (١٩٩٤). تحقیق: علی شیری، ج١٠، لبنان: دار الفکر.

٣٣. الکشاف عن حقائق غوامض التنزیل و عیون الاقاویل في وجوه التاویل، الزمخشری، محمود بن عمر (١٤٠٧). تصحیح: مصطفی حسین احمد،ج١، چاپ سوم،لبنان:دار الکتاب العربی.

٣٤. لمسات بیانیة في نصوص من التنزیل،السامرائي،فاضل بن صالح، (٢٠٠٣م) ، ط٣،اردن: دار عمار للنشر و التوزیع.

٣٥. مختارات من شعر اشجع السمى،السلّمي، اشجع بن عمرو (٨١١م). الرياض: جامعه الملک سعود.

٣٦. الاتقان فی علوم القرآن،السيوطی، جلال الدين (١٤٢٩). ج١، چاپ اول، لبنان: موسسه الرساله ناشرون.

٣٧. مبانی معناشناسی نوين،شعيری، حميدرضا (١٣٨١). چاپ اول، تهران: سمت.

٣٨. برگزيدۀ تفسير نمونه،شيرازی ، مكارم (١٣٨٠). تحقيق: احمد علی بابايی، ج١، چاپ دهم، تهران: دار الكتب الاسلاميه.

٣٩. نهج البيان عن كشف معانی القرآن،شيباني، محمد بن حسن (١٤١٣). تحقيق: حسين درگاهی، ج١، چاپ اول، قم: الهادی.

٤٠. المحيط فی اللغه،صاحب بن عباد، ابوالقاسم (٣٢٦هـ). تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ج٢، بيروت: عالم الكتب.

٤١. ترجمه قرآن كريم،صادق نوبری، عبد المجيد (١٣٩٦). تهران: اقبال.

٤٢. ترجمه انگليسی قرآن كريم،صفارزاده، طاهره (١٣٨٨). چاپ چهارم، تهران: اسوه.

٤٣. ترجمه قرآن كريم بر اساس الميزان،صفوی، محمدرضا (١٣٨٨). چاپ اول، قم: دفتر نشر معارف.

٤٤. ترجمه قرآن كريم،صلواتی، محمود (١٣٨٧). چاپ اول، تهران: مبارک.

٤٥. الجدول فی اعراب القرآن و صرفه و بيانه مع فوائد نحويه هامه،صافی، محمود (١٩٩٥). ج١، ط١، بيروت: دارالرشيد.

٤٦. ترجمه تفسير الميزان،طباطبايی، محمد حسين (١٣٨٠). ترجمه: حجه الاسلام موسوی همدانی، ج١، چاپ سيزدهم، قم: انتشارات اسلامی.

٤٧. مجمع البيان فی تفسير القرآن،الطبرسی، فضل بن حسن (١٣٧٢). تصحيح:

فضل الله يزدى طباطبايى و هاشم رسولى، ج١، چاپ سوم، تهران: ناصر خسرو.

٤٨. تفسير جوامع الجامع، ج١،الطبرى، محمد بن جرير (١٤١٢). چاپ اول، لبنان: دار المعرفه.

٤٩. التبيان فى تفسير القرآن،الطوسى، محمد بن حسن (بى‌تا). تصحيح: احمد حبيب عاملى، ج١، لبنان: دار احيا التراث العربى.

٥٠. تفسير العياشى،العياشى، محمد بن مسعود (١٣٨٠). تحقيق: هاشم رسولى، ج١، چاپ اول، تهران: مكتبه العلميه الاسلاميه.

٥١. كتاب العين،الفراهيدى، خليل بن احمد (٢٠٠٣). تحقيق: عبدالحميد هنداوى، ج١، ط١، لبنان: دار الكتب العلميه.

٥٢. ترجمه قرآن كريم،فولادوند، محمد (١٤١٨). چاپ سوم، تهران: نشر مطالعات تاريخ و معارف اسلامى.

٥٣. تفسير الصافى،فيض كاشانى، محمد (١٤١٥). تصحيح: حسين اعلمى، ج١، چاپ دوم، تهران: مكتبه الصدر.

٥٤. المصباح المنيرفى غريب الشرح الكبير،فيومى، احمد بن محمد (١٤١٤). ج١، قم: موسسه دار الهجره.

٥٥. قاموس قرآن،ج٢،قرشى،على اكبر،(١٣٧١).تهران:دارالكتب الاسلاميه.

٥٦. ترجمه انگليسى قرآن كريم، قرايى، سيد على قلى (١٣٩٢). چاپ اول، مشهد: انتشارات آستان قدس رضوى.

٥٧. تفسير نور،قرائتي، محسن (١٣٧٩). ج١، چاپ چهارم، تهران: مركز فرهنگى درس‌هايى از قرآن.

٥٨. تفسير القمى،قمى، على بن ابراهيم (١٣٦٣). تحقيق: طيب موسوى، ج٢، چاپ سوم، قم: دار الكتاب.

٥٩. البرهان فی متشابه القرآن ،الکرمانی ،(١٩٩٨)،تحقیق: احمد خلف الله ،ط٢، دار الوفاء بالمنصورة.

٦٠. ترجمه قرآن کریم، کاویان پور، احمد (١٣٧٢).چاپ سوم، تهران: اقبال.

٦١. زبده التفاسیر،کاشانی، فتح الله (١٤٢٣). تحقیق: بنیاد معارف اسلامی، ج١، چاپ اول، قم: موسسه المعارف الاسلامیه.

٦٢. درآمدی بر معناشناسی در زبان عربی،مزبان، علی حسن (١٣٩٤)، ترجمه:فرشید ترکاشوند، چاپ اول، تهران: سمت.

٦٣. ترجمه قرآن کریم، معزی، محمد (١٣٧٢).چاپ اول، قم: اسوه.

٦٤. ترجمه قرآن کریم، موسوی گرمارودی، علی (١٣٨٤).چاپ دوم، تهران:قدیانی.

٦٥. دیوان الهذلیین،الهذلی، المتنخل (١٩٦٥). م٢، قاهره: الدار القومیه.

٦٦. ترجمه انگلیسی قرآن کریم،یوسف علی، عبد الله (بی تا). عربستان: دار القرآن رسمی.

٦٧. مقدمه فی علمی الدلاله و التخاطب،یونس علی، محمد (٢٠٠٤). ط١، لبنان: دارالکتاب الجدید المتحده.

مقالات

١. «متناسب سازی نظریه «مربع معناشناسی» در قرآن کریم»،اناری بزچلوئي،ابراهیم و زهرا شیخ حسینی ،(١٣٩٤)،مجله پژوهش های زبان شناختی قرآن ، سال چهارم، ش دوم، ص ١٢١-١٣٦.

٢. «بحثی پیرامون معناشناسی »،زمردیان،رضا،(١٣٥٣)،مجله دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه فردوسی ،ش ٣٨.

٣. «معناشناسی واژه رب»، کردنژاد، نسرین (١٣٨٩). فصلنامه تخصصی علوم قرآن و حدیث، دانشگاه فردوسی مشهد، ش٤، صص٣٤-٥١.

٤. «معناشناسی واژه ذکر در قرآن کریم»،مروتی، سهراب و سارا ساکی (١٣٩٢). مجله آموزه‌های قرآنی، دانشگاه علوم اسلامی رضوی، ش ١٧، صص١٣٥-١٥٤.

٥. «ارزیابی دیدگاه مفسران دربارۀ معناشناسی معیشت ضنک در آیه ١٢٤طه»، موسوی مقدم، محمد وآخرون (١٣٩٥). مجله مطالعات تفسیری، دانشگاه معارف اسلامی، ش٢٧، صص٦٧-٨٨.نبویان محمود (١٣٨٩). «تحلیل معناشناسی حق»، مجله آیین حکمت، دانشگاه باقر العلوم (ع)، ش٦، صص ١٧٣-٢١٤.

٦. «معناشناسی عبودیت در قرآن »، هادی، اصغر (١٣٩١).مجله آموزه‌های قرآنی، دانشگاه علوم اسلامی رضوی، ش١٦، صص٢٣-٥٢.

سلك عوني تكن

الأساليب الحجاجيَّة عند ابن شهرآشوب المازندرانيّ "٥٨٨هـ" في كتابه "متشابه القرآن والمختلف فيه" قراءة معرفيَّة

م . د . حيدر عواد رفيج
جامعة ذي قار / كليّة الآداب

The argumentative methods according to Ibn Shahr Ashub al-MazanDARANI "588 AH" IN HIS BOOK“The Qur'an is similar but differs in it” a cognitive reaing

Asst.Dr.Haider Awad Rafij
College of Arts / University of Dhi Qar
Email : alqadeeri12@yahoo.com

ملخَّص البحث

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ تسمية ابن شهرآشوب تفسيره الموضوعيّ بـ "متشابه القرآن والمختلف فيه" لا تخلو من لمحةٍ حجاجيّةٍ مؤسسٍ لها، يسعى البحث في جلاها واستكشافها، وملحظٍ إقناعيّ يبتغيه المؤلف من وسم مؤلَّفه بهذا الميسم، ولاسيما أنَّ الإقناع هو هدف الحِجَاج الجليل مقارنة بالأهداف الأخرى؛ فالمختلفات تدلُّ على وجود قولين أو أكثر وكلُّ صاحب قولٍ يحتاج إلى مرجّحات، يتبناها ويدافع عنها وتدخل في ضمن دائرة قبليَّاته. وتتمثَّل القبليَّات في مجموعة المعارف والعلوم والفنون التي يتمتع بها منتج النصّ قبل الولوج في عملية التحليل واستدعاء الأدلة، وهذه القبليَّات غالباً ما تكون مؤثرة في اصطباغ النصوص بالتصورات الأوَّليَّة للمنتج، فيؤيّد رأيًا ويدحض آخرَ وكلُّ هذا إنَّما يحدث في دائرةٍ حجاجيّةٍ متمثلةٍ بأيقونةٍ مشتملةٍ على سلسلة الحجج المتوالية، واحدة تلو الأخرى وصولاً للإقناع.

الكلمات المفتاحية :الحجاج ،شهرآشوب، المتشابه، قراءة معرفية .

Abstract

There is no doubt that naming Ibn Shahrashob his substantive interpretation as “similar to the Qur'an and different in it” is not without a pilgrimage that is founding for it seeking research in its discovery and exploration and a persuasive note that the author seeks from the mark of his author with this maisam especially since persuasion is the goal of the great pilgrims compared to goals The other; The differences indicate the existence of two or more words and every one who has a saying needs to be weighted adopts and defends it and falls within the circle of his tribes. Tribalities are represented in the set of knowledge science and arts that the producer of the text enjoys before entering the process of analysis and summoning evidence. These tribes are often influencing the coloring of texts with the initial perceptions of the product so he endorses one opinion and refutes another and all of this occurs in a pilgrimage circle represented by an icon that includes the Hajj series. Sequence one after the other to persuade.

Keywords : Al-Hajjaj, Shahrachoub, Al-Mustahib, cognitive, reading.

تقديم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والتسليم على خير خلقه أجمعين... محمدٍ وأهل بيته الطيبين الطاهرين.... وأصحابه المنتجبين ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ النظريَّة الحِجَاجيّة هي نظريَّة لسانيَّة مهمَّة يتجلَّى منظورها اللغويّ في أبحاث "أوزفالد ديكرو" عن الحِجَاج في اللغة، وقد يولد الحِجَاج ضمن سياقٍ ثقافيّ له صفة الحاكميَّة على اللسانيَّات التداوليَّة في بيئة لغويَّة محدَّدة، أو مجموعة بيئات يجمعها السياق الثقافيّ ويؤثر في توجيه خطابها الحِجَاجيّ فيزيد أو ينقص من قدرته التأثيريَّة في توجيه الأذهان إلى الإذعان وتقبل الأطروحات المعروضة، وممَّا يلحظ على حقبة ابن شهرآشوب أنَّها مرحلة جدليَّة كثرت فيها المتناقضات وانمازت بتعدد المذاهب والفرق، وهذا يستدعي وجود ذهنيَّة ذات عمقٍ حجاجيّ وثقافة لسانيَّة عالية ممنهجة في استحضار الأدلة سواء أكانت قرآنيَّة، أم حديثيَّة، أم شعريَّة؛ لئلَّا يدخل المحاجِج في منظومة المعارف الحِجَاجيّة وهو لا يملك أو يعيّن المنهج الذي يسير على وفق خطاه.

ولأنَّ السبيل إلى «العقل، والمنطق، والتسامح، والاختلاف، والحوار، والبناء، والجدال الحسن» إنَّما يكون من طريق الحِجَاج. ولأنَّ القرآن الكريم كتاب إلهيّ يفيض بالكنوز والدفائن بوصفه مستبطنًا لأحكام متناسقة مُحْبَكة النسيج لا تناقض فيها ولا تعارض، معانيها جزلة وصياغاتها رائعة، وكذا فهو عميق في معالجاته مسائل الحياة والكون، ما يدلُّ على وجود علومٍ ثمينة وأهدافٍ خافية بين دفتيه لم يُتَح الاطّلاع عليها، لذا برزت الحاجة إلى عقولٍ نيّرة في استجلاء تلك العلوم، إذ تستخرجها وتبرزها إلى الواقع المعيش على وفق أسلوب حجاجيّ يتطلب العمق المنطقيّ والفلسفيّ تارةً، والمعرفة اللغويّة تارة أخرى وهذا ما اجتمع في شخصيَّة ابن شهرآشوب.

المبحث الأوَّل: مكوّنات العنوان "مقاربات تأصيليَّة"

المطلب الأوَّل: الشيخ ابن شهرآشوب المازندرانيّ تعريفًا ، اسمه ونسبه ونشأته:

يكفي مؤونة البحث في التعريف بابن شهرآشوب ما تُعرِّف به نتاجاته العلميَّة، وعلى سبيل الإجمال ما عرَّفهُ به من سبقني من الباحثين[١]، فالظاهر أنَّ أول من ترجم لابن شهرآشوب وعرَّف به هو تلميذه أبو الفضل الحلبيّ(ت٦٣٠هـ)[٢]. إنَّه الشيخ الفقيه الحافظ أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن شهرآشوب بن كياكي، المكنَّى بأبي نصر ابن أبي الجيش السرويّ المازندرانيّ، نسبة إلى مدينة ساري مركز مدينة مازندران، ومدينة مازندران اسمٌ محدَّثٌ لولاية «طبرستان»[٣].

ولد الشيخ في جمادى الثانية من سنة ٤٨٩هـ ؛ على الرغم من أنَّ أصحاب التراجم لم يصرحوا بسنةِ ولادته، إلَّا أنَّ أكثرهم يُشير إلى أنَّه تُوفّي وله من العمر «تسع وتسعون سنةً وشهران»، فهذا الصفديّ (ت ٧٦٤هـ) مثلًا، يقول: ((عاش تسعًا وتسعين سنةً وشهرين ونصفا))[٤]. ويوافقه الفيروزآباديّ (ت٨١٧ هـ) معنىً ويختلف عنه لفظاً؛ إذ يقول: ((عاش مئة سنة إلَّا عشرة أشهر))[٥]. ويذكر صاحب الذريعة أنَّه عاشَ تسعًا وتسعين سنةً

(١) أفاض في ترجمته جواد كاظم البيضاني في كتابه (ابن شهرآشوب المازندراني ومكانته العلمية)، وعلي الكعبي في بحثه المنشور في مجلَّة قضايا إسلامية والموسوم بـ (منهج ابن شهرآشوب في تفسير متشابه القرآن)، والدكتورة سلوى خضير بوهان في أطروحتها الموسومة بـ (منهج ابن شهرآشوب في متشابه القرآن والمختلف فيه).

(٢) يحيى بن أبي طيء: حَمُيد بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن الحسن بن صالح بن علي بن سعد بن أبي الخير الطائي، أبو الفضل النجَّار الحلبي. يُنظر: لسان الميزان: ٨/ ٤٥٣، وابن شهرآشوب المازنداني ومكانته العلمية: ٧٩.

(٣) يُنظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ): ٥/ ٤١، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ):٧/ ٣٨٩، ومعالم العلماء لابن شهرآشوب: ٩، وابن شهرآشوب المازندراني ومكانته العلمية، جواد كاظم البيضاني: ٧٩، ومنهج ابن شهرآشوب في متشابه القرآن والمختلف فيه، سلوى خضير بوهان. أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م: ١٤.

(٤) الوافي بالوفيات: ٤/ ١١٩.

(٥) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ٢٧٩.

وأحد عشر شهرًا[١]. وانفرد الزركلّي حين حدَّد سنة ولادته بعام «٤٨٨ – ٥٨٨هـ»، وهو أيضًا ما ذهب إليه السبحانيّ في موسوعته[٢].

نشأ المازندرانيّ في بيتٍ عُرِف بالتقوى والعلم والصلاح، وتلقّى العلمَ عن والده الشيخ علي بن شهرآشوب العالِم الفاضل الفقيه ونقل عنه في المناقب فقال: ((وحدَّثني أبي شهرآشوب بإسنادٍ له إلى النبيّ ﷺ: لكلِّ شيءٍ جواز وجواز الصراط: حبُّ عليّ بن ابي طالب))[٣]. وروى عن جدّه شهرآشوب[٤]، ذلك الشيخ الذي أثنى عليه الحرّ العامليّ «١١٠٤هـ» بقوله: ((الشيخ شهرآشوب المازندرانيّ. فاضلٌ محدِّث، روى عنه ابنُهُ علي وابنُ ابنِهِ محمد بن علي))[٥].

كان الشيخ عالمًا وافرًا، ومثقّفًا رائقًا، ونمطًا فريدًا في الأخلاق، وقد أبدع في أفانين المعرفة، وآية ذلك في قوله: ((فنظرت: بعين الإنصاف، ورفضت مذهب التعصّب في الخلاف، وكتبت على نفسي أن أُميّز الشبهة من الحُجَّة، والبدعة من السُنَّة، وأُفرّقُ بين الصحيح والسقيم والحديث والقديم، وأعرفُ الحقَّ من الباطل، والمفضولَ من الفاضل))[٦].

المطلب الثاني: مفهوم الحِجَاج وتضاديَّته

الحِجَاج مفهوم عام تدور أغلب معانيه في المعجم العربي حول مادة «حجج» فهذا ابن منظور(ت٧١١هـ)يشير إلى أنَّ ((الحُجَّةُ: البُرهان؛ وقيل: الحجَّة ما دوفِعَ به الخصمُ، والحُجَّة الوجهُ الذي يكون به الظفرُ عند الخصومة. وهو رجلٌ محجاجٌ أي جَدِلٌ. والتحاجُّ: التخاصم، وجمعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّهُ مُحاجَّةً وحِجاجاً: نازعه الحُجَّةَ. وحجَّهُ

(١) يُنظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني: ٢/ ١٢.
(٢) يُنظر: الأعلام: ٦/ ٢٧٩، وموسوعة طبقات الفقهاء: ٦/ ٢٨٥.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٧٨.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٣.
(٥) أمل الآمل: ٢/ ١٣٣.
(٦) مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٨ .

يَحُجُّهُ حَجًّا: غلبه على حُجَّته، والحُجَّة: الدليل والبرهان.... وأحُجُّ خصمي؛ أي أغلبه بالحُجَّة))[1]. أمَّا عند ابن شهرآشوب فإنَّ الحجَّة تعني ((النكتة التي عليها الاعتمادُ في التأدية إلى البُغية .... وتسمَّى أيضاً بُرهاناً وبيّنة))[2].

والحِجَاج في حدِّ ذاته وبعيداً عن التعريفات اللغويّة والاصطلاحية إنَّما يمثّل حركةً تضاديَّة ومحوراً براغماتيًّا يسعى من خلاله المتكلم إلى زعزعة نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه وإعادة بلورتها وبنائها بنظامٍ دلاليّ جديد بوساطة الوسائل اللغويّة، ممَّا يجعل المخاطَب عائماً بين معنيين أو مفهومين: الأوَّل قارٌّ في ذهنه، والثاني مصطنع افتعله المخاطِب لأجلِ الإقناع. وبهذا يكون الحِجَاج عبارة عن ((مجموعة من الاستراتيجيَّات الخطابيَّة لمتكلمٍ ما، يتوجه بخطابه إلى مستمعٍ معيَّن من أجل تعديل الحكم الذي لديه عن وضعٍ محدَّد))[3]، وربَّما حُمِل على معانٍ ثلاثة: أوَّلُها، الحجَّة المجردة بوصفها بناءً استدلاليًّا يستقل بنفسه. والثاني، الحجَّة الموجَّهة بوصفها فعلاً استدلاليًّا يأتي به المتكلم. أمَّا الثالث فهو الحجة المقوَّمة بوصفها فعلًا استدلاليًّا يأتي به المبدع لغرض إفادة المتلقي وينهض المتلقي بتقويمه؛ لأنَّ في إبداء الرأي أو الحجَّة مصلحةً لمبديه قبل قارئه ومتلقيه، فالكتمان ربَّما يبقيه على الخطأ والإظهار يردُّه إلى صوابه[4]. وهناك من وضع مجموعة نقاط بها يتميَّز الحِجَاج من غيره من المترادفات كالمناظرة والمناقشة، وبها يدخل في حيّز العمليات الخطابيَّة والكتابيَّة وهذه الأسس هي[5]:

أوَّلًا: الحِجَاج يكون بين طرفين اثنين. الأوَّل: مرسل «محاجج»، والثاني: متلقي «مرسل إليه» محاجَج، قد يكون فردًا أو جمهورًا، أو قد تكون نفس المخاطب تمثِّل متلقيًا، في حين أنَّ

(١) لسان العرب مادة (حجج): ٩/ ٧٧٩.
(٢) أعلام الطرائق في الحدود والحقائق: ١/ ١٥٠.
(٣) الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، د. حافظ اسماعيلي علوي: ١/ ٥٧.
(٤) يُنظر: التواصل والحجاج، طه عبد الرحمن: ٦.
(٥) يُنظر: مفهوم الحجاج، د. حامد ناصر، د. عايد جدوع، مجلة أبحاث البصرة: ١١٣ _ ١١٤.

المناظرة تكون بين طرفين «عارض، ومعترض» يتبادلان الحجج أمام جمهور من الحضور في مجلس من المجالس، أمَّا المناقشة فتكون بين فردين «مناقِش، ومناقَش» ينقش كلُّ واحدٍ منهما ما عند الآخر ويستخرجه.

ثانيًا: الغاية من الحِجَاج هي الإقناع أو الزيادة في الاقتناع، وغاية المناظرة هي الإفحام والظفر؛ لأنَّ كلا المتناظرين يدَّعي الحقيقة والحق، أمَّ المناقشة فغايتها الغوص في عمق المناقَش لمعرفة طاقاته وكوامنه.

ثالثًا: الحِجَاج يقوم على الخطابة والكتابة، وتقتصر المناظرة والمناقشة على المشافهة، وبهذا فالحِجَاج مفهومٌ مستقلٌّ قائمٌ بذاته غايته تنوير العقول وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

وبهذا يكون الحِجَاج مداراً لمتقابلَين "متكلم، ومتلقٍّ" تجمعهما إيقونة مشتركة "الحجَّة"، الأوَّل الزي هو "المتكلم" يحاول أن يغيّر من منهجيّته المتعارفة ليأخذ منحىً آخر في الخطاب الحِجَاجيّ يؤدي إلى عصف ذهنية الثاني "المتلقي" فيتحقق الأثر لتكون ((غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحِجَاج ما وُفِّق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وُفِّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة))[1]. وغالباً ما يكون هذان المتقابلان متخاصمين يدلُّنا على ذلك مذهب ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البَقَرَة الآية ٢٥٨]. إذ يقول: ((ومن العجيب أنَّ الحجَّة في كلام العرب البرهان المصدِّق للدعوى مع أنَّ حاجَّ لا يستعمل إلَّا في معنى المخاصمة.... وأنَّ الأغلب أنَّه يفيد الخصام

(١) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة: ٢٧.

بباطل))[1]، فالحِجَاج نتيجة قابلة للنقض أو التفنيد عند تقديم حججٍ أقوى بلحاظ القوَّة الباطنيَّة للمخاطِب في استحضار تلك الحجج التي قد تدفع بالفرد أو المجتمع نحو تغيير سلوك معيّن أو إنجاز فعل ما[2].

المطلب الثالث: نظريَّة المعرفة أم الأبستمولوجيا "عرض وترجيح"

المعرفة في اللغة تعني العرفان وهذا الأخير يدلُّ على العلم[3]. وهذا المعنى اللغويّ العام يحيل على الترادف بين المصطلحين؛ إذ يُرادفُ مصطلحُ المعرفة العلمَ على وفق رأي الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) إذ يقول: ((والمعرفة هي العلم بعينه، والعلم هو ما اقتضى سكون النفس إلى ما تناوله، ولا يكون كذلك إلّا وهو اعتقاد الشيء على ما هو به، مع سكون النفس))[4]. واختلف عنه الشيخ ابن شهرآشوب؛ إذ فرَّق بينهما بقوله: ((والعلم أصله فيما يُعرف وجودُه وجنسُه وكيفيَّتُه وعِلَّتُه، والمعرفة فيما لا يُعرفُ إلّا كونه موجوداً فقط، فلهذا يُقال: إنّ الله تعالى عالم، ولا يقال: إنه عارف.... والمعرفة يُقال فيما يُتَوصَّلُ إليه بتفكُّرٍ وتدبُّر، والعلم قد يقال في ذلك وغيره))[5].

الظاهر أنَّ الفرق بينهما إنَّما هو فرق المعنويَّات والماديَّات بما لا يؤثر على فرض الأبستمولوجيا نظرية للعلم والمعرفة على حدٍّ سواء؛ فبالرجوع إلى الأصل اللغويّ تجد أنَّ«الأبستمولوجيا» لفظٌ مركَّبٌ من كلمتين يونانيتين هما: «**الأبستمي**» وتدلُّ على العلم الذي هو موضوع الأبستمولوجيا، و«**اللوغوس**» ومعناها النظرية أو الدراسة؛ أي: المنهج. وبضم إحدى المفردتين إلى الأخرى يكون المعنى «نظرية العلوم» أو «فلسفة العلوم»، أي: دراسة المبادئ والفرضيات والنتائج دراسة فلسفيَّة توصل إلى إبراز الأصل المنطقيّ والقيمة

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٣/ ٣٢.
(٢) يُنظر: كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، د. علي محمد سلمان: ٨٥.
(٣) يُنظر: لسان العرب مادة (عرف): ٩ / ٢٣٦.
(٤) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ١٥٥.
(٥) أعلام الطرائق في الحدود والحقائق: ١ / ١٢٧-١٢٨.

الموضوعيّة لتلك العلوم[١].

أمَّا في الاصطلاح فقد ذكرت تعريفات كثيرة للمعرفة أقربها إلى روح البحث ما طرحه الدكتور راجح الكردي إذ يرى أنَّها ((دراسة منظمة أو بحث في المعرفة من حيث أصلها، وماهيتها، وإمكانها، وطرق الوصول إليها، وطبيعتها وحدودها وقيمتها، أي بحث في المشكلات الناشئة عن العلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعروف، والبحث عن درجة التشابه بين التصور الذهني والواقع الخارجي))[٢].

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هناك مغايرةً لفظيّةً بين الأبستمولوجيا ونظرية المعرفة وهذه المغايرة قد تحيل أحياناً على مغايرةٍ دلاليّةٍ، وأحياناً أخرى لا تشعر بذلك. لذا فإنَّ هناك من فصل بين الأبستمولوجيا ونظرية المعرفة محتجّاً بأنَّ الأخيرة عامَّة في حين أنَّ الأبستمولوجيا خاصة وهي متوجهة إلى المعرفة العلميَّة[٣]. وغيره قال: إنَّ الفصل بين المصطلحين ((لا يخلو من الغلو والاصطناع))[٤]. ولو استدعينا مباحث الدلالة المنطقيّة في تحديد العلاقة الدلاليَّة بين الأبستمولوجيا ونظرية المعرفة عن طريق طرح سؤال مفاده: هل العلاقة بين المفهومين علاقة تطابق ومساواة، أم هي علاقة تضمّن أو التزام؛ أي أنَّ أحد المفهومين يلازم الآخر، أو لا توجد علاقة بينهما بل هما متباينان؟ ((نفهم من عبارات بعضهم أنَّ العلاقة بين الأبستمولوجيا ونظرية المعرفة هي علاقة التضمّن. أي أنَّ نظرية المعرفة موضوعها المعرفة على نحو العموم أعمُّ من الإنسانيَّة والعلميَّة، أمَّا الأبستمولوجيا فموضوعها المعرفة بقيد العلميَّة وهي متضمنة في المعرفة بأل الجنس))[٥]. لذا يمكن القول: إنَّ المعرفة العلميَّة وإنْ كانت غير مرادفة للمعرفة البشريَّة بصورة عامّة مثلما يعتقد الوضعيون، إلَّا أنَّها نوع من جنس المعرفة الإنسانيَّة[٦].

(١) يُنظر: المعجم الفلسفيّ: ١ / ٣٣.
(٢) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة: ٦٤.
(٣) يُنظر: الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، محمد جديدي: ٢٤٣.
(٤) مدخل إلى فلسفة العلوم، د. محمد عابد الجابري: ٢١.
(٥) إبستمولوجيا التأويل: ٢٦.
(٦) يُنظر: الابستمولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية، عبد القادر بشتة: ٣٩.

ولعل المتتبّع يجد أنَّ هناك آراءً أُخر قيلت في هذين المصطلحين منها من باعدت بينهما ومنها من جعلتهما متقاربين، والرأي الراجح هو أنَّ الاشتراك في الموضوع والغاية والمباحث في قبال التباعد في اللفظ والتعريف يدلُّ على أنَّ نسبة التطابق بين المفهومين أعلى وكفَّتها أرجح. أو لعل بتطوّر البحث الأبستمولوجي يتَّضح أنَّ هناك بونًا بين المفهومين أو النمطين، يستلزم التفرقة بينهما في مجالات البحث المختلفة. إلَّا أنَّ البحث هنا متوجّه إلى قراءة معرفية غير نقديَّة لابن شهرآشوب الحِجَاجيّة وآليَّة تعاطيه مع تلك المعرفة من خلال توظيفها لخدمة النصّ القرآنيّ وبيان المقاصد الإلهيَّة، ولذلك وقع الاختيار على المعرفة؛ لاشتمال الأبستمولوجيا على ملمح نقدي يلزم ربط موضوع الدرس بأصوله المنطقيَّة من أجل تحقيق قيمته المعرفيَّة.

المبحث الثاني: أساليب الحِجَاج عند ابن شهرآشوب

تمثَّل الحِجَاج في مباحث ابن شهرآشوب باعتماد مستوى الإقناع وطريق البرهان أسلوباً في عصف ذهن المتلقي وإعادة توجيه طاقاته الإدراكيَّة. على وفق معلومات عقليَّة لا تحتاج إلى إحساسٍ وتجربة، وهذا لا يعني بالضرورة أنَّ الدليل الفلسفيّ يفتقر إلى المعلوماتٍ الحسيَّةٍ أو الاستقرائيَّةٍ، أو أنَّه لا يعتمدُ عليها، بل يعني أنَّه لا يكتفي بها، إذ يعتمد إلى جانبها أو بصورةٍ مستقلَّةٍ عنها، على معلوماتٍ عقليَّةٍ تستند إلى التجربة العلميَّة في إطار الاستدلال على القضيَّة التي يريد إثباتها(٧).

الحِجَاج عند ابن شهرآشوب يشعر بمعرفة عالية لأقدار المعاني والموازنة بينها وبين أقدار المتلقين وأقدار الحالات؛ لأنَّ معرفة هذه الأقدار تمنح المحاجِج قدرة استثنائية في الربط بينها، ومن ثمارها أن يجعل لكل متلقٍّ كلاماً، ولكلّ حالةٍ مقاماً، ومن ثَمَّ يوزع أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المتلقين على أقدار تلك الحالات(٨). وبذلك تتوزع درجات الدقَّة في سرد الحجج والوضوح في تبيانها تبعاً

(٧) يُنظر: الفتاوى الواضحة وفقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، السيد محمد باقر الصدر: 1/ 52-51.

(٨) يُنظر: البيان والتبيين للجاحظ: ١/ ١٣٨ _ ١٣٩.

لدرجات الإدراك؛ الذي يتناسب والقدرات المعرفيَّة ومستويات الفهم والتلقي عند القرَّاء آنذاك.

المطلب الأوَّل: التنوع الحِجَاجيّ وتلاحُقُه

إنَّ المبنى العقديّ عند ابن شهرآشوب وقبليَّاته المذهبيَّة، وفلسفته، واختصاصه الفقهي، قد انعكست بشكل واضح على قراءاته للنصوص والاحتجاج بها، وقد سمح بهذا الفهم حين قال في مسألة خلق القرآن: ((والآيات حُجج من وجه الاعتبار العظيم بها. والسلطان من جهة القوَّة العظيمة على المبطل. وكلُّ عالمٍ له حجَّةٌ يقهرُ بها من نازعه من أهل الشُبه، فله السلطان))[١]. فمسألة خلق القرآن الكريم والقول بأنَّه محُدَثٌ وليس قديمًا، هي من متبنَّيات المذهب الإمامي لذلك نجده يسوق الحُجَّةَ تلو الحُجَّةِ بتدفقٍ حجاجيّ متلاحق، فالحُجَّةُ تعضد الحُجَّةَ الأخرى وينهضا بوصفهما دليلًا جديدًا وداعمًا لغيره من الأدلَّة في آنٍ واحد، وبهذا يكون التلاحق والتَّتابع والتوالي الحِجَاجيّ في ظلِّ تنوّع الأساليب الحِجَاجيَّة _إن تراثًا وإن شعرًا وإن نثرًا_ مُشكِّلًا شبكةً حجاجيّةً متكاملة ومراعيًا بذلك ما يتطلَّبه عصره من هذا الأسلوب في كَثرة الطوائف والمذاهب واحتدام الصراع بينها، وذلك يدلُّ على حصول القناعة التامَّة لديه بما فسَّره وعرف ما يؤول إليه ثُمَّ أنتجه لنا بقالبٍ حجاجيّ جديد[٢]. فمن تنوع الحجج عند ابن شهرآشوب ما جاء في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب الآية ٣٣]. رادًّا على من أدخل نساء النبي ﷺ في حكم الآية بردود عدّة منها[٣]:الأوَّل: إجماع المفسّرين والمحدِّثين على نزولها في أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، أمَّا قول عكرمة والكلبيّ[٤] بأنهَّا نزلت في نساء النبي ﷺ، فهو ليس بحُجَّة؛ لأنَّ الأوَّل

(١) أعلام الطرائق في الحدود والحقائق: ١/ ١٥١.
(٢) يُنظر: متشابه القرآن والمختلف فيه: فصل (في خلق القرآن): ١/ ٢٣٩_٢٥٢.
(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٣/ ٢٥٣.
(٤) تنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٩/ ١٠٨، ومتشابه القرآن والمختلف فيه: ٣/ ٢٥٣.

خارجيّ، والثاني كذاب[1]. ((يوضِّح ذلك أنَّه لو سُئل: عائشة من أهل بيت من هي؟ لقيل: من أهل بيت أبي بكر، ومن أسرة أبي بكر. ولو لم تكن من أهل بيته لم تكن من عترته، ولا من أُسرته. ولو كانت عائشة، وحفصة من أهل بيت النبي، لكانت صفيَّة من أهل بيته، وهي بنت يهودي. ولو أنَّ هاشميًّا تزوَّج تركيَّةً، أو روميَّةً، لم نَقُل لتلك المرأة إنَّها من أهل بيت ذلك الرجل الهاشميِّ، كما لا يُقال: إنَّها من بني هاشم))[2].

الثاني: قول الباري جلَّ وعلا مختصٌّ بالمعصومين ﷺ، ولو كان في النساء، لقال: ليذهب عنكنَّ. ويطهركنَّ. فلمَّا جاء فيهم جاء على لفظ التذكير؛ لأنَّه عند اجتماع المذكَّر والمؤنث يغلب المذكَّر.

الثالث: لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه الآية ١٣٢]. كان النبي محمد ﷺ يأتي إلى باب الإمام علي ﷺ، وفاطمة الزهراء ﷺ عند حضور كلِّ صلاة فيقول: الصلاة رحمكم الله،((وفي رواية قتادة عن أنس، أنَّه قال ﷺ: بسم الله عنّي، وعن آلي، وهم أهلُ بيتي. وقال ـ في الثاني ـ بسم الله عن أزواجي وأُمَّتي))[3].

يلحظ من ذلك عدوله الظاهر عن سياق الآية القرآنيّة وتجاوزها إلى النصّ القرآنيّ في إثبات ما يعتقد صحّته، فضلاً عن ذلك فهو يستعين بالدلالة السياقيَّة ليعضدها بدلالة عقليَّة وأخرى روائيَّة في سلسلة من الحجج، وفي المورد نفسه يؤكّد أنَّ عبارة "أهل البيت" لا تقع إلَّا على الذين لا ينفصلون عنه بشيء؛ فالأهل مأخوذة من أهَّالة البيت وهم الذين يَعْمُرُونَه[4]. نخلص ممَّا تقدَّم أنَّ التنوّع الحِجَاجيّ وتلاحقه كان حاضًرا في إقامة الحجَّة وإقرارها، وهو منهج في البرهان والاستدلال.

(١) يُنظر: الطبقات الكبير، محمد بن سعد الزهري: ٦/ ٣٥٩، والمعارف: ابن قتيبة: ٤٥٧، ومتشابه القرآن والمختلف فيه: ٣/ ٢٥٤، وتقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني: ٨٤٧.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه: ٣/ ٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢٥١.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٥٥.

المطلب الثاني: التَّصاعُدُ الحِجَاجيّ:

تنطلق نظريَّة السلالم الحِجَاجيَّة عند "أوزفالد ديكرو" من إقرار التلازم بين القول "الحجَّة" ونتيجته في عمل المحاجَّة، وهذا يعني أنَّ الحجَّة إنَّما تكون حجَّة فقط عند إضافتها إلى النتيجة، بلحاظ أنَّ النتيجة قد يُصرَّح بها وقد تبقى ضمنيَّة، فإذا أريد للنتيجة أن تكون مرضية تشكَّلت الحجَّة على صورة سلَّمٍ ينطلق من أضعف الحجج إلى أقواها، ما يؤدّي إلى تصاعد الحِجَاج ووصوله إلى قمَّة الهرم الحِجَاجيّ؛ طلبًا لإقامة الحجَّة وإقناع المحاجِج وإذعانه، من دون أن يُحكَم عليها بالصدق أو الكذب؛ فقيمة السلالم الحِجَاجيَّة إنَّما تكمن في إخراج قيمة القول الحِجَاجي من حيّز المحتوى الخبري، وبذلك ((فإنَّ مفهوم السُّلَّم الحِجَاجي بتركيزه على الطابع المُتدَّرِج والموجّه للأقوال يُبيّن أنَّ المُحاجَّة ليست مطلقة إذ لا تتحدَّد بالمحتوى الخبري للقول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون وإنَّما هي رهينة اختيار هذه الحُجَّة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة مُحدَّدة، لذلك فالحكم على المُحاجَّة أساسه القوَّة والضعف اعتبارًا لطابع التدرّج فيها لا الصدق والكذب))[1].

الظاهر أنَّ التفاوت في استدعاء الحجج والتدرّج بها من السهل الميسَّر إلى الصعب المستعصي يعود إلى الأيقونة الثقافيّة للمجتمع آنذاك، إذ إنَّ كلَّ فرقةٍ تدَّعي الصحَّةَ وتدَّعي أنَّها هي الناجية، وعلى الرغم من دقَّة أقوال بعض الفرق وآرائها إلَّا أنَّها تفتقر إلى أيسر أبجديات المعرفة والحال يقتضي مخاطبة الناس على وفق مستويات عقولهم وبيئاتهم فيكون سوق الأدلَّة على مقتضى الحال وفاقًا للسياقات المقاميَّة، فإنَّك تجد قامة علميَّة أو داعية إسلامية لطائفة معيَّنة تنسلخ من ذاتها العلميَّة وتستدلُّ ببسائط الحجج لدعم طائفتها، ونحن نجد بهذا تناصاً كبيراً بين ما سبق وما هو لاحق؛ أي: بين حقبة ابن شهرآشوب ووقتنا الحالي، والشرعيَّات التي تقدَّم للمجاميع الإرهابيَّة من علماء دينٍ ثقال في طوائفهم هي خير مصداق لهذا القول.

(١) يُنظر: نظريَّة الحجاج في اللغة، شكري المبخوت. ضمن كتاب أهم نظريَّات الحجاج في التقاليد الغربيَّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود: ٣٧٠.

المحكم والمتشابه من ضمن الموضوعات التي عرض لها ابن شهرآشوب وعالجها بانتقالات حجاجيّة متسلسلة من العقليَّة إلى القرآنيّة فالفلسفيّة، جاعلاً الدليل القرآنيّ قطب الرحى فيها؛ ليثبت بالدليل تحقيق القرآن الكريم الأثرو الاستجابة حتى على المعترضين، فهو يرى أنَّ أسباب وقوع المتشابه والحكمة من إنزاله إنَّما تكون لغايات جليَّة منها[1]:

أوَّلًا: الحثُّ على النظر والتدبر الذي يوجب العلم دون الاتِّكال على الخبر من غير نظر.

ثانيًا: التمييز بين العالم العاقل وبين الجاهل، تصديقًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[آل عِمرَان الآية ٧].

ثالثًا: حصول الحجَّة من وجه المعلوم دون المجهول، ذلك أنَّه مُنَزَّلٌ على لغة العرب، والعرب تستعمل المجاز والاستعارة والتعريض واللحن، فقد يكون محكمًا من وجه، ومتشابهًا من وجه، كالمعلوم والمجهول. فالشبهةُ ما تُتَصور بصورة الدلالة بسبب اتباع الهوى، أو التقليد، أو ترك النظر والنشوء على شيءٍ صار مألوفًا.

وبهذا يكون قد قطع الطريق أمام القائلين بالتعارض القرآنيّ ويثبت أنَّ التناقض واقع في المخلوق لا الخالق، فمن المعلوم أنَّ العلاقة وثيقة بين الاستدلال بالعقل عن طريق النظر والتأمل وبين المتشابه في القرآن الكريم، لارتباط أحدهما بالآخر في أدقّ التفاصيل، فلولا الاستنجاد بالعقل لما تجلّى معنًى للمتشابه وما عُرفت دلالاته[2]. ولا يخفى أنَّ المازندراني قد سها عن حجَّة لغويَّة في النصّ المبارك لها وقع حجاجيٌّ في توجيه المتشابه فيه؛ لأنَّ تأويل المتشابه من مختصَّات الله تعالى المطلقة، فضلًا على أنَّه بمنّ الله تعالى وفضله يكون

(١) يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٨.

(٢) يُنظر: الدلالة القرآنية عند ابن شهرآشوب، رسالة ماجستير، حيدر عواد، جامعة ذي قار، كلية الآداب: ٤٩.

من مختصَّات رسوله ﷺ، والأئمَّة المعصومين ﷺ، باستشراف دلالة حرف العطف "الواو" الذي جاء عاطفًا.

المطلب الثالث: الحِجَاج العقلي:

تستبطن مسألة الاستنتاج والاستنطاق للنصوص التي من مصادر مختلفة قوَّة عقليَّة فاعلة في التفريق بين الحقّ والباطل؛ ذلك أنَّ هذين المتضادين ملازمان للعمليَّة الحِجَاجيّة من العتبة إلى النتائج؛ فهما معياران لمعرفة الشخوص والمواقف وعند معرفتهما يُشخَّص أهل كلّ واحدٍ منهما، إنَّ البُنى التحتيَّة الرئيسة إنَّما يتم الوصول إليها بوساطة العقل؛ لأنَّ قضايا القرآن لا يمكن اكتشاف مضامينها إلَّا من طريق العقل، لذا تجد الشيخ ابن شهرآشوب قد سخَّر جُلَّ إمكاناته العقليَّة في خدمة الدين والمذهب متوسلًا بعدَّة المفسّر بعد إدراكه أنَّ عمليَّة تفسير النصّ تشرع أوَّلًا بمعرفة معاني المفردات المعجميَّة، ومن ثمَّ الانتقال إلى ملاحظة الجمل في التراكيب النحويَّة، وبعدها النظر إلى النصّ بجوانبه كافَّة بوصفه خلاصة المفردات والتركيب، مع ضرورة الاستفادة من المصادر والقرائن "الداخليَّة والخارجيَّة" التي توضِّح المعنى، من دون الأخذ ببعض هذه العناصر، والغفلة عن العناصر الأخرى. فإنَّه في هذا المسار فقط يصحُّ إطلاق عنوان التفقّه في الدين[1].

وقد سار ابن شهرآشوب في محاجّاته العقليَّة بمبدأ الحوار، والجدل، وسوق الأدلة بغية الإقناع، ولعل السبب في ذلك هو كثرة المذاهب الدينيَّة آنذاك واحتدام الخلاف فيما بينها في قضايا الخلق والإبداع والخير والشر وما إلى ذلك، لذا تجده يردُّ على القدرية[2]، قولهم في نسبة الضلال إلى الله جلَّ وعلا عنه علوًّا كبيرا، مستدلًّا بغير قليل من الأدلة العقليَّة، إذ يرى أنَّ لفظة "ضلَّ" هي لفظة مشتركة، فلا ينبغي أن يُنسب أقبح معانيها إلى الله تبارك وتعالى،

(١) يُنظر: تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه، محمد باقر سعيدي: ٥٣٢.

(٢) هم أتباع معبد الجهنيّ، وغيلان الدمشقيّ، كانت دعواهم أنَّ الله لا يعلم الأشياء إلاَّ بعد وقوعها، ونفوا القدرة والمشيئة عن الله تعالى. وقيل هم جنسٌ من المجبِّرة وهم: (الأشعرية نسبة لأبي الحسن الأشعري، والنجّاريّة نسبة للحسين النجّار)، يُنظر: أعلام الطرائق في الحدود والحقائق:٢/ ٤٨، والمختصر في الأديان والملل، د. عيسى بن عبد الله: ٣٧.

بل يجب أنْ يُنسبَ أحسنها وألطفها[1]. ولا سيما أنَّ القرآن الكريم حمَّال ذو وجوه والأولى حمله على أحسن وجوهه.

ورأيه هذا حَسَنٌ؛ لأنَّنا عندما نتعامل مع القرآن الكريم بوصفه نصًّا مقدَّسًا متحركًا يحاكي كلَّ الأزمان ويعالج كلَّ المشكلات، يجب أنْ نُظيف له أحسنَ الصفات ونزيح عنه الشبهات، فهو حمَّالُ وجوه ولا ضير في اختيار الوجه الحسن امتثالاً لقول الرسول محمد ﷺ: ((إنَّ القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه))[2]، فالحُسْنُ بمنتهاه وكماله لله جلَّ وعلا، ولا سيما أنَّ اللغة العربية مجالٌ واسعٌ للتفسير والتأويل بما يتناسب مع قداسة القرآن الكريم، وصدوره عن عليٍّ عظيم منزَّهٍ عن الزلل والخطأ.

لذا وبمقتضى ما تقدَّم فإنَّ الإضلال هنا جاء بمعنى الإهلاك، والعذاب، والحكم، والوجدان، والمصادفة، قال ابن شهرآشوب: ((والإضلالُ في الدين لا يجوز من الله بحال، لأنَّه لا يصُحُّ التكليفُ إلَّا مع البيان، والإضلال، وهو التلبيس. والتلبيس والبيان متضادَّان. ولو أضلَّهم الله هكذا، لم يكن للاحتجاج عليهم بالرسل، والكتب، وإقامة الأدلَّة، والترغيب، والترهيب، والوعد، والوعيد، معنى ولا فائدة))[3]. والإضلال بالتلبيس هو سبيل العاجز البائس الذي لا يستطيع الصدَّ والمنعَ، وكل هذه المفاهيم إنَّما مصداقها الشيطان، فلو كان قادرًا على المنع والصدّ لما عمل بالحيلة والوسوسة، والله جلَّ وعلا غير عاجز فلا يفعل بالتلبيس، بل يقول للشيء كن فيكون، وإنَّ ما أضاف لنفسه من الإضلال فهو مطلقٌ لم يُقرَن بما أضلَّ عنه، إذ لم يقل في موضع من القرآن الكريم إنَّه أضلَّ، أو يُضِلُّ عن الدين، وإنَّما قال: أضلَّ أو يُضِلُّ من يشاء وهو لفظ عام مطلق لا يخصص إلَّا بدليل، وعند عدم الدليل يبطل التخصيص[4].

(١) يُنظر: متشابه القرآن والمختلف فيه: ٢/ ٧٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٢.
(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه: ٢ / ٧٧.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٧٧.

المطلب الرابع: الحِجَاج الفلسفيّ

تسير الأطروحات الفلسفيّة في اتّجاهين متساويين في الطرح، أي في الصفة الفلسفيّة وآلية العرض، ومتباينين في المنهج والنتائج؛ فبعض الأطروحات عبارة عن إشكالات وحسب دون حلول، وحل هذه الألغاز هي مِلكُ العلوم ومن متبنياتها، لذا فعلى المحصّل أن يتجه للعلم إذا ما أراد أن يفهم العقلَ ومكانه في العالم. وبعضها يطرح مشكلات غير قابلة للإجابات العلميَّة؛ فهي في الحقيقة أشباه مشكلات، زائفةٍ لا تُحدِث الإجابة عنها أيَّ فارق(٥). ومن ذلك ما نجده عند من يسأل عن الروح وماهيَّتها؛ لأنَّ حلَّ هذا التساؤل ليس من صلاحيَّات العلم والعلوم بل هو من المختصّات الإلهية لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[الإسرَاء الآية ٨٥]. أمَّا ابن شهرآشوب فقد تمثلت أطروحاته الفلسفيّة في المحاججة والإقناع بمستويات عديدة منها:

أوَّلًا: التحليل والمتابعة الدقيقة البعيدة عن المسامحة في المجال اللغويّ، ويتجلَّى ذلك في حدوده التي وضعها لبعض المفاهيم. ومن ذلك قوله: ((التضمين على وجهين: أن يكون الشيء يحتاج إلى غيره عند الوجود، مثلُ حاجةِ الحال إلى المحل، والعلمِ إلى الحياة، ومثلُ أن يكون الشيءُ لا يَصُحُّ وجوده إلَّا على صفةٍ مخصوصةٍ ولا تكون تلك الصفة إلَّا لوجود معنًى، كالجوهر لا يكون موجوداً إلَّا إذا كان متحيّزاً، ولا يكونُ متحيّزاً إلَّا إذا كان في جهةٍ، ولا يكون في جهةٍ إلَّا لكون، ولهذا يقال: إنَّ الجوهرَ مُضَمَّنٌ بالكون. والوجه الثاني أن يتعلَّقَ الشيءُ بغيره في تصحيحِ صفةٍ أو انتقاضِه، نحو تعليق الجائز بالجائز تقول: لو خرجتَ إلى السفرِ لخرجتُ معك. وتعليق المُحال بالمُحال، تقول: لو صحَّ وجودُ ما لا يتناهى في الماضي، لصحَّ في المستقبل. وتعليق الجائز بالمُحال، كقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[الأعرَاف الآية ٤٠] ، وتعليق المُحال بالجائز، تقول: لو

(٥) يُنظر: فلسفة العقل مدخل معاصر، جون هيل: ٢١.

دخل زيدٌ الدارَ لانقلبَ السوادُ بياضاً))[1].

ثانيًا: الاستنتاج باعتماده طريقة أكابر الفلاسفة في رصف المقدَّمات وتعضيدها بالحجج وصولاً إلى النتائج. إذ تراه يدفع مسألةَ التجسيم للذات الإلهيَّة ومن اعتقدها، في نظرة فلسفيَّة عميقة فيقول:((العرشُ محدَثٌ، وإنَّه تعالى كان، ولا مكان. وكونه في كان بعد أن لم يكن تغيُّرٌ، وكلُّ من تغيَّر، فليس بقديم. والعرشُ محدود، ومحالٌ أن يتكوَّن على المحدود، ويماسُّه ما ليس بمحدود، وذلك منفيٌّ عن الله تعالى، ويقتضي كونه جسمًا؛ إذ ما ليس بجسم، يستحيل منه الكون في مكان. وكونه جسمًا يوجب حدوثه. والكون على السرير _بعد أن لم يكن_ يكون انتقالًا وزوالًا، ويوجب أن يكون مُحدَثًا))[2].

ثالثًا: الإقناع باعتماده طريق البرهان أسلوبًا في استنباط الدلالات وإعادة توجيهها. على وفق معلومات عقليَّة لا تحتاج إلى تجربة حسيَّة، وتمتدُّ محاجّاته متجاوزًا الشبهات البشريَّة، وموسّعًا من الدائرة الحِجَاجيّة لتشمل الجنَّ، فيقول رادًّا على إبليس شبهته واعتقاده أنَّه أفضل من الإنسان، لأنَّه خُلِقَ من نارٍ والإنسان من طين:((وجهُ الشُبهةِ الداخلةِ على إبليس، أنَّ الفروع ترجعُ إلى الأصول، فتكونُ على قدرها في التكبير، والتصغير، فلمَّا اعتقد أنَّ النَّار أكرمُ أصلاً من الطّين، جاء منه أنَّه أكرمُ ممَّن يُخلقُ من طين. وذهب عليه بجهله أنَّ الجواهرَ كلَّها متماثلةٌ، وأنَّ اللهَ يصرِّفُها بالأعراض، كيف شاء، مع كرمِ جوهرِ الطّين، وكثرةِ ما فيه من المنافع، التي تقاربُ منافعَ النّارِ، أو تُوْفِي عليها))[3].

رابعًا: الصياغات اللغويّة إذ يتمثَّل باستعماله لغة الحكماء في طريقة التعبير والتوصيف والردّ[4]، مراعياً بذلك البعدَ التداوليَّ عندما يركّز في الرسالة لا على الشفرة. ومصداق ذلك ما تجده في ردّه محاججًا فرقتي "المشبّهة والمجبّرة" القائلين بجواز رؤية الله

(١) أعلام الطرائق في الحدود والحقائق: ٢/ ٢١٩-٢٢٠.
(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه: ١/ ٢٦٤-٢٦٥.
(٣) المصدر نفسه: ١/ ١٠٢.
(٤) يُنظر: أعلام الطرائق في الحدود والحقائق: ١: ٣٥-٣٨، ٥١-٥٦.

جلَّ وعلا[١]، ويؤكدون وقوعها في الدنيا والآخرة محتجين بحديث مفترى مفاده: ((أنَّه إذا دخل أهلُ الجنّةِ نودوا: أنْ يا أهل الجنّة، فيُكشَفُ الحجاب فينظرون إليه، فوالله، ما أعطاهم الله شيئًا هو أحب إليهم منه))[٢]. مستدلًا بقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾[الأعرَاف الآية ١٤٣]. إذ قال في ردّ هذه الشبهة: ((ليس في مسألة الشيء دلالةٌ على صحَّة وقوعه، ولا جوازه؛ لأنَّ السائل يسألُ عن الجائز والمحال، مع العلم وفقد العلم لأغراض مختلفة.... والسؤال إنْ وقع بلفظ الرؤية، فإنَّ الرؤيةَ تفيد العلْمَ، كما تفيد الإدراك بالبصر، فقال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾. أي: لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته مني، وأنَّه أجابه الله تعالى بأنَّه لا يراه بلفظٍ مُحكَمٍ ظاهرٍ جليّ، لا يحتمل التأويل، عامٌّ لا تخصيص فيه.... والآية بالنفي أولى من الإثبات، وإنَّه علّق رؤيته بما يستحيل كونه، والشيء إذا عُلّقَ كونه بما يستحيل حصوله، استحال، كقوله في الكفرة: ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾[الأعرَاف الآية ٤٠]))[٣].

المطلب الخامس: الحِجَاج اللغويّ:

البحث في المقاصد الإلهيَّة وبيان معاني الألفاظ القرآنيّة لابُدَّ له من شروط نظريَّة يجب توافرها في المفسّر الذي يريد خوض غمار الكشف عن الحقيقة وتجلّياتها قبل الغوص في العمليَّة التفسيريَّة، وهذه الشروط تسير في بعدين "ذاتي، ومعرفي"، الأوَّل متعلقٌ بالأخلاق والقيم الروحيَّة التي ينبغي أن تتوافر في المفسّر؛ لتؤهله لتحمل أمانة الكشف عن الحقيقة وتجليتها لمن يجهلها من البشر. أمَّا الثاني فيتمثَّل في جملة العلوم المساعدة والضروريَّة للكشف

(١) المشبهة: فرقةٌ أجازت على ربِّها الملامسة والمصافحة فإذا بلغ المسلم من الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض صار يمكنه رؤية ربَّه في الدنيا والآخرة. أمّا المجبرة: فهي نفي الفعل حقيقة من العبد وإضافته إلى الله تعالى، والجبرية صنفان: الأولى لا تُثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً وتسمى (خالصة)، والثانية تثبت للعبد قدرة لكنها غير مؤثرة أصلاً وتسمى (المتوسطة)، أمَّا المجبرة فهم مَن زعموا أنَّ الله يجبر العبد على أفعاله بإيجادها فيه، والعبد مجبر على فعلها. ويقال لهم الجبرية أيضاً. يُنظر: الملل والنحل: ١/ ٩٣،٧٢، وأعلام الطرائق في الحدود والحقائق:٢/ ٤٨.

(٢) الكشاف: ٣/ ١٣١.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه: ١/ ٣٧٠-٣٧٢.

عن الحقيقة، ولا غلو إنْ قلنا: إنَّ اللغة هي القلب النابض لتلك العلوم، هذا ما أكَّده البقاعي في قوله: ((الأمر الكلّي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدّمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات في القرب والبعد من المطلوب ... واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة.... وإذا فعلته تبين لك – إن شاء الله – وجه النظم مفصلًّا بين كلّ آية وآية في كل سورة))[1]. وقد استثمر ابن شهرآشوب جلَّ طاقاته اللغويّة في كشفه لغموض المدلولات وتباينها وترشيح الآراء والاحتجاج بها وممَّا يلحظ عليه تأثره بعقيدة الإمامية وميوله لها، حين يوجِّه دلالة الألفاظ في الآيات القرآنيّة بما يتناسب وأطروحات تلك العقيدة التي تمثِّل جزءاً من قبلياته المعرفيَّة؛ فالإمامية يعتقدون بأنَّ الإمام عليٍّ ﷺ هو الصراط المستقيم، ومفسّرنا واحد منهم، وهذا يحتاج إلى أدلَّة إثباتيَّة يعضد بها معتقده بأسلوب حجاجيّ دامغ، لذا تراه عندما يقف على لفظة "العقبة" في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١﴾[البَلَد الآية ١١]. والعقبة في أصل وضعها تدلُّ على الطريق الذي يكون في جبلٍ وعرٍ يُرتقى بمشقَّة[2]، إلاَّ أنَّ قراءتها في سياق ورودها القرآنّي كشف لابن شهرآشوب معاني أخرى قد تستبطنها، إذ إنَّه يرى أنَّها تدلُّ على معان عدّة[3]:

الأوَّل: الصراط. والصراط هو طريق أهل الجنَّة، وهو أيضًا طريقٌ لأهل النار، إلَّا أنَّه يتَّسع لأهل الجنَّة ويتسهَّل. ويضيق على أهل النار ويشقُّ.

الثاني: الحجج والأدلَّة المُفرِّقة بين أهل الجنَّة وأهل النار.

الثالث: العبادات الموصلة إلى ثواب الله جلَّ وعلا ورضاه.

الرابع: إنَّما هي محبَّة الإمام علي ﷺ.

ثمَّ ينتقل من الدليل اللغويّ السياقي إلى الدليل الروائي ليعضّد مذهبه هذا فيروي

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/ ١٨.

(٢) يُنظر: كتاب العين (عقب): ٣/ ١٩٥.

(٣) يُنظر: متشابه القرآن والمختلف فيه: ٣/ ٤٤٧-٤٤٨.

عن ((محمد بن الصباح الزعفرانيّ عن المزنيّ عن الشافعيّ عن مالك عن حميد عن أنس قال رسول الله في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾[البَلَد الآية ١١] ، إنَّ فوق الصراط عقبة كؤوداً طولها ثلاثة آلاف عام، الف عام هبوط، وألف عام شوك وحسك وعقارب وحيَّات، وألف عام صعود أنا أوَّل من يقطع تلك العقبة، وثاني من يقطع تلك العقبة عليُّ بن أبي طالب))[١]. وبهذا فهو يعتمد الأدلَّة اللغويّة والروائيَّة، فضلاً عن القرآنيّة منها، متوسِّلًا بدلالة اللفظة المُفردة في إثبات صحَّة معتقده ومذهبه، وهي ممازجة لطيفة بين تلك الأدلَّة.

وفي السياق نفسه نبصرُ التَّوظيف اللغويّ الحاذق في ظلّ الوقوف على العلاقات الدلاليَّة بين الألفاظ، إذ إنَّ النظر الأصوليّ الباصِر الذي يتمتَّع به المازندرانيّ جعله يغوص في تحليل البنية الجسديَّة للجملة والوقوف على الألفاظ التي تمثّلُ مصفوفاتٍ وسبائكَ لهاته البنية، فمن باب المقابلة بين الآيات لضغط حمولاتها الدلاليَّة وتوظيفها في تغيير دائرة اللفظ اللغويّة لا على وجه التخصيص والتعميم، بل على وجه المخالفة والابتعاد عن الخمول والرتابة، من طريق تجدّد المعاني المجازيَّة المستقاة من العلاقة الناشئة بين المعنيين المنقول والمنقول عنه. يقول ابن شهرآشوب في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[التَّحرِيم الآية ١٢]: ((يريد بذلك العفاف لا الملامسة والذريَّة؛ لأنَّه لو لم يكن كذلك لجعل حملها له ووضعها ومخاضها بغير ما جرت به العادة، فلمَّا جعله على مجرى العادة دلَّ على مقالنا. ويؤكد ذلك الأخبار الواردة في مدح التزويج وطلب الولد وذمِّ العزبة؛ وقال تعالى للزهراء ولأولادها: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[الأَحزَاب الآية ٣٣]))[٢]. يلحظ ممَّا تقدَّم عدم خروجه عن مدار الدليل الروائي، وكشفه معنىً جديداً في انتقالة لطيفة من الحسيَّات إلى التجريديَّات؛ فالعفاف غير الملامسة كون الأوَّل تجريديًّا يدلُّ عليه العقل، والثاني حسِّيٌّ بنصِّ المفسّر.

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٧٧-١٧٨.
(٢) المصدر نفسه: ٣/ ٤٠٩.

ومن ذلك أيضاً ما سطره في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾[الصَّافَّات من الآية ٩٥ الى الآية ٩٦]. إذ يرى أنَّ في الآيات المباركة حذفًا، والحقيقة أنَّ في الحذف هذا امتحانًا واختبارًا وقع فيه الشاكّون ومنهم المجبِّرة، بهذا يُشعر أسلوب الحِجَاج الذي اتَّخذه ابن شهرآشوب جريًا على سمته، إذ يردُّ على المجبِّرة قولهم بأنَّ الأفعال لله جلَّ وعلا بردود عدّة[1]:

الأوَّل: إنَّ الكلام خرج مخرج توبيخ المشركين لعبادتهم الأصنام، فلو كان ذلك من فعل الله جلَّ وعلا، لما توجَّه إليهم العتب والتوبيخ بل يكون لهم الحجَّة لا عليهم.

الثاني: إذا صار تقدير الكلام: ما تعبدون الأصنام التي تنحتونها، والله خلقكم وخلق هذه الأصنام التي تفعلون فيها التخطيط، والتصوير. لم يكن للكلام معنى البتَّة.

الثالث: في إضافة العمل إليهم بقوله «تعملون» دلالة على بطلان تأويل المجبّرة؛ لأنَّه لو كان خالقًا لها لم يكن عملًا لهم؛ فضلًا عن ذلك فإنَّ العمل إنَّما يكون عملًا لمن أحدثه، فكيف يكون عملًا لهم والله أحدثه؟

الرابع: إنَّ قوله تعالى: ﴿مَا تَعْمَلُونَ﴾ يقتضي الاستقبال، وكل فعل لم يوجد بعدُ فهو معدوم، ويستحيل على الله جلَّ وعلا أن يقول: إنِّي خالقٌ للمعدوم، ولو كان كما ظنَّوه، لقال: والله خلقكم وخلق عبادتكم للأصنام، فيكون عاذرًا ومزيلًا للَّوم عنهم؛ لأنَّ الإنسان لا يُذمُّ على ما خُلِق فيه.

خاتمة البحث ونتائجه

بعد هاته الجولة الحجاجيَّة في مدوَّنة ابن شهرآشوب المازندرانيّ أحمدُ الله جلَّ جلاله على إتمام هذا البحث، وقد تحصَّلت لي جملة من النتائج، وهي:

أشار ابن شهرآشوب إلى الحجَّة بإلماحة خفيفة دون أن يفصَّل القول في مصطلح الحِجَاج في كتابه «أعلام الطرائق في الحدود والحقائق» على الرغم من أنَّه غالبًا ما يعرِّف بالمصطلح

(١) يُنظر: متشابه القرآن والمختلف فيه: ٢/ ٢٦٥-٢٦٦.

في ذلك الكتاب نظريًّا، وتجد تطبيقات تلك التعريف في كتاب «متشابه القرآن والمختلف فيه» عمليًّا من أجل الانتفاع والإفادة، وهذا يدلُّ على الاتّصال الوثيق بين نتاجاته من جهة، ويدلُّ على المنهجيَّة الرائقة من جهة أخرى؛ إذ يقدّم الدراسة النظريَّة بوصفها أداة تأسيسيَّة يفيد منها في الدراسة العمليَّة ، وتنهض الثانية بالأولى ليكونا كلًّا متكاملًا في البحث والتنقيب المعرفيين.

لعل السبب في عدم الخوض في مصطلح الحِجَاج يعود إلى أمرين يحولان دون البحث التفصيلي في مصطلح الحِجَاج، أوَّلهما: ضيق الوقت والانشغال بتأليف كتاب المتشابه الذي كان مواكباً لحاجة المجتمع آنذاك، وقد توافق زمنيًّا من كتاب "أعلام الطرائق في الحدود والحقائق"، يدلُّ على ذلك قوله: ((سألتم _ وفقكم الله للخيرات_ إملاءَ كتابٍ في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات، وما اختلف فيه من حكم الآيات، ولعمري! إنَّ لهذا التحقيق بحراً عميقاً، ولا يكادُ يوجدُ منه إلَّا ألفاظ في كتب كبار المتكلمين، أو نكتٌ في بعض تفاسير المحققين العدليين، وقلَّما يُحصَرُ ذلك للطالبين، فأجبتكم إلى ذلك مع تقسُّم الفكر، وضيق الصدر، وشغل القلب، ووعثاء السفر، وفقدان الكتب))[1]. والثاني: انعدام المصادر الحِجَاجيّة التي تجعل مصطلح الحِجَاج مصطلحًا قائمًا بذاته له نظرياته وأساليبه، إذ كان الحِجَاج معروفًا بالفطرة من دون وضع نظريَّة خاصَّة به مثلما هو موجود حاليًّا، وهذه المصادر إنْ توافرت فهي تمثّل البنى التحتيَّة لإنشاء مثل هذا الصرح.

أثبت البحث أنَّ لابن شهرآشوب براعة واضحة ومهارة مُتْقَنة ومُعْجِبة في انتقاء الحجج وإيصال المعنى إلى قلب المحاجج بأسلوبٍ لغويٍّ متميز، يخرج الدوال فيه من السياقات ذات النطاق الضيق إلى مدلولات رحبة ونطاق أوسع.

لحظ البحث أنَّ هناك نوعين من الحجج في مطارحات ابن شهرآشوب غالبًا ما يجتمعان وتفرقهما نادر، وهذان النوعان هما: "كاملة، وأكمل ما تكون" فنراه يسوق الحُجَّةَ تلو الحُجَّةِ بتدفقٍ حجاجيّ متلاحق، فالحُجَّةُ تعضد الحُجَّةَ الأخرى وينهضا بوصفهما دليلًا جديدًا

(١) المصدر نفسه: ٤٥ _ ٤٦.

وداعمًا لغيره من الأدلَّة في آنٍ واحد، وبهذا تتلاحق استدلالاته من النصّ القرآنيّ إلى الروائي فالشعري وهكذا، مُشكِّلًا شبكةً حجاجيّةً متكاملة. فضلًا عن الدعم المنطقيّ والفلسفيّ لتكون في أكمل كمالاتها.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. إبستمولوجيا التأويل: محمد علي حسين الحسني. الطبعة الأولى، دار الرافدين، لبنان، بيروت، ٢٠١٦م.

٣. الإبستمولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية: عبد القادر بشته. الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.

٤. ابن شهرآشوب المازندراني ومكانته العلمية: جواد كاظم البيضاني. الطبعة الأولى، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت _ لبنان، ١٤٣٢هـ _ ٢٠١١م.

٥. أعلام الطرائق في الحدود والحقائق: محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني السروي (٥٨٨هـ). تحقيق: علي الطباطبائي اليزدي، سيد محمد رضا الجلالي، عبد المهدي الاثنى عشري، محمد الطباطبائي اليزدي، سيد عباس الهاشمي، علي رضا آل بويه، مصطفى الصدوقي المازندراني. د. ط، مؤسسة الإمامية للثقافة والبحث العلمي بمازندران، مركز الدراسة وإحياء آثار ابن شهر آشوب، د. ت.

٦. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي. الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت _ لبنان، ٢٠٠٢م.

٧. الاقتصاد فيما يتعلَّق بالاعتقاد: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ). الطبعة الثانية، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ _ ١٩٨٦م.

٨. أمل الآمل: الشيخ محمد بن الحسن (الحر العاملي) المتوفَّى سنة (١١٠٤هـ). تحقيق: السيد أحمد الحسيني. د. ط، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة نمونة، إيران _ قم المقدَّسة، د.ت.

٩. البلغة في تراجم أئمة النَّحو واللغة: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ). تحقيق: محمد المصري. الطبعة الأولى، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م.

١٠. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٨ه_ ١٩٩٨م.

١١. التحرير والتنوير: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. د. ط، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٢. تحليل لغة القرآن الكريم وأساليب فهمه: محمد باقر سعيدي روشن. ترجمة: علي عباس الموسوي. الطبعة الأولى، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت _ لبنان، ١٤٣٥هـ _ ٢٠١٤م.

١٣. تقريب التهذيب: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). تحقيق وتعليق: أوب الاشبال صغير احمد مشاغف الباكستاني. تقديم: بكر بن عبد الله أبي زيد. د. ط، دار العاصمة للنشر والتوزيع، د. ت.

١٤. التواصل والحجاج: الدكتور طه عبد الرحمن. د. ط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د. ت.

١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ). تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. د. ط، دار هجر للطباعة والنشر، د.ت.

١٦. الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة.

الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠١م.

١٧. الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة: مجموعة من المؤلفين. ترجمة: حافظ إسماعيلي. الطبعة الأولى، دار الروافد الثقافية، بيروت، ٢٠١٣م.

١٨. الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي: محمد جديدي. د. ط، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ٢٠٠٨م.

١٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: الشيخ آقا بزرك الطهراني. الطبعة الثالثة، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ _ ١٩٨٣م.

٢٠. الطبقات الكبير: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ). تحقيق: علي محمد عمر. الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ _ ٢٠٠١م.

٢١. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ). ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي. الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م.

٢٢. الفتاوى الواضحة وفقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام: السيد محمد باقر الصدر. تحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر. الطبعة الأولى، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ١٤٢٢هـ.

٢٣. كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج رسائله نموذجاً: علي محمد علي سلمان، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، البحرين، ٢٠١٠م.

٢٤. الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ). تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض. الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ _ ١٩٩٨م.

٢٥. لسان العرب: ابن منظور (ت٧١١هـ). تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد

حسب الله، هاشم محمد الشاذلي. د. ط، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

٢٦. لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ولد سنة (٧٧٣هـ) وتوفّي سنة(٨٥٢هـ). عناية: الشيخ العلَّامة عبد الفتّاح أبو غدَّة (ت١٤١٧هـ). إخراج وطباعة: سلمان عبد الفتَّاح أبو غدَّة. الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت _ لبنان، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٢م.

٢٧. متشابه القرآن والمختلف فيه: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب (٥٨٨هـ). تحقيق: حامد جابر حبيب المؤمن. الطبعة الأولى، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٨م.

٢٨. مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ). تصحيح وتحقيق وتعليق: هاشم الرسولي المحلاتي. الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ_٢٠٠٨م.

٢٩. المختصر في الأديان والفرق: د. عيسى بن عبد الله السعدي. الطبعة الثانية، دار الأوراق الثقافية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٥هـ.

٣٠. مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي: الدكتور محمد عابد الجابري. الطبعة الخامسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٣١. مدخل معاصر إلى فلسفة العقل: جون هيل. نقله إلى العربية وزوده بالشروح والتعليقات: د. عادل مصطفى. الطبعة الأولى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧م.

٣٢. المعارف: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ). تحقيق: د. ثروت عكاشة. الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

٣٣. معالم العلماء: محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني المتوفّى سنة ٥٨٨هـ. تصدير: السيد محمد صادق آل بحر العلوم المتوفّى سنة ١٣٩٩هـ. تحقيق: السيد

محمد رضا الحسيني الجلالي. الطبعة الأولى، مكتبة دار علوم القرآن، العراق _ كربلاء المقدَّسة، ١٤٣٣هـ _ ٢٠١٢م.

٣٤. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(٦٢٦هـ). د. ط، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ _ ١٩٧٧م.

٣٥. المعجم الفلسفيّ بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية: د. جميل صليبا. د. ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

٣٦. الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ). تصحيح وتعليق: الأستاذ أحمد فهمي محمد. الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ١٤١٣هـ_١٩٩٢م.

٣٧. مناقب آل أبي طالب: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني(٥٨٨هـ). تحقيق وفهرست: د. يوسف البقاعي. الطبعة الثالثة، سليمان زاده، ١٤٢٩هـ.

٣٨. موسوعة طبقات الفقهاء: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام. إشراف: العلَّامة الفقيه جعفر السبحاني. الطبعة الأولى، اعتماد_ قم المقدَّسة، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤١٩هـ.

٣٩. نظريَّة الحجاج في اللغة، شكري المبخوت. ضمن كتاب أهم نظريَّات الحجاج في التقاليد الغربيَّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود. جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيَّة، كليَّة الآداب منوبة، المطبعة الرسميَّة للجمهوريَّة التونسيَّة، د. ت.

٤٠. نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة: راجح عبد الحميد الكردي. الطبعة الأولى، مكتبة المؤيد، السعودية، الرياض، ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢م.

٤١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: الإمام المفسر برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ). د. ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت.

٤٢. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن إيبك الصَّفدي (ت٧٦٤هـ). تحقيق: أحمد الأرنأووط، تركي مصطفى. الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت _ لبنان، ١٤٢٠هـ _ ٢٠٠٠م.

٤٣. الرسائل والأطاريح

٤٤. الدلالة القرآنية عند ابن شهرآشوب، حيدر عواد رفيج، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٧م.

٤٥. منهج ابن شهرآشوب في متشابه القرآن والمختلف فيه: سلوى خضير بوهان. أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

البحوث والمجلات

١. مفهوم الحجاج: أ.م.د. حامد ناصر الظالمي. أ.م.د. عايد جدوع حنون. مجلة أبحاث البصرة العلوم الإنسانية، المجلد ٣٨، العدد ٣، ٢٠١٣م.

٢. منهج ابن شهرآشوب في تفسير متشابه القرآن: علي الكعبي. مجلَّة قضايا إسلامية فكرية إسلامية تصدرها مؤسسة الرسول الأعظم، العدد ٧، ١٤٢٠هـ _ ١٩٩٩م.

سورة قريش

بين التراث العربي وفهم المستشرقين

أ . د . عادل عباس النصراوي

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

Surat Quraysh between the Arab heritage and the understanding of the Orientalists

Prof. Dr. Adel Abbas Al-Nasrawi

College of Basic Education - University of Kufa

Email: adilalnasrawi58@gmail.com

ملخص البحث

البحث قراءة في سورة قريش يُبيِّن الاختلاف في فهم النص القرآني بين التراث العربي المتمثِّل بالمفسرين والمؤرخين و فهم المستشرقين فكلّ هؤلاء له نظرته الخاصة الى النصوص وقد بدا النصّ المبارك في سورة قريش منسجماً في لغته ومتماسكاً في نظم مفرداته وأحداثه مع ما قبلها وهذه السورة الوحيدة التي ذُكِر فيها اسم قبيلة عربية وذلك لفضلها وتمتّعها بخصال حميدة كثيرة تميّزت فيها من باقي القبائل العربية الأخرى حتى سادت على كل القبائل العربية شرفاً وعزاً وكرامةً وربما كان هذا السبب الذي نزلت فيها القرآن الكريم دون القبائل حتى بلغت الزعامة بينها دينياً وتجارياً .

الكلمات المفتاحية : قريش ، مستشرقين ، البيت ، إيلاف .

Abstract

The research is a reading in Surat Quraysh that shows the difference in understanding the Qura'n text between the Arab heritage represented by commentators and historians and the understanding of the Orientalists. All of these have their own view of the texts. The blessed text in Surat Quraysh appeared consistent in its language and coherent in its vocabulary and events systems with what preceded it. This is the only surah in which the name of an Arab tribe is mentioned because of its merit and its many virtuous qualities which distinguished it from the rest of the other Arab tribes until it prevailed over all the Arab tribes with honor pride and dignity Perhaps this was the reason for which the Noble Qur'an was revealed to the exclusion of tribes until leadership reached between them religiously and commercially.

Keywords: Quraish, Orientalists, Al-Bait, Elaf .

مدخل عام

تمثِّل كل سورة قرآنية بناءً نصيّاً متكاملاً في نفسه ومنسجماً مع غيره من السور القرآنية من حيث لغة السورة وأحكامها والوقائع التاريخية أو القصص أو غيرها من الأمور الأخرى فهي تشكِّل كياناً دلالياً وبنائياً منسجماً وموحياً الى المتلقي بمختلف العصور بإشعاعات فكرية معنوية ربما تكون غير منظورة في عهود سابقة أو لاحقة وذلك بفعل التركيب وطريقة الإنشاء لهذه السورة أو لغيرها لذلك نجد أنّ القراءات لها متنوّعة من عصر الى عصر ومن بيئة ثقافية الى بيئة ثقافية أخرى ففي كلّ عصر أو بيئة هناك متغيرات على كلّ المستويات الثقافية والعلمية واللغوية والدلالية وهذه المتغيرات تضفي بظلالها على المنظومة الفكرية العاملة في وقتها وهذا الأمر مما يُفضي بالعقل الانساني الى طريقة فهمٍ للنصوص مختلفة من زمان الى زمانٍ من قبل المفسرين أو المستشرقين أو غيرهم فنجد أن رؤى مفسري القرآن الكريم تتنوّع في طريق فهم النص المبارك أما المؤرخون فهم مطبقون على رؤية واحدة من خلال استلهام الواقعة التاريخية التي سبّبت نزول السورة أو الآية أو مجمل القرآن الكريم غير أن المستشرقين قد يبدون أكثر تحرراً من أولئك لارتباطهم ببيئات غريبة عن النص القرآني فضلاً عن المناهج الجديدة التي تأثرت بالثقافة الكنسية أو غيرها وهذا ممّا اَضفى على طريقة الفهم للنصوص اللغوية فسحة جعلتهم أكثر تحرراً من قيود البيئة العربية التي نزل بها القرآن الكريم التي أثرت نوعاً ما على طريقة الفهم لدى العرب أو المسلمين عموماً في فهمهم للنص القرآني .

بنيّة النص القرآني في سورة قريش

يرتبط النصّ ببعضه بصلات تجعل منه نصاً أما أن يكون متماسكاً ومنسجماً مع بعضه أو مفككاً ضعيفاً مهلهلاً وذلك أن النصّ تحكمه قوانين تتعلق بأمور كثيرة وهي التي شُيِّد على أصلها وأساسها وهذه القيم والقوانين تختلف من مؤلفٍ لآخر تبعاً لإمكاناته وقدرته وانسجامه معها فالنصوص تتفاوت قوةً وضعفاً وبقاءً وديمومةً لذا تجد نصاً فيه من الحيوية والقوة ما يُكتب له البقاء والديمومة وتجد آخر ضعيفاً لا يمكن ان يدوم وليس له القابلية

على التعبير عمّا يُريد واضعه لذا لا يستطيع أن يعبر عن الواقع الذي ولد فيه وكذلك قد تجده مفككاً غير متجانس أو متواصل مع بعضه ولعلّ السبب في ذلك يرجع الى مقدار انسجامه مع القوانين الحاكمة لبناء النصّ وتكوينه في حين تجد النصوص المحكمة متناسقة ومنسجمة مع بعضها لأنها استوعبت كل القيم والقواعد المتحكمة في بنية النصّ فبدا منسجماً ومتماسكاً .

هذا الأمر من الصعوبة حصوله في أغلب الأحيان في النصوص البشرية لأنّ هذه النصوص محكومة بثقافة المؤلف وامكاناته العلمية وقابلياته على إنشاء بنية نصيّة سليمة ومعبرة عمّا يُريده المؤلف لذا تجد هذه النصوص متفاوتة في امكاناتها في التعبير عن مضمونها أو سلامة بنيتها .

من خلال الاستقراء الواسع تبيّن أن هناك قيماً مؤثرة في تكوين النص اللغوي وموجهة له ولا يمكن لأي نصّ أن يتبرأ منها فالنصّ كما تشير بعض الدراسات الى أنه ذلك النسيج الذي يوحي بدلالات منها : دقة التنظيم وبراعة الصنع والجهد والقصد والكمال والاستواء الذي يؤدي الى تسلسل الأفكار من خلال توالٍ في الكلمات [1] وهذا الأمر مما يبعث فيه صعوبة في التكوين أو التأليف وذلك لتداخل هذا المفهوم للنصّ مع العلوم الأخرى بوصفه علمياً متداخل التخصصات ولتأثره أيضاً بالدوافع والمناهج التي تقوم عليها هذا العلوم [2] .

إذن عند دراسة نصٍّ ما والكشف عن مضامينه وما يحوي من دلالات – رُبما لا تكون بارزة من ظاهر النص – لابد من ملاحظة الثيمات التي تتعلق بمكوناته وهي :

١. بنية النص وتتمثل بطريقة بناء الوحدات النصيّة المؤلفة لعموم النصّ التي تحقق من خلالها مقدار ترابط هذه الوحدات وانسجامها مع بعضها وطرائق الإحالة

(١) ظ : تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص / عبدالقادر شرشار : ١٨ مدخل الى علم لغة النص ومجالات تطبيقه / محمد الأخضر الصبيحي : ٢٠ .

(٢) ظ : آيات الآخرة – دراسة في ضوء علم اللغة النصّي / د . قاسم شهيد كاظم : ١٨ (اطروحة دكتوراه) .

وتماسك نسيج النص الذي يحقق الوحدة التامة له .

٢. لغة النصّ وتمثل مكونات اللغة والوحدات البنائية لتكوين النص فاللغة في أصل وضعها ألفاظٌ ومعانٍ تنتظم مع بعضها لتكوين القول أو الكلام لأجل التواصل مع المحيط الخارجي للمتكلم ولكن هذه اللغة ستكون فعالة من خلال طريقة نظم هذه المفردات في البنية العامة للنصّ فربما تجد كلمة لا أثر لها من دلالة في تركيب معيّن ولكن تجدها في تركيب آخر زاهرةٍ مشعة بفضل نظمها وحُسن تأليفها مع أخواتها من المفردات الأخرى .

٣. قواعد بناء النصّ، وتتمثل بطريقة تأليف المفردات المبنية على أُسس وقواعد قد تعارف عليها متكلمو اللغة وهي التي نسميها (القواعد النحوية) فهناك قواعد تحكم ذلك التأليف فيكون النص المبني على أصل تلك القواعد ذا معنى أولي أو ساذج لكن المتكلم بفعل براعته في طريقة استعمال هذه القواعد قد يؤدي الى إبراز معانٍ ودلالات أخرى جديدة لم تكن متوافرة في أصل القاعدة وهذا الأمر ممّا يعمل على حضور المؤلف بشكل دائم في النصّ وعدم القدرة على تجاوزه أو إهماله ويكون هذا من خلال تحولات بنية النصّ لأن الخروج عن أصل القاعدة النحوية يؤدي الى احداث تغيرات في بناء الجملة النحوية وهذه بدورها تعمل على اضفاء أو اضافة دلالات غير منظورة في الأصل .

٤. إيحاءات النصّ الظاهرة من خلال طريقة استعمال اللفظة أو المفردة اللغوية على أصل الحقيقة أو المجاز ففي المجاز يُعطى النصّ قابلية الإيحاء بدلالات خارجة عن أصل المعنى للمفردة أو عن المعنى الظاهر الذي يوحيه النصّ من أول قراءة أي يكون النصّ قابلاً للتأويل وهذا ما يجعله يتجاوز عصر إنشائه الى عصور قادمة فيُكتب له البقاء والديمومة بمقدار قوة الإيحاء فيه وهذا مما يقيد المتلقي فلا يكون النصّ منطلقاً لقراءة حرة غير ملتزمة .

٥. ظروف ولادة النصّ ونشأته وهذه الظروف تكون مرة متعلقة بواضع النصّ وفي أخرى بالواقعة الذي ولد فيه النصّ وهذه الظروف تتعانق فيما بينها لتوجيه دلالة النصّ وتأثيره أي ستكون هنالك نسبة تواصليه في هذه الثنائية – واضع النص والواقع – فالمفردة الأقوى في هذه الثنائية يكون لها الأثر في الأخرى وبالتالي ستكون موجهة لها والأخرى منقادة إليها .

هذه الثيمات المذكورة في أعلاه ربما تكون متوافرة كلها في نصّ معيّن وكذلك كل ثيمة منها قد تكون فاعلة في نصٍّ أو تكون ذات أثر ضعيف في نصٍّ آخر وهذا ممّا يجعل النصوص متفاوتة قوةً أو ضعفاً تبعاً لأثر هذه العوامل فالنصوص الكبرى تتوفر فيها هذه الثيمات بقوة فيما تفتقر لها النصوص البسيطة أو الساذجة لذا نجد نصوصاً كُتب لها البقاء منذ العصر الجاهلي وصدر الاسلام الى يومنا هذا من نحو الشعر الجاهلي والنصّ القرآني وشعر باقي العصور العربية الزاهرة فيما نرى نصوصاً أخرى لم يُكتَب لها البقاء حتى في ضمن العصر الذي ولدت فيه .

ولو أخذنا سورة قريش مثالاً لتطبيق هذه الثيمات لوجدنا تناسباً بين هذه السورة مع ما قبلها من سورة الفيل فكلنا السورتين لها وحدات نصيّة متشابهة ومتماسكة مع بعضها حتى أصبحتا نسيجاً بنائياً واحداً فالمعاني في سورة قريش مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما جاء من معانٍ ودلالات في سورة الفيل بل أن ما في سورة قريش نتاجاً لما في سابقتها فتوفر الأمان والطعام لقريش ما كان إلاّ بعد انهيار سيطرة الحبشة على اليمن بعد فشلها في هدم الكعبة واستباحة مكة فكأن الإيلاف وما نتج عنه خيراً لقريش[1] فَعَظُمَ شأنها بين القبائل العربية عندما هُزِ من الحبشة بإرسال طير الأبابيل فسمّوا (أهل الله) أو سكان الله تعظيماً لهم واعلاءً لشأنهم يقول المستشرق يوري روبين (تمتّعت قريش في عصور ما قبل الاسلام – في الواقع – بالحماية الإلهية التي استندت الى مكانها المقدّسة على أنها « أهل الحرم » أي أهل الأرض المقدسة التي تطوّق مكة والكعبة ولكونهم سكان حرمَ مكة والأوصياء على الكعبة

(١) ظ : محمد في مكة / مونتجمري واط : ٦٦ .

فقد اعتَبر أي اعتداء عليهم انتهاكاً للمحرّمات المقدسة) لذا عدَّ بعض العلماء أَنَّ سورة قريش مع سورة الفيل سورة واحدة .

إذ نقل الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) : (قال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ سورة واحدة [١] وروي أنّ أُبيَّ بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه وقال عمرو بن ميمون الأزدي صليتُ المغرب خلف عمر بن الخطاب وقرأ في الأولى ﴿وَٱلتِّينِ﴾ وفي الثانية ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ [٢] وكذلك الأخفش (ت ٢١٥هـ) لم يفصل بينهما)[٣] ونقل ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) أن (هذه السورة – يعنى سورة قريش – مفصولة من التي قبلها في المصحف الإمام كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذبك محمد بن اسحاق وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم لأنّ المعنى عندهما حبسنا عن مكة والفيل وأهلكنا أهله لإيلاف قريش أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمين)[٤] وقريب من هذا ما نوّه به الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) حين قال (اعلم أنّ الانعام على قسمين أحدهما : دفع الضرر والثاني : جلب النفع . والأول أهم وأقدم ولذلك قالوا : دفع الضرر عن النفس واجب أما جلب النفع فإنّه غير واجب فلهذا السبب بيَّن تعالى نعمةَ دفْع الضَرَر في سورة الفيل ونعمة جلب النفع في هذه السورة ولما تقرَّر أنَّ الإنعام لابُدَّ وأنْ يُقابَل بالشكر والعبودية لا جرمَ لأتْبَعَ ذِكْرَ النعمة بطلب العبودية فقال : ليعبدوا)[٥] فهنا إحالة المعنى في سورة قريش كان إلى سورة الفيل فهذه الإحالة في المعنى والحدث بين السورتين دليلٌ على انسجام النص وتماسكه وهذا ممّا يبعث الى قوة نسيجه ووحدة لحمته وقوتها . حدثاً ونتائج وخاصة ما كان من إخفاء القدسية على مكة والكعبة بعد حادثة الفيل .

(١) مكة قبل الاسلام / فريق من الباحثين . (موضوع / إيلاف قريش : ٢١٨) .
(٢) مجمع البيان / الطبرسي : ١٠ / ٥٤٤ .
(٣) ظ : معاني القرآن / الأخفش : ٢ / ٥٨٥ .
(٤) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير : ٤ / ٥٥٣ .
(٥) مفاتيح الغيب / الفخر الرازي : ٢٢ / ٢٩٨ .

وقد أدرك بعض المستشرقين هذه العلاقة بين السورتين من خلال العلاقة بين الاحداث التاريخية وترابطها فيهما يقول المستشرق يوري روبين : (إنّه بحلول ذلك الوقت من الحملة – أي جملة إبرهة الحبشي – لم تكن مكة معروفة حتى بين القبائل العربية باعتبارها حرماً مقدساً . فيما عدا ذلك كان من المستحيل مُشاركة هذه القبائل في الحملة التي قيل أنّها موجّهٌ ضدَّ الكعبة)[١]وقد رصد المستشرق البريطاني كستر خطورة قبيلتي طيء وكلب على مكة إذ يقول : (وقد كانت هاتان القبيلتان – طيء وكلب – بصورة خاصة أشدّ خطورة على مكة لأنّ أغلبية هاتين القبيلتين ما كانوا يحترمون قداسة مكة والأشهر الحرم)[٢]وبقى خطرهم قائمًا على القوافل التجارية حتى عقد الحلف قال كستر : (وقد يسرّ هذان الحلفان من حلف تميم وكلب (وقناعة) وحلف أسد وطيء (القحطانية) ولقريش في أن نرسل بكل أمن قوافلها وتسيطر على التجارة في هذه الطرق)[٣] .

وقد ذهب هذا المستشرق الى أبعد من ذلك حين درس الخلفية التاريخية لسورة قريش فكان يرى أنه (لم يُعْتَرف بمكة بعدُ على أنّها حرمٌ محميٌّ وكان الأساس الوحيد لحماية قوافل قريش هذه المعاهدات مع القبائل التي كانت نادراً ما تلحظ وبعد هزيمة إبرهة حظيت مكة بالاحترام لأوّل مرة باعتبارها تحت الحماية الإلهية)[٤]، وارتفع شأن قريش بعد الحملة وعلا علواً كبيراً قال المستشرق إميل دير منغم : (تاهت قريش فخراً بما أصاب ابراهة من الدمار ولقُبت قريش بـ(الصناديد) وأضحت مكة مركزاً كبيراً للتجارة والحج[٥] .

ويتضح هذا التماسك النصّي – أيضاً – فيما كان من لغة النص وقواعدها المهيمنة على البنية النصيّة للسورتين وكذلك طريقة استعمال هذه القواعد في إيضاح المعنى المطلوب وكذلك اختيار الألفاظ التي تعبّر عن المراد فمثلاً استعمال لفظة (إيلاف) لم يكن استعمالاً

(١) مكة قبل الإسلام / فريق من الباحثين (موضوع إيلاف قريش / يوري روبين : ٢٢٩ .
(٢) مكة في الدراسات الاستشراقية (موضوع : مكة وصلتها بالقبائل العربية / كستر : ١٩٩ .
(٣) مكة في الدراسات الاستشراقية (موضوع : مكة وصلتها بالقبائل العربية / كستر : ١٩٩ .
(٤) و . ن : ٢٣٤ .
(٥) حياة محمد / إميل در منغم : ٣٥ ظ : مكة في الدراسات الاستشراقية (مكة وصلتها بالقبائل العربية) / كستر : ١٧٧ .

اعتباطياً وذلك أنّ دلالة الإيلاف هو من الإلفة والاعتياد على الاشياء [١] وهو أمرٌ مألوف عندهم وليس طارئاً عليهم فضلاً عن احتماله دلالة العهد ولو استعمل لفظة مرادفة أخرى كالعهد أو العصام أو الحبل لما أدّى دلاله الاعتياد والميثاق بل اقتصر على دلالة الميثاق وهذا ما لا يريده النص المبارك فدلالة الاعتياد تعني الأمان الدائم وقد أُكِّد هذا المعنى المستشرق روبين حين قال عن إيلاف بأنّ (هذا المصدر يعني إزالة الصعوبات من تنفيذ شيء ما بحيث يمكن أن يُمارس عادةً أو يحسب رغبات المرء)[٢] .

إذن كان لمكان هذه اللفظة أهمية كُبرى ولا تستطيع أي مفردة مرادفة لها أن تحلّ محلها وكذلك باقي المفردات المؤلفة لهذه السورة أو التي قبلها لتعاضد دلالاتها وانسجامها مع بعضها .

ويظهر تماسك النص وانسجام مفرداته مع بعضها من خلال التركيب النحوي للجملة القرآنية فمثلاً كان لتقديم الجار والمجرور في (لإيلاف) على متعلِّقه الفعل (فليعبدوا) أكثر من سبب لأجل إعطاء أكثر من فائدة منها [٣] :

١. أنه لو قال (ليعبدوا ربّ هذا البيت لإيلاف قريش) لاقتضى حذف الفاء ولانمحى المعنى الذي تدل عليه .

٢. ان التقديم وسّع المعنى لتعدد الاحتمالات فهو يحتمل أنه متعلق بالفعل (ليعبدوا) ويحتمل أنه متعلق بفعل مضمر تقديره (اعجبوا) ولو تأخر لتعيّن تعلقه بأحدهما .

٣. إن التقديم قوّى الربط بين هذه السورة وسورة الفيل، فكأنه قال : فجعلهم كعصفٍ مأكول لإيلاف قريش وهذا ما يراه الأخفش أيضاً [٤] .

(١) ظ : لسان العرب / ابن منظور : أَلِف .
(٢) مكة قبل الاسلام / مجموعة من الباحثين : موضوع (إيلاف قريش) : ١٢٢٨ .
(٣) ظ : على طريق التفسير البياني / د . فاضل صالح السامرائي : ١ / ١٠١ .
(٤) ظ / معاني القرآن / الأخفش : ٢ / ٥٨٥ .

٤. وأحسبُ أنّ دلالة اللام في (لإيلاف) انما جاءت بمعنى لأجل أو بسبب وقد أكّد هذا المعنى الزمخشري والطبرسي[١] في حين ذهب غيرهم الى أن الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول : أعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك[٢] .

لكن المستشرق يوري روبن يذهب الى أنها لام الأمر اعتماداً منه على رواية لعكرمة حيث يقول : (ولكن كما سيتضح أدناه أن حرف الجر « ل » في رواية عكرمة هو لام الأمر)[٣] وهذا مخالفاً لما يراه المستشرق بير كلاند[٤] وعليه فأن دلالة (لأجل) هي الأنسب في الاستعمال وهو ما عليه أغلب المفسرين فإنها تعمل ارتباطاً في نصّ السورة مع التي قبلها نحوياً ودلالياً .

إنّ صيغة التركيب هنا أو في غيرها من السورة المباركة توحي بدلالات أوسع مما هو في ظاهر اللفظ فإن الظاهر لا يسعفنا إلا بدلالة أولية غير قادرة على البوح بكل مضامين النصّ غير أنّ صيغ التركيب الجملي في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية قد فعّل فيها إشعاعات دلالية غير منظورة في الداخل ممّا جعلت في النصّ إمكانية التأويل المرتبط بهذه القواعد بمعنى أنها تأويل منضبط لا يُبيح للمتلقي إطلاقية المعنى بل يجعله يدور في فلك المؤلف وآرائِه التي مثلها في النصّ .

فضلاً عن ذلك نجد أنّ الخلفية التاريخية لسورة قريش قد التحمت التحاماً قوياً بالخلفية التاريخية لسورة الفيل وذلك أن نتاج الواقعة التاريخية لحملة ابرهة التي ذُكرت في سورة الفيل قد فتحت على قريش أبواب الرحمة والخير والأمان فذكرهم الله تعالى بهذه النعمة في سورة قريش كي يتجهوا الى توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام .

ويرى ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) أن اتصال السورتين بالألفاظ كان على مذهب العرب في

(١) ظ : الكشاف / الزمخشري : ٤٠ / ٨٠٦ مجمع البيان / الطبرسي : ١٠ / ٥٤٤ .
(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير : ٤ / ٥٥٣ .
(٣) مكة قبل الاسلام / مجموعة من الباحثين : موضوع (إيلاف قريش / يوري روبن) : ٢١٢ .
(٤) ظ : م . ن : ٢١٢ .

التضمين[١] بمعنى تضمين تداعيات معاني سورة الفيل في سورة قريش لما بينهما من اتصال في الحوادث التاريخية فانسجمت معها البنية اللفظية للسورتين يقول : (فلما قصد أصحاب الفيل الى مكة ليهدموا الكعبة وينقلوا أحجارها الى اليمن فيبنوا به هناك بيتاً ينتقل به الأمر إليهم ويصير العز لهم أهلكهم الله سبحانه لتقيم قريش في الحرم ويجاور البيت فقال يذكر نعمته)[٢] فذكر السورتين تعقيباً لكلامه ومصداقاً لاتصالهما لفظاً ومعنى .

ويرى المستشرق يوري روبين (أنّ هذا التفسير معقول لأنه يقدّم السورة بما يتماشى مع العديد من الآيات القرآنية بحيث تكون قوة الله وفضله وخيره – عادةً ما تكون على نطاق شامل – التي يُستشهد بها هي السبب في تكريس الناس لعبادتهم بشكل حصري الى الله)[٣] في إشارة منه الى أن النصّ القرآني نصٌّ منسجم وأن نزل منجّمًا على رسول الله ﷺ ولعلّ صيغة الترتيب المصحفي للسور القرآنية لم يكن ترتيباً اعتباطياً وانّما كان مبنياً على وفق قاعدة إلهية تضمن هذا الانسجام .

إذن ممّا سبق يبدو أنّ هناك انسجاماً تاماً بين السورتين تجلّى لنا من خلال تتامٍّ الأحداث مع بعضها فضلاً عن الانسجام اللغوي الذي بدا واضحاً من خلال البنيات اللغوية المتماسكة التي عبرت عن اتصال السورتين مع بعضهما لتتامٍّ الأحداث واتساقها تأريخاً ونتيجةً .

هذا الأمر سوف يقودنا الى ضرورة دراسة الإبعاد الدلالية وعلاقتها بالحدث التاريخي وصياغة النص الإلهي الموجّه للواقع العربي بما يراه واضع النصّ المقدس .

الأبعاد الدلالية في سورة قريش وعلاقتها بالحدث التاريخي :

لأجل تسليط ضوء أكثر على سورة قريش لابُد من دراسة التركيب الجملي لهذه السورة وذلك إنّ البنية التركيبة لأي نصٍّ لها تأثير في صياغة المعنى وتوجيه الدلالة التي يريدها

(١) ظ : تأويل مشكل القرآن / ابن قتيبة : ٢٣٥ .
(٢) م . ن : ٢٣٥ .
(٣) مكة قبل الاسلام / مجموعة من الباحثين : موضوع (إيلاف قريش / يوري روبن) :٢١٤ وانظر مصادره رجاءاً .

واضع النص فمن خلالها يستطيع أن يكمل المعنى الذي توخاه من البعد اللغوي أو البعد التاريخي للنصّ وذلك عبر تنظيم المفردات ورصفها وتركيبها بمعنى أن طريقة النظم للمفردات في تركيب نحوي معين لها أثرها في بيان المعنى الذي يريده المؤلف أو يوحي به للمتلقي ولعلّ النصوص العظيمة تتجلى بها هذه الخصيصة بشكل واضح .

ففي سورة قريش الذي يقول تعالى فيها :

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾[1] هنا مفاصل تركيبية مهمة يمكُن من خلالها أن يتضح المعنى للمتلقي من مجمل السورة المباركة بعد أن علمنا ارتباطها بسورة الفيل التي قبلها ففي المفصل الأول يقول الله تعالى ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ فهنا يتعلق المفصل باللام المكسورة ولفظة الإيلاف واللام المكسورة توحي للمتلقي أن ما بعدها متصل بما قبلها من سورة الفيل[2] وقد اختلف المفسرون وكذلك المستشرقون فيها بين دلالتها على الأمر أو التعجب فمنهم من يرى أنها بمعنى (لأجل) أو(لسبب)، وقد أدرج المستشرقون هذه الدلالات اعتماداً منهم على ما جاء في التراث الاسلامي ونقلاً عن عكرمة توفي (١٠٥هـ) ومجاهد (ت ١٠٤هـ) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) والخليل وسيبويه وابن قتيبة [3] ولم يخرج المفسرون عن المعاني أعلاه .

فقد ذهب أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) والأخفش (ت ٢١٦هـ) الى أنّ اللام جاءت بمعنى لأجل أو بسبب قال أبو عبيدة (ومجاز ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ على ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾[4] في حين ذهب الأخفش الى ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾

(١) سورة قريش / الآيات ١ – ٤ .

(٢) ذهب كثير من العلماء ان السورتين مرتبطتين مع بعضهما وقد عدهما بعضهم سورة واحدة .
ظ : معاني القرآن / الفراء : ٣ / ٢٩٣ معاني القرآن / الأخفش : ٢ / ٥٨٥ مجمع البيان / الطبرسي : ١٠ / ٥٤٤ تفسير القرآن العظين / ابن كثير : ٤ / ٥٥٣ .

(٣) مكة قبل الاسلام / مجموعة من الباحثين : موضوع (إيلاف قريش / يوري روبن) : ٢١٢ – ٢١٤

(٤) مجاز القرآن / أبو عبيدة : ٢ / ٣١٢ .

لإيلاف قريش [١] أي بسبب أو لأجل فكانت اللام عندهما اداة وصل فضلًا عن كونها توحي بالسبب أي أنّ ما بعدها كان نتيجة لما قبلها فاتضح هنا مبدأ العلية أي انّ ما قبلها كان علة لما بعدها وسبباً له وهذان العالمان قد قادهما هذا الاستنتاج من التفكير العقلي المبني على السبب والنتيجة لكونهما يميلان الى مذهب الاعتزال وفي هذا الاتجاه سار الفراء وفي الوقت نفسه ضعّف الاتجاه القائل أن اللام تفيد التعجب حين ذكر ها الرأي بقوله : (يقال: إنّه تبارك وتعالى عجَّب فيه ﷺ فقال : أعجب يا محمد لنعم الله تبارك وتعالى على قريش في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) [٢] فقوله « يُقال « بالمبني للمجهول قد أومأ فيه للمتلقي بضعف هذا الرأي اتجاه الرأي الغالب عنده القائل إنّ اللام بمعنى لأجل أو بسبب .

وهو رأي الخليل وسيبويه فقد نقل الطبرسي قولهما (قال الخليل وسيبويه : ليعبُدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة واعترافاً بها)[٣] وهذا يُشير الى أن معناها بسبب أو بفضل .

ويُشير المستشرق روبين الى انّ هذا المعنى معقول فيقول : (ووفقاً للخليل وسيبويه تعني الخير "النعمة" من الله نحو قريش وبسبب هذا الخير كانت قريش مطالبة في الآية (٣) بإظهار امتنانها في عبادة ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾... لأنه يقدم السورة بما يتماشى مع العديد من الآيات القرآنية)[٤] ثم ينتهي الى أن معنى ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ مرادف لـ "نعمتي على قريش" وذلك عندما عدّ أن قريشاً هي موضوع الخير الإلهي وأنها كانت على بينة من ذلك حتى لُقِّب القرشيون بأنهم "أهل الله" أي "شعب الله" قبل الاسلام فضلاً عن ارتباط الإيلاف بالله تعالى[٥] وممّا يدعم هذا الرأي فوز قريش بالمنزلة العالية بين القبائل العربية وهو ما كان من حالها بعد حادثة الفيل وانتصارها على ابرهة الحبشي بفضل عناية الله لهم

(١) معاني القرآن / الأخفش : ٢ / ٥٨٥ .
(٢) معاني القرآن / الفراء : ٣ / ٢٩٣ .
(٣) مجمع البيان / الطبرسي : ١٠ / ٥٤٤ – ٥٤٥ .
(٤) مكة قبل الاسلام / مجموعة من الباحثين : موضوع (إيلاف قريش / يوري روبن) : ٢١٣ .
(٥) ظ : م . ن : ٢١٤ – ٢١٥ .

وللبيت الحرام إذ كانت قريش متمسكة بالبيت الحرام ولكن عندما هاجمهم ابرهة الحبشي خافوا على انفسهم منه ورأوا أن لا قدرة لهم على مواجهته فتركوا مكة وصعدوا الجبال [١] وكان من قبلهم ما كان من زعيم الطائف عندما حط بالقرب منهم هذا المحارب الغاشم فاحتال عليه وأبعد خطره عنهم ووشى بمكة وأهلها لمنافسته قريش يقول ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ) : (ثم سار-أي ابرهة الحبشي-حتى نزل بالطائف وقيل له إنّ هنا بيتاً للعرب تعظمه فلما نزل بهم خرج اليه مسعود بن معتب الثقفي وكان منكراً وأهدى له خمراً وزبيباً وأُدماً ثم قال : أيها الملك ؟ أنّ هذا البيت ليس البيت الذي تريده أنّما البيت الأعظم الذي تريده هو الذي صنع أهله ما صنعوا أمامك وإنما نحن في مملكتك فامضِ ! فإذا فرغت رأيت فينا رأيك فمضى وتركه) [٢] فلما دخل مكة لم يجرؤ أحدٌ من أهل مكة مقابلته إلاّ عبدالمطلب بن هاشم فأعجب به ثم سأله عبدالمطلب أن يرُد له إبله[٣] فقال ابرهة : (والله لقد زهتُ فيك بعد عجبٍ بك ! قال عبدالمطلب : وَلِمَ ذاك أيها الملك ! قال : جئت أهدم شرفك وحرمتك فتركت أن تسألني الكف عنها وسألتني ما لك، قال : أمّا والله لحرمتي أعجبَ اليَّ وأعظم عندي من مالي ولكن لحرمتي ربٌ أن شاء أن يمنعها منعها وان تركها فهو أعلم وأن هذه الأبل لي خاصة فأنا أخاف عليها فاعمل فيها)[٤] فما أن خرج منه حتى توجّه الى الكعبة مستنجداً بالله تعالى لحفظ بيته المحرم الذي فيه عزهم وشرفهم فقال يدعو :[٥]

يـــــاربِّ إنَّ الـعـبـدَ ... يـمـنـع رحـلـهُ فـامـنـع رحـالَـك
لا يـغـلـبـنَّ صـلـيـبُـهـم ... ومحـــالُهُـــم ربّي محـالَـك
إن أنـــــت تـتـركـهـم ... وكـعـبـتـنـا فـشيءٌ مـا بـدالـك

(١) المنمق / ابن حبيب : ٧٤ .
(٢) م . ن : ٧٤ .
(٣) ظ : حياة محمد / أميل درمنغم : ٣٤ .
(٤) المنمق / ابن حبيب : ٧٥ .
(٥) م . ن : ٧٦ .

فاستجاب الله دُعاءَهَ فَهِرَم جيش ابرهة شر هزيمة فقال قيس بن الأسلت في ذلك[١] :

مِـــن نِـعَـــم الله أمـــوالُـــنـــا وأبـــنـــاؤُنـــا ولـــديـــنـــا نَـعَـم
ومـــن مَـنِّـــهِ يـــوم فـيـل الحبـو شي إذ كـــلَـــما بـعـثـوه رزم
محـاجـنـهـم تحـــت أقـــرابـــه وقـــد خـــرمـــوا أنـــفـــه فـانـشرم
فـــــولّى سريـــعـــاً لأدراجـــــه وقـــد هـــزمـــوا جمـعـه فـانهـزم

فهكذا نرى الشاعر قد عَدَّ ما وقعَ على جيش إبرهة الحبشي وهزيمته مِن نِعَم الله تعالى ومَنِّهِ وفضله على قريش حتى أصبحوا من أعزّ العرب وأكرمهم وبعدها انتعشت تجاربهم عندما ضَعُف تأثير البحث عليهم فكان الإيلاف على أشدّه بعد ذلك [٢] .

إذن هذا الأمر يدلّل على أن الحدث التاريخي المقترن بواقعة الفيل قد أصبح قرينة كبرى تدعم كون (اللام) في (لإيلاف)دالة على كونها بمعنى (لأجل) أو (لسبب) كون الإيلاف مرتبطاً بالله تعالى[٣] .

فضلاً عن ذلك أن اختيار لفظة (إيلاف) لم يكن اعتباطاً فلم يختر مثلاً ألفاظ الحبل أو السبب أو العصام أو غيرها وهي ألفاظ مرادفة للفظة إيلاف وقد استعملتها العربُ للعهود والمواثيقولكنها تختلف عنها ببعض الدلالات التي يتوافق مع النصّ فربما تؤدّي تلك الألفاظ معنى العهد أو الاتفاق غير أن الإيلاف يحمل معنى مضافاً الى ذلك المعنى وهو الأمان والإجارة والإلفة وديمومتها فالإيلاف هو الميثاق الذي يضمن الأمان الدائم وهذا ما كان من حالة قريش في رحلاتها مع القبائل العربية التي تمرّ بها قوافلهم ومع ملوك الروم والحبشة واليمن وفارس الذين عقدوا معهم الإيلاف .

فالعهد أو الاتفاق التجاري لا يضمن للطرفين وصول البضائع سالمةً في حين كان الإيلاف يضمن هذا الأمر مضافاً إليه الأمان وديمومته وهذا ممّا ضمن لمكة وصول المؤن

(١) م . ن : ٧٩ – ٨٠ .
(٢) ظ : تاريخية الدعوة المحمدية في مكة / هشام جعيط : ١٢٩ .
(٣) مكة قبل الاسلام / فريق من الباحثين (موضوع : إيلاف قريش) / يوري روبين : ٢١٥ .

والغذاء وكل ما يحتاجون إليه بأمان وسلام قال أبو هلال العسكري (حيًّا٤٠٦ هـ) في معنى الإيلاف أنه : (كتاب أمان يؤمنهم بغير حلف)[١] ولذلك يرى كاستر أن الإيلاف هو اتفاقيات كانت قد أُقيمت على أساس مقاسمة الأرباح مع رؤساء القبائل العربية التي تمر بها القوافل مع استخدام رجال القبائل حراساً لها[٢] في حين أرجع بيركلاند الإيلاف الى أنه (حلف يضمن الأمن أو الحماية)[٣] .

لكن لو رجعنا الى معجم العباب الزاخر للصاغاني (ت ٦٥٠هـ) لوجدناه يورد عدداً من المعاني والدلالات لهذا الجذر اللغوي في كلام فأمّا ما يخص موضوع البحث فمنهما معنى الإلفة وَالموضع الذي يألفه الإنسان أو الابل ويأتي كذلك بمعنى الإجازة بالخفارة والاجتماع والوصل والاستئناس[٤] وأرى هذه المعاني قد اجتمعت في الإيلاف بسورة قريش لأن قريشاً قد أحكمت علاقتها مع الملوك واحسنت التعامل مع رؤساء القبائل التي تمر بها قوافلهم التجارية فضلاً عن اجارتهم لضعفاء قريش واصطحابهم في التجارة ومشاركتهم في أموال التجار ولو بالشيء اليسير حتى أصبحت قريش من أغنى القبائل العربية فسيطروا على تجارة الجزيرة العربية بعد أن كانوا ضعفاء لا يقوون على مواجهة عدوهم فضلاً عن فقرهم إذ كانت المؤن وما يحتاجونه يأتيهم بها تجار الدول المجاورة فيما هم لا يقوون على ذلك حتى سن لهم هاشم بن عبد مناف وأخوته الإيلاف مع ملوك الروم والحبشة واليمن وفارس ثم قويت شوكتهم أكثر بعد واقعة الفيل أيام عبدالمطلب بن هاشم فارتفع شأنهم بين العرب اقتصادياً، ودينياً، واجتماعياً، وسياسياً[٥] .

أما المفصل الآخر فهو ما جاء في قوله سبحانه : ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣﴾[٦]

(١) الأوائل / العسكري : ١ / ٢٦ .
(٢) مكة في الدراسات الاستشراقية / دراسة : مكة وصلتها بالقبائل العربية / كاستر : ٧٧ .
(٣) م . ن : ٧٦ .
(٤) ظ : العباب الزاخر / الصاغاني : حرف الفاء – ألف النهاية / ابن الأثير : ١ / ٦٠ .
(٥) سأبين هذه الأدوار في حياة قريش فيما بعد .
(٦) سورة قريش / الآية ٣ .

إذ اختلف العلماء في تخريج الفاء في ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ فمنهم مَنْ عدّها هنا إنما دخلت لمعنى الشرط وهو رأي الزمخشري إذ يقول (﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾متعلق بقوله ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين فإن قلت : فَلِمِ دخلت الفاء ؟ قلت : لمّا كان في الكلام من معنى الشرط لأن المعنى : أمّا فليعبدوا لإيلافهم على معنى : إنّ نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوا لسائر نعمه فليعبدوا لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة)[1] ومنهم من عدّها زائدة لا تمنع إفادة المعنى قال أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) : (واللام متعلقة بقوله تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ أي ليعبدوا الله تعالى من أجل إِلْفهم ولا تمنع الفاء من ذلك)[2] وقوله « ولا تمنع الفاء من ذلك » دليل على زيادتها لأنها لا تغير في المعنى من شيء عند حذفها أو بقائها .

ويرى د. فاضل السامرائي أنها تفيد السبب من ناحيتين : (الأولى كونها على تقدير جواب الشرط والفاء في جواب الشرط تفيد السبب غالباً والأُخرى كون الفاء على اختلاف معانيها فيها معنى السبب في الغالب)[3] .

نعم إنّ المعاني المذكورة هي حاصلة حتماً لكن يمكُن إضافة معنى آخر يتمثل في الأمر لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له غير أنّ هذا الأمر لم يكن أمراً قسرياً وإنما هو أمر بصيغة أكثر ليون وذلك أنّ العبادة لله لا يمكُن أن تكون على وجه القسر والإجبار بقدر ما تكون من خلال الاستئناس بها بقصد أن يكون العبد أكثر أُنساً بربه لذلك لم نجد هذه الصيغة النحوية في قوله : ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾[قُرَيش الآية ٣] على صيغة الشرط الذي فيه إلزام تحقق جواب الشرط من تحقق فعل الشرط فنجد هنا حذف أحد طرفي جمل الشرط وهو ما يسمى بشبه الشرط لكون العبادة لا يشترط فيها علة وسبب بل تصدر عن

(١) الكشاف / الزمخشري : ٤ / ٨٠٦ وأنظر قوله تعالى (وربك فطهر) فقد عدّ الزمخشري الفاء جاءت بمعنى الشرط : ٤ / ٦٤٧ .
(٢) إملاء ما منْ به الرحمن / العكبري : ٢ / ٢٩٥ .
(٣) على طريق التفسير البياني / د.فاضل السامرائي : ١ / ١٠٣ .

إيمان قلبي فيكون إلزاماً نفسياً من قبل العبد اتجاه ربه ولو تحقق وجود جناحي الشرط لانتفى معهما عدم القسر والإلزام في العبادة لذا جاء الأمر مصحوباً بالسهولة واليسر لإيجاب وقوعه لأن العبادة لا تكون قسرية لذا كان الله سبحانه يقول لنبيه محمدﷺ: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ (١) وهذا المعنى نجده مفهوماً من سياق الآية المباركة وقد نبه ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) الى ذلك فقال : (كما تربط الفَاء الجواب بشرطه كذلك تربط شبه الجواب بشرطه وذلك في نحو « الذي يأتيني فله درهم » وبدخولها فهم ما أراده المتكلم من ترتُّب لزوم الدرهم على الإتيان ولو لم تدخل احتمل ذلك وغيره)(٢) فضلًا عن معنى السببية عموماً في الفاء سواء أكان في الشرط أم في غيره من نحو قوله سبحانه ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ (٣) .

ولعلّ مجيء هذه الدعوة المصحوبة باليسر وعدم القسر في العبادة بسبب ما كان عليه حال قريش في الاسلام الذي يبين مقدار تعلقهم بالله سبحانه رغم وجود الصنم فبعد واقعة الفيل وانهزام إبرهة وقف ابن الاسلت يخاطب قريشاً (٤)

فقوموا فصلّوا ربكم وتمسَّحوا ... بأركانِ هذا البيت بين الأخاشِبِ
فعندكم منه بلاءٌ ومَصْدَقٌ ... غداة أبي مكسُوم هادي الكتائبِ
كتيبةُ بالسهل تمشي ورحله ... على العادقاتِ في رؤوس المناقِبِ
فلما أتاكم نَصْرُ العرشِ رَدَّهم ... جُنودُ المماليك بين ساقٍ وحاجِبِ
فولّوا سِراعاً هاربينَ ولم يَؤُبْ ... إلى أهلِهِ مِلْجَيشِ غيرُ عصائب

فهنا نلمس ايماناً لكن كان للتماثيل عميق أثرها في العقلية العربية آنذاك بوصفها شفيعاً وكانت تدعى ربًّا أو سيداً تقربهم الى الله زلفى (٥) .

(١) سورة العنكبوت / الآية ١٨ .
(٢) مغني اللبيب / ابن هشام : ١ / ٣٣١ .
(٣) سورة الكوثر / الآيتان ٢ – ٣ .
(٤) البحر المحيط / ابو حيان : ٨ / ٧٣٦ .
(٥) جاء ذلك في قوله تعالى ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ .

ولعلّ أول شفيع من هذه الأصنام التماثيل (هبل) الذي جيء به منحوتاً من العقيق الأحمر ويمثل شيخاً كثّ اللحية وضعه عمرو بن لحيّ في بيت الله بوصفه الشفيع الى الله في طلب الغيث والخير والنماء عندما كانت مكة فقيرة فاندفع الناس إليه وانتشرت عبادته من خزاعة الى عدنان ومن ثم بدأت القبائل العدنانية في الجزيرة تنحت لها آلهة من الحجر والخشب تماثل ما في مخيلتهم من الشفعاء حتى بلغ عددها ثلاث مئة وستين صنماً في الكعبة بعدد القبائل العربية[١] واحتفظ هبل بالمقام الأعلى من بينها [٢] وهذا الأمر هو الذي جعل العبادة محصورة برب البيت فقال ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣﴾[قُرَيش الآية ٣] أي خصص الربّ الذي أمرهم الله تعالى بعبادته فحصره برب هذا البيت الماثل أمامهم وهناك اشارة مهمة أخرى ذكرها المستشرق يوري روبن بقوله : (ويبدو ان القرآن يذكر عمداً " البيت " من أجل أم يلمّح الى أصل مكانة قريش كأهل الحرم كانت الكعبة هي من استمدَّت منها قريش مكانتها بين العرب)[٣] .

إذن حقق هذا النصّ المبارك قضيتين مهمتين الأولى تعيين الربّ الذي يُعبُد وهو الله سبحانه وتعالى لا هبل والثانية أهمية البيت الحرام (الكعبة) بالنسبة الى قريش وهي من نَعِم الله عليهم غير ان المستشرق روبين يرى خلاف ذلك فيقول : (نسبت قريش مكانتها المقدسة الى خير إله الكعبة وأشاروا له باسم "هبل" حيث كان تمثاله يقع داخل الكعبة)[٤] معتمداً في ذلك على تلبيتها وتلبية من نسك هبل (لبيك اللهم لبيك إنا لقاح حرمتنا على أسنة الرماح يحسدنا على النجاح)[٥] وكانت تلبية نزار إذا ما أهلّت (لبيك اللهم ! لبيك ! لبيك ! لا شريك لك ! إلاّ شريك هو لك ! تملكه وما ملك !)[٦] فنجد في هذه

(١) ظ : مفهوم الله وانداده عند العرب قبل الاسلام / فريق من الباحثين (موضوع : ديانة المشركين في القرآن / باتريشا كرونا) : ١٥٠ – ١٥١ .
(٢) ظ : الدين في شبه الجزيرة العربية / ابكار السقاف : ٢٧ .
(٣) مكة في الدراسات الاستشراقية / موضوع «(إيلاف قريش) / يوري روبين : ٢٢٢ .
(٤) م . ن : ٢٢٣ .
(٥) المحبر ابن حبيب : ٣١٥ .
(٦) الأصنام / ابن الكلبي : ٧ .

التلبيات نفساً وحدانياً هو إيماناً بالله الخالق ولكنهم بدافع إيمانهم بالمحسوسات تصوّرا إن الله تعالى سورة في مخيلتهم وهذا يُعدُّ مرحلة أولية من الإيمان لأن الانسان آنذاك إذا اراد (استحضار أمر عقلي مجرد وجب أن يضع له سورة خيالية يجسِّمها حتى تكون له تلك السورة الخيالية معينةً على إدراك تلك المعاني العقلية) [١] فيصوّرها بهذه التماثيل التي يصنعها بيده لتكون شريكاً للإله الأوحد (وكان لا يضعن من مكة ظاعن إلاّ احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوا وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم به وصبابة بالحرم وحباً له)[٢] اعتقاداً منهم أنها تحرسهم ممّا قد يمسهم من أذى يقول إبكار السقاف : (وبهذه المظاهر بدأ يرسخ في العقل العربي هذا اللون من ألوان المعتقد الديني الذي رغم اعترافه بالوحدانية فإنه قد اقام بينه وبين الله هؤلاء الوسطاء الذين عرفهم بالسادة وناداهم « الأرباب » فهو بين ما احتفظ لله بالوحدانية الخالصة فأنه قد جعل الأرباب .... شفعاء الى الله !) [٣] فالوحدانية حالة دينية متأصلة في الجزيرة العربية منذ دعوة النبي إبراهيم ﷺ فقد كان أهل مكة (يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم واسماعيل ﷺ)[٤] .

وممّا يعزِّز هذه الاتجاه في الوحدانية والدعوة الى الله الواحد وإصالتها في القدم لأرض العرب ما جاء في سفر التكوين إذ قال ملك سدوم عند لقائه النبي إبراهيم ﷺ: (لتكن عليك يا إبراهيم بركة الله العلي مالك السماوات والأرض وتبارك الله العلي الذي دفع أعداءك الى يديك) [٥] .

وهذا يدل على أن الإله العلي كان معروفاً عند العرب عامة منذ زمن إبراهيم ﷺ وقد يرد باسم " إيل " إذ جاء في سفر التكوين عندما وصل يعقوب النبي وقومه الى أرض

(١) الدين في شبه الجزيرة العربية / إبكار السقاف : ٢٨ .
(٢) الأصنام / ابن الكلبي : ٦ .
(٣) الدين في شبه الجزيرة العربية / إبكار السقاف : ٢٩ ظ : محمد في مكة / مونتجمري واط : ٨٤ .
(٤) الأصنام / ابن الكلبي : ٦.
(٥) سفر التكوين : ١٤ / ١٩ و ٢٠ .

كنعان : (وشيدّ مذبحاً هناك ودع المكان "بيت إيل" [١] لأن الله تجلى له هناك عندما كان هارباً من إمام أخيه)[٢] فضلًا عن ذلك فقد ورد اسم الإله "ايل" مضافاً الى عدد من أسماء ملوك المعينيين منهم "وقه – إيل" و يصدق "إيل" و "يشع إيل" كما ورد اسم الإله "إيل" أيضاً في بعض أسماء ملوك سبأ منهم "يدع إيل" و "كرب إيل" و "وهب إيل" وهذا يدل على ارتباط النبي إبراهيم ﷺ بالجزيرة العربية وإن الدعوة الى الله الواحد كانت معروفة في جزيرة العرب بصفته " الاله العلي " وإن اضافة اسمه الى أسماء بعض ملوك اليمن دليلاً على أن " إيل عربي الأصل " بمعنى الاله [٣] وقد أيّد هذا التأصيل للفظة «الله سبحانه» المستشرق يوري روبين إذ قال : (لكن مصطلح "الله" في حد ذاته هو أيضاً جاهلي الأصل . كان الله يُعبد من قبل العرب قبل الإسلام باعتباره "الله العلي" وكانت الكعبة تُعرف باسم "بيت الله") [٤]

الخاتمة

توصّل البحث الى عدد من النتائج أجملها بما يأتي :

١. وجود تناسقٍ نصيٍّ كبير بين سورتي الفيل وقريش تتمثّل في الانسجام التام بين آياتها فضلاً عن تماسك النصوص فيهما وكأنّهما سورةٌ واحدة .

٢. وجود تناسق دلالي تمثّل في أنّ سورة قريش كانت امتداداً دلالياً لسورة قريش من خلال تداخل الأحداث بينهما .

٣. اعتمد المستشرقون كثيراً على ما يراه المؤرخون فضلاً عن المفسرين في توجيه النصّ وبيان معانيه وعلاقته بالأحداث التاريخية .

(١) بيت ايل يعني بيت الله .

(٢) سفر التكوين ٣٥ : ٧ .

(٣) ظ : تأريخ الفكر الديني الجاهلي / د . محمد إبراهيم الفيومي : ٣٦٨ .

(٤) مكة قبل الاسلام / فريق من الباحثين (موضوع : إيلاف قريش) / يوري روبين : ٢٢٣ ظ : مفهوم الله وإنداده عند العرب قبل الإسلام / فريق من الباحثين (موضوع : ديانة المشركين في القرآن / باتريشا كرونا) : ١١٦ .

٤. كانت بداية قريش التجارية في الإيلاف بيد هاشم بن عبد مناف وإخوته الثلاثة لكن الانطلاق الأكبر كان بعد هزيمة ابرهة الحبشي في حملته على مكة .

٥. ظاهر حملة ابرهة الحبشي ديني لكنّ الحقيقة كانت دوافعها تجارية .

٦. سيطرة قريش على كلّ مفاصل الحياة التجارية والاقتصادية على الجزيرة العربية .

٧. للصفات التي تميّزت بها قريش أثّرت كثيراً في علوِّ شأنها وشرفها وعزّها .

المصادرو المراجع

١. آيات الآخرة – دراسة في ضوء علم اللغة النصيّ– اطروحة دكتوراه – للباحث – قاسم شهيد كاظم – إشراف أ . د. حيدر جبار عيدان – كلية الآداب – جامعة الكوفة – ١٤٤٢ هـ – ٢٠٢٠ م .

٢. الأصنام – لابن الكلبي – تحقيق الأستاذ زكي باشا – د. ت .

٣. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) – للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ – ٤٣٦ هـ) – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م .

٤. إمتاع الأسماع بما للنبيّ من الأحوال والحفدة والمتاع – تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) – تحقيق محمد عبد الحميد النميس – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م .

٥. إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن – تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين عبد الله العكبري (ت ٦١٦ هـ) –مؤسسة الصادق للطباعة والنشر – طهران – مطبعة أمير – الطبعة الثالثة – ١٣٧٩ هـ .

٦. الأوائل – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥ هـ) – دار البشير – طنطا – الطبعة الأولى – ١٤٠٨ م .

٧. البداية والنهاية – ابن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء – مكتبة المعارف – بيروت .

٨. تاريخ الفكر الديني الجاهلي – د. محمد ابراهيم الفيومي – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

٩. تاريخية الدعوة المحمدية – هشام جعيط – دار الطليعة – بيروت – الطبعة الثالثة – كانون الثاني ٢٠١٣ م .

١٠. تأويل مشكل القرآن – لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) – علق عليه ووضع فهارسه إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م

١١. تاريخ اليعقوبي – أحمد بن إسحاق بن وهب ابن واضح اليعقوبي البغدادي(ت ٢٩٢هـ) – علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور – مؤسسة العطار الثقافية – دار الزهراء – ايران – الطبعة الأولى – ١٤٢٩ هـ .

٢١. تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النصّ – عبد القادر شرشار – اتحاد الكتّاب العرب – سوريا – دمشق – د ط – ٢٠٠٦ م .

١٣. تفسير القرآن العظيم - الإمام الجليل الحافظ عماد الدين، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ) - بيروت – لبنان – دار المعرفة للطباعة والنشر – ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

١٤. ثمار القلوب في الصفات والمنسوب – عبد الملك أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) – دار المعارف بمصر .

١٥. الحور العين – نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت٥٧٣ هـ) – تحقيق كمال مصطفى – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٤٨ م .

١٦. حياة محمد – إميل درمنغم – نقله الى العربية عادل زعيتر – المؤسسة العربية

للدراسات و النشر – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – ١٩٨٨ م .

١٧. الحيوان – تأليف أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) – تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – د. ت.

١٨. الدين في شبه الجزيرة العربية – أبكار السقاف – مؤسسة الانتشار العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤ م .

١٩. رسائل الجاحظ – لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) – تحقيق عبد السلام محمد هارون – الناشر مكتبة الخانجي بمصر – ط١ – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٢٠. الرسائل السياسية – عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥ هـ) – دار ومكتبة الهلال – بيروت .

٢١. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام – محمد بن أحمد تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت ٨٢٣ هـ) – دار الكتب العلمية – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م .

٢٢. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها/ أبو الحسن أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) – حقّقه وقدّم له مصطفى الشومي – بيروت – لبنان – مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر – ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م.

٢٣. صفوة الصفوة

٢٤. العباب الزاخر واللباب الفاخر/ تأليف الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني (٥٧٧–٦٥٠ هـ) – تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – دار الرشيد للنشر – وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية – ١٩٨١ م .

٢٥. على طريق التفسير البياني – د. فاضل صالح السامرائي – النشر العلمي – جامعة الشارقة – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

٢٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، تحقيق د. عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٧. مجاز القرآن، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي(ت٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلّق عليه د. محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

٢٨. مجمع البيان في تفسر القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ.

٢٩. المحبر – العلّامة الأخباري النسابة أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري – اعتنى بتصحيحه الدكتورة إيلزه ليختن شتيتر– منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت .

٣٠. محمد في مكة – و. مونتجمري وات – ترجمة عبد الرحمن الشيخ و حسين عيسى – د. احمد شلبي – الهيئة المصرية للكتاب – ٢٠٠٢ م .

٣١. مدخل الى علم لغة النصّ ومجالات تطبيقه – محمد الأخضر الصبيحي – الدار العربية للعلوم – ناشرون – منشورات الاختلاف – الجزائر – ٢٠٠٨ م .

٣٢. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ)، تحقيق احمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور، (د.ت).

٣٣. معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط(ت٢١٥هـ)، تحقيق هدى محمد قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٣٤. معاني النحو، د. فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٥. مفاتيح الغيب – ابو عبد الله محمد بن عمر التيمي الملقب بفخر الدين الرازي

خطيب الري (ت٦٠٦ هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

٣٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، منشورات الشريف الرضي، ساعدت جامعة بغداد على نشره.

٣٧. مفهوم الله وأنداده عند العرب قبل الإسلام – ترجمه عن الانكليزية هشام شامية – المركز الأكاديمي للأبحاث – العراق – تورنتو – كندا – بيروت – الطبعة الأولى – ٢٠٢٠ م .

٣٨. مكة في الدراسات الاستشراقية – المستشرق الأب البلجيكي لامنس المستشرق البريطاني البروفسور كستر – المركز الأكاديمي للأبحاث – العراق – تورنتو – كندا بيروت – الطبعة الأولى – ٢٠١٤ م .

٣٩. مكة قبل الإسلام – فريق من الباحثين – ترجمه عن الانكليزية هشام شامية – المركز الأكاديمي للأبحاث – بيروت – الطبعة الأولى – ٢٠١٩ م .

٤٠. المنمق في أخبار قريش – لمحمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥ هـ – ٨٥٩م) – صححه وعلّق عليه خورشيد أحمد فاروق – عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٤١. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب – تأليف أبي سعيد الأندلسي (٦١٠هـ-٦٨٥هـ) – تحقيق د. نصرت عبد الرحمن – مكتبة الأقصى – الطابعون : جمعية عمال المطابع التعاونية – عمان – الأردن .

٤٢. نهاية الإرب في فنون العرب – أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣ هـ) – دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ .

مآخذ المستشرقين على المعجم العربي
و الدّرس الدّلالي القرآني

م . د . نبراس حسين مهاوش
جامعة بغداد / كلية الإعلام

Orientalists opinions on the Arabic lexicon and the Quranic semantic lesson

Asst.Dr. Nibras Hussein Mahawish
University of Baghdad / College of Mass Communication
Email: nibras.h@comc.uabaghdad.edu.iq

ملخص البحث

العرب هم أصلاء في تأليف المعجم العربي، غرضهم الأول والأساس هو: فهم مفردات القرآن الكريم، والمفردات العربية الأخرى سواء أكانت منفردة أم داخل السياق؛ لبيان استعمالها الحقيقي من المجازي، ولبيان التطور الذي يحدث في بعض المفردات بحيث يغير المعنى تغيرا جزئيا، من هذا المنطلق اتجه المستشرقون لدراسة المعجم العربي والدرس الدّلالي القرآني، فوضعوا كثيراً من المآخذ على الدراسة في رأي قد تكون هذه المآخذ نوعا من أنواع التشكيك في أصالة التراث العربي، وقد تكون لرفع مكانة اللغة الأجنبية.

كلمات المفتاحية : المعجم ، المآخذ ، الدرس الدلالي القرآني .

Abstract

Arabs are original in composing the Arabic dictionary their first and basic purpose is: to understand the vocabulary of the Noble Qura'n and other Arab vocabulary whether it is alone or within the context. To show its real metaphorical use and to show the development that takes place in some vocabulary in a way that partially changes the meaning. From this point of view orientalists tended to study the Arabic dictionary and the Arabic semantic lesson so they put many shortcomings on the study in my opinion. These shortcomings may be a kind of questioning the authenticity of heritage Arabic and may be to raise the status of the foreign language.

Keywords: the lexicon, the deductions, the Quranic semantic lesson .

مقدِّمة البحث:

الحمد لله خالق الأكوان ، وبارئ الإنسان ، عظيم الشأن والإحسان ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين الصادق الأمين محمد ﷺ وعلى من سار على هديه بإحسان إلى يوم الدين .

أهتم العلماء من الباحثين الأوربين اهتماما كبيراً بالفكر العربي، فبعضهم تعلّم العربية ودرس علومها اللغوية، وبعضهم اعتمد على ما تُرجم من آثار عربية ودرسها بلغته الأم، وهذا الاهتمام اطلق عليه (استشراق)، فتأثر المستشرقون ببعض علماء العربية القدماء، وأخذواعنهم فصار الاستشراق مبدءاً للتأثر والتأثير ، حتى خلّف في البلدان العربية فكرا جديدا آخر اطلق عليه فيما بعد (استغراب).

يتكون البحث من مقدِّمة، ومبحثين عنوان المبحث الأول المستشرقون والمعجم العربي، أما المبحث الثاني فعنوانه: الدرس الدّلالي القرآني عند المستشرقين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول

المستشرقون والمعجم العربي:

العرب هم أصلاء في التأليف المعجمي، و هدفهم الأول من نشأة المعجم العربي هو: فهم نص القرآن الكريم، ولاسيما إن منهج ابن عباس الذي ابتكره غير مسبوقٍ إليه، وهو الاحتجاج بالشعر في تفسير مفردات القرآن الكريم، وتوضيحها وشرحها [1]، وإنّ الأغراض الأولى للتأليف في المعجم العربي ترجع إلى حاجة تعليمية- تبشيرية، تتمثل بالرغبة في معرفة مفردات عربية[2].

(١) ينظر: غريب القرآن في شعر العرب: ١١-١٢.
(٢) ينظر: تاريخ حركة الاستشراق: ٢١.

و اهتم المستشرقون بالمعجم العربي كثيرا، والسبب في ذلك :

١. إن المعجم العربي يساعد الباحثين في معرفة أصول الكلمات ذات الأصول السامية[١]، ودليل ذلك قول نولدكه: «وسيظل المعجم العربي دائمًا الوسيلة المساعدة؛ لإلقاء الضوء على التعابير الغامضة، في اللغات السامية الأخرى»[٢]، وهذا السبب ينطلق: «من رؤية العربية أقدم اللغات السامية، وأكثرهن محافظة على الخصائص السامية الأولى، بل في المعجم العربي من الأصول اللغوية ما يزيد على معجم اللغات السريانية، والحبشية، والأكدية مجتمعة»[٣].

٢. ذكر كثيرٌ من المستشرقين إن المعجم العربي يمتاز بالثراء اللغوي، ووفرة المعجميّة، على الرغم من بساطة الحياة العربية في ذلك الوقت[٤]، ودليل ذلك قول نولدكه: «وإنه لا بُدّ أن يزداد تعجّب المرء من وفرة مفردات اللغة العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جداً[٥]».

وإنّ تطور التأليف المعجمي عند المستشرقين الألمان منقسماً على قسمين:

الأول: نظري، أي: التأليف في المعجمية العربية : نشأتها، ومدارسها، وتاريخها، وأصالتها[٦].

والآخر: تطبيقي، أي: تأليف معجمات عربية على وفق عدة مناهج لغوية. ولعلّ جديدَ التأليف المعجمي في العربية عند المستشرقين الألمان، يتضمن ما يأتي[٧]:

فهرسة النصوص معجمياً، مثل: (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) لفلوجل.

التأصيل المقارن للألفاظ المعربة، مثل: (الألفاظ الآرآمية في القرآن) لفرينكل.

(١) ينظر: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين:٥٠.
(٢) اللغات السامية:٨١.
(٣) المعجمية العربية : ٤٧٥ .
(٤) ينظر: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين:٥٠ .
(٥) اللغات السامية:٨٠ـ ٨١ .
(٦) ينظر: تاريخ التراث العربي : م:٨، ١١ ـ ١٢ .
(٧) ينظر: اتجاهات المستشرقين في دراسة الحياة اللغوية في العالم العربي الحديث:٢: ٧٠١،٧١٩.

فكرة المعجم التأريخي، مثل: (المعجم اللغوي التاريخي)، لأوغست فيشر.

المعجم الوصفي لمرحلة معينة، مثل: (معجم العربية المعاصرة)، لهانز فير.

المعجم الإحصائي ذو الحقل الدلالي الواحد، مثل: (معجم الألوان في الشعر العربي) ل: ف. فيشر.

تأليف معجمات اللهجات العربية الحديثة (العامية).

المفردات الأعجمية في معجمات العربية:

إن علم المعجم نشأ نتيجة للإهتمام بمعاني المفردات القرآنية، وفهم أسرارها التركيبة، و إن العرب وهم اصحاب الفصاحة والبيان ليس لديهم مشكلة في معرفة هذه المفردات المستعملة في التراكيب استعمال حقيقي أو استعمال مجازي، والدليل على ذلك: "لم تكن هناك مشكلة عند المفسرين الأوائل من أمثال مجاهد (توفي ١٠٤ هجريا) في ردّ الكلمات المستعارة في القرآن الكريم إلى أصلها الأجنبي فنجد مجاهد على سبيل المثال يقول ان كلمة "الطور" بمعنى الجبل من أصل سرياني، وان كلمة" قسطاس"من أصل يوناني، وفي حقيقة الأمر أصاب مجاهد بعض الشيء في تخميناته، فكلمة طور فعلا من أصل سرياني هوThuur وكلمة قسطاس قد تكون من اصل يوناني بعيد هوdikastes بمعنى: القاضي، وقد تكون مرت عن طريق الكلمة السريانية dllqasthuus قد تكون بعض أصول الكلمات التي أوردها المفسرون وهمية، ولكن الشيء المهم لنا هو انهم كانوا ينظرون للإثراء اللغة بكلمة أجنبية كميزة وعلامة من علامات الرفعة وأمارات العبقرية المتجسدة في القرآن الكريم، ولكن بنهاية القرن الثاني الهجري بدأ بعض أهل اللغة ينتقدون فكرة أن يكون القرآن حاويا لكلمات أجنبية، وحاولوا ان يردوا كلمات القرآن لأصل البدوي ما"[١].

ويرى كيس فرستيغ أن العلماء المسلمين يرفضون حتى الآن كل المحاولات الغربية التي يقوم بها المستشرقون للبحث عن اصول أجنبية في لغة القرآن الكريم[٢].

(١) اللغة العربية تاريخها ومستوياتها: ٨٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٤ .

نحن لا ننكر وجود الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم، مثل: السندس، والإستبرق نحو قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾[1]، وأسماء الأنبياء، مثل: يونس، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[2]، ويوسف في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[3]، وإدريس في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾[4]، ويعقوب، وإبراهيم، وإسحاق ... في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[5]، وقد أفرد السيوطي لها كتابا أسماه: المعرب. لكنّ المستشرقين لهم هدف خاص، وهو رفع مكانة اللغة الأجنبية في القرآن الكريم الشيء لا يتقبله العرب؛ لأن لغة القرآن لغة مقدسة لها مكانتها العالية، فمن غير المعقول أن تكون للكلمات الأجنبية الميزة الكبرى في رفع مكانة هذه اللغة.

وإن ترجمة الكلمات من لغة إلى لغة أخرى تكشف لنا مشكلة من مشكلات المعنى بصورة واضحة، وهذا ما يدركه المترجم في أثناء ترجمته للنصوص[6].

ويكفينا مثلا واحدا للإجابة عن ذلك.

«كنا ننظر في تفسير محمد مرمدوك بكثال للقرآن الكريم ورأيناه ذهب مذهبا خاصا في نقل كلمة «الله» عزّ وجلّ إلى الإنجليزية: لفظ الجلالة يترجم عادة بـ God ولكن "بكثال" لاحظ أن كلمة God لا تثير في ذهن القارئ الإنجليزي ما تثيره كلمة "الله" في ذهن القارئ العربي: فكلمة God في الإنجليزية تؤنث بـ Goddess، وتجمع على Gods، بينما الله،

(١) سورة الكهف: الآية:٣١.
(٢) سورة الصافات: الآية:١٣٩.
(٣) سورة يوسف: الآية:٥٨.
(٤) سورة مريم: الآية:٥٦.
(٥) سورة يوسف: الآية:٦.
(٦) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٢٢٠ .

وهو واحد لا شريك له، كلمة ليس لها مثنى ولا جمع، ولا مؤنث، إن التصور الذي تشير إليه كلمة "الله"، سبحانه وتعالى، تصور يقضي على الشرك، بينما كلمة God لا تقضي على هذا التصور، ولم يجد بكثال في الإنجليزية كلمة تقابل كلمة الله في العربية، فاحتفظ بكلمة "الله" في الإنجليزية كما هي، يترجم "بسم الله الرحمن الرحيم" بقوله:

"In The name af Allah the Beneficient the Merciful"[١].

مآخذ المستشرقين على المعجم العربي:

ذكر دوزي مآخذ على اللغة العربية عن طريق حديثه عن معجمه تكملة المعاجم أنّ اللغة العربية تحوي كثيرًا من المفردات أعجمية الأصل ولا تشير إلى ذلك إلا قليلا: «قد أشرت إلى أصول الكلمات الأعجمية إذا ما تيسرت لي معرفتها، فدراسة أصول الكلمات دراسة مستقلة لم أستطع أن أعنى بها العناية التي أرغب فيها. والذي يخفف عني الأسى في ذلك أنني وجدت معاجم اللغة الفصحى التي تحوي كثيرا من الكلمات الأعجمية الأصل لا تشير إلا إلى أصول قليل منها[٢]».

نرد عليه بكلام الدّكتور محمود سعران: «ان الكلمة في اللغة لها معنى آخر غيرالمعنى المعجمي العام، وغير المعنى الذي قد يفهم من السياق الجملة، ولها إيحاءات وارتباطات نتيجة الحياة المشتركة التي أحييها أصحاب اللغة، فعندما ننقل من لغة إلى أخرى فكيف نوفق في اصطياد كلمات تعطي إيحاءات الحياة الأخرى وارتباطاتها؟»[٣].

ذكر أ. فيشر بعض المآخذ على مدارس التأليف المعجمي العربي، منها:

التفاوت الكبير في ترتيب الحروف الهجائية ودليل ذلك قوله : " إلى تقديرات علمية خاصة بكل مصنّف، وليس لهذا التفاوت اعتبار عام"[٤].

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٢٢٠ .
(٢) تكملة المعاجم: ١/ ٢٧ .
(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٢٢٠ .
(٤) المعجم اللغوي التاريخي: المقدمة:١.

إن اللغة العربية تفتقر إلى الترتيب الدقيق في ترتيب الكلمات ومعانيها داخل المعجم العربي، ودليل ذلك ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي للمفردات في كتابه العين بحسب اصول علم الأصوات، أي بحسب مخارج الحروف العربية فيبدأ بالحروف الحلقية وانتهى بالحروف الشفوية، ترتيبه عجيب ويستحق الإعجاب، لكنه من الناحيّة العلميّة مخفقا؛ لأنه يعرقل عمليّة البحث عن المفردات.

إن الكلمات ومعانيها ينقصها وضع قاعدة ثابتة للترتيب، فكبار المصنفين للمعجمات وأحسنهم كانوا يجمعون من دون تمييز يضطر الباحث في أغلب المعجمات الغنيّة بالصيغ والإشتقاقات، مثل: لسان العرب لإبن منظور، أو معجم تاج العروس للزبيدي إلى البحث الشاق ليجد المعنى الموثوق[1] .

نرد ذلك بقول الباحث عبد الحسين عباس حسن: " لكل مدرسة معجمية عربية داعٍ وربما أكثر في ترتيب ترتيب ورود كلماتها، فمنها ما هو مُرتّبٌ بحسب مخارج الأصوات، وتشمل معاجم مدرسة(العين)، التي ترمي إلى إحصاء اللغة، ومنها ما هو مُرتّب بحسب الحرفين الأخير فالأول: (الباب والفصل)، وتشمل معاجم مدرسة (الصحاح)، التي تضع نصب عينيها سهولة حصول المتأدبين على القوافي والأسجاع.

أما مدرسة (أساس البلاغة)، فقد رتّبت الكلمات بحسب الحرف الأول.

فالثاني فالثالث؛ لمراعاتها أمورا بلاغية، ومما يجب ألا يغيب عن الذهن أن التأليف المعجمي عند العرب في مدارسه المختلفة يقترن بالمراحل التي مرّ بها الترتيب في المعاجم العربية، وبذلك يؤدي اختلاف مدارس التأليف المعجمي دورا مهماً في فهم نشأة المعجمية العربية وتطورها وأصالتها. فعلى سبيل المثال لّما كان الدافع هو إحصاء مفردات العربية فقد ظهر الترتيب الصوتي، وحين روعي تزويد المتأدبين بالقوافي اُبتكر نظام الباب والفصل ، وهكذا»[2].

(١) ينظر : المعجم اللغوي التاريخي: ١٩ـ ٢٠..
(٢) البحث اللغوي في دراسات المستشرقين:٥٢.

إنّ النقص المهم في المعجمات التي صنّفها العرب يرجع إلى أن مصنفيها ما كانوا يجمعون كل مفردات اللغة العربية، بل كانوا يجمعون الفصيح منها فقط ، ومنتهى الكمال أن يكون معجما تأريخيا، والمعجم التاريخي، هو الذي يعنى بملاحقة تطوّر المفردة اللغوية، واستعمالاتها عَبْرَ حياتها.

المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وضع معجمات تأريخية، فهي لا تعالج الناحية التأريخية لمفردات اللغوي فحسب، بل تقتصر على إيضاح الإتجاه الأنموذجي[1].

ومن مآخذ برجشتراسر على التأليف المعجمي، قوله: « التأليف بين الكلمات من جهة معانيها ومن هذا ما سماه القدماء: « فقه اللغة »، والإعتناء الكثير به مما نعجب منهم لأجله غير أنهم لم يوفوه كل الاستيفاء، فإنهم وإن كانوا قد جمعوا مثلاً كل الكلمات التي ترجع إلى الخيل، وبيّنوا معانيها، وفرّقوا بينها، فقد اعتمدوا في ذلك على الكلمات أولاً، ثمّ شرحوا معانيها، وكان ينبغي أن يسلكوا ضد هذه الطريقة في كثير من الحالات. فيبدأوا بالأشياء، ثم يتساءلوا كيف تُسمّى؟ فإذا أردنا أن نفهم معاني كل الكلمات المتعلقة بالبئر، والفروق بينها، لزمنا أن نتعرف ما هو البئر؟ وما أنواعه؟ ومن أي الكلمات المتعلقة بالبئر، والفروق بينها، لزمنا أن نتعرف ما هو البئر؟ وما أنواعه؟ ومن أي الأشياء يتكون؟ إلى آخر ذلك، فإن الشيء أقدم من اسمه في كثير من الحالات»[2].

نفهم من قول المستشرق برجشتراسر ان العرب لم يمتازوا بالدقة في شرح المفردات داخل المعجم العربي فكيف يكون ذلك ؟ وهم اصحاب الفصاحة والبيان، وإن كل كلمة من كلمات المعجم العربي تمتزج بأطباعهم وسجاياهم .

المبحث الثاني

الدرس الدّلالي عند المستشرقين:

اجتهد المستشرقون في الدراسة الصرفية والدراسة النحويّة أكثر من الدراسة الدلاليّة،

(١) ينظر: اللغوي التاريخي: ٧.
(٢) التطور اللغوي النحوي: ٢٠٦ .

ويعود ذلك إلى سببين :

الأول : كثرة المفردات مقارنة بباب النحو، فعدد الكلمات أكثر بكثير من أشكال البناء والتراكيب المعروفة.

الثاني: تنوع المفردات اللغوية وكثرتها، مقارنة بالأبواب النحويّة والصرفيّة[١].

ويعلل نولدكه وفرة المفردات في اللغة العربية؛ بسبب عملية جمع كلمات العربية فهي لم تعالج معالجة نقدية، مما أدّى إلى وفرتها ؛ فصار علماء العربية ورواتها يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاص [٢].

ذكر الدكتور ايزوتسو: (أن علم الدّلالة كما افهمه دراسة تحليلية للمصطلحات المفتاحية الخاصة بلغة ما تتطلع للوصول في النهاية إلى ادراك مفهومي (لرؤية العالم) الخاصة بالناس الذين يستعملون تلك اللغة...) [٣].

وذكر أ. فيشر: «إذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب لغته، وبشعوره المبكر، بحاجة إلى تنسيق مفرداتها، بحسب اصولها وقواعدها، غير العرب، وقد يرجع النهوض بالدّراسات العربية نهوضا مبكرا مِلؤه النشاط إلى حاجة التفرقة بين الفصيح ومختلف اللهجات، وبينه وبين اللغات الفارسيّة، فلا عمَل للعرب من نزعة إلى التفقه باللغة، تلك النزعة التي تجلت مبكرا في تفسير القرآن والدّراسات اللغوية» [٤].

التطور الدلالي:

ويرى فرستغ أن المشكلة الحقيقية في تطور كلمات القرآن الكريم التي تطور المعنى تقنيا ليس له علاقة بدلالة الجذر الذي اشتقت منه هذه المفردات، كما يرى ذلك المفسرون حيث يجتهدون في اصطناع علاقة بين الجذر و الكلمةِ القرآنية، مثال ذلك كلمة «القيامة»

(١) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ٢٠٣.
(٢) ينظر: اللغات السامية ٨٠-٨١.
(٣) الله والإنسان: ٣٢.
(٤) معجم اللغوي التاريخي:٤.

كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾[2] يرى أصحاب التفاسير أنها مشتقة من الجذر: (ق، ي ، م) لكن هذه الكلمة ممكن أن تكون سريانية الأصل، وكذلك الحال في كلمة (صُحف) كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾[3] ، وفي قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [4] تعود إلى الجذر: (ص، ح، ف) عند المفسرين الأوائل، وإن هذه الكلمة لا تظهر إلاّ في صيغةِ المضعف ويراد بها: الخطأ في القراءة، وظهرت هذه الكلمة بصيغة المؤنث المفرد في شعر العرب في العصر الجاهلي بمعنى: (صفحة مكتوبة)، ويرى من الصعب ارجاع هذه الكلمة إلى الجذر في القرآن الكريم وهذا مادفع علماء الغرب من الباحثين إلى ارجاع هذه الكلمة إلى كلمة عربية جنوبية وهي: (shi) أو لجذر أثيوبي يعني:(الكتابة)[5].

نرد عليه برأي الدكتور علي عبد الواحد وافي: «تطور يلحق معنى الكلمة نفسه، كأن يخصص معناها العام، فلا تطلق إلّا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، أو يعمم مدلولها الخاص؛ فتطلق على معنًى يشمل معناها الأصلي ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات، أو تخرج عن معناها القديمة فتطلق على معنًى آخر تربطه به علاقة ما، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازًا فيه، أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول»[6] .

إن أهم مظاهر التطور الدلالي التي تصيب الألفاظ ثلاثة، هي: تخصيص دلالة الكلمة، أو تعميم دلالتها، أو تغيير مجال استعمالها: قال اللغوي (ج. فندريس): «ترجع أحياناً التغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى إلى ثلاثة أنواع : التضييق

(١) سورة البقرة: الآية:٨٥.
(٢) سورة آل عمران:١٩٤.
(٣) سورة النجم: الآية:٣٦.
(٤) سورة الأعلى: الآية: ١٩.
(٥) ينظر: اللغة العربية تاريخها ومستوياتها: ٨٤.
(٦) علم اللغة: ٣١٤

والاتساع والانتقال، فهناك تضييق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص.. وهناك اتساع في الحالة العكسية أي عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام.. وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص» [١].

هناك أسباب عدّة تؤدي إلى التطور الدّلالي ، منها[٢]:

١ـ ظهور الحاجة: يظهر ذلك عندما يود أبناء المجتمع اللغوي التعبير عن فكرة ما أو شيئا معينا ، فإنهم يمثلون في المفردات بمجموعة من الأصوات.

٢ـ الإنحراف اللغوي: يحدث عندما ينحرف الفرد من الإستعمال الحقيقي إلى الإستعمال المجازي المشابه له نتيجة سوء الفهم، أو الإلتباس، أو الغموض .

٣ـ الإنتقال المجازي: الهدف منه سدّ فجوة معجمية، ويتم عادة من دون قصد.

والدكتور علي عبد الواحد وافي يؤكد ذلك عن طريق قوله: «كثرة استخدام الكلمة في معنًى مجازيّ تؤدي غالبًا إلى انقراض معناه الحقيقيّ وحلول هذا المعنى المجازي محله؛ فمن ذلك مثلًا في اللغة العربية كلمات: المجد والأفن والوغى والغفران والعقيقة.. وهلم جرا؛ فالمجد معناها في الأصل: امتلاء بطن الدابة من العلف، ثم كثر استخدامه مجازًا في الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الأصلي وأصبح حقيقة في هذا المعنى المجازي» [٣].

مآخذ المستشرقين على الدرس الدّلالي :

ذكر برجشتراسر استعمال الكلمات والمفردات في اللهجات العربية القديمة فيصفها بأنها تخالفت تخالفا شديدا، ولم يبقَ لها أثر اللغة المستعملة الفصحى ودليل ذلك قوله: «وإن كانت اللهجات القديمة تتخالف في بعض أبنية الاسماء والأفعال وتركيبات الجملة، فإن ذلك نادر قليل ولم يكد يبقى من أثرفي اللغة الفصحى، المستعملة في القرون الأولى بعد الهجرة، وعلى العكس من ذلك، فيظهر أن اللهجات القديمة تخالفت تخالفا واسعا وشديدا،

(١) اللغة: ٢٥٦.
(٢) ينظر : علم الدّلالة أحمد مختار عمر: ٢٤١ـ٢٤٢.
(٣) علم اللغة: ٣٢١.

في بعض الكلمات والعبارات، وبقي ذلك أكثر ذلك مستعملا عند كثير من أصحاب الشعر والنثر المتأخرين»[١].

وذكر أنّ أصحاب اللهجات العربية اضطروا إلى اختراع كثير من المفردات؛ وذلك لتسمية معاني وأشياء جديدة بأسماء جديدة لم تستعملها وتفهمها العرب قبل عصر الفتوحات الإسلامية، وهذ واضح عند تصفح الجرائد فنجد الكثير من الكلمات الجديدة، أو معاني جديدة لكلمات قديمة الإستعمال على الرغم من أن الأبنية والتراكيب لم تتغير عما كانت مألوفا في الزمن الماضي إلا قليلا[٢].

نستطيع الرد عليه بقول د. محمود سعران : «يحدث «التطور الدلالي» تدريجيا في أغلب الأحوال ، ولكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغير كبير في المعنى، وإن تغيرات المعنى غالبا ما تكون صدى لتغير الميول الإجتماعي، وإن هذه الميول الإجتماعية، أوضح في حالة « التغير الدلالي »منها في حالة « التغير الصوتي» [٣].

و ذكر مآخذَ آخر وهو: ليس هناك معجم أو قاموس يقضي الحاجة في عرض المفردات، بل يقرب من أن يقضي الكثير منها ، على الرغم من وجود الكتب القديمة، مثل: لسان العرب وغيره[٤]، فهي: «لا تأتي بالشواهد إلا للنادر والغريب، وتهمل الآثار المنثورة وكلام المتأخرين»[٥].

ذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي مآخذ على اعضاء المدرسة الفرنسية ،منها: «ليس بصحيح ما ذهب إليه أعضاء المدرسة الإنجليزية وبعض الباحثين من الفرنسيين؛ كالعلامة بريال Breal؛ إذ يرون أن التطور الدلالي يسير باللغة نحو التهذيب والكمال ويسد ما بها من نقص ويخلصها مما لا تدعو إليه الحاجة وذلك أن اتجاهات كهذه لا يمكن أن تتحقق

(١) التطور النحوي للغة العربية: ٢٠٣ـ٢٠٤.
(٢) ينظر: التطور النحوي للغة العربية : ٢٠٤.
(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي:٢٨٠، وينظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة: ٢٨٤.
(٤) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ٢٠٤ .
(٥) المصدر نفسه: ٢٠٤ .

إلّا في تطور اختياري مقصود تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح أما وقد ثبت أن التطور الذي نحن بصدده تطور تلقائي آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية، فلا يتصور أن يتقيد في اتجاهه بالسبل التي تقول بها هذه النظرية"[1].

السياق الدلالي:

ذكر ستيفن أولمان: "إن قدرة الكلمة على التعبير عن مدلولات متعددة إنما هي خاصة من الخواص الأساس للكلام الانساني. وإن نظرة واحدة في رأي معجم من معجمات اللغة لتعطينا فكرة عن كثرة ورود هذه الظاهرة .

وقد تعيش المدلولات القديمة جنبا إلى جنب مع المدلولات الجديدة، وهي ظاهرة ينفرد بها المعنى، ولا يشاركه فيها الأصوات، أو القواعد النحوية والصرفية" [2].

فالسياق هو الذي يحدد إن كانت الكلمة مستعملة الاستعمال الحقيقي، أو المجازي، ويحدد إن كانت الكلمة من الألفاظ المشتركة، أو الألفاظ المترادفة ويحدد زمان اللفظة ومكانها فلكل زمان دلالات ألفاظ مختلفة.

ولكلّ مكان دلالات ألفاظ فاستعمالها عن طريق السياق يبين لنا عصرها ومكانها. وكذلك يحدد لنا صيغة الكلمة فالكلمة المجردة يمكن أن تكون بصيغة المفرد، أو الجمع لكن السياق هو الذي يعطيها الدلالة النهائية.

مآخذ المستشرقين على السياق:

ذكر ف بالمر أنّ مجموعة من اللسانيين استبعدوا السياق من الدّراسة الدّلالية؛ وذلك بسبب عدة مصاعب بالغة التعقيد في معالجة السياق، منها أسباب: عملية ونظرية وأسباب أخرى منها :

١ـ ذهبت طائفة من اللسانيين إلى أن معنى الجملة ما يمكن التعرف عليه بمعزل عن

(١) علم اللغة علي عبد الواحد: ٣١٨.
(٢) دور الكلمة في اللغة: ١١٥.

السياق، وكذلك التعرّف على الغموض والشذوذ فيه[١]، ويرد ف بالمر هذه الطائفة بقوله: «بأي مفهوم يمكن القول اننا نعرف معنى الجملة بصورة مستقلة عن السياق؟ ربما لأننا سنستطيع أن نهيء جملة أخرى بمعنى مشابه أو تفسيرا لها .لكن ذلك لا يعني على الإطلاق اننا إذ حددنا جملتين وقلنا إن لهما معنى واحد فإننا سنكون قد حددنا كيانا مجردا اسمه المعنى، وهذه صيغة أخرة من الوهم الإزدواجي...،وبدلا من ذلك فقد يقال: إن معرفتنا لتشابه جملتين في معنييهما تتضمن معرفتنا للإمكانية استعمالهما في سياقات متشابهة»[٢] .

٢ـ ذهب بلومفيلد إلى أن علم الدّلالة إذ عُرِف عن طريق السياق، سيكون الحقل الدّلالي لا متناهيا، فهو يائس من أي معالجة مرضيّة لعلم الدّلالة[٣].

دراسة المعنى:

قال الدكتور حاتم الضامن : إنّ موضوع علم الدلالة الأساس هو: دراسة المعنى ، ولا ينكر أحد قيمة المعنى بالنسبة إلى اللغة ، حتى قال بعضهم : انه بغير المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة[٤].

ومن المشتشرقين بلومفيلد (١٩٣٣) ذكر: أن دراسة المعنى هي نقطة الضعف في النظريّة اللسانيّة، وأصر على أن تكون نقطة البدايّة في أية مناقشة لغوية، السمات الشكلية Formal Feature و ليس المعنى"[٥]. نفهم من هذه المقولة إنه يستبعد المعنى من النحو لصالح القواعد الشكليّة، فالمعنى في كثير من الأحيان يكون غامضا ، لانستطيع الوصول اليه بسهولة[٦].

أكد العالم الشهير أحد اساتذة جامعة هارفارد (سكيز) على ضرورة اهمال دراسة

(١) ينظر: علم الدلالة ف بالمر:٥٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٥٧ـ٥٨.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٨.
(٤) علم اللغة د. حاتم صالح الضامن: ٧٢.
(٥) علم الدلالة ف بالمر:١٣٥.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٥ .

المعنى ؛ وذلك لأنه ليس مظهرا خارجيا في العلوم الطبيعية[1] ...

ونستطيع الرد عليه بتقسيم المعنى عند علماء اللغة على ضربين :

الأول: معنى لغوي معجمي، وهو الأصل يمثل جذر الكلمة وما دتها.

الثاني: معنى مستعمل اصطلاحي، وهو يمثل الدوائر الدّلالية التي تحيط بالمعنى المعجمي للكلمة، وتزداد هذه الدوائر الدلالية بالإستعمال المعنى اللغوي[2].

الخاتمة :

إنّ المستشرقين عند دراستهم التراث العربي من جوانبه المختلفة، بذلوا جهودا سواء اكانت هذه للخير أم لغيره ، فالعربية علم لا يحيط به أحد، عربياً كان أم غير عربي؛ لذلك من البدهي ان تجتاح علمه سقطات تحسب بالضد من طرحه ، والمستشرقون وقعوا بما وقع به غيرهم من الدارسين.

وتوصلت عن طريق مسيرة البحث إلى عدة نتائج أهمها :

إن العرب اصلاء في التأليف المعجمي، وغرضهم الأساس منه فهم النص القرآني ، ومعرفة المفردات العربية من الأعجمية.

شهادة المستشرقين بأن المعجم العربي يمتاز بالثراء اللغوي.

ذكر المستشرقين كثيراً من المآخذ منها: التفاوت الكبير داخل بعض المعجمات العربية من ناحيّة ترتيب حروف الهجاء .

أهمية السياق في تحديد دلالة المفردات .

دراسة المعنى الجزء المهم في الدرس اللغوي العربي، فهو موضوع علم الدّلالة الأساس .

التطور الدّلالي داخل المفردات قد ينتهي أحيانا بتغير كبير في المعنى.

(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ١١٠ـ١١١ .

(٢) ينظر: مقدّمة اثر البعد الأثيمولوجي على دلالة اللفظ:٣ .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،الدكتور نايف خرما،عالم المعرفة، ١٩٧٨.

٣. تاريخ التراث العربي، فؤاد سنزكين، ترجمة: محمود فهمي حجازي، مراجعة: د. عرفة مصطفى ، وآخرون، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، قم.

٤. تاريخ حركة الاستشراق" الدراسات العربية الاسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين"، المستشرق: يوهان فوك، نقله عن الألمانية: عمر لطفي العالم، الطبعة: الثاية، دار المدار الاسلامي، بيروت،٢٠٠٨.

٥. تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم ، بيروت المدار الإسلامي، ط٢ ،٢٠٠١م.

٦. التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام ١٩٢٩ المستشرق الألماني برجشتراسر، أخرجه وصحح عليه: د. رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ ،١٩٩٤م.

٧. تكملة المعاجم العربية، المؤلف: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م.

٨. دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني الكاتب الخالد الذي توفر على تصحيحه والتعليق عليه الإمام محمد والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد محمود الشنقيطي والشيخ أحمد المراغي، تعليق وشرح : محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، الناشر مكتبة القاهرة ، مصر ، ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م.

٩. دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة وقدم له وعلق عليه د. كمال محمد بشر ، دار الطباعة القومية ، ١٩٦٢.

١٠. سؤالات نافع ابن الأزرق إلى عبد الله بن عباس، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي ، ١٩٦٨ م ، بغداد مطبعة المعارف.

١١. علم الدلالة، أف.آر. بالمر١٩٨١، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٥.

١٢. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط١،المكتبة دار العربية للنشر والتوزيع، الكويت ،١٩٨٢.

١٣. علم اللغة بين التراث والمعاصرة، د. عاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار التوفيق النموذجية الأزهر، ١٩٨٧.

١٤. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، د.ت.

١٥. علم اللغة وصناعة المعجم، د.علي القاسمي، مطبوعات جامعة الرياض،١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م .

١٦. علم اللغة، علي عبد الواحد وافي – رحمه الله –، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١.

١٧. غريب القرآن في شعر العرب ((مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس – رضي الله عنه وعن أبيه))، عن الصحابي عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (المتوفى: ٦٨هـ) – رضي الله عنهما، د.ط، د.ت.

١٨. اللغات السامية، تيودور نولدكه، ترجمة: د. رمضان عبد التواب ، القاهرة، مكتبة النهضة العربية ،١٩٦٣.

١٩. اللغة جوزيف فندريس مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٠م.

٢٠. اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها ، كيس فرستيغ ، ترجمة: محمد الشرقاوي ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ،٢٠٠٣ .

٢١. اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز ،ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

٢٢. الله والإنسان في القرآن، علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم ، توشيهيكو ايزوتسو، ترجمة وتقديم: هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.

٢٣. المعجم اللغوي التاريخي، أ.فيشر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٦٧م.

٢٤. المعجمية العربية، جون، أ هيوود، ترجمة: د. عناد غزوان، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤.

٥٢. اللغات السامية، تيودور نولدكة، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣.

٢٦. الرسائل والأطاريح:

٢٧. اثر البعد الأثيمولوجي على دلالة اللفظ، ترجمة : كازيمر سكي لمعاني القرآن الكريم انموذجا،عينة كمال ،اطروحة دكتوراه، جامعة وهران ، اللسانية،٢٠١٢.

٢٨. البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان، العربية انموذجا، عبد الحسن عباس حسن الجمل ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة الكوفة، ٢٠١٠.

٢٩. الأبحاث:

٣٠. اتجاهات المستشرقين في دراسة الحياة اللغوية في العالم العربي الحديث، د. محمود فهمي حجازي، مجلة المجلة السنة ١٠، العدد: ١١٤، حزيران، ١٩٦٦ م.

٣١. الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا، د. ميشال جحا، مجلة الاستشراق، بغداد، العدد: الثالث، ١٩٨٩م.

شجرة الطور في شرح آية النور

لعلي الحزين محمد علي بن أبي طالب الزاهدي

اللاهيجي الجيلاني (ت: ١١٨٠هـ) - دراسة وتحقيق

أ. د. حيدر كريم الجمّالي

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

Al-Tur tree in the interpretation of the verse of light by Ali Al-Hazin -1103 AH study and investigation

Prof. Dr. Haider Karim Al Jamali

University of Kufa / College of Basic Education

Email: Hayderkarem2020@gmail.com

ملخص البحث

يعد تحقيق النص من أفاضل العلوم والفنون البحثية ؛ لأنه يُخرج التراث من رفوف المكتبات إلى ساحة النور والمعرفة ليطلع الأبناء عمّا تركه لهم الأجداد من إرث علمي يُشار له بالبنان.

وهذا التحقيق يُقام على ضوابط علمية اشتهرت بين المحققين الأفاضل ممن أسسوا منهجيا لهذا الفن وغايتنا الفائدة العلمية لهذا التراث القيم والخالد. ولعل رسالتنا هذه واحدة من تلك اللآلئ التي سطعت في أفق عقائدنا السامية.

فـ((شجرة الطور في تفسير آية النور)) من أصدق المداليل عما ذهبنا إليه فهي تنهج منهج العرفانيين في تفسير آية النور بعد أن يتخذ مصنفها منهج اللغويين في بيان معاني مفرداتها اللغوية وبيان معانيها المجازية التي ذهبت إليه مفترقا عن تفسيرها الظاهر إلى باطن الآية فالمفاهيم النورانية التي وردت فيها (الزجاجة المصباح النور المشكاة الشجرة زيتونة مباركة شرقية غربية زيتها...) كلها خرجت من مداليها اللفظية وحملت دلالات مجازية ينطوي عليها باطن الآيات لينتقل بدلالاتها إلى بساتين معرفة الله ونوره في ضوء السلوك الإشراقي العرفاني.

مستدلا إلى ما ذهب بالنصوص القرآنية والحديث النبوي وكلام العرب شعرا ونثرا مازجا ما تقدم بما يمتلكه من أدوات الفن العرفاني لينتهي بنا المقام إلى أن المراد بالنار نار الجهل ونار فتنة المعاندين لآل محمد ﷺ .فهي نازلة في أهل البيت عليهم السلام.

الكلمات المفتاحية: نور ، مشكاة ، مصباح ، زجاجة ، شجرة ، مباركة .

Abstract

Verification of the text is one of the virtues of the research sciences and arts. Because it brings out the empty heritage from the shelves of the libraries to the Square of Light and Knowledge so that the children can see what the grandparents left for them from the scientific legacy referred to by Lebanon.

This investigation is based on scientific controls that are well known among the distinguished scholars who have systematically established this art and our goal is the scientific benefit of this valuable and eternal heritage. Perhaps our message is one of those pearls that shone on the horizon of our lofty beliefs.

So “The Sagarat al-Tur fi Tafsir The Verse of Light” is one of the truest connotations of what we went to. It follows the secular approach to the interpretation of the verse of light after its work takes a linguistic approach to clarify the meanings of its linguistic vocabulary and its metaphorical meanings that went to it separated from its interpretation What appears to be the interior of the verse the luminous concepts that were mentioned in it (the bottle the lamp the light the lamp the tree the olive tree the blessing the

eastern the western its oil ...) all came out of their verbal signs and carried metaphorical connotations embedded in the inside of the verses to move Its connotations are to the gardens of God's knowledge and light in light of the secular oriental behavior.

Inferring to what was mentioned in the Qura'n texts and the hadith of the Prophet and the words of the Arabs in poetry and prose mixing the above with the tools of mystical art that he possesses to conclude with us the place that what is meant by fire is the fire of ignorance and the fire of the sedition of those who oppose the family of Muhammad - may God bless him and his family -. House - peace be upon them.-

Keywords: light, niche, lamp, bottle, tree, blessing .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وحسن أولئك رفيقا إلى يوم الدين. إن الكتابة في تحقيق التراث إنما هي من أنفس الكتابات ؛ لأنها تظهر لنا تراث السلف الماضيين بحُلّةٍ جديدة تزيل عنه ألم حرمان النشر طوال هذه السنين التي قضاها التراث قابعا على رفوف المكتبات بانتظار من يزيل عنه تراب السنين.

ويعد نشر التراث الإسلامي –خاصة– من مسؤولية رجالات العلم ولا سيما المختصين به . فهو رسالة خالدة يكتبها الأبناء لإرث الأجداد لإظهار كنوز المعارف المخبئة في سطور هذه المخطوطات لينتفع بها بعد أن تحقق تحقيقا علميا. وتعد هذه الرسالة ((شجرة الطور في تفسير آية النور)) واحدة من تلك الكنوز التي يمدنا بها الماضي والرسالة تقع في تسع أوراق من القطع الطويل وهي للعالم العارف الرباني: محمد علي بن أبي طالب حزين الأصفهاني الجيلاني كتبها ﵀ بفكر عرفاني مستوحيا نهج الإشراق فيها موصلا الحق إلى أهله فقد كتب في هذه الآية–تحديدا–بعضهم إلا أن هذه الرسالة تفوق ما كتبوه لأنها جاءت بأسلوب مُيسّر وموجز مردفة بالدليل قريبة إلى ذهن المتلقي في تحصيل المراد من فحوى الآية مبتعدة عن الظاهر إلى الباطن دالة على الشجرة المحمدية المباركة و أهل البيت ﷺ وقد نشرت هذه الرسالة ضمن مجموعة (رسائل حزين) في إيران لكنها لم تحقق تحقيقا علميا فشرعت في تحقيقها بعد أن تهيأ لي منها نسختان فجاء البحث على مبحثين: الأول الدراسة. تناولت فيه حياته الشخصية والعلمية والمخطوطة ونسخها وعملي في التحقيق بفقرات ثمان .

ثم يأتي المبحث الثاني : وهو في التحقيق وذلك باستخدام منهج متفق عليه في التحقيق لإظهار ما يريده المؤلف. ثم قائمة بمصادر الدراسة والتحقيق آملا أن أكون قد وفقت فيما أصبو إليه ومنه وحده التوفيق والسداد. وفي خاتمتها لا يسعني في هذا المقام إلا الشكر لكل من مدَّ لي يد العون في الحصول على هذه الرسالة المخطوطة أفادني بتوضيح في مسائلها ولا سيما: السيد جواد السيد كاظم الحكيم أمين مكتبة الإمام السيد الحكيم/ النجف الاشرف والأستاذ مجيد الشيخ عبد الهادي حموزي مدير المكتبة .-حفظهم الله جميعا- وكلي أمل أن أكون قد وفقت في هذا العمل الذي أردته خالصا لوجهه الكريم ومنه وحده التوفيق.

المبحث الأول: الدراسة

سيرته: الشخصية والعلمية والمخطوط وعملنا فيه

أولا: حياته وسيرته:

١-اسمه ولقبه[1] -أسرته وولادته-:

محمد علي بن أبي طالب بن عبد اللهّ بن علي بن عطاء اللهّ الزاهدي، أبو المعالي اللاهيجي الجيلاني، الأصفهاني، المعروف بالشيخ علي الحزين ،ولد في أصفهان وأصله من لاهيجان وكانت ولادته في(٢٧) من شهر ربيع الأول سنة (١١٠٣هـ).الكاتب الموسوعي الملقب

(١) ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: ٢ / ١٢ أعيان الشيعة ج١٠ ص٦ . الذريعة ج٤ ص٣٨ وج٩ قسم١ ص٢٣٥ وغيرها . مصفى المقال ص٣١٤ وص٣١٥ . طبقات أعلام الشيعة ج٦ ص٥١٥ ص٥٢٠ . الأعلام ج٦ ص٢٩٦ . معجم المؤلفين ج١١ ص١٩ . هدية العارفين ج٢ ص٣٣٥ . نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر الاعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: ٦ / ٨٣٠ ونجوم السماء في تراجم العلماء: ٢٨٣ موسوعة طبقات الفقهاء: ١٢/ ٣٨٨ الفوائد الرضوية: ٢٦٨ تحفة العالم: ٣٦٤ معجم طبقات المتكلمين : ٤/ ٣٨٩. وتوجد كتب فارسية كثيرة أخذت منها مصادرنا العربية ومن هذه الكتب: ((. فرهنگ شاعران زبان پارسى (فارسي) ص١٦٦ وص١٦٧ . لغت نامه دهخدا (فارسي) ج١٩ ص٥١٦ وص٥١٧ . تذكرة أختر (فارسي) ص٦٠ . ريحانة الأدب (فارسي) ج٢ ص٤١ وص٤٢ . گنج سخن (فارسي) ص٧٠٠ ص٧٠٢ . هزار سال شعر فارسى (فارسي) ص٣٣١ ٣٣٨ . مجمع الفصحا (فارسي) ج٤ ص٢١٠ . تذكرة رياض العارفين (فارسي) ص٩٩ وص١٠٠ . فرهنگ سخنوران (فارسي) ص١٥٥ وص١٥٦ . فرهنگ معين (فارسي) ج٥ ص٤٥٨ .))

في شعره بـ(حزين).

من عائلة مرموقة في أصفهان وكان أسلافه علماء وملاك أراضٍ من جيلان من أبرز علماء العصر الصفوي من فضلاء إيران في القرن (١٢هـ)

كان جامعاً لفنون عصره، مصنّفاً، من علماء الإمامية، كان لغويا، كاتبا، مؤلّفا، مؤرخا مفسرا عارفا باللغة العربية وتتلمذ في الفقه والحديث والتفسير والعربية والفلسفة والكلام وغيرها على جماعة، منهم: والده أبو طالب، وخليل اللهّ الطالقاني، ومحمد طاهر بن أبي الحسن القائني، ومحمد مسيح بن إسماعيل الفسوي، وإبراهيم الزاهدي الجيلاني، ومحمد صادق الأردستاني، وعناية الله الجيلاني وهادي بن محمد صالح المازندراني . ونال قسطاً وافراً من العلوم . وقد فاق أقرانه في كثير من العلوم والفنون وقرض الشعر بالعربية والفارسية.

وشرع في وضع عدد من المؤلفات ولا سيما في الموضوعات الفلسفية والكلامية والعرفانية. وسافر إلى شيراز طلبا للعلم فتتلمذ على يد شاه محمد الشيرازي ، ومحمد مسيح بن إسماعيل ولا زمه نحو أربع سنوات وغيرهما. ورجع إلى أصفهان .

فاختص بالفيلسوف محمد صادق بن معز الدين الأردستاني (ت ١١٣٤هـ).وزاول في بعض الأوقات التدريس في التفسير والحديث والفلسفة والكلام.

ثمّ تنقّل في بلاد إيران بعد محاصرة بلدته(سنة ١١٣٤هـ)من قبل الأفغان فزار أذربيجان واليمن وسافر العراق نحو ثلاث سنوات في النجف ثم عاد إلى بلاده عام(١١٤٣هـ) وأدى فريضة الحجّ، و توجّه إلى البحرين، وعاد منها إلى بلاده، فأقام في بندر عباس، ثمّ ارتحل إلى الهند فدخل (تته) و(ملتان)، و (لا هور) وأقام بدلهي (١٤) عاماً ثمّ غادرها في سنة (١١٦١هـ) إلى (أكبر آباد) ثم (عظيم آباد) و منها إلى (بنارس) ، التي استقر بها فاستوطنها نحو (٢٠) سنة إلى أن مات بها في سنة ثمانين ومائة وألف فدأب فيها على المطالعة والبحث والتأليف.

٢-آثاره:

وقد خلف تراثا ضخما في مختلف العلوم منها: الفلسفة والمنطق والكلام والتاريخ والفقه والتفسير والأدب -باللغتين العربية والفارسية- ذكر صاحب كتاب (نجوم السماء في تراجم العلماء) له أكثر من (١٩٦) مؤلّفا-بعضها مطبوع والآخر مخطوط مازال ينتظر من يزيل عنه غبار الزمن على رفوف مكتبات العالم الإسلامي[١].ومن هذه المؤلفات[٢]:

١- مناسك الحجّ بالفارسية.

٢- مواعد الأسحار في فقه الشيعة.

٣- رسالة في صلاة الجمعة.

٤- رسالة في الزكاة.

٥- رسالة في الشكّ والسهو بالفارسية.

٦- رسالة في وجوب الغسل من المرفق في الوضوء.

٧- رسالة المسح على الرجلين.

٨- رسالة في الصيد، جواب المسائل الجيلانية.

٩- جواب المسائل الطبرية.

١٠- جواب المسائل القسطنطينية.

١١- المعيار في الأوزان الشرعية بالفارسية.

١٢- أنيس الاجتهاد في حقيقة الاجتهاد.

(١) ينظر نجوم السماء : ٢٨٣.

(٢) أعيان الشيعة ج١٠ ص٦ . الذريعة ج٤ ص٣٨ وج٩ قسم١ ص٢٣٥ وغيرها . مصفى المقال ص٣١٤ وص٣١٥ . طبقات أعلام الشيعة ج٦ ص٥١٥ ص٥٢٠ . الأعلام ج٦ ص٢٩٦ . معجم المؤلفين ج١١ ص١٩ . هدية العارفين ج٢ ص٣٣٥ . نجوم السماء في تراجم العلماء: ٢٨٣ موسوعة طبقات الفقهاء: ١٢/ ٣٨٨ الفوائد الرضوية: ٢٦٨ تحفة العالم: ٣٦٤ معجم طبقات المتكلمين : ٤/ ٣٨٩.

١٣- تفسير سورة الحشر.

١٤- تفسير سورة هل أتى.

١٥- فضائل القرآن.

١٦- أُصول المنطق بالفارسية.

١٧- الإمامة.

١٨- مصابيح الظلام في الكلام.

١٩- إبطال الجبر والتفويض بالفارسية.

٢٠- وجوب النصّ على الإمام.

٢١- حاشية على «الشفاء» لابن سينا.

٢٢- شرح رسالة «النفس» للكندي بالفارسية.

٢٣- أخبار أبي تمام.

٢٤- أخبار صفي الدين الحلي.

٢٥- أخبار مهيار الديلمي.

٢٦- أخبار هشام بن الحكم وفلسفته.

٢٧- أخبار عبد اللهّ بن بُديل بن ورقاء.

٢٨- الردّ على النصارى.

٢٩- الفرق بين اللمس والمس.

٣٠- بشارة النبوة بالفارسية.

٣١- شرح بعض خطب أمير المؤمنين عليه السَّلام .

٣٢- شرح لامية العجم.

٣٣- السوانح العمرية (مطبوع).

٣٤- تذكرة العاشقين(مطبوع) وهو شعر مثنوي نظمه في سنة (١١٦٥هـ).

٣٥- تذكرة المعاصرين (مطبوع) بالفارسية في التراجم.

٣٦- تعليقات على كتاب (النجاة) لابن سينا.

٣٧- رسالة: شجرة الطور في تفسير آية النور- مدار البحث والتحقيق-

٣٨- تفسير سورة الحشر.

٣٩- تذكرة العاشقين-مطبوع- وهو شعر مثنوي نظمه في سنة (١١٦٥هـ).

٤٠ خلاصة المنطق- فارسي .

٤١- فضائل القرآن-فارسي .

وغيرها كثير وهي موجود في كتاب نجوم السماء في تراجم العلماء.

٣- وفاته:

اختلفت كتب الترجمة التي ذكرناها له -رحمه الله- في سني وفاته ألا أنهم أجمعوا أنها في مدينة (بنارس) الهندية التي استقر فيها ولم يزل بها حتى توفي سنة وقيل سنة (١١٨٠ هـ) وقيل :(١١٨١ هـ)، وقيل : سنة(١١٨٣ هـ) ولكن الأغلبية منهم يتفقون في التاريخ الأول: (١١٨٠هـ)[1]. وأنا أيضا أذهب إليه لكثرة من قال به.

٤- شعره:

له ديوان نظمه باللسان الفارسي اسمه (نزهة الأبصار) بلغت أبياته (٢٠) ألف بيت وله شعر باللغة العربية وله أبيات باللغة العربية تفوق أبياته الفارسية حلاوة وعذوبة

(١) أعيان الشيعة ج١٠ ص٦. الذريعة ج٤ ص٣٨ وج٩ قسم١ ص٢٣٥ وغيرها. مصفى المقال ص٣١٤ وص٣١٥. طبقات أعلام الشيعة ج٦ ص٥١٥ ص٥٢٠. الأعلام ج٦ ص٢٩٦. معجم المؤلفين ج١١ ص١٩. هدية العارفين ج٢ ص٣٣٥. نجوم السماء في تراجم العلماء: ٢٨٣ موسوعة طبقات الفقهاء: ١٢/ ٣٨٨ الفوائد الرضوية: ٢٦٨ تحفة العالم: ٣٦٤ معجم طبقات المتكلمين : ٤/ ٣٨٩.

وهي درر وأنوار[1] فمن جيد شعره قوله في لاميته المشهورة التي مدح بها الإمام علياً عليه السلام [البسيط]

وليس عنك سوادُ العين منصرفاً ... مهما تشاهدُ بالتدعيج والكحلِ
اسمع كلامي ودعٌ لامية سلفتْ ... الشمسٌ طالعةٌ تغنيك عن زحلِ
فمن أنيني حمامُ الأيك في طرب ... قد افتدى بزفيري واقتفى رتلي
مني الأنينُ ومنكُم ما يليقُ بكُم ... بذلتُ جهدي لكم لا بدَّ من بدلَ
فو الذي حجتْ الزوارُ كعبتَهُ ... وكم هنالك من داعٍ ومبتهلِ
جرى مجاري دمعي حبَّ حضرته ... وأشرق الشوقُ في صدري بلا طفل
ليس اصطباري ببعد الدار عن سكن ... بل من نحولي يا غوثي ومن فشلي
وكم دعوتُكَ يا كهفي ومعتمدي ... مستنصراً فأتني بالنصر عن عجل

ثانيا نسخ المخطوطة:

اعتمدت في تحقيقي على نسختين :

الأولى :

الأصل وهي نسخة مكتبة السيد الحكيم –قدس– في النجف الأشرف وهي النسخة الأصل التي اعتمدتها وهي نسخة تامة وخطها حس اتخذتها أصلا؛ لكونها تامه وخطها مقروء . وهي مخطوطة . وتمتاز بـ

أ. خطها شكسته (نستعليق فارسي) . عربي.

ب. عنوانها كامل.

ت. رقمها العام: ١– ١٦٤٩ –ضمن مجموعة مخطوطات لمجموعة من العلماء هي أولها.

ث. حجمها: ١٠٣ × ١٦ سم.

(١) ينظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: ٢/ ١٢ ونزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : ٦/ ٨٣٠ .

ج. لون مدادها أسود غامق إلا سبع كلمات في ورقة العنوان كتبت بالمداد الأحمر الغامق تزيينا لها.

ح. عدد صفحاتها (٩) من المقدمة.

خ. تاريخ نسخها على نسخة المؤلف: ١١٤٣هـ.في ربيع ثان.

د. ناسخها: محمد حسين الموسوي الجزائري واسمه موجود في خاتمتها.

ذ. عدد الأسطر: ١٦ .

ر. متوسط عدد كلمات السطر الواحد: (١٣) كلمة.

ز. نوع الورق: كاغد أصفر مائل إلى السمرة.

س. يلاحظ في بعض الأوراق أثر الرطوبة ربما جاءت من جراء خزنها أو تنقلها بين المالكين.

ش. توجد عليها أختام تملك تعود لمكتبة السيد الحكيم-قدس- في النجف الاشرف.

الثانية:

نسخة (س) وهي نسخة مطبوعة ضمن كتاب رسائل حزين لاهيجي لمحمد علي بن أبي طالب حزين لاهيجي مكتبة الروضة الحيدرية المقدسة وهذه الرسائل مجموعة من رسائل عدة عددها (١٢) رسالة كتب عنها مؤلفوها بأنها محققة وهو ليس بتحقيق بل أن أصح ما يُقال عنها أنها مجموعة مطبوعة[١] ولا يمت هذا العمل إلى التحقيق الاكاديمي بصلة سوى جمع هذه النصوص وعدم التعليق عليها إلّا ما ندر.

وفيها نقص عن المخطوطة الأصل ولا سيما فقرتين كاملتين في الورقة (٨) والورقة(٩) والفقرتان مهمتان جدا للمخطوط أثبتته في هوامشي فضلا عن المقدمة والخاتمة والناسخ التي تختلف اختلافا جذريا عن نسخة الأصل.

فهي تتكون من (٧) أوراق -وزيري- وقد كتبت بحط مؤلفها في مدينة مشهد-

(١) فمجموع هوامش هذه الاواق السبع: ٩ تعليقات أغلبها تخريج آيات قرآنية من الذكر الحكيم.- وهذا ليس بتحقيق نظرا لما تحويه الرسالة من معلومات قيمة-

١١٤٠ هـ- كما هو موجود وناسخها من نسخة المؤلف هو أبو طالب بن حسن الحسيني في ٢٨ / ربيع اول/ ١١٨٠هـ) .وقد كتب تاريخ النسخ باللغة الفارسية ومكانه مدينة بنگاله في الهند.

والذي أراه أن هذه النسخة – الثانية-كتبت منسوخة على نسخة مكتبة السيد المرعشي- قدس- في مدينة قم المقدسة برقم ٥ / ١١٥٩٣ وخطها (شكسته) ناسخها علي نقي بن أبو القاسم شريف موسوي في ١١٦٥ ق ومواصفتها:

حجمها: ٧×١٤سم

عدد أورقها: ٦

وهي تقارب المطبوع فضلا عن أن صاحب موسوعة (فنخا)- فهرس خطي إيران أي: فهارس المخطوطات في إيران-حينما وصفها فقد ذكر المقدمة والخاتمة التي وردت في هذه النسخة المطبوعة[١]. وهذا أكد لي رأي أيضا.

وتوجد نسخ أخرى لم أصل إليها: هي:

١. نسخة المكتب الهندي ٢/(١) / ٦٧ (١) ٤٣٠٤ (١١٦٥)(١-٤ز)-١١٩٦ هـ والذي أراه أن نسخة المرعشي قد نسخت منها-.
٢. نسخة مكتبة رامبور -الهند- ١/ ٣١٠ .M K ٨٣٧- (٥٥ب -٥٩ أ).
٣. نسخة مكتبة السيد المرعشي-قدس- في مدينة قم المقدسة-إيران- برقم (٥ / ١١٥٩٣)

ثالثا: عنوان المخطوطة ونسبة مؤلفها :

لم أجد اختلافا يذكر بين من ترجم للمؤلف ولا في كتب التراجم وفهارس المخطوطات التي أطلعت عليها من يغمز في تسميتها أو نسبتها[٢] فضلا عن إشارة مؤلف المخطوطة

(١) ينظر : موسوعة فنخا: ١٨/ ٨٠٣ .
(٢) ينظر: أعيان الشيعة ج١٠ ص٦ . الذريعة ج٤ ص٣٨ وج٩ قسم١ ص٢٣٥ وغيرها . مصفى المقال ص٣١٤ وص٣١٥ . طبقات أعلام الشيعة ج٦ ص٥١٥ ص٥٢٠ . الأعلام ج٦ ص٢٩٦ . معجم

نفسه إلى عنوانها فيقول: ((سمّيتُه: بـ: شجرة الطور في شرح آية النور))[1].

رابعا: سبب تأليفها.

هي رسالة كتبها الحزين لأنه رأى أن بعض أهل العرفان قد أوجز في شرحها واكتفى بظاهرها عن باطنها فيقول: ((لاستدعاء بعض الخلّان من سالكي سبيل العرفان سلكتُ فيه مسلكَ الإيجاز؛ لاختيار[ي] لبِّ الحقيقة على المجاز))[2]. والذي أراه أنه نظر إلى رسالة بعض أهل العرفان ومنهم العلامة أبو حامد الغزالي(ت ٥٠٥ هـ).

الذي وظّف الآية في غير مظانها المجازية فجال في بساتين حقيقتها مبتعدا عن المراد الذي رآه الجيلاني فيها علما أن بعض علمائنا قد أشار إلى بعض مواردها المجازية وهي توظيف هذا الآية المباركة في محمد وآله ﷺ فقد أجاد .

ونراه قد قدم لهذ الرسائل –التي تشارك موضوعه– تقديما رائعا يدل على عظمة تواضعه وتقديره الكبير لهم : فيقول : ((وللعلامة الغزالي. –حشره الله مع من يوالي– طريقةٌ لطيفةٌ في بيان الآية الكريمة ألف فيها رسالة شريفة سَمَّاها(بمشكاة الأنوار) .

ولعمري أنّه قد بلغ الغاية القُصوى من ذوق أمثالِهِ فجزاهُ اللهُ عن أهلِ العلم بما يليقُ بأحوالِهِ. وللأستاذ القُمْقَام –صدرُ المتألهين– رسالة شريفة في تفسير الآية الكريمة أبدع فيها من إبراز اللطائفِ وأظهرَ أنوارا من المعارف وكذا لأستاذي النحريرَ قدوةُ الحكماءِ الراسخين بشمس العارفين –أعلى الله منازلَهُم في الملكوتِ الأعلى ولقّاهم نظرةً و سرُورا – رسالة نفيسة في ذلك قد بلغ مَبلغا لا يبْلغُ إليهِ البالغون فمن أراد حقَّ الكشف (٩/ ٩) والاطلاع فليرجع إليها))[3].

المؤلفين ج١١ ص١٩ . هدية العارفين ج٢ ص٣٣٥ . نجوم السماء في تراجم العلماء: ٢٨٣ موسوعة طبقات الفقهاء: ١٢/ ٣٨٨ الفوائد الرضوية: ٢٦٨ تحفة العالم: ٣٦٤ معجم طبقات المتكلمين : ٤/ ٣٨٩ وفهارس (فنخا) ١٨ / ٨٠٣.

(١) الورقة (١/ ٩) من الأصل السطر : الثالث.

(٢) المصدر نفسه السطر: ٤–٥ .

(٣) أوراق المخطوطة الأصل:(٨٩ / ٩) –نهاية وبداية الورقتين–وقد حُذف النص من (س)

خامسا: بناء المخطوطة:

الرسالة بنيت في تفسير آية النور المباركة: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥﴾ [النُّور الآية ٣٥].

مبتعدا بها عن المعنى الحقيق لدلالة ألفاظها إلى معنى مجازي باطني لا يتأتى للناظر غير المتبصر أن يأتي به فقد نهج بها منهجا عرفانيا إشراقيا بعيدا عن عالم البديهيات المقيدة بظاهر النص إلى الغوص عرفانيا في مدلولات ألفاظ هذه الآية المباركة سائرا بذلك على خطا الشيخ الرئيس –ابن سينا– في الإشراق– وهو منهجه في القسم الثاني من مفهومه للعرفان مبتعدا عن منهج المشائين الذي اختطه أرسطو.

لقد مزج المصنف بأسلوب أدبي بين منهجي الحقيقة والمجاز في تفسير هذه الآية للوصول بها إلى حقيقة المراد منها في تسع أوراق سالكا فيها مسلك أهل العرفان بإيجاز وصولا إلى كنهه الآية المبارك. معززا ما يذهب إلية بالنصوص القرآنية المباركة والأحاديث النبوية المشرفة ونصوص أهل البيت عليهم السلام المطهرة ليقويَّ المعنى الذي يذهب إليه في أنه ليس المراد بالنور والمصباح والمشكاة والزجاجة والكوكب والشجرة... المعنى الحقيقي لها المبثوث في أمات المعجمات اللغوية وأن لم يغفله– بل معنى آخر وهو مجازي لا يظهر للعيان من خلال التجريد بل يحتاج إلى تبصّر وتفكّر في هذه المداليل اللغوية.

إن منهج الإشراق العرفاني هو منهج الشيخ الرئيس ابن سينا في القسم الثاني من فلسفته التي ابتعد بها عن منهج المشائين الذي أختطه أرسطو محتجا بكثر من الأدلة والبراهين العقلية من الكتاب والسنة ونصوص أهل البيت عليهم السلام فضلا عن كلام العرب من شعر ونثر في إثبات ما ذهب إليه وأن كان هناك من تقدم عليه فيها إلا أنهم لم يتوصلوا إلى ما توصل إليه من إشراقات فيضية في الوصول خاتمة للسعادة الأبدية بعيدا عن مفاهيم الوجود المقيّد

في الحقيقة الفانية في عالم الجسمانيات .

فكان شرحه موجزا مكتنز العبارة قوي الحجة والدليل. إن عامة الشراح والمفسرين قد ذهبوا في تفسيرها مذهبا حقيقيًّا ظاهر بما يعطيه النص المبارك من فيوضات معرفية لا تغادر أرضية الواقع المقيد ؛ للوصول إلى خاتمتها وهي محمد وآل محمد –عليهم أفضل الصلوات والتسليم– بلغة سهلة يسيرة الفهم على المتلقي وأن غمرها فيض الإشراق العرفاني إلا أنها جاءت مفهومة بحسب السياق .

فقد أخذ بشرح هذه الآية المباركة متسلسلا ظاهرا لمعانيها الباطنة مازجا لحقائق مفرداتها وعاقدا بينها وبين صفات النور الإلهي موازنة دلالية في كيفية إدراك ذلك النور المطلق في النفوس البشرية المضيئة بعد أن كانت تسبح في عالم العتمة والظلمة في وجودها المقيّد ووجود هذه الألفاظ في ساحة الإشراق الإلهي الذي حيّر العلماء وماجوا في كنهه.

وحقيقة هذا النور والزجاجة والمشكاة أنها تستمد فيضها المتلألئ من نور الوجود المطلق في قلوب المؤمنين . أنها كلها ينبع ضياؤها من هذه الشجرة المباركة التي يشير إلى أنها الشجرة المحمدية الطاهرة التي أذت نورها من نور الفيض الإلهي المقدس الذي يشرق على النفس الإنساني.

فألفاظ((النور، المصباح ، الكوكب ، الدريّ ، الزجاجة ، المشكاة ، الشجرة)) هذه ليس بحقيقتها أنما هي ألفاظ تشير إلى عوالم أخرى و فيوضات روحانية لا يدركها إلا من وهبه الله إحساسا مدركا وقلبا عامرا بالإيمان.

تشعر بعد قراءتك الرسالة أنك في ساحة الفيض الإلهي المطلق تحيط بك أنوار الرحمة الإلهية و فيوضات الوجود الرباني المطلق بحيث لا تشعر أنك مقيّدُ بقيود فلسفية صعبة المنال والإدراك بل بنور من المعرفة والإدراك أنه عالم البوح الخفي الذي يغادر عتمة الوجود الجسماني المقيّد إلى ساحة التألق المعرفي والغوص في المعاني المجازية لمنطوق النص الكريم .لكي نصل إلى مبتغى الرسالة أنها تشير إلى حقيقة أن هذا النور هو نور محمد وآل محمدﷺ حيث يقول: ((المُرادُ بالنور ، هو القرآنُ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ

نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾[النِّسَاء الآية ١٧٤].

لأن القرآن مظهرُ نُور الحقِّ والعرفانِ ومنوّرُ قُلوبِ أهل الحقِّ . فيكون الحقُّ نُورا والقُرآنُ مَثَلُهُ ؛ فالمصباحُ كلام الله تعالى والزجاجةُ قلبُ المومن والمشكاةُ صدرُهُ وزيتُهُ الفيضُ الإلهي الحاصلُ من الشجرة المباركة المحمّديّةِ ﷺالتي بجامعيّتها للنشأتينِ غيرُ مخصوصةٍ بشرق عالَمِ الأرواح ولا بغربِ عالَمِ الأجسام بل جامعةٌ بينهما. وعلى هذا يكون المرادُ بالنّارِ نارَالجهل ونار فِتنةِ المعاندين لآل محمد(١)ﷺ.))(٢)

(١) قال في الميزان:١٥/ ٧٣ : ((و قد وردت عدة من الأخبار من طرق الشيعة في تطبيق مفردات الآية على النبي ﷺ و أهل بيته ﷺ و هي من التطبيق دون التفسير، و من الدليل على ذلك اختلافها في نحو التطبيق كرواية الكليني في روضة الكافي، بإسناده عن جابر عن أبي جعفر ﷺ و فيها: أن المشكاة قلب محمد ﷺ، و المصباح النور الذي فيه العلم، و الزجاجة علي أو قلبه، و الشجرة المباركة الزيتونة التي لا شرقية و لا غربية إبراهيم ﷺ ما كان يهوديا و لا نصرانيا، و قوله: «يكاد زيتها يضيء» إلخ، يكاد أولادهم أن يتكلموا بالنبوة و إن لم ينزل عليهم ملك.و ما رواه في التوحيد، بإسناده إلى عيسى بن راشد عن الباقر ﷺ و فيه: أن المشكاة نور العلم في صدر النبي ﷺ، و الزجاجة صدر علي "يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار" يكاد العالم من آل محمد يتكلم بالعلم قبل أن يسأل "نور على نور" إمام مؤيد بنور العلم و الحكمة في إثر الإمام من آل محمد.و ما في الكافي، بإسناده عن صالح بن سهل الهمداني عن الصادق ﷺ و فيه: أن المشكاة فاطمة ﷺ، و المصباح الحسن ﷺ ، و الزجاجة الحسين ﷺ.و الشجرة المباركة إبراهيم ﷺ ، و لا شرقية و لا غربية ما كان يهوديا و لا نصرانيا، و نور على نور إمام بعد إمام، و يهدي الله لنوره من يشاء يهدي الله للأئمة ﷺ من يشاء و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: في قوله: "زيتونة لا شرقية و لا غربية" قال: قلب إبراهيم لا يهودي و لا نصراني)) .))وينظر: التوحيد : ١٥٥ مجمع البيان: ٧/ ٢٢٤ تفسير القمي: ٢/ ١٠٣ وتفسير نور الثقلين: ٣/ ٦٠٢ .

(٢) المخطوطة: الورقة (٨)

سادسا: الأضاميم:

الورقة الاولى من النسخة الأصل

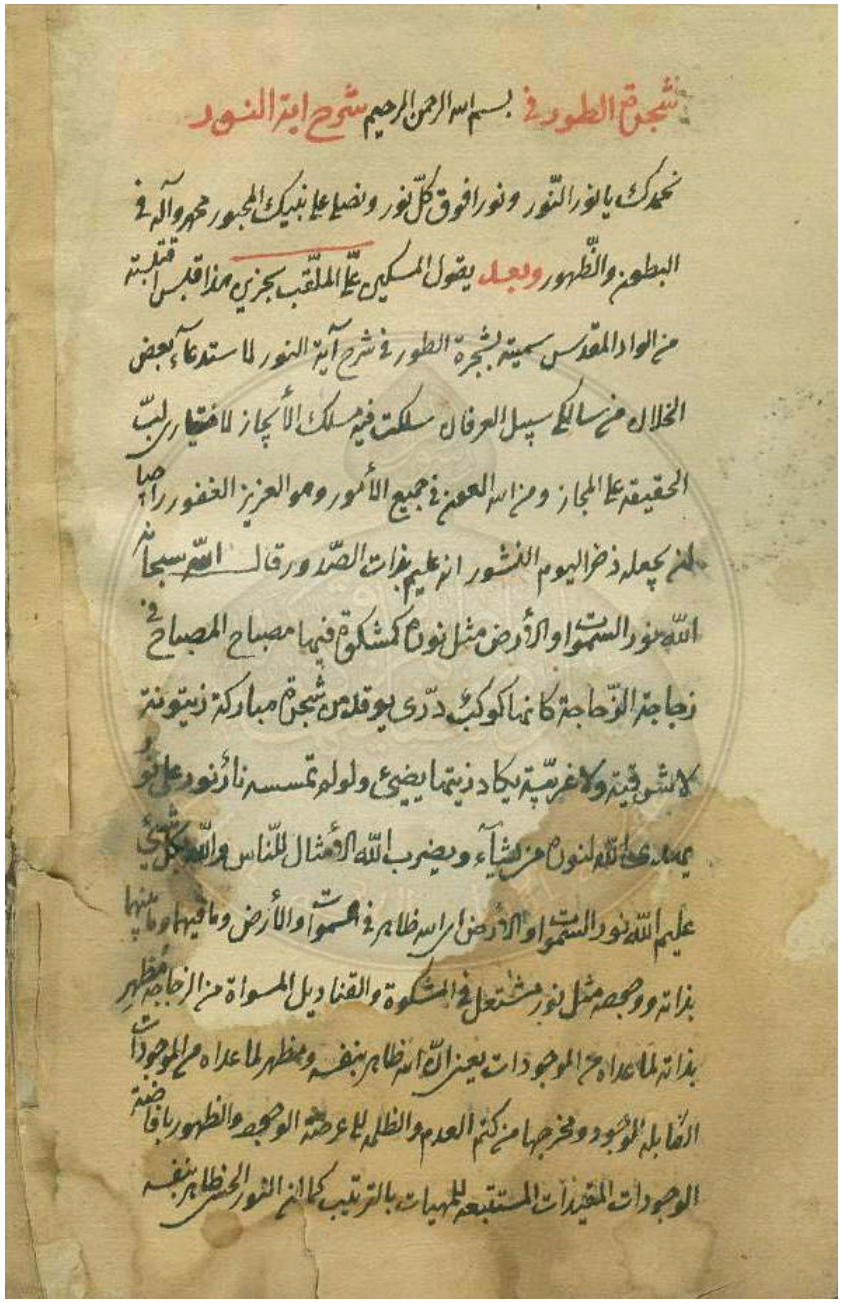

شجرة الطور في شرح آية النور بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا نور النور ونورا فوق كل نور ونصلي على نبيك المجبور محمد وآله في البطون والظهور وبعد يقول المسكين علي الملقب بجزين هذا قبس اقتبسته من الواد المقدس سميته بشجرة الطور في شرح آية النور لما استدعاه بعض الخلان من سالكي سبيل العرفان سلكت فيه مسلك الأيجاز لاختيار لب الحقيقة على المجاز ومن الله العصمة في جميع الأمور وهو العزيز الغفور راجيا ان يجعله ذخرا ليوم النشور انه عليم بذات الصدور وقال الله سبحانه الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم الله نور السموات والأرض اي الله ظاهر في السموات والأرض وما فيهما وما بينهما بذاته ووجهه مثل نوره مشتعل في المشكوة والقنديل المسواة من الزجاجة مظهر بذاته لما عداه من الموجودات يعني ان الله ظاهر بنفسه ومظهر لما عداه من الموجودات القابلة للوجود ومخرجها من كتم العدم والظلمة لما عرضته الوجود والظهور بافاضة الوجودات المقيدات المستتبعة للمهيات بالترتيب كما ان النور الحسي ظاهر بنفسه

الورقة الاخير من نسخة الأصل:

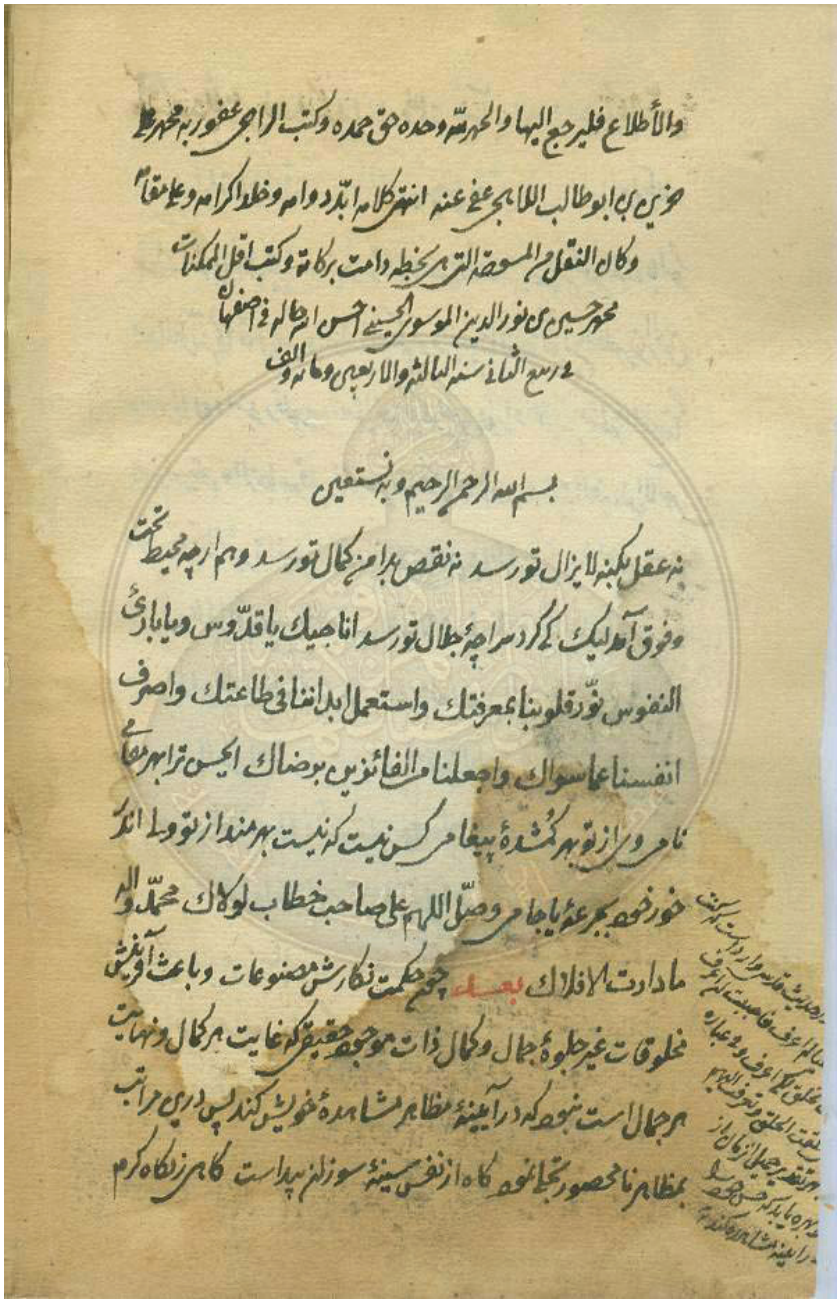

الورقة الأولى من (س)

ويلاحظ عدم وجود هوامش فيها وهذا تقوية لرأينا أنه ليس بتحقيق.

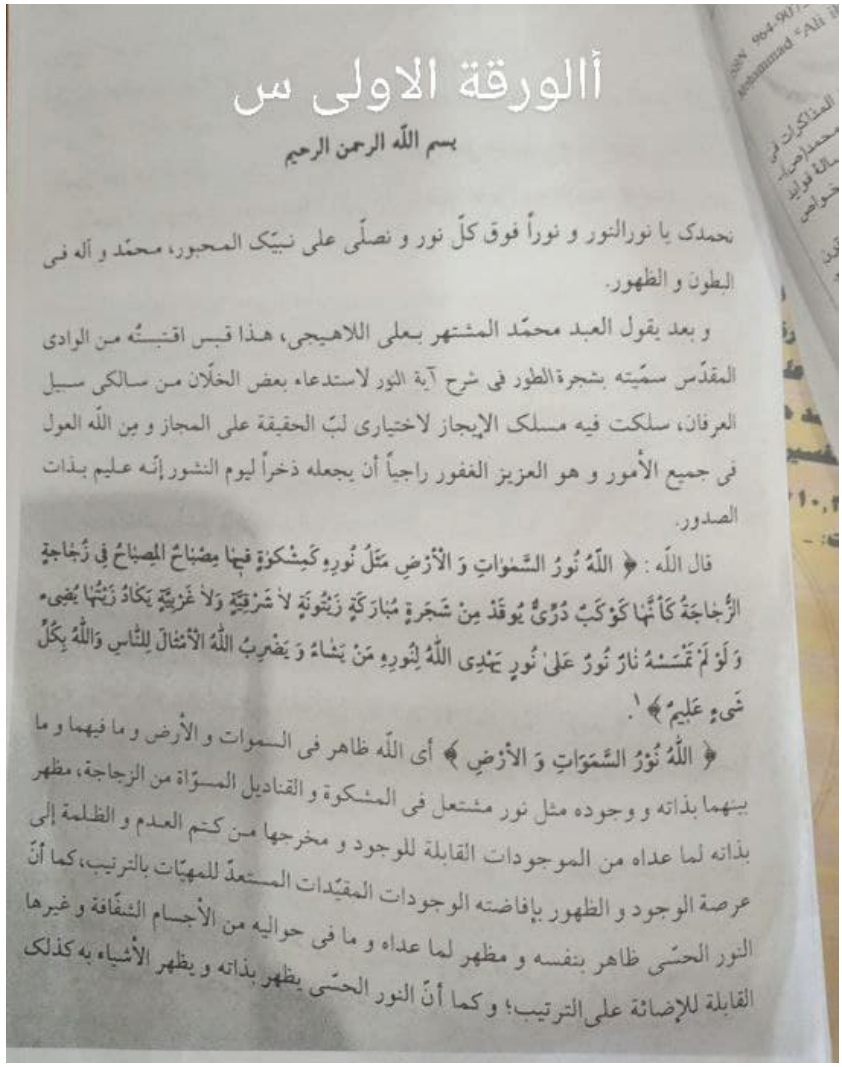

ألورقة الاولى س

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا نورالنور و نوراً فوق كلّ نور و نصلّى على نبيّك المحبور، محمّد و آله فى البطون و الظهور.

و بعد يقول العبد محمّد المشتهر بعلى اللاهيجى، هذا قبس اقتبسته من الوادى المقدّس سمّيته بشجرة الطور فى شرح آية النور لاستدعاء بعض الخلّان من سالكى سبيل العرفان، سلكت فيه مسلك الإيجاز لاختيارى لبّ الحقيقة على المجاز و من اللّه العول فى جميع الأمور و هو العزيز الغفور راجياً أن يجعله ذخراً ليوم النشور إنّه عليم بذات الصدور.

قال اللّه: ﴿ اللّهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰوةٍ فِيهٰا مِصْبٰاحٌ الْمِصْبٰاحُ فِي زُجٰاجَةٍ الزُّجٰاجَةُ كَأَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاٰ شَرْقِيَّةٍ وَلاٰ غَرْبِيَّةٍ يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ نُورٌ عَلىٰ نُورٍ يَهْدِي اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

﴿ اللّٰهُ نُورُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْأَرْضِ ﴾ أى اللّه ظاهر فى السموات و الأرض و ما فيهما و ما بينهما بذاته و وجوده مثل نور مشتعل فى المشكوة و القناديل المسوّاة من الزجاجة، مظهر بذاته لما عداه من الموجودات القابلة للوجود و مخرجها من كتم العدم و الظلمة إلى عرصة الوجود و الظهور بإفاضته الوجودات المقيّدات المستعدّ للمهيّات بالترتيب، كما أنّ النور الحسّى ظاهر بنفسه و مظهر لما عداه و ما فى حواليه من الأجسام الشفّافة و غيرها القابلة للإضائة على الترتيب؛ و كما أنّ النور الحسّى يظهر بذاته و يظهر الأشياء به كذلك

النسخة الأخيرة من (س)

ويلاحظ أيضا عدم وجود هوامش .

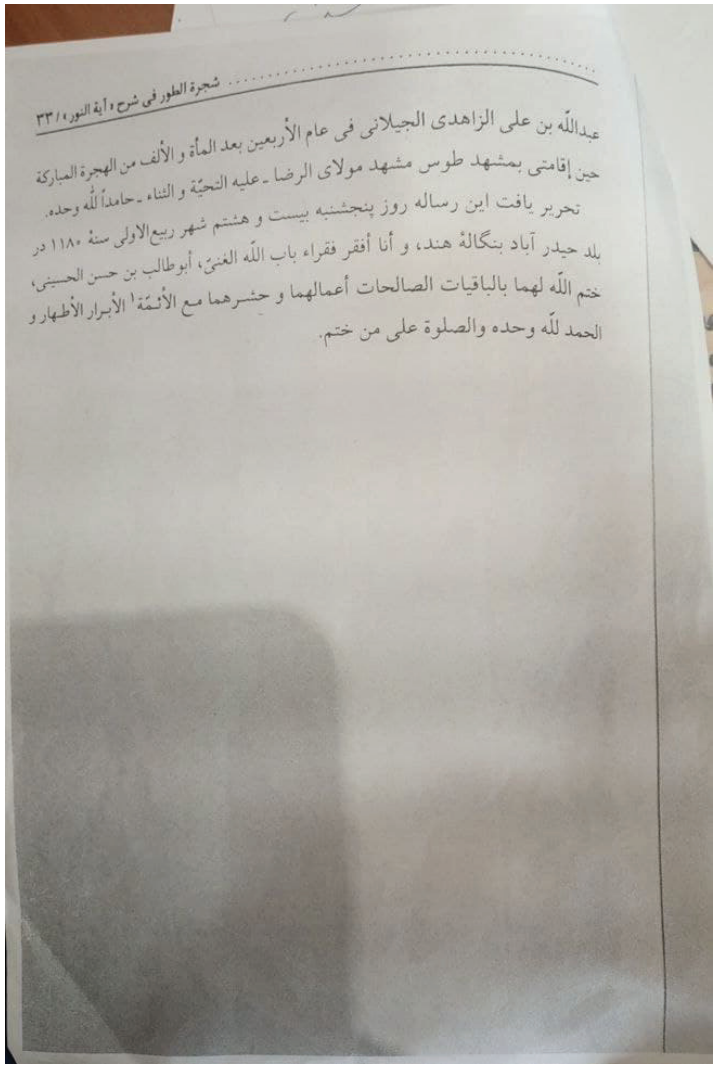

شجرة الطور فی شرح «آية النور» / ٣٣١

عبداللّه بن علی الزاهدی الجیلانی فی عام الأربعین بعد المأة و الألف من الهجرة المبارکة حین إقامتی بمشهد طوس مشهد مولای الرضا ـ علیه التحیّة و الثناء ـ حامداً للّه وحده.

تحریر یافت این رساله روز پنجشنبه بیست و هشتم شهر ربیع‌الاولی سنة ١١٨٠ در بلد حیدر آباد بنگالهٔ هند، و أنا أفقر فقراء باب اللّه الغنیّ، أبوطالب بن حسن الحسینی، ختم اللّه لهما بالباقیات الصالحات أعمالهما و حشرهما مع الأئمّة الأبرار الأطهار و الحمد للّه وحده والصلوة علی من ختم.

سابعا –عملي في التحقيق:

اعتمدت في التحقيق نسختين حصلت عليهما من مكتبتي: الإمام الحكيم العامة في النجف الاشرف(المخطوطه) ومكتبة الروضة الحيدرية المطهرة(الرسائل المطبوعة) فحاولت جاهدا أن أحققها على وفق المنهج العلمي المتبع في تحقيق النصوص وصولا بها إلى ما كان يطمح مؤلفها منها فكانت خطواتي ما يأتي:

١. تسمية المخطوط بالنسخة الأم ب– الأصل– والنسخة الثانية بـ(س)

٢. نسخت المخطوط. الأصل؛ أي :كتابتها.

٣. قابلت بين نسختي : المخطوط والمطبوع لإظهار الفوارق فيما بينها.

٤. ترقيم الأوراق إذ إنها غير مرقمة وهي مكونة من (٩) أوراق –وجه واحد– فرقمتها(٣٢١..٩/ ٩).وتحمل كل ورقة رقمها ثم خطا مائلا ورقم الأوراق الكلي ووضعته في المتن.

٥. خرجتُ النصوص القرآنية .والقراءات الواردة في المتن من مضانها وتابعت النصوص في المصادر التي وردت فيها.

٦. خرجتُ الأبيات الشعرية من مضانها وكذلك النصوص الاخرى من كتب اللغة والتفسير.

٧. حصرت النصوص التي اعتمدها المؤلف بين ((...)) فيما ذكرت المصادر التي أشارت إليها أيضا .

٨. علقت على كثير من المسائل الواردة في المتن دونما إثقال للهامش .

٩. توجد في الرسالة مجموعة من المختصرات قمت بفك رموزها مثل:

- الخ= إلى آخره.
- ايض =أيضا.
- تع=تعالى.

- ره=رحمه الله.
- الظا=الظاهر.
- كك=كذلك.
- مط=مطلقا.
- يُق=يقال.

١٠. توجد اختلافات قليلة في رسم بعض الكلمات على ما كان سائدا في تلك المدة ولاسيما رسم الهمزة والواو والياء والألف فكتبتها بلغتنا المعاصرة لان أغلب الكتابة تخضع إلى الرسم المتعارف عليه أما اللفظ فواحد .

١١. راجعت المعجمات اللغوية التي أعانتني في توضيح بعض المبهمات من ألفاظ وردت في المتن المحقق

١٢. استعملت في أثناء كتابتي علامات الترقيم المعمول به في إخراج النص المحقق

١٣. الحاصرتان المتقابلتان : < > تستعملان لحصر الكلمات الخاطئة وتصويب هذه الكلمات في الهامش .

١٤. العضادتان : [ ] تستعملان لما يُضاف إلى المتن مما لم يذكره المؤلف ورأيت في ذكره تقويما للنص .

ثامنا:- خاتمة الدراسة:

الحمد لله أولا وآخرا وبعد هذه الجولة المباركة في عالم العرفان والفيوضات الإلهية لابد لي من ذكر أمور في هذا المقام منها:

١. تؤكد الرسالة -كغيرها من مصنفاته- أن له منزلة علمية رفيعة بين أقرانه ولعل مصنفاته التي فاقت أكثر من خمسين مصنفا خيرُ دليل على ذلك. وهي تعنون في باب -العرفان- والإشراق.

٢. المصنف ذو تراث جمّ أسعفته في تصانيفه قوة حافظته وسعة ثقافته فهو يتنقل بين التفسير والعرفان واللغة والعقيدة وما سواها من العلوم الإنسانية. فهو عالم فاضل يُشار له بالبنان. تنقل بأسلوب فكري رائع بمحتويات رسالته ليصل بنا إلى نهايتها كحال المصنفين القدماء.

٣. لم يكن أسلوبه استطرادا بل مختصرا متبعا منهجا تدريجيا في الوصول إلى مبتغاه. وهو في ذلك يعرض مادته متسلسلا إلى غايته المنشودة . وقد كان له ذلك

٤. ظهور شخصيته واضحة من خلال تناول المسألة والربط بين التحليلات الصوفية والتغيرات الدلالية التي تحدث للألفاظ في باب السياق

٥. لغة الرسالة واضحة بعيدة عن التعقيد بعيدة عن الصعوبة تخلو من الشوائب اللغوية إلا ما ندر وغالبا ما كان بتأثير السجع. ولذا نراها سهلة يسيرة الفهم على الرغم من أنها تشع بالمداليل العرفانية.

٦. نجده قد تنقل في أفكاره متسلسلا في باب العرفان مدلا على ما كان يطمح إليه من بيان مستوحيا ما ذهب إليه من فيوضات إشراقية من تتبع لآراء العلماء العرب والمعاصرين في هذا الجانب فمرة يشير إليهم وأخرى يكتفي بنقل آرائهم دونما إشارة إليهم فضلا عن معاصريه.وقد أثبت من خلال شرحة مصاديق الآية في أنها تشير إلى أهل البيت ﷺ فهم سفن النجاة ومصابيح الهدى بلا منازع ولا مخالف في ذلك.

٧. الرسالة تدل على تواضع مصنفها في طريقة عرضه للمادة وكذلك في تناوله لآراء الآخرين

٨. توجد في الرسالة ولا سيما في الورقتين الأخيرتين مجموعة من التعليقات ويبدو أن المصنف راجعها بنفسه وعلّق عليها.

٩. توجد في المخطوطة كحال غيرها مجموعة من الاختصارات وهذا دأب المخطوطات في ذلك العصر.

المبحث الثاني : التحقيق

((شجرة الطور في شرح آية النور))

لعلي الحزين محمد علي بن أبي طالب الزاهدي اللاهيجي الجيلاني(ت:١١٠٣هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١/ ٩)

نحمدُكَ يا نورَ النورِ ونورا فوقَ كلِّ نورٍ ونصليَّ على نبيكَ المحبور[١] محمدٍ وآلهِ في البطونِ والظهور، وبعد:

يقولُ المسكينُ عليٌّ الملقّبُ بـ(حزين)[٢]: هذا قبسٌ اقتبستُهُ من الوادِ [ي][٣] المقدسِ[٤]

(١) جاء في المفردات: ((والحَبْرُ: العالم وجمعه: أحبار لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المُقتدى بها... وقوله –عز وجل– : ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[الرُّوم الآية ١٥] أي يفرحون حتى يظهر عليهم حبار نعيمهم)): ٢١٦ وقال صاحب اللسان في قوله تعالى : ((أنتم وأزواجكم تحبرون)) : ((معناه : تكرمون إكراما يُبالغ فيه والحبرة : المبالغة فيما وصف بجميل))) حبر) : ٤/ ١٥٨.

(٢) في نسخة (س) : ((وبعدُ يقول العبد محمّد المشتهر بعلي اللاهيجي))) وحزين لقبه واسمه الشيخ محمد علي بن المولى أبي طالب بن عبد الله بن علي بن عطاء الله الزاهدي الجيلاني الأصفهاني اللاهيجي –مؤلف الرسالة– مدار التحقيق وقد تقدمت ترجمته–.

(٣) سقط من الأصل وفي نسخة (س) أثبتتْ الياء

(٤) مصطلح عرفاني يشير إلى بحر معرفة الله تعالى ولجة ألوهيته وهو طهارة عزة الله تعالى وجلاله يُنظر: تفسير مفاتيح الغيب :٢٢/ ١١٦ و:مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: ٢/ ٢٢ ومشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار: ١١. وفي تفسير نور الثقلين : ٥/ ٤٠٣ –نقلا عن كتاب علل الشرايع بإسناده إلى عبد الله بن يزيد بن سلام أنه سأل رسول اللهﷺ فقال: ((أخبرني عن الوادِ المقدس؟ فقال : لأنه قُدستْ فيه الأرواح واصطفيت فيه الملائكةُ وكلّم الله– عز وجلّ– موسى تكليما)).

سمَّيتُهُ: بـ (شجرة الطور[1] في شرحِ آيةِ النور)؛ لاستدعاء بعض الخلاّن من سالكي سبيل العرفان[2] سلكتُ فيه مسلكَ الإيجاز؛ لاختيار[ي][3] لبَّ الحقيقة على المجاز[4] ومن اللهَ العونُ[5] في جميع الأمور وهو العزيزُ الغفورُ راجيا أن يجعلَهُ ذخرًا ليوم النشور إنَّهُ عليمٌ بذاتِ الصدور.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥﴾

(١) هذا العنوان يتوافق مع ميول المؤلف العرفانية والعقلية والنقلية التي عُرف بها وشجرة الطور إشارة إلى جبل بيت المقدس . ممتد بين مصر وأيلة سمّى بطور بن إسماعيل بن إبراهيم –عليهما السلام– وهو الذي نودي منه موسى ﷺ قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠﴾[المُؤمِنُون الآية ٢٠] وقال تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾[القَصص الآية ٤٦] وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢﴾[التِّين من الآية ١ الى الآية ٢]. ومعناهما واحد ينظر: تفسير الكشاف: ٤/ ٧٦٣ ومعجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع: ٣/ ٨٩٧ وتفسير الميزان: ٢٠/ ٣١٩ وتفسير الأمثل: ٢/ ٥٦٦.

(٢) يقصد أهل العرفان. وهو: ((عبارة عن العلم بالحقِّ –سبحانه– من حيث أسمائه وصفاته ومظاهره والعلم بأحوال المبدأ والمعاد وحقائق العالم وكيفية رجوعها إلى الحقيقة الواحدة التي هي الذات الأحدية للحق تعالى ومعرفة طريق السلوك والمجهدة ؛ لتحرير النفس من علائقها وقيود جزئيتها ولاتصالها بمبدئها واتصافها بنعت الإطلاق والكلية.)) العرفان الشيعي : ١٠.

(٣) سقطت من الأصل وأثبتت في (س).

(٤) الحقيقة والمجاز: ((هو اللفظ الذي تعدد معناه ولكنه موضوع لأحد المعاني فقط واستعمل في غيره لعلاقة ومناسبة بينه وبين المعنى الأول الموضوع له من دون أن يبلغَ حدَّ الوضعِ في المعنى الثاني فيسمى(حقيقة) في المعنى الأول و(مجازا) في الثاني ويُقال للمعنى الأول معنى حقيقي وللثاني مجازي)) المنطق–المظفر–: ٣٧.

(٥) كذا في الأصل وفي (س) : ((العول))–باللام بدل النون–

[النُّور الآية ٣٥]. اللهُ نورُ السماوات والأرض[١] إنّ[٢] الله ظاهرٌ في السموات والأرض وما فيهما وما بينهُما بذاتهِ ووجودِه مثل نورٍ مشتعلٍ في المشكاة[٣] والقناديل المسوّاة من

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط : ٦/ ٤٥٤:((... ، وأضاف النور إلى (السماوات والأرض) ; للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى يضيء له السماوات والأرض ، أو يراد أهل السماوات والأرض وأنهم يستضيئون به . وقال ابن عباس : (نور السماوات) أي هادي أهل السماوات . وقال مجاهد : مدبر أمور السماوات . وقال الحسن : منور السماوات . وقال أبي : الله به نور السماوات أو منه نور السماوات ، أي ضياؤها . وقال أبو العالية : مزين السماوات بالشمس والقمر والنجوم ، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء . وقيل : المنزه من كل عيب امرأة نوار بريئة من الريبة والفحشاء . وقال الكرماني : هو الذي يرى ويرى به مجاز وصف الله به ; لأنه يرى ويرى بسببه مخلوقاته ; لأنه خلقها وأوجدها .)) فأن ((نوره الحقيقي هو الوجود الحقيقي المنبسط على العقول الكلية)) معيار العلم في المنطق: ١/ ٤٣ وقال صاحب شرح المنظومة: ١/ ٢٢ : ((والنفوس الكلية والأرواح المجردة المرسلة والمتعلقة والطبائع الكلية والجزئية والموجودات الخارجية والذهنية وبالجملة مطلق الوجود)) أي: الله وجود السماوات والأرض وما بينهما في الحقيقة لأن النور بمعنى الوجود: ينظر: المحيط الأعظم والبحر الخضم : ٢/ ٥٢٣.

(٢) في (س) : ((أي)).

(٣) المشكاة في هذا المقام مثل يكون عبارة عن عالم الأجسام مطلقا. ينظر : المحيط الأعظم: ٢/ ٥٢٣ و شرح المنظومة: ٥/ ٦٥.وفيها: ((و من قواها ما لها بحسب حاجتها إلى تكميل جوهرها عقلا بالفعل فأولاها قوّة استعدادية لها نحو المعقولات وقد يسمّيها قوم عقلا هيولانيا وهي المشكاة وتتلوها قوّة أخرى تحصل لها عند حصول المعقولات الأولى فتتهيّأ بها لاكتساب الثواني إمّا بالفكرة وهي الشجرة الزيتونة إن كانت ضعفي وبالحدس وهي زيت أيضا إن كانت أقوى من ذلك فتسمّى عقلا بالملكة وهي الزجاجة والشريفة البالغة منها قوة قدسية يكاد زيتها يضيء ثم يحصل لها بعد ذلك قوة وكمال أما الكمال فإن تحصل لها المعقولات بالفعل مشاهدة متمثلة في الذهن وهو نور على نور وأما القوّة فأن يكون لها أن تحصّل المعقول المكتسب المفروغ منه كالمشاهد متى شاءت من غير افتقار إلى اكتساب وهو المصباح وهذا الكمال يسمّى عقلا مستفادا وهذه القوّة تسمّى عقلا بالفعل والذي يخرج من الملكة إلى الفعل التام ومن الهيولاني أيضا إلى الملكة فهو العقل الفعّال وهو النار». و ذهب الراغب الأصفهاني في مفرداته: : ٦٣٩ إلى أن المشكاة مثل القلب وفيه المصباح الذي هو نور الله فإذا أردت معرفة كيف نور الله –سبحانه– فعليك أن تبني داخل عقلك صورة لهذا الفضاء الذهني لكي تضع فيه هذه الأشياء.

الزجاجة[١]. مُظهِرٌ بذاتهِ لما عداهُ من الموجودات[٢] يعني: إنَّ اللهَ ظاهرٌ بنفسه وَ مُظهِرٌ لما عداهُ من الموجودات القابلة للوجود ومُخرِجُها من كتم العدم [٣] والظلمة إلى عرصةِ الوجود[٤].

(١) الزجاجة هي عبارة عن عالم الأرواح مطلقا ينظر : المحيط الأعظم: ٢/ ٥٢٣.وفي التفسير المظهري: ٦/ ٥٣٤ ((فاذا حصل له العلوم فان كان بفكر و اجتهاد فكالشجرة الزيتونة و ان كان بالحدث فكالزيت و ان كان لقوة قدسية فكالذى يَكادُ زَيْتُها يُضِي ءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ لانها تكاد تعلم و لو لم يتصل بملك الوحى و الإلهام الّذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها- ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث يتمكن من إحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور ولى في هذه الاية تأويلان آخران مبتنيان على كشف المجدد للالف الثاني رضى اللهّ عنه أحدهما اللهُّ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يعنى موجدها و مظهرها من كتم العدم في الخارج الظلي مثل نوره اى وجوده الّذي انبسط على ماهيات الممكنات- و الاضافة للتشريف كما في بيت اللهّ و ناقة اللهّ او لانه صادر منه كما يقال نور الشمس و القمر لما انبسط على الأرض من النور لاجل مقابلتهما كمشكوة اى كنور مشكوة على حذف المضاف فيها مصباح تنورت المشكوة بذلك المصباح فكما ان المشكوة استفادت النور و تنورت بالمصباح كذلك ماهيات الممكنات استفادت نور الوجود و وجدت بمصباح صفات اللهّ سبحانه و أسمائه الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ نعت اللهّ سبحانه المصباح بكونها في الزجاجة لكمال التصوير...))

(٢) قال في الميزان:١٥/ ١٢٠ : ((تتضمن الآيات مقايسة بين المؤمنين بحقيقة الايمان والكفار، تميز المؤمنين منهم بأن المؤمنين مهديون بأعمالهم الصالحة إلى نور من ربهم يفيدهم معرفة الله سبحانه ويسلك بهم إلى أحسن الجزاء والفضل من الله تعالى يوم ينكشف عن قلوبهم وأبصارهم الغطاء، والكفار لا تسلك بهم أعمالهم إلا إلى سراب لا حقيقة له، وهم في ظلمات بعضها فوق بعض ولم يجعل الله لهم نورا فما لهم من نور. وقد بين سبحانه هذه الحقيقة بأن له تعالى نورا عاما تستنير به السماوات والأرض فتظهر به في الوجود بعد ما لم تكن ظاهرة فيه، فمن البين أن ظهور شئ بشئ يستدعي كون المظهر ظاهرا بنفسه والظاهر بذاته المظهر لغيره هو النور فهو تعالى نور يظهر السماوات والأرض بإشراقه عليها كما أن الأنوار الحسية تظهر الأجسام الكثيفة للحس بإشراقها عليها غير أن ظهور الأشياء بالنور الإلهي عين وجودها وظهور الأجسام الكثيفة بالأنوار الحسية غير أصل وجودها))

(٣) مصطلح متداول في كتب الفقهاء والأصوليين والفلاسفة والمناطقة والمتكلمين يشير إلى عالم العدم ضد الوجود وهو العالم المحضّ والنفي الصرف وهو قبال عالم الوجود ومنه: كتم السر: حفظه وذلك بإمساكه وعدم إفشائه. كتم النفس: إمساكه بحيث لا يخرج ولا يدخل فالعدم يعني عدم وجود أي شيء بتاتا .ينظر معجم ألفاظ الفقه الجعفري:١/ ٥٣٤ .

(٤) مصطلح متداول يعني: محض الوجود –الوجود الفعلي العلم الفعلي فهو الحاصل بحصول الاشياء و عند وجوداتها في عرصة الوجود: ينظر معجم ألفاظ الفقه الجعفري:١/ ٤٠٠ .

والظهور بإفاضةِ الوجودات المقيّدات المستتبعةِ للماهيات[1] بالترتيب كما أنّ النورَ الحسنَ ظاهرٌ بنفسهِ[2](٢/ ٩) ومُظهِرٌ لِمَا وما في حَوَاليه مِنَ الأجسام الشّفَافَةِ[3] وغيرها القابلة

(١) الماهيات : ((هي الأمور التي يعرضها الكلية والعموم عند حصولها في الذهن و لا يمكن حصولها منفكه عن الوجود لا ذهنا و لا عينا خلافا للقائلين بشيئية المعدومات)) تعليقة على الشفاء لصدر الدين الشيرازي: ١٧٩ و ((مفهومات كليّة مطابقة لهويّات خارجية ويعرض لها العموم و الاشتراك في العقل ومعنى وجودها في الخارج صدقها على الوجودات وهي في حدَّ نفسها لا موجودة ولا معدومة ولا كلية ولا جزئية)) الحكمة المتعالية: ٦/ ٥ و ينظر: شرح المصطلحات الفلسفية : ١/ ٣٤٤.

(٢) في قبال ما هو ظاهر بغيره. وكذا كلمة النور، فهي في أصل لفظتها ووضعها أوّل مرّة لم توضع للإشارة إلى النور الحسي المحسوس بحاسّة الباصرة وحسب. بل إنّ معني النور هو ذلك الشيء الذي يكون ظاهراً بنفسه وذاته، وقادراً على إظهار الاشياء الأُخري. وأحد مصاديق هذه اللفظة هو النور المحسوس المادي والظاهريّ، كنور الشمس مثلاً ونور القمر والمصباح، ذلك أنّ هذه الانوار لا تحتاج بوجودها وذاتها إلى مُظهِرٍ لها، فهي ظاهرة بذاتها ونفسها. إنّنا لا نري نور الشمس ولا ضوء القمر بمعيّة أشياء أُخري، بل هي مُنيرة ومُضيئة بذاتها، وأمّا بالنسبة إلى الاشياء الأخرى، فإنّنا نراها ونتحسّسها بواسطة نور الشمس وضوء القمر. إنّنا نلاحظ الصحراء والبحر والجبال والبراري والبساتين وأشياء كثيرة أُخري ونتعامل معها في أوقات مختلفة وأزمان متباينة، وهي لا تَظهر لنا ولا نتمكّن من إدراكها إلاّ بواسطة النور، فتصدق هنا المقولة القائلة النُّورُ هُوَ الظَّاهِرُ بِذاتِهِ، المُظْهِرُ لِغَيْرِهِ، ولهذا فإنّنا نُطلقُ عليه كلمة نور هنا الله تبارك وتعالى شبّه نفسَه بالنور، قال: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يشير إلى ماذا؟ يشير إلى مرتبة الظهور، ما هو معنى مرتبة الظهور؟ مرتبة الظهور بعد مرتبة الإفاضة، بعد أنْ أفاض الوجودَ كله وخلق الوجودَ كله فإنّه جلّ وعلا ظهر لكلّ شيءٍ في الوجود وتجلى لكلّ شيءٍ في الوجود فلا يوجد شيءٌ في الوجود لا يعرفه ولا يوجد شيءٌ في الوجود لم يصل إليه، خلق الوجودَ وعرّف نفسَه للوجود، خلق الوجودَ وتجلى بنفسه للوجود، فهو ظاهرٌ بنفسه ومظهِرٌ لغيره، هو ظاهرٌ وأظهر هذا الوجودَ، فهو ظاهرٌ لكلّ ذرّةٍ في الوجود ينظر: https: //almoneer.org /?act=artc&id=٨٥٥شذرات من محاضرات العلامة السيد منير الخباز.

(٣) الأجسام الشفافة : هي تلك الاجسام التي تسمح بنفاذ الضوء من خلالها ويمكن رؤية الأشياء خلفها بوضوح . ينظر : النفس من كتاب الشفاء لابن سينا – حسن الآملي: ٥٨. و الفتوحات المكية: ٢/ ٦٤٧.

للإضاءَةِ على التّرتيب و[1]كما أنّ النور الحسّي[2] يظهَرُ بذاتِهِ وتظهَرُ الأشياءَ به كذلك نُورُ الحقِّ ظهرَ بذاتِهِ وأظهر الأشياءِ بنُورِهِ وبإفاضتهِ الوجود.

وبهذا الإعتبار سمّى ذاتَهُ تعالى باسم النُّورِ وورد في الأدعيةِ المأثورةِ ((يا نورُ و يا نورَ النّورِ))[3] وأمثال هذا؛ فهو[4] تعالى باعتبار شدةِ ظُهُورِهِ[5] في ذاتِهِ وظُهُر الأشياء بهِ نُور ونُور النُّور. وأشدُّ الأشياء بالظهورِ فَهُو نُورُ الأنْوار ؛ لكنَّهُ لشدَّةِ ظُهُورِهِ خَفِيٌّ على أهل البصائر[6] والأبصارِ[7] وبالجملة لَمَّا وُجِدَ كُلُّ موجُودٍ بِهِ وظهرَ كُلُّ ما ظَهَرَ بِظُهُورِهِ وإفاضَتِهِ الوجود كان هو((نُورَ السمواتِ والأرضِ)) ؛ أي: مُظهِرُ سماواتِ الارواحِ والروحانيات[8] وأرضِ الأجسامِ والجسمانيَّات ومنهُ تعالى فاضَ وُجُودُها فهو الوجودُ

(١) سقط من (س). وأثبت في الأصل.

(٢) النور معروف المعنى وقد استعمل النور في كلامه تعالى في النور الحسي كثيرا وأطلق أيضا على الإيمان وعلى القرآن بعناية أن كليهما يظهر للمتلبس به ما خفي عليه لولاه قال تعالى ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البَقَرَة الآية ٢٥٧] وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾[التَّغَابُن الآية ٨] وينظر: تفسير الميزان: ١٧/ ٢٩٤.

(٣) بحار الأنوار :٩٨/ ٧٥.

(٤) في (س) : ((فقوله)) بدل من ((فهو)) في الأصل والأخير هو الأصوب.

(٥) في (س) : ((الظهور)).وأرى ما ورد في الأصل أصوبا.

(٦) مفردها بصيرة : وهو الرؤية القلبية.

(٧) مفردها : البصر: وهو الرؤية بالعين ينظر المفردات-الراغب-: ١٢٧ . بما أنّه أفاض الوجودَ كانت إفاضته للوجود تجليًا من تجلياته وظهورًا من ظهوراته تبارك وتعالى، وهذا هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[النُّور الآية ٣٥] وهي التجلي بإفاضة الوجود. تجليه تبارك وتعالى في قلوب المؤمنين، وظهوره تبارك وتعالى في قلوب المؤمنين، قالوا لأمير المؤمنين عليه السّلام: هل رأيتَ ربّك؟ قال: بلى وكيف أعبد ربًا لم أره؟! ثم استدرك كيلا يُتَوَهَّمُ أنّه رآه رؤية بصريّة، قال: "لم تره الأبصار بالعيان وإنّما رأته القلوب بحقائق الإيمان"، المرتبة الرّابعة من التجلي تجليه في قلوب المؤمنين كما قال تبارك وتعالى: (﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾[فُصِّلَت الآية ٥٣])

(٨) عالم الأرواح والروحانيات ((هو عالم الغيب والملكوت في مقابل عالم الأجسام والجسمانيات)) الأنوار القدسية :١/ ١٥.وجميع الجسمانيات تسير إلى الزوال و الفوت و الهلاك و البيد. الروحانيات نورانية علوية لطيفة، و الجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة

البحت المطلق[١] المُعرّى[٢] عن[٣] شائبة ظلامٍ[٤] عدمٍ[٥] وقيدٍ ونقصٍ وبهِ و بإفاضتهِ وُجدَ كُلُّ مَا وُجدَ من المخلوقاتِ وظهر كُلُّ ما ظهرَ من المربوبات ؛ فكُلُّها مظاهر نُور وجودهِ وصفاتِهِ وأفعاله؛ كما أنّ المصباحَ والزجاجةَ والمشكاة مظاهر النور الحسي[٦].

(١) ((إن الذات من حيثُ هي هي مع قطع النظر عن القُيود والاعتبارات حتى عن قيد الإطلاق أيضا مرتبة اللاتعيين والإطلاق . وهذا هو المُراد بقولهم الوَاجب هو الوُجُود المُطلق ؛أي : الوجُود البحت مُطلقا عن التقييد بالقيود ومنزه عن العرُوض والحال فيها ؛ لا بمعنى : إنه الوجود الكُلي الذي لا وجود لهُ إلا في ضمن الأفراد كما هُو مَذهبُ الملاحِدةِ فالحاصل أن الجزئية وكذا جميعُ القيود والاعتبارات ليست عينه و لا داخلةٌ فيه بل هي زائدةٌ عليهِ وهو متصف بها في نفس الأمر إلا أنه ليس تلك الصفات والأسماء)) دستور العلماء : ٣/ ٣٠٧

(٢) فهو عارٍ وعريان : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾[طه الآية ١١٨].

(٣) كذا في الأصل وفي (س) : ((من)).

(٤) سقط من (س) وأثبت في الأصل.

(٥) كذا في الأصل وفي (س) : ((العدم)).

(٦) قال الطبرسي في مجمعه: ٧/ ١٨٣ : ((المشكاة هي الكوة في الحائط يوضع عليها زجاجة ثم يكون المصباح خلف تلك الزجاجة و يكون للكوة باب آخر يوضع المصباح فيه و قيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة و هو مثل الكوة و المصباح السراج و قيل المشكاة القنديل و المصباح الفتيلة عن مجاهد « المصباح في زجاجة » أي ذلك السراج في زجاجة و فائدة اختصاص الزجاجة بالذكر أنه أصفى الجواهر فالمصباح فيه أضوأ « الزجاجة كأنها كوكب دري » أي تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضيء الذي يشبه الدر في صفائه و نوره و نقائه وفي التحرير والتنوير: ٢/ ٣٦٠ ((والنور: حقيقته الإشراق والضياء. وهو اسم جامد لمعنى، فهو كالمصدر لأنا وجدناه أصلاً لاشتقاق أفعال الإنارة فشابهت الأفعال المشتقة من الأسماء الجامدة نحو: استنوق الجمل، فإن فعل أنار مثل فعل أفلس، وفعل استنار مثل فعل استحجر الطين. وبذلك كان الإخبار به بمنزلة الإخبار بالمصدر أو باسم الجنس في إفادة المبالغة لأنه اسم ماهية من المواهي فهو والمصدر سواء في الاتصاف. فمعنى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ أن منه ظهورهما. والنور هنا صالح لعدة معان تشبّه بالنور. وإطلاق اسم النور عليها مستعمل في اللغة.فالإخبار عن الله تعالى بأنه نور إخبار بمعنى مجازي للنور لا محالة بقرينة أصل عقيدة الإسلام أن الله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لا يتردد في ذلك أحد من أصحاب اللسان العربي ولا تخلو حقيقة معنى النور عن كونه جوهراً أو عرضاً. وأسعد إطلاقات النور في اللغة بهذا المقام أن يراد به جلاء الأمور التي شأنها أن تخفى عن مدارك الناس وتلتبس فيقل الاهتداء إليها، فإطلاقه على ذلك مجاز بعلامة التسبب في الحس والعقل وقال الغزالي في رسالته المعروفة «بمشكاة الأنوار»: النور هو الظاهر الذي به كل ظهور، أي الذي تنكشف به ←

←الأشياء وتنكشف له وتنكشف منه وهو النور الحقيقي وليس فوقه نور. وجعل اسمه تعالى النور دالاً على التنزه عن العدم وعلى إخراج الأشياء كلها عن ظلمة العدم إلى ظهور الوجود فآل إلى ما يستلزمه اسم النور من معنى الإظهار والتبيين في الخلق والإرشاد والتشريع وتبعه ابن برَّجان الإشبيلي في «شرح الأسماء الحسنى» فقال: إن اسمه النور آل إلى صفات الأفعال اهـ.أما وصف النور هنا فيتعين أن يكون ملائماً لما قبل الآية من قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ﴾[النُّور الآية ٣٤] وما بعدها من قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ إلى قوله: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ وقوله عقب ذلك: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[النُّور الآية ٤٠]. وقد أشرنا آنفاً إلى أن للنور إطلاقات كثيرة وإضافات أخرى صالحة لأن تكون مراداً من وصفه تعالى بالنور. وقد ورد في مواضع من القرآن والحديث فيحمل الاطلاق في كل مقام على ما يليق بسياق الكلام ولا يطرد ذلك على منوال واحد حيثما وقع، كما في قول النبي ﷺ "ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن» فإن عطف «من فيهن» يؤذن بأن المراد بـ«السماوات والأرض» ذاتهما لا الموجودات التي فيهما فيتعين أن يراد بالنور هنالك إفاضة الوجود المعبر عنه بالفتق في قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾[الأَنبِيَاء الآية ٣٠] . والمعنى: أنه بقدرته تعالى استقامت أمورهما.والتزم حكماء الإشراق من المسلمين وصوفية الحكماء معاني من إطلاقات النور. وأشهرها ثلاثة: البرهان العلمي، والكمال النفساني، وما به مشاهدة النورانيات من العوالم. وإلى ثلاثتها أشار شهاب الدين يحيى السهروردي في أول كتابه «هياكل النور-١٢- :بقوله: «يا قيوم أيِّدنا بالنور وثبتنا على النور واحشرنا إلى النور» كما بينه جلال الدين الدواني في «شرحه)).وقال صدر المتألهين الشيرازي في تفسيره : ٣/ ٢١٢ : ((الإشارة في تحقيق هذه الآية يتمهد بأن لفظ "النور" ليس موضوعاً - كما فهمه المحجوبون من علماء اللسان وأصحاب الكلام - للعرض الذي يقوم بالأجسام، وهو الذي عرفوه بأنه "لا بقاء له زمانين" وهو من الحوادث الناقصة الوجود، بل هذا النور أحد أسماء الله تعالى، وهو منوِّر الأنوار، ومحقق الحقائق، ومظهر الهويَّات، وموجد الماهيات.ومطلق "النّور" يحمل عند الجمهور على معاني كثيرة، بعضها بالاشتراك وبعضها بالحقيقة والمجاز، كنور الشمس، ونور القمر، ونور السراج، ونور العقل، ونور الإيمان، ونور التقوى، ونور الياقوت، ونور الذهب، ونور الفيروز.وأما عند الإشراقيين ومن تبعهم - كالشيخ المقتول شهاب الدين السهرودي، الكاشف لرموزهم، والمخرج لكنوزهم، والمدون لعلومهم، والمبين لفهومهم، والمبرز لمقاماتهم، والشارح لإشاراتهم - فهو حقيقة بسيطة ظاهرة لذاتها مظهرة لغيرها، فعلى هذا يجب أن لا يكون لها جنس ولا فصل، لعدم تركبها من الأجزاء، فلا لها معرِّف حَدِّي، ولا لها كاشف رسمي، لعدم خفائها في نفسها، بل هي أظهر الأشياء، لكونها تقابل الظلمة والخفاء - تقابل السلب والإيجاب - فلا برهان عليه، بل هو البرهان على كل شيء.لكن الخفاء والحجاب إنما يطرآن بحسب المراتب، كمرتبة النّور القيُّومي، لغاية ظهورها وبروزها، فإن شدة الظهور وغلبة التجلي ربما صارتا منشأي الخفاء للمتجلي لفرط الظهور، وعلى

فبالحقيقة ليس لغيرهِ[١] ومَظَاهرِ صفاتهِ واسمائِهِ من حيثُ إنهّا مَظاهرُ نُور ولا وُجودَ وعن هذا النور أخبرَ مولانا (أميرُالمؤمنينَ عليه السلام) في حديثِ (كُميل)[٢] بـ قوله: ((نورٌ يشرِقُ من صبحِ الأزلِ فيلوحُ على هَيَاكلِ[٣] التوحيد[٤] آثارُهُ))[٥].

المتجلّي له لغاية القصور، كما يشاهد من حال عيون الخفافيش عند تجلي النور الشديد الحسي الشمسي على أحداقها، فإذا كان الحال هكذا في النور المحسوس، فما ظنك بالنور العقلي البالغ حدّ النهاية في الشدة والقوة.وكان النور عند أكابر الصوفية أيضاً عبارة عن هذا المعنى – كما يستفاد من مصنّفاتهم ومرموزاتهم – إلاّ أنّ الفرق بين مذهبهم ومذهب الحكماء الإشراقيين أنَّ النور وإن كان عند أولئك الأكابر حقيقة بسيطة، إلاّ أنها مما يعرض لها بحسب ذاتها التفاوت بالشدة والضعف، والتعدد والكثرة بحسب الهيئات و التشخصات، والاختلاف بالواجبية والممكنية، والجوهرية والعرضيّة، والغنى والافتقار.وأمّا عند هؤلاء الأعلام من الكرام، فلا يعرض لها في حدّ ذاتها هذه الأحكام، بل بحسب تجلّياتها، وتعيناتها، وشؤوناتها، واعتباراتها، فالحقيقة واحدة، والتعدد إنَّما يعرض بحسب اختلاف المظاهر، والمرائي، والقوابل، ولا= = يبعد أن يكون الاختلاف بين المذهبين راجعاً إلى التفاوت في الاصطلاحات وأنحاء الإشارات، والتفنن في التصريح والتعريض منهم، والإجمال والتفصيل مع الاتفاق بينهم في الدعائم والأصول. <وما ذكره الشيخ محمد الغزالي في مشكاة الأنوار موافق أيضاً لقول أئمة الحكمة وهو قوله: "النور عبارة عمّا به تظهر الأشياء»))

(١) كذا في الأصل وفي (س) ((لغيرها)).

(٢) وهو كُميل بن زياد النخعي . ينظر ترجمته في ((رجال الطوسي: ١/ ٢٧ ورجال البرقي: ٢/ ١٥ ومعجم رجال الحديث: ١٥/ ٩١.

(٣) إنما يريد به صفات الجلال والإكرام فأن في كل صفة أثرا من آثار التوحيد دال عليه .

(٤) جاء في «أقرب الموارد : ٥/ ٢٣٤ (هيكل) : ((الهَيْكَل : النَّبتُ الذي طالَ وعَظُم وبلَغ ، وكذلك الشَّجر ؛ الواحدة : هيكَلَة . و : البناء المرتفع ، و : الضَّخْم مِن كلِّ حيَوان ، و : مَوضعٌ في صدرِ الكَنيسة يُقرَّبُ فيه القُربان ، و : بَيتُ الاصنام ، و : الصُّورةُ والشَّخصُ ، كقوله : كَساه اللهُ هَيْكَلَ آدمي ؛ ج : هَياكِل ..)).

(٥) روي عن كُميل بن زياد أنه سأل أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب عليه السلام فقال: ((ما الحقيقة ؟ قال عليه السلام : مالك و الحقيقة ؟ قال : أ و لست صاحب سرّك ؟ قال : بلى ، و لكن يرشح عليك ما يطفح منّى ، قال : أو مثلك يخيّب سائلا ؟ قال : الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة ، قال : زدنى فيه بيانا ، قال : محو الموهوم مع صحو المعلوم ، قال : زدني فيه بيانا ، قال : هتك الستر لغلبة السرّ قال : زدني فيه بيانا ، قال : جذب الأحديّة بصفة التوحيد ، قال : زدني فيه بيانا قال : نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل آثاره ، قال : زدني فيه بيانا قال : أطف السراج فقد طلع الصبح)) جامع الاسرار: ١٧٠ .و ينظر : روضة المتقين: ٣/ ١٢١ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٩/ ٢٢٧ نور البراهين: ١/ ٢٢١-٢٢٢ و هياكل النور: ١٢-٢٢.

أمَّا[1] القرينة الدالة على أنَّ المُراد بهذا النُّورِ [فـ][2] هو الوجودُ في الآيات والأخبارُ كثيرةٌ[3] ؛ أمَّا الآيات فمنها(٣/ ٩) قوله تعالى: ﴿مَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[فَاطِر من الآية ١٩ الى الآية ٢٢] ؛ لأن المراد –والله يعلمُ– بقوله [تعالى][4] : ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾[فَاطِر من الآية ٢٠ الى الآية ٢١] أنه لا يستوي الوجودُ والعدمُ ولا الحياةُ والموتُ بقرينة ذكر : ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[فَاطِر الآية ٢٢] بعد ذلك ؛ ولأن عدم استواء الظلمات والنور بمعنى الليل والنهار والظل والحرور بمعنى الحرارة والبرودة والصيف والشتاء وأمثال ذلك

كما هو تفسير بعض المفسّرين[5] إذ التفاصيلُ بينهما معلوم لكلِّ أحدٍ لا يحتاجُ إلى بيان.

(١) كذا في الأصل وفي (س) ك ((أي)).

(٢) سقط من النسختين وأثبته لأنه واقع في جواب (أما) .

(٣) تحدث المفسرون عنها–آية النور– والعرفاء الإسلاميون وعن مقادها وهي مرتبطة بما سبقها من الآيات الشريفة التي عرضت لقضية العفة ومكافحة الفحشاء ينظر بحار الأنوار :٦٤ \ ١٣٩ . وجامع السعادات– النراقي– :١٣٩\٣ وهياكل النور: ١٤..وفي حاشية النسخة الأصل: ((و لا تتعجب من اختفاء شيء بسبب شدة ظهوره فأن الأشياء إنما تستبان بأضدادها وما عمَّ وجودُهُ حتى لا ضد له عسر ادراكُهُ)).

(٤) سقط من النسختين وأثبته.

(٥) قال الطبري في تفسيره–جامع التأويل–: ١٩/ : ٣٥٦–٣٥٧ : ((يقول: وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان(وَلا الظِّلُّ) قيل: ولا الجنة(وَلا الْحَرُورُ) قيل: النار، كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار، والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة. وذكر أَبو عبيدة معمر بن المثنى، عن رؤبة بن العجاج، أنه كان يقول: الحرور بالليل والسموم بالنهار. وأما أَبو عبيدة فإنه قال: الحرور في هذا الموضع والنهار مع الشمس، وأما الفراء فإنه كان يقول: الحرور يكون بالليل والنهار، والسموم لا يكون بالليل إنما يكون بالنهار.والقول في ذلك عندي: أن الحرور يكون بالليل والنهار، غير أنه في هذا الموضع بأن يكون كما قال أَبو عبيدة: أشبه مع الشمس لأن الظل إنما يكون في يوم شمس، فذلك يدل على أنه أريد بالحرور: الذي يوجد في حال وجود الظل.وقوله(وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ) يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان والكافر والكفر.)).أحد حقول الفلسفة هو معرفة

ويحققُ ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[الفُرقَان الآية ٤٥] ؛ لأنَّ المرادَ بالظلِّ الوجود الفائض من الوجود المطلق[١] وصار مستنبطا على هياكل الموجودات والأعيان الممكنة[٢] وهي صارت موجودة في الخارج بالارتباط بهذا الوجود الذي هو ظلٌّ للوجود الحقِّ وبالنسبة إليه كالظلمة بالنسبة إلى النور لأنَّ النورَ الحقَّ والوجودَ المطلقُ غيرُ مشوبٍ بظلمة العدم والنقص أصلا وهذه الوجوداتُ مشوبةٌ بظلمات الماهيات[٣] كالظلال . فإذا كان المرادُ بالنورِ هو الوجود البحتُ والظلُّ هو الوجود المقيّدُ والظلمةُ هي الماهية والعدم وكلُّ ظلمةٍ فهي عبارة عن عدم النور عمّا من شأنه أنْ يستنيرَ سواء كان بنور الوجود [أو][٤] بنور الهداية التي هي أيضا نحو[٥] من نور الوجود

الإنسان وعلم النفس الإنسانية. والفيلسوف يستند في المسائل النفسية على القوة العاقلة أكثر من أي شيء آخر، ويرى أن جوهر الإنسان هو عقله، وكمال الإنسان بكمال قوته العقلية، وسعادته أيضا رهينة بكمالها سواء العقل العملي أم العقل النظري، والنظري منه بالدرجة الأولى. ولهذا السبب حينما قيل: أنّ هذا المثل بشأن الإنسان، اعتبروا ذلك حول الجوهر الأساسي للإنسان الذي هو قوته العقلية، وطبقوه على المراحل والمراتب التي صنفوا القوة العقلية على أساسها. فقالوا أنّ المقصود من المشكاة هو العقل الهيولاني. أي العقل في مرحلة القوة والاستعداد المحض. والمراد من الزجاجة وكل ما يؤدي إلى مضاعفة النور هي مرحلة "العقل بالملكة"، والمراد من المصباح هو مرحلة "العقل بالفعل"، والمقصود من الشجرة، شجرة الفكر، إلى آخر ذلك.وبغض النظر عن مدى صحة هذا الرأي الذي يبدو لي أنه رأي مستبعد، فإن ابن سينا لا يقول أنه مفسر للقرآن، إلاّ إنه طبّق تعابير القرآن على ما قاله في باب مراتب العقل، وبلا أن يقول أنه قصد تفسير الآية. بينما عرض الغزالي رأيه بشكل يوحي وكأنه قصد تفسيرها.

(١) الوجود المطلق عند العرفاء: عبارة عن ما لا يكون محصورا في امر معينّ محدود بحدٍّ خاص والوجود المقيّد بخلافه . ينظر: شرح المصطلحات الفلسفية:١١\٤٣٠ .

(٢) هياكلها بمعنى صورها وهيئاتها. : ينظر : المصدر نفسه:١١\٢٠٤ .

(٣) الماهية عند الفلاسفة: هي حدُّ الوجود ولها لحاظ متعدد يقسمونها بحسبه كالماهية المجردة والمخلوطة والمركبة.. الخ . ينظر المصدر السابق : ١١ \ ٣٤٤.

(٤) كذا في النسختين والأصوب ((أم)) . لأنها همزة تسوية.

(٥) كذا في الأصل وفي (س) : ((التي هي من نور الوجود)).

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البَقَرَة الآية ٢٥٧] ومنها قوله تعالى عقيب الآية المتقدمة (٤/ ٩): ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾[النُّور الآية ٣٩] إلى آخر الآية و عسى أنْ نأتيَ على القول في تفسيرها وتأويلها.(١) وأمّا الأخبارُ فمنها:

ما رُوي عن النبي ﷺ :(خلق اللهُ الخلقَ في ظُلمةٍ ثُمّ رَشَّ عليه من نوره)(٢) ؛ إذ ليس معناه إنّه تعالى خلق الخَلقَ في ليلٍ أو مكان مُظلمٍ ؛ بل المرادُ إنّهُ تعالى أوجدهم في شهودِهِ العلمي(٣) الذي وجودُ الموجود في تلك المرتبة باعتبار عدمِ ترتبِ الآثار الخارجية عليها إلا

(١) وردت رواية في كتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق مفادها أن رجلا من غير المسلمين جاء إلى علي عليه السلام وسأله: أين الله؟ فأمر عليه السلام أن يؤتوه بحطب فجاؤه به فاضرم فيه النار ويبدو أنّ الوقت كان ليلاً، فأضاء المكان فسأله أمير المؤمنين عليه السلام أين موضع الضوء؟ قال الرجل: أنه موجود في كل مكان. فقال له عليه السلام: النور مخلوق من مخلوقات الله، وهو موجود أينما أضاء. والله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان فيه نوره، ونوره موجود في كل مكان. "وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء".ينظر :شرح التوحيد – القمي- :٢/ ١٥٤ . وبهذا المثل يكون القرآن قد حقق الهدف الذي يتطلع إليه، أي أنه لم يدفع المفسرين وحدهم إلى التفكر في هذا الموضوع، بل حتى غير المفسرين انهمكوا في التفكر في هذا المعنى لمعرفة المراد من هذا المصباح، وهذه المشكاة، وهذا الوقود، وهذه الشجرة المباركة، وكيف يضيء ذاتيا بلا أن تسمه النار ؟ لقد فكر ابن سينا مع أنه لم يكن مفسرا، في هذه الآية واستنتج منها شيئا وشرح ما توصل إليه. وكذلك كتب الغزالي – الذي لا يحسب في عداد المفسرين – كتابا في معنى هذه الآية الشريفة. ويعتقد كل منهما أن المثل الذي ضرب في هذه الآية قد ضرب للإنسان. مع الاختلاف طبعاً في نمط الصياغة الذي عرضه كل منهما.

(٢) فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ((قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ)). ٢/ ١٧٩ وقد ورد في سنن الترمذي كذلك عن عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرٍو أنه قال: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهَّ) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.)) ٥/ ٣٧٧ وينظر ينابيع المودة: ١/ ٩٣.ومجمع الزوائد:٧/ ١٩٣ والحاكم في المستدرك: ١/ ٨٤.

(٣) أي: علمه تعالى الحضوري بالموجودات. وقال القونوي في مفتاح غيب الجمع والوجود: ٣١٣((شهود الحق –سبحانه ورؤيته هذا أعني: التعينات الاسمية مطلقة ثلاثة أقسام : لأنه إما

كونها معلومات لبارئها كالظلمة بالنسبة إلى نور الوجودِ العيني الذي هو منشأُ ترتُّبِ الآثار الخارجية.[١]

ثم أفاض عليهم ورش نورَ الوجود العيني ولا ضيرَ في إفاضة وجودٍ بعد وجودٍ إذ مراتبُ الوجود متفاوتةٌ بعضُها أقوى من بعضٍ كما حُقِقَ في موضعه.

وإذا تقرّر أنّ المرادَ بالنور في الآية الشريفة هو الوجودُ وأن المراد بالمصباح والزجاجة والمشكاة مظاهرُهُ ؛ فنقولُ في تطبيق هذه-والله أعلمُ على أجزاء العالم- :إنّ المشكاة عالمُ الأجسامِ والجسميات[٢] والزجاجة عالمُ الأرواح والرّوحانيات[٣] والمصباح علمُ العقول والمجردات[٤].

ووجه المناسبة أن الأنوار الإلهية المُشرقة من حضرة الوجود المطلق والوجودات المقيّدة

شهود المفصل مجملا في الأحدية وهو الشهود العلمي الذاتي الذي به قلنا إنه سبحانه علم جميع الأشياء من عين علمه بذاته . وإما شهود المفصل مفصلا ؛ فلا يخلو إما أن يكون بالتفصيل الوجودي وهو الشهود العياني الوجودي أو بالتفصيل العلمي وهو شهود الحقائق التي في الحضرة العلمية من حيث قابلياتها في حضرة الأمكان أو نقول : شهوده أما في ذاته سبحانه أو فيما تميز عنه في الوجود بتعينه أو فيما تميز عنه في العلم فقط)).

(١) ((فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كأن كل واحد منهما تولد من الآخر. وقيل: لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة، والنور من النار، ولهذا جمع الظلمات إذ لكل حرم ظل والظل ظلمة.ووحد النور لأن النار واحد وهو منها، والظلمة والنور هاهنا هما الأمران المحسوسان بالبصر، لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة والقرينة ذكر السموات والأرض. وعن ابن عباس أن الظلمة ظلمة الشرك والنفاق، والنور نور الإسلام واليقين، وعلى الأوّل فإنما جمع الظلمات ووحد النور لأن النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية، ثم إنها تقبل التناقص قليلا قليلا وتلك المراتب كثيرة، أو لأنه قصد بالنور الجنس. وعلى الثاني فذلك لأن الحق واحد والباطل أكثر من أن يحصى. وإنما قدمت الظلمة على النور لأن عدم المحدثات سابق)) تفسير النيسابوري: ٣/ ٤٧.

(٢) العالم الجسماني : هو الفلك المحيط وما يحويه من سائر الأفلاك والكواكب والأركان والمولدات الثلاثة. ينظر شرح المصطلحات الفلسفية: ١/ ٢٠١ .

(٣) العالم الروحاني: هو عالم العقل وما يحويه من النفس والصّور التي ليست بأجسام ذوات الأبعاد الثلاثة التي هي (ظلٌّ ذي ثلاث شعب) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٢٠٢.

(٤) عالم العقل: هي الذوات المجردة عن المادة والجهة. ينظر المصدر السابق.

الفائضة من الحقِّ كلِّها تشرقُ أولا على عالم العقول[1].

التي هي كالمصباح ؛ لفرط نوريته ولطافته ثُمّ على عالم الأرواح التي هي كالزجاجة في صفائهاوقابليتها للإشراق والإضاءة لأنها قابلة للأرواح كالمشكاة القابلة للأنوار و: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾[النُّور الآية ٣٥]: (٥/ ٩)؛ لأن نسبةَ أنوار الأرواح المتكثرة المضيئة على شبابيك التي لا تستفيض الأنوار إلا بقدرٍ قابلياتها واستعداداتها القليلةِ نسبةُ نور الكواكب المضيئة الظاهرةِ على الأبصار في صغرها وقلة ظهورِ أنوارها لا كالشمس والقمرِ في ظهورهما وكثرة ظهور نورِهما ؛ فلذا شبهها بالكوكب الدُّريِّ الذي هو مثل : الزهرة[2] والمشتري وأمثالِهما لا بالشمس أو القمر. وهذا كما أنَّ ماءَ الحياةِ الحقيقية ؛ أي : الوجودُ المطلقُ الذي هو حياةُ كلِّ موجود كما قال تعالى : ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾[هُود الآية ٧] و ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ﴾[الأَنبِيَاء الآية ٣٠] لا يظهرُ على الموجودات الأكوانية إلا بقدرِ الرشِ المُشابه في صفائه وإدارته بالكوكبِ الدُّريّ[3].؛ فلذا

(١) قال صاحب تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم: ٢/ ٢٣ ((إشارة إلى مشاهدة هذا النور في المراتب الثلاث، لأنّ «المشكاة»، كما سبق تقريره، إشارة إلى عالم الملك ، و هو بمثابة الشريعة ، و الزجاجة إلى عالم الملكوت، و هو بمثابة الطريقة، و المصباح إلى عالم الجبروت، و هو بمثابة الحقيقة، و الشجرة إلى حضرت العزّة، و هو بمثابة الوجود المطلق الصادر منها جميع المقيّدات المعبّرة عنها بالممكنات، لأنّ النور بالاتّفاق وجود، و الظلمة عدم،)).

(٢) في (س) : ((مثل الضاد والمشتري)).

(٣) التحرير والتنوير: ١٨/ ٢٢٨ : ((والكوكب : النجم ، والدرِّيّ بضم الدال وتشديد التحتية في قراءة الجمهور واحد الدراري وهي الكواكب الساطعة النور مثل الزُّهرة والمشتري منسوبة إلى الدُّر في صفاء اللون وبياضه ، والياء فيه ياء النسبة وهي نسبة المشابهة كما في قول طرفة يصف راحلته :

جماليّة وجناء . . . البيت أي كالجمل في عظم الجثة وفي القوة . وقولهم في المثل (بات بليلة نابغية) أي كليلة النابغة في قوله : فبت كأني ساورتني ضئيلة . . . الأبيات قال الحريري : (فبت بليلة نابغية . وأحزان يعقوبية) المقامة السابعة والعشرون .

ومنه قولهم : وردي اللون ، أي كلون الورد . والدر يضرب مثلاً للإشراق والصفاء . قال لبيد :

وتضيء في وجه الظلام منيرة كجمانة البحري سُلّ نظامها

وقيل : الكوكب الدري علم بالغلبة على كوكب الزهرة)).

قال النبي ﷺ (ثُمّ رشَّ عليه من نورهِ).

والشجرة المباركة التي تُوقَدُ منها الزجاجةُ والكوكبُ الدّريُّ هي شجرة الوجود المطلق الذي يستضيءُ منها كلُّ موجود وهي شجرةُ الخُلدِ أيضا وكذا شجرةُ طوبى التي لها غصنٌ في كلِّ بيتٍ من بيوتِ الجنة وفيضُها سارٍ في كلّ من الموجودات[1].

وكذلك هي الشجرةُ الطيبةُ أصلُها ثابت وفرعُها في السماء وهذه الشجرةُ لا شرقيّةٌ و لا غربيّةٌ ؛ أي : لا هي منَ الأرواحِ والرّوحانيات[2] التي هي محالُ طلوع نور شمسِ الوجودِ

(١) قال السمرقندي في بحر العلوم ٢ / ٥١٣ : ((ثم وصف الشجرة المباركة فقال « زيتونة لا شرقية ولا غربية » يعني لم تكن بحال يصيبها الشمس في أول النهار ولا يصيبها في آخر النهار ولكنها في مكان مطمئن تصيبها الشمس في أول النهار وآخره فكذلك هذا المؤمن تكون كلمة الإخلاص في قلبه ثابتة مثل ثبوت الشجرة فلا يكون مشبها ولا معطلا ولا قدريا ولا جبريا ولكنه على الاستقامة ويقال « لا شرقية ولا غربية » يعني تكون في وسط الأشجار حتى لا تحرقها الشمس فكذلك هذا المؤمن بين أصحاب صلحاء يثبتونه على الاستقامة وروي عن الحسن أنه قال ليس هذه من أشجار الدنيا لكن من أشجار الآخرة يعني أن أشجار الدنيا لا تخلو من أن تكون شرقية أو غربية ولكن هذه من أشجار الآخرة فكذلك هذا المؤمن من أصاب المعرفة بتوفيق الله عز وجل)).

(٢) قال القرطبي في تفسيره: ١٢ / ٢٦٣ ((وقال ابن عمر : المشكاة جوف محمد ﷺ ، والزجاجة قلبه ، والمصباح النور الذي جعله الله تعالى في قلبه يوقد شجرة مباركة ؛ أي أن أصله من إبراهيم وهو شجرته ؛ فأوقد الله تعالى في قلب محمد ﷺ النور كما جعله في قلب إبراهيم عليه السلام. وقال محمد بن كعب : المشكاة إبراهيم ، والزجاجة إسماعيل ، والمصباح محمد صلوات الله عليهم أجمعين ؛ سماه الله تعالى مصباحا كما سماه سراجا فقال : ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[الأحزاب الآية ٤٦] يوقد من شجرة مباركة وهي آدم ﷺ ، بورك في نسله وكثر منه الأنبياء والأولياء. وقيل : هي إبراهيم ﷺ ، سماه الله تعالى مباركا لأن أكثر الأنبياء كانوا من صلبه. ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وإنما كان حنيفا مسلما. وإنما قال ذلك لأن اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى تصلي قبل المشرق. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ أي يكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن أوحى الله تعالى إليه. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ نبي من نسل نبي. وقال الضحاك : شبه عبد المطلب بالمشكاة وعبد الله بالزجاجة والنبي ﷺ بالمصباح كان في قلبهما ، فورث النبوة من إبراهيم. ﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾ أي شجرة التقى والرضوان وعشيرة الهدى والإيمان ، شجرة أصلها نبوة ، وفرعها مروءة ، وأغصانها تنزيل ، وورقها تأويل ، وخدمها جبريل وميكائيل. قال القاضي أبو بكر بن العربي : ومن غريب الأمر أن بعض الفقهاء قال إن هذا مثل ضربه الله تعالى لإبراهيم ومحمد ولعبدالمطلب وابنه عبد الله ؛ فالمشكاة هي الكوة بلغة الحبشة ، فشبه عبد المطلب بالمشكاة فيها القنديل وهو الزجاجة ، وشبه عبد

ولا هي من عالمِ الأجسامِ والجسميات التي محالُ أفولها وغروبها بل هي وجودٌ مطلقٌ لا يُناسب الوجودَ المقيّدِ أصلا بوجهٍ بوجهٍ منَ الوجوه .وأغصانُ هذه الشجرةُ وأوراقُها وأزهارُها وأثمارُها هي الموجوداتُ المقيداتُ المنبعثةُ المنشعبةُ المتشتتةُ الفائضة من حضرة الوجود المطلقِ وهذه الشجرة كما أنها (٦/ ٩) لا شرقية ولا غربيةٌ بالمعنى المذكور كذلك هي لا شرقية ولا غربيةٌ؛ بمعنى: إنّها شجرةٌ يَستضيءُ من زيتها وفيضِها كلُّ موجودٌ وكائنةٌ في وسطِ أجزاء العالَمِ يصلُ نفعُها إلى الكلِّ، والكلُّ بالنسبة إليها على السواء إلا أنها كائنةٌ في شَرق العالَمِ أو في غربهِ ؛ حتى يكونَ نسبةُ فيض تلك الشجرةِ إلى أجزاء العالمِ مُختلفةً ويستضيءُ منها بعضٌ دون بعض [1].

والزيتُ هو إفاضة الوجود المُطلِقِ فيوضُ تلكَ الوجوداتِ السارية في الكلِّ والتشبيه بالشجرة الزيتونةِ ؛ لأجل الإشعار بأن هذه الوجوداتِ الفائضةِ غيرُ مُحتاجة في أنواعها إلاّ إلى أصلِ الوجودَ المُطلقِ

لا إلى غيرِهِ كما أنّ المصباحَ المُوقَدَ في الزُّجاجةِ المُشرقةِ في المِشكاةِ المُعلّقة على شجرة

الله بالقنديل وهو الزجاجة ؛ ومحمد كالمصباح يعني من أصلابها ، وكأنه كوكب دري وهو المشتري ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ يعني إرث النبوة من إبراهيم ﷺ هو الشجرة المباركة ، يعني حنيفية لا شرقية ولا غربية ، لا يهودية ولا نصرانية. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يقول : يكاد إبراهيم يتكلم بالوحي من قبل أن يوحي إليه . ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ إبراهيم ثم محمد ﷺ. قال القاضي : وهذا كله عدول عن الظاهر ، وليس يمتنع في التمثيل أن يتوسع المرء فيه.)).

(١) ((وهذه الاعتبارات والشيون الكائنة في الذات شبيهة بالزيت في الشجرة المباركة الزيتونة فتم التشبيه بقوله تعالى يَكادُ زَيْتُها يُضِي ءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ حيث جاز ترتب الآثار على اعتبارات الذات ولو لم تكن هناك صفات شبيهة بنار المصباح – نور على نور – يعنى نور المصباح المنور للزجاج والمشكواة زائد على نور زيت الشجرة كما ان نور الصفات في ترتب الآثار عليها واضاءة الماهيات وإيجاد الممكنات زائد على نور اعتبارات في الذات يهدى اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ يعنى لا يعلم هذه المعارف الخاصة الا من يشاء اللّٰهُ من خواص العرفاء واللّٰهُ اعلم – وعلى هذا التأويل في هذه الآية اشارة إلى الإيجاد والولادة الاولى من كتم العدم إلى الوجود الخارجي الظلي المستلزم لا قربية الذات بسائر الموجودات عامة المكنى بقوله تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وقد ذكرنا تحقيق الاقربية في تفسير تلك الآية في سورة قاف –)) التفسير المظهري: ٦ / ٥٣٦ .

الزيتونة لو كان في إشراقه مُحتاجاً إلى زيتٍ لكان زيتُ هذهِ الشجرةِ كافية في حصول ذلك ولا يحتاجُ إلى غيرهَا[1].

(١) قال الشيرازي في الأمثل:١١ / ١٦٠ ((«المشكاة» في الأصل تعني الكُوّة التي تخصص في الجدار لوضع المصابيح الزيتية فيها لحفظها من الرياح، وأحياناً تبنى في الجدار فتحة صغيرة، يغطى جانبها المشرف على ساحة الدار بالزجاج، لإضاءة داخل وخارج الغرفة كما تحفظ المصباح من الرياح. كما تطلق هذه الكلمة على وعاء (الفانوس القديم) يصنع من زجاج على شكل متوازي المستطيلات له باب وفتحة في أعلاه لخروج الهواء الساخن. وكانوا يضعون المصباح فيه.وباختصار نقول: إنّ المشكاة محفظة للمصباح من الرياح الشديدة، وغالباً ما يثبت في الجدار لتركيزِ الضوء وسهولة انعكاسِه.«الزجاجة» تطلق في الأساس على الأحجار الشفّافة، وسَمّيت الصفائح الشفافة بالزجاج لأنّها تصنع من مواد معدنية، والزجاجة هنا تعني الزجاجة التي توضع فوق المصباح لتحفظ شعلته، وتنظّم جريانَ الهواء، لتزيد من نور الشعلة.«المصباح» يتألف من وعاء للزيت وفتيل.عبارة (يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) تشير إلى الطاقة التي تُجَهِّز هذا المصباحَ بوقود لا ينضب معينه. وزيت الزيتون من أجود الوقود المستعمل للمصابيح، ثمّ أن هذا الزيت يُحْصَلُ عليه من زيتون شجر يتعرّض للشمسِ من جميعِ جوانبه بشكل متساو، لا أن تكون الشجرة في الجانب الشرقي مِنَ البستان وبجانب حائط يمنع وصول أشعة الشمس إليها، كما لا تكون في جهة الغرب ليتعرض جانب واحد منها على أشعة الشمس، فلا تنضج ثمرتها بصورة جيدة ولا يكون زيتها نقياً وصافياً.)) .وقال: ابن قيم الجوزية في مفتاح السعادة: ١/ ٥٧ : ((فضرب سبحانه مثلا لنوره الذي قذفه في قلب المؤمن كما قال ابي بن كعب رضى الله عنه مثل نوره في قلب عبده المؤمن وهو نور القرآن والايمان الذي اعطاه إياه كما قال في آخر الآية نور على نور يعنى نور الايمان على نور القرآن كما قال بعض السلف يكاد المؤمن ينطق بالحكمة وان لم يسمع فيها بالأثر فإذا سمع فيها بالأثر كان نورا على نور وقد جمع الله سبحانه بين ذكر هذين النورين وهما الكتاب والايمان في غير موضع من كتابه كقوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ففضل الله الايمان ورحمته القرآن وقوله تعالى او من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقد تقدمت هذه الآيات وقال في آية النور نور على نور)). وقال المجلسي في بحار الأنوار : ٤ / ١٨ : ((عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ ع فِي هَذِهِ الْآيَةِ اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قَالَ بَدَأَ بِنُورِ نَفْسِهِ تَعَالَى مَثَلُ نُورِهِ مَثَلُ هُدَاهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ قَوْلُهُ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِشْكَاةُ جَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَ الْقِنْدِيلُ قَلْبُهُ وَ الْمِصْبَاحُ النُّورُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ قَالَ الشَّجَرَةُ الْمُؤْمِنُ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ قَالَ عَلَى سَوَاءِ الْجَبَلِ لَا غَرْبِيَّةٍ أَيْ لَا شَرْقَ لَهَا وَ لَا شَرْقِيَّةٍ أَيْ لَا غَرْبَ لَهَا إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ طَلَعَتْ عَلَيْهَا وَ إِذَا غَرَبَتْ غَرَبَتْ عَلَيْهَا يَكادُ زَيْتُها يَعْنِي يَكَادُ النُّورُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ يُضِيءُ وَ إِنْ

وهذه الإفاضةُ وهذا النُّورُ الصادرُ من حضرة نُورِ النُّورِ يكادُ يضيءُ بنفسهِ ؛ ولو لم تمسِسْهُ نارُ الأجسامِ الكدِرةِ والأجسادِ المُظلمةِ التي هي منبع الظُّلُمات الثلاثة المذكورة في الآية اللاحقة ؛ لكانَ نُورا على نُورٍ وظاهرا بنفسهِ لنفسِهِ[1].

لَمْ يَتَكَلَّمْ نُورٌ عَلى نُورٍ فَرِيضَةٌ عَلَى فَرِيضَةٍ وَ سُنَّةٌ عَلَى سُنَّةٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ يَهْدِي اللهُ لِفَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنِ ثُمَّ قَالَ فَالْمُؤْمِنُ مَنْ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسَةٍ مِنَ النُّورِ مَدْخَلُهُ نُورٌ وَ مَخْرَجُهُ نُورٌ وَ عِلْمُهُ نُورٌ وَ كَلَامُهُ نُورٌ وَ مَصِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ نُورٌ قُلْتُ لِجَعْفَرٍ ع جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا سَيِّدِي إِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَثَلُ نُورِ الرَّبِّ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ لَيْسَ للهِ بِمَثَلٍ مَا قَالَ اللهُ فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثالَ...)).

(١) بحار الأنوار: ٤/ ٢٢ : ((قال الصدوق ﷺ إن المشبهة تفسر هذه الآية على أنه ضياء السماوات و الأرض و لو كان لذلك لما جاز أن توجد الأرض مظلمة في وقت من الأوقات لا بالليل و لا بالنهار لأن الله هو نورها و ضياؤها على تأويلهم و هو موجود غير معدوم فوجود الأرض مظلمة بالليل و وجودنا داخلها أيضا مظلما بالنهار يدل على أن تأويل قوله ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هو ما قاله الرضا ﷺ دون تأويل المشبه و إنه عز و جل هادي أهل السماوات و الأرض و المبين لأهل السماوات و الأرض أمور دينهم و مصالحهم فلما كان بالله و بهداه يهتدي أهل السماوات و الأرض إلى صلاحهم و أمور دينهم كما يهتدون بالنور الذي خلقه الله لهم في السماوات و الأرض إلى إصلاح دنياهم قال إنه نور السماوات و الأرض على هذا المعنى و أجرى على نفسه هذا الاسم توسعا و مجازا لأن العقول دالة على أن الله عز و جل لا يجوز أن يكون نورا و لا ضياء و لا من جنس الأنوار و الضياء لأنه خالق الأنوار و خالق جميع أجناس الأشياء و قد دل على ذلك أيضا قوله ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ و إنما أراد به صفة نوره و هذا النور هو غيره لأنه شبهه بالمصباح و ضوئه الذي ذكره و وصفه في هذه الآية و لا يجوز أن يشبه نفسه بالمصباح لأن الله لا شبه له و لا نظير فصح أن نوره الذي شبهه بالمصباح إنما هو دلالته أهل السماوات و الأرض على مصالح دينهم و على توحيد ربهم و حكمته و عدله ثم بين وضوح دلالته هذه و سماها نورا من حيث يهتدي بها عباده إلى دينهم و صلاحهم فقال مثله مثل كوة و هي المشكاة فيها المصباح و المصباح هو السراج في زجاجة صافية شبيهة بالكوكب الذي هو الكوكب المشبه بالدر في لونه و هذا المصباح الذي في هذه الزجاجة الصافية يتوقد من زيت زيتونة مباركة و أراد به زيتون الشام لأنه يقال إنه بورك فيه لأهله و عنى عز و جل بقوله ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ إن هذه الزيتونة ليست بشرقية فلا تسقط الشمس عليها في وقت الغروب و لا غربية و لا تسقط الشمس عليها في وقت الطلوع بل هي في أعلى شجرها و الشمس تسقط عليها في طول نهارها فهو أجود لها و أضوأ لزيتها ثم أكد وصفه لصفاء زيتها فقال ي ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾لما فيها من الصفاء فبين أن دلالات الله التي بها دل عباده في السماوات و الأرض على مصالحهم و على أمور دينهم في الوضوح و البيان بمنزلة هذا المصباح الذي في هذه الزجاجة

وكذا لولا احتجاب النُّورِ الإلهي بالغواشي الحسيّةِ والدَّواعِي الشّهوانيّة ؛ لأضاء بذاتِهِ وعرَفَهُ كلُّ موجُود واهتدَى إليه كلُّ مُهتد والمُوجوداتُ لمّا احتجبت وجُوداتها بالأجساد المُظلمة وانهمكتْ بالدَّواعِي الكَدِرة لم تُشاهد عظمة بارئِها وأنكرتْ بِسُوءِ عَقَائِدِها وقَبيحِ أعمالِها وصنيعِها ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥﴾[النُّور الآية ٣٥]. (٧/ ٩) ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾[البَقَرَة الآية ٢٥٧].وأنْ شئتِ قلتَ في التطبيق بين ألفاظ الآية الشريفة وبين أجزاء العالم الكبير الذي هو الإنسانُ الكبيرُ الذي هو جامع لجميع نشآت الإمكان . إنَّ المشكاة عبارةٌ عن بدنِ هذا الجسمُ الكليُّ والزجاجةُ عن قلبِهِ الذي هو النفسُ الكليّةُ والمصباحَ الذي هو الروحُ الأعظمُ والشجرةَ عن المجموع كالشجرةِ المشحونةِ بالأغصان والأوراق والأزهارِ والأثمارِ كالعقول والنفوسِ والأجرامِ والعناصر والطبائع والمواليد الشجراتُ ليست من بِحْتِ عالمِ الشرق و الأرواح ولا من محضِ عالم الغرب و الأجسام بل هي عبارة من مجموعها والمجموع غير الأجزاء. والزيتُ عبارةٌ عن فيضِ الباري تعالى المتجلّي في الكلِّ وعلى هذا فقِسْ باقي الآية الشريفةِ . وإذا عرفتَ ذلك فيمكنُ لكَ تطبيقُ الآية الشريفةِ على الإنسانِ الصغيرِ الذي هو العالمُ الصغيرُ ؛ لأنَّ بدنَهُ كالمشكاةِ وقلبه كالزجاجة وروحه كالمصباح والمجموع كالشجرة والأعضاء والقوى كالأغصان

الصافية و يتوقد بها الزيت الصافي الذي وصفه فيجتمع فيه ضوء النار مع ضوء الزجاجة و ضوء الزيت هو معنى قوله نُورٌ عَلى نُورٍ و عنى بقوله عز و جل ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يعني من عباده و هم المكلفون ليعرفوا بذلك و يهتدوا به و يستدلوا به على توحيد ربهم و سائر أمور دينهم و قد دل الله عز و جل بهذه الآية و بما ذكره من وضوح دلالاته و آياته التي دل بها عباده على دينهم أن أحدا منهم لم يؤت فيما صار إليه من الجهل و من تضييع الدين لشبهة و لبس دخلا عليه في ذلك من قبل الله عز و جل إذ كان الله عز و جل قد بين لهم دلالاته و آياته على سبيل ما وصف و أنهم إنما أوتوا في ذلك من قبل نفوسهم بتركهم النظر في دلالات الله و الاستدلال بها على الله عز و جل و على صلاحهم في دينهم و بين أنه بكل شيء من مصالح عباده و من غير ذلك عليم)).كتاب التوحيد – الصدوق-:١٥٦.

والأثمار والأزهار[1].

وفي هذا المعنى أفادَ منْ أفادَ ولقد أحسنَ وأجادَ[2]: [الطويل]

نـظـرتُ بـنـورِ الله أولَّ نـظـرةً ... فغبتُ عن الأكوانِ وارتفعَ اللّبسُ
ومـا زال قلبي لائـذاً بجمالِكُم ... وحضـرتِكُم حتى فَنَتْ فيكُمُ النفسُ
وزيتُونةُ الفكرِ الصحيحُ أصولُهُا ... مباركةٌ أوراقُـهُـا الصّدقُ والقدسُ
فروحَي زيتي والخيالُ زجاجتي ... وعقليَ مصباحي ومشكاتُه(٨/٩)الحسُّ
فصارَ بِكم ليلي نهـارا وظُلمتي ... ضياءً ولاحتْ من جنابِكُمُ الشمسُ

(١) في بحار الأنوار : ٤ / ٢٢ : ((...و قد ذكر في معنى التمثيل وجوه الأول أنه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مضمونها و ظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة أو تشبيه للهدى من حيث إنه محفوظ من ظلمات أوهام الناس و خيالاتهم بالمصباح و إنما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليها و تشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس أو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف و العلوم بنور المشكاة المثبت فيها من مصباحها و يؤيده قراءة أبي مثل نور المؤمن أو تمثيل لما منح الله عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي بها المعاش و المعاد و هي الحاسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس و الخيالية التي تحفظ صورة تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت و العلمية التي تدرك الحقائق الكلية و المفكرة و هي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم و القوة القدسية التي يتجلى فيها لوائح الغيب و أسرار الملكوت المختصة بالأنبياء و الأولياء المعنية بقوله تعالى ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية و هي المشكاة و الزجاجة و المصباح و الشجرة و الزيت فإن الحاسة كالمشكاة لأن محلها كالكوة و وجهها إلى الظاهر لا يدرك ما وراءها و إضاءتها بالمعقولات لا بالذات و الخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب و ضبطها للأنوار العقلية و إنارتها بما يشتمل عليها من المعقولات و العاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية و المعارف الإلهية و المفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها و الزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية و لا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية أو لوقوعها بين الصور و المعاني متصرفة في القبيلتين منتفعة من الجانبين و القوة القدسية كالزيت فإنها لصفائها و شدة ذكائها تكاد زيتها تضيء بالمعارف من غير تفكر و لا تعليم. أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم ينتقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث يتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للأنوار)).

(٢) الأبيات لأبي نصر الفارابي نقلها الشيخ البهائي في الكشكول: ٣/ ٣٢١. وليس منها البيتان الثالث والرابع والبيت الأول برواية: ((نظرة بنور العلم)).

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[فُصِّلَت الآية ٥٣]. وقال بعض الأعلام : يُحتملُ أن يكون المُرادُ بالنور هو القرآنُ كما قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[النِّسَاء الآية ١٧٤] ؛ لأن القرآن مظهرُ نُور الحقِّ والعرفانِ ومنوّرُ قُلوبِ أهل الحقِّ . فيكون الحقُّ نُورا والقُرآنُ مَثَلُهُ ؛ فالمصباحُ كلام الله تعالى والزجاجةُ قلبُ المؤمنِ والمشكاةُ صدرُهُ وزيتُهُ الفيضُ الإلهي الحاصلُ من الشجرةِ المباركة المحمّديّةِ ﷺ التي بجامعيّتها للنشأتينِ غيرُ مخصوصةٍ بشرق عالَمِ الأرواح ولا بغربِ عالَمِ الأجسام بل جامعةٌ بينهما[1].

(١) قال الزمخشري في كشافه : ٣ / ٢٣٥ : ((شبهه بالنور في ظهوره وبيانه، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البَقَرَة الآية ٢٥٧] أي: من الباطل إلى الحق، وأضاف النّور إلى السماوات والأرض لأحد معنيين: إمّا للدلالة على سعة إشراقه، وفشوّ إضاءته حتى تضيء له السماوات والأرض، وإمّا أن يراد " أهل السماوات والأرض " وأنّهم يستضيئون به «)) قال صدر المتألهين الشيرازي في تفسيره : ٢٤/ ٣٥ : ((ولا يبعد أن يراد بالنور – في هذا الوجه – القرآن، لأنّه يبيّن الحق، يعني هدى الله الخلق بكلامه المتين الذي هو حق مبين، وقد سماه الله « نوراً « حيث قال ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[النِّسَاء الآية ١٧٤]. لأنَّ القرآن مظهر نور الحق والعرفان، ومنوِّر قلوب أهل الإيمان، فيكون الحق نوراً والقرآن مثله، وقد شبه بـ " المصباح " فالمصباح كلام الله، و " الزجاجة " قلب العارف بأنوار معانيه، و " المشكواة " صدره، و " زيته " إمداد الفيض الإلهي الحاصل من الشجرة المباركة النبوية، والنشأة المقدسة المصطفوية، التي لكمال اعتدالها وجامعيتها للنشأتين، وتجردها عن العالمين، غير مخصوصة بشرق عالم الأرواح، ولا بغرب عالم الأشباح، بل جامعة للطّرفين ومرتفعة عن الأفقين، وإمداده وتنويره للقلوب بحيث يكاد أن ينوّرها ويكمّلها قبل أن يستنبطوا المعارف من الكتاب بدقّة عقولهم، و يقتبسوا أنوار العلوم من مشكاة صدور المعلمين والمذكرين، فلغاية بسط فيض الحق، وشدة إنارته لقلوب السالكين المجذوبين، ينور قلوبهم، ويضيء أرواحهم، وإن لم تمسسه نار التعليم البشري، أو نار الدهن المتوقد من زند الطبع الزكي، ومقدحه الفكر.)).

وعلى هذا يكون المرادُ بالنّارِ نارَ الجهل ونار فِتنةِ المعاندين لآل محمد [١] ﷺ [٢].

وللعلامة الغزالي.[٣]-حشره الله مع من يوالي- طريقةٌ لطيفةٌ في بيان الآية الكريمة ألف فيها رسالة شريفة سَمَّاها(بمشكاة الأنوار)[٤]؛ ولعمري أنّه قد بلغ الغاية القُصوى من ذوق

(١) قال في الميزان:١٥/ ٧٣ : ((و قد وردت عدة من الأخبار من طرق الشيعة في تطبيق مفردات الآية على النبي ﷺ و أهل بيته عليهم السلام و هي من التطبيق دون التفسير، و من الدليل على ذلك اختلافها في نحو التطبيق كرواية الكليني في روضة الكافي، بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام و فيها: أن المشكاة قلب محمد ﷺ، و المصباح النور الذي فيه العلم، و الزجاجة علي أو قلبه، و الشجرة المباركة الزيتونة التي لا شرقية و لا غربية إبراهيم (عليه السلام) ما كان يهوديا و لا نصرانيا، و قوله: "يكاد زيتها يضيء" إلخ، يكاد أولادهم أن يتكلموا بالنبوة و إن لم ينزل عليهم ملك.و ما رواه في التوحيد، بإسناده إلى عيسى بن راشد عن الباقر عليه السلام و فيه: أن المشكاة نور العلم في صدر النبي ﷺ، و الزجاجة صدر علي "يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار" يكاد العالم من آل محمد يتكلم بالعلم قبل أن يسأل "نور على نور" إمام مؤيد بنور العلم و الحكمة في إثر الإمام من آل محمد.و ما في الكافي، بإسناده عن صالح بن سهل الهمداني عن الصادق عليه السلام و فيه: أن المشكاة فاطمة عليها السلام، و المصباح الحسن عليه السلام، و الزجاجة الحسين عليه السلام.و الشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام، و لا شرقية و لا غربية ما كان يهوديا و لا نصرانيا، و نور على نور إمام بعد إمام، و يهدي الله لنوره من يشاء يهدي الله للأئمة عليهم السلام من يشاء و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: في قوله: "زيتونة لا شرقية و لا غربية" قال: قلب إبراهيم لا يهودي و لا نصراني)) .))، وينظر: الكافي: ١/ ١٢٥: التوحيد : ١٥٥ مجمع البيان: ٧/ ٢٢٤ تفسير القمي: ٢/ ١٠٣ وتفسير نور الثقلين: ٣/ ٦٠٢ .

(٢) نسخة (س) أنتهى منتها وقوله((وللعلامة الغزالي ...حق حمده)) سقط من (س) وفيها يقول : ((و إلى هنا أقطع الكلام راجيا من الله التوفيق لما أردت بيانه من اللاحقة والكلام فيها فإنه خيرُ موفّق و معين))

(٣) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٤٥٠- ٥٠٥ هـ) أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسا بوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان صوفيّ الطريقةِ، شافعيّ الفقهِ إذ لم يكن للشافعية في آخر عصره مثلَه. وكان على مذهب الأشاعرة في العقيدة، وقد عُرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام، وأحد أصولها الثلاثة بعد أبي الحسن الأشعري، وكانوا) الباقلاني والجوين ي والغزّالي) له تصانيف كثيرة. ينظر ترجمته: (طبقات الشافعية الكبرى: ٦ / ٢٢٠ -٢٢٤ الأعلام: ٧/ ٢٢).

(٤) الرسالة طبعت محققة بعنوان : مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار حققها وقدم لها: الدكتور أبو العلا عفيفي سنة ١٩٦٤ م ونشرتها الدرار القومية للطباعة والنشر القاهرة.

أمثالِهِ فجزاهُ اللهُ عن أهلِ العلم بما يليقُ بأحوالِهِ.

وللأستاذ القُمْقَام –صدرُ المتألهين[1]– رسالة شريفة في تفسير الآية الكريمة أبدع فيها من إبراز اللطائفِ وأظهرَ أنوارا من المعارف[2].

وكذا لأستاذي[3] النحريرَ قدوةُ الحكماءِ الراسخين بشمس العارفين –أعلى الله منازلَهُم في الملكوتِ الأعلى ولقّاهم نظرةً وسرُورا – رسالة نفيسة في ذلك قد بلغ مَبلغا لا يبْلغُ إليهِ البالغون فمن أراد حقَّ الكشف (٩/ ٩) والاطلاع فليرجعَ إليها[4] والحمدُ لله وحدَهُ وكتب –الراجي عفو ربهَ–محمدُ علي جزين بن أبو طالب اللاهيجي –عُفِي عنه– .

أُيِدَ كلامُهُ وخُلِدَ إكرامُهُ وعلا مقَامُهُ[5] – وكان النقل من المنسوخة التي هي

(١) المولى صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (٩٨٠ –١٠٥٠ هـ)–الملا صدرا أو صدر المتألهين– فاضل من الفضلاء المعاصرين كان أعلم أهل زمانه في الحكمة متقنا للفنون جميعا له تصانيف كثيرة . ينظر ترجمته: (أمل الآمل :٢/ ٢٣٣ وأعيان الشيعة: ٩/ ٣٢١).

(٢) الرسالة ضمن تفسر الملا صدرا وقد طبعت مستقلة في عام ١٣٣٨ هـ.

(٣) محمد صادق الأر دستاني –كما كُتب في الحاشية– وهو محمد صادق الأر دستاني الأرجستاني الأصفهاني (١١٣٤هـ) ابن معز الدين الأر دستاني (ق ١١) كان عالماً، فاضلاً، كاملاً، محققاً، مدققاً، حكيماً، فيلسوفاً، عارفاً، نحريراً ، جليل الشأن، عظيم المرتبة، معاصر المولى محمد باقر المجلسي عليه الرحمة و كان كثير الميل إلى التصوف وقد أخرجه الفاضل من بلدة اصفهان ونفاه عنها من باب الأمر بالمعروف فلم يقدر أن يرجع إليها إلي أن مات الفاضل عليه الرحمة وله تحقيقات رشيقة لطيفة في فنه وكان سيد الحكماء المتأخرين و سند العرفاء المتألهين و سمعت من مشايخنا وصف تبحره و عرفانه و زهد كثيراً قدّسَ سرّهُ كان محمد من أفضل الحكماء الراسخين وسلطان المحققين والبحر الأعظم مظهر المعارف و الخلائق درس علي يديه كثيرون وله آثار كثيرة . ينظر ترجمته: (طبقات أعلام الشيعة: ٦/ ٣٥٩ والذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٨/ ١٢٢).

(٤) ذكرها آغا برزگ الطهراني في الذريعة: ٤/ ٣٣٤ : ((تفسير آية النور للمولى محمد صادق الأر دستاني –المدرس بأصفهان– قال فيه تلميذه : أنه نفيسٌ وجيز قد بلغ فيه مبلغا لا يبلغ إليه البالغون)) وذكرها مرة أخرى في طبقات أعيان الشيعة: ٦/ ٣٦٠ .

(٥) وفي (س) يقول: ((وكتبه مسؤولا أحوج المربوبين إلى الله تعالى محمد المشتهر بعلي بن أبي طالب بن عبد الله الزاهدي الجيلاني في عام الأربعين بعد المائة والألف من الهجرة المباركة –حين إقامتي بمشهد طوس مشهد مولاي الرضا–عليه التحيّة والثناء– حامدا لله وحده . تحرير يافت اين رساله روز بنجشنبه بيست و هشتم شهر ربيع الأولى سنة ١١٨٠ در بلد حيدر آباد بنكاله هند– وترجمته–

بخطِهِ –دامت بركاته– .

وكتب أقل الممكنات محمد حسين بن نور الدين الموسوي الحسيني –أحسنَ الله حاله– في أصفهان– ربيع الثاني سنة الثالثة والاربعين ومائة وألف.

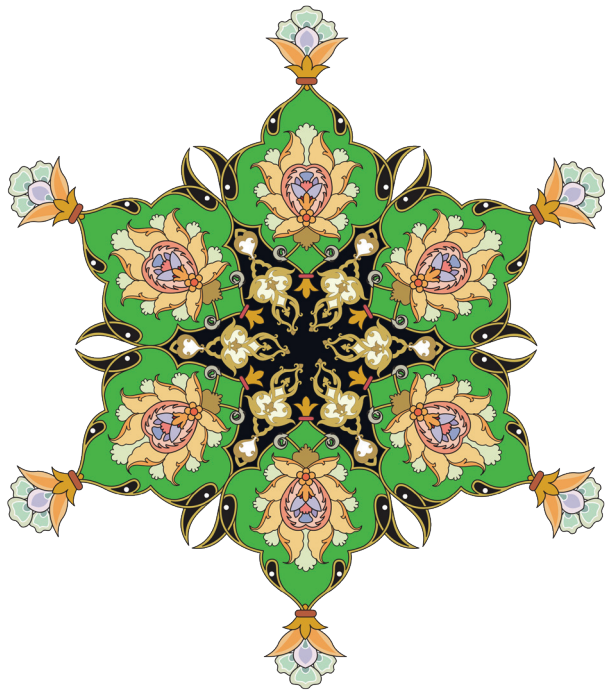

نسخت هذه الرسالة يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١١٨٠هـ في مدينة حيدر آباد بنگاله الهند – وأنا أفقر فقراء باب الله الغني . أبو طالب بن حسن الحسيني –ختم الله لهما بالباقيات الصالحات أعمالهما وحشرهما مع الأئمة الأبرار الأطهار والحمد لله وحده والصلواة على من ختم.)).

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الاعلام خير الدين الزر كلي ط١٥ دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٢هـ.

٣. أعيان الشيعة السيد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) تحقيق حسن الأمين دار التعارف بيروت ١٩٨٣م .

٤. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد سعيد الخوري الشرتوني اللبناني المطبعية اليسوعية ط ١ لبنان ١٨٨٩ م .

٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل جماعة اشراف آية الله مكارم الشيرازي الناشر مدرسة الإمام علي ط ١ قم ١٤٢٦هـ .

٦. أمل الأمل محمد بن الحسين الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)تحقيق : احمد حسني ط١ مكتبة الأندلس بغداد .

٧. الانوار القدسية محمد حسين الغروي تحقيق: الشيخ علي النهاوندي مطبعة دانش مؤسسة المعارف الاسلامية ط١ قم ١٤١٥هـ.

٨. بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار: محمد باقر المجلسي(ت ١١١١هـ) مؤسسة وفاء بيروت ط٢المصححة١٩٨٣م.

٩. البحر المحيط (تفسير أبي حيان) محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) د ار الفكر ط٢ ١٩٧٨.

١٠. تاريخ أدبيات إيران ادوارد براون .

١١. تاريخ تذكره هاي فارسي أحمد كيلجين انتشارات دانشكاه طهران د ط. ١٣٥٠ ق.

١٢. التبيان في تفسير القرآن الطوسي (٤٦٠هـ) تقديم آغا بزرك الطهراني دار إحياء التراث الإسلامي بيروت(د. ت).

١٣. تحفة العالم في شرح خطبة المعالم جعفر بحر العلوم تحقيق : أحمد علي مجيد الحلي مركز تراث السيد بحر العلوم. ط ١ النجف الأشرف ١٤٣٣هـ.

١٤. التحرير والتنوير في تفسير كتاب الله المجيد محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي(ت ٢٣٩٣ هـ) الدار التونسية للنشر ط ١ تونس ١٩٨٤م .

١٥. تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن):ابو محمد جعفر بن محمد بن جرير الطبري(٣١٠هـ)قدم له الشيخ خليل المسن ضبط ووثقه صدقي العطار دار الفكر، بيروت ١٩٩٥.

١٦. تفسير القرآن الكريم – تفسير صدر المتألهين– ملا صدر الدين شيرازي دار بيادر ط ١ قم د ت.

١٧. تفسير القمي أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي صححه وعلق عليه: السيد طيب الموسوي الجزائري دار الكتاب للطباعة والنشر قم ١٠٤هـ.

١٨. التفسير المظهري محمد ثناء الله تحقيق: غلام نبي التونسي مكتبة الرشدية ط ١باكستان ١٤١٢هـ.

١٩. تفسير الميزان : السيد محمد حسين الطباطبائي الحكيم (١٤٠٢هـ) تحقيق الشيخ اياد باقر سلمان ، قدم له السيد كمال الحيدري ، دار احياء التراث العربي ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٦م .

٢٠. تفسير نور الثقلين عبد علي العروسي مؤسسة إسماعليان ط ٤ قم ١٤١٢هـ .

٢١. تفسير النيسابوري(غرائب القرآن ورغائب الفرقان) نظام الدين الحسن الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري(ت ٨٥٠هـ) تحقيق: الشيخ زكريا عميرات دار الكتب العلمية ط ١ بيروت ١٤١٦ هـ.

٢٢. جامع الأسرار ومنبع الأنوار حيدر آملي الناشر دار المحجة البيضاء بيروت ٢٠٠٧هـ.

٢٣. جامع السعادات محمد مهدي بن أبي ذر النراقي دار النعمان النجف الاشرف. د . ت.

٢٤. الجامع لأحكام القران –تفسير القرطبي– لابي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: عبد المحسن التركي ورفاقه مؤسسة الرسالة ط١ ٢٠٠٦.

٢٥. دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون جسن هادي فحص دار الكتب العلمية ط ١ لبنان ٢٠٠٠ م .

٢٦. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الدمشقي(١٣٣٥هـ) حققه: محمد بهجت البيطار دار صادر ط٢ بيروت ١٩٩٣ م.

٢٧. الذريعة الى تصانيف الشيعة محمد محسن الشهير بـ (أغا بزرك الطهراني) (ت: ١٣٨٥هـ) طهران ١٣٦٦هـ .

٢٨. رجال البرقي أبو جعفر أحمد بن محمد البرقي منشورات جامعة طهرات ط ١ ١٣٨٣هـ.

٢٩. رجال الطوسي الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني إيران ١٤١٥م .

٣٠. رسائل حزين لاهيجي محمد علي بن أبي طالب حزين لاهيجي مجموعة مؤسسة آينه ميراث ١٣٧٧ ه ق.

٣١. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه محمد تقي المجلسي(١٠٧٠) تحقيق : السيد حسين الموسوي الكرماني المؤسسة الثقافية للكوشانبور ط ١ قم ١٤٠٦هـ.

٣٢. ريحانة الأدب :محمد علي التبريزي المدرس الخياباني ط ٢ حيّام تبريز إيران ١٣٧٢ .

٣٣. شذرات من محاضرات العلامة منير الخباز الموقع الإلكتروني: htt: // almonee.org.

٣٤. شرح توحيد الصدوق القاضي سعيد القمي نشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي

ط ١ قم د ت.

٣٥. شرح المصطلحات الفلسفية مجمع البحوث الاسلامية د ت.

٣٦. طبقات أعلام الشيعة: آغا بزرك الطهراني ط١ دار إحياء التراث العربي بيروت٢٠٠٩م .

٣٧. طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي(ت ٧٧١هـ) تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناجيو الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو الناشر دار هجر للطباعة والنشر ط٢ ١٤١٣هـ

٣٨. العرفان الشيعي بقلم الشيخ : خليل رزاق من أبحاث السيد كمال الحيدري الشبكة العنكبوتية.

٣٩. الفتوحات المكية محي الدين بن عربي تحقيق: أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ط ١ بيروت ٢٠٠٦هـ.

٤٠. الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية الشيخ عباس القمي (ت :١٣٥٩هـ) تحقيق : ناصر باقري مؤسسة بوستان للكتاب طهران ١٣٨٥هـ.

٤١. الكافي: ثقة الاسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاري دار الكتب الإسلامية ط ١ ايران ١٣٨٨ هـ.

٤٢. كشكول البهائي مؤسسة الاعلمي بيروت ١٤٠٣هـ .

٤٣. مجمع البيان لعلوم القران الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ) المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية دار التقريب القاهرة ١٩٥٨م.

٤٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي(ت٨٠٧ هـ) تحقيق حسام الدين القدسي مكتبة القدسي القاهرة ١٤١٤هـ.

٤٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم الدوحة

ط١ ١٩٨٤.

٤٦. المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز السيد حيدر الآملي حققه وعلق عليه : السيد محسن الموسوي دار المحجة البيضاء ط ١ ٢٠١٢بيروت

٤٧. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد محمد بن عمر نووي الحاوي البنتي إقليما التناري يبلدا(ت ١٣١٦هـ) تحقيق: محمد أمين الصناوي دار الكتب العلمية ط ١ بيروت ١٤١٧هـ.

٤٨. المستدرك على الصحيحين الحاكم النيسابوري(٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر دار الكب العلمية ط ١ بيروت ١٩٩٠م .

٤٩. مسند أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(٢٤١هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر دار الحديث ط ١ القاهرة ١٣١٦هـ.

٥٠. مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار أبو حامد الغزالي تحقيق: أبو العلا عفيفي الدار القومية للطباعة والنشر ط ١ القاهرة ١٩٦٤.

٥١. مصفى المقال في مُصفي علم الرجال اغا بزرك الطهراني نشر وتصحيح ابن المؤلف ط ٢ دار القلم بيروت ١٩٨٨م .

٥٢. معجم ألفاظ الفقه الجعفري الدكتور أحمد فتح الله مطابع المدوخل ط ١الدمام ١٤١٢ م. ١٩٩٥ م .

٥٣. معجم رجال الحديث آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي (١٤١١هـ) الأعلمي بيروت ط٥ ١٩٩٢.

٥٤. معجم طبقات المتكلمين جعفر السبحاني ط١ مؤسسة الإمام الصادق –ع– قم ١٤٢٦هـ،.

٥٥. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع: ابو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ) ، لجنة التأليف والترجمة ، مطبعة السقا ، مصر ، ١٩٤٥هـ .

٥٦. معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية : محمد رضا كحاله ، مطبعة الترقي ، ط١ ، دمشق : ١٩٦٠م .

٥٧. مفتاح السعادة ودستور الولاية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن أرقم الجوزيه(ت ٧٥١هـ) دار الكتب العلمية بيروت(د ط) (د ت) .

٥٨. مفتاح غيب الجمع والوجود صدر الدين القونوي ضبطه د عاصم إبراهيم الكيالي دار الكتب العلمية ط٣ بيروت ٢٠١٠.

٥٩. المفردات الراغب الأصفهاني تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار القلم و الدار الشامية ط ٣ دمشق ١٤٢٤هـ.

٦٠. المنطق : العلامة محمد رضا المظفر ، دار الكتب العلمية ، ط٣، بيروت ، ٢٠٠٣.

٦١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة قطب الدين الراوندي تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري منشورات مكتبة السيد المرعشي النجفي. د ت.

٦٢. موسوعة طبقات الفقهاء مجموعة من الفضلاء باشراف العلامة : جعفر السبحاني دار الأضواء للطباعة والنشر ط ١ بيروت ٢٠١٤م .

٦٣. نجوم السماء في تراجم العلماء محمد علي بن محمد صادق الكشميري سازمان تبليغات اسلامي ايران ١٣٠٩ هـ . ق .

٦٤. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (ت ١٣٤١هـ) دار ابن حزم بيروت لبنان ط١ ١٩٩٩م .

٦٥. النفس من كتاب الشفاء –ابن سينا– تحقيق : حسن زاده آملي مكتب الاعلام الإسلامي (د ط) (د ت).

٦٦. نور البراهين في اخيار السادة الطاهرين : السيد نعمة الله الموسوي الجزائري (ت١١٣هـ)تحقيق السيد الرجائي ، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي ، الطبعة الاولى ، قم ، ١٤١٧هـ .

٦٧. هدية العارفين و آثار المصنفين إسماعيل باشا البغدادي(١٣٩٩هـ) مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي ١٩٦٨ هـ.

٦٨. هياكل النور شهاب الدين يحيى بن حبش السهرودي السعادة ط ١ مصر ١٣٣٥هـ.

٦٩. ينابيع المودة سلمان بن إبراهيم الحسيني البلخي القندوزي مؤسسة الأعلمي بيروت ١٩٩٧ م .

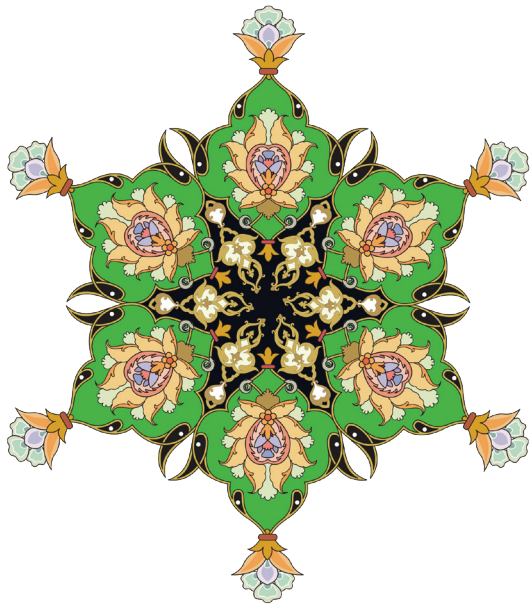

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ

المنطق في القرآن

أ.م. د. عسكري سليماني أميري

ترجمة: أيّوب ناصر نعمة

The logic in the Quran

Asst.Prof.Dr. Askari Solaimani Ameri

Translated by: Ayoub Nasser Nima

Email: ayoobalfathely@gmail.com

ملخص البحث

القرآن الكريم مصدر العلوم، والمعارف، فهو باثٌّ لهما؛ ولا ريبَ أنّ ما يصدره الخالق من علوم يضع له أدوات معرفية مهمة تتبنى عصمة هذا الفكر من الخطأ، والزلل، والمهايرة؛ فكان منطقيًّا أن يوجد المنشئ نفسه قواعد يسير بحسبها المتلقّي.

أمّا من ناحية الآخر فيكون تكليف المنشئ أن يأتي بما يريده وفاقًا لأسس منهجية، وفكرية متوافقة لا متناقضة.

ومنه فقد استخرج العلماء ثلاث انحاء من القياس في القرآن: القياس الاقتراني، والقياس الاستثنائي الاتصالي، والقياس الاستثنائي الانفصالي، وهذه الاقيسة هي الموازين في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية : المنطق ، القرآن ، الأقيسة المنطقية .

Abstract

The noble Quran is the resource of science and knowledge it is indeed spreading them; and no wonder what comes from the Creator of sciences He put for them important cognitive tools that adopt the protection of the infallibility of this thought from error slippage and divergence; therefore-logically- the Creator by himself make rules which the receiver follow as understood.

At the other hand the creator has to bring what he wants according to methodological and intellectual foundations that are compatible not contradictory.

And from it scholars have extracted three aspects of analogy in the Qura'n; conjugation analogy exceptional connectional analogy exceptional separatist analogy and those analogies are the analogies in the noble Quran.

Keywords: logic, the Qur'an, logical measures.

تقديمٌ

الغرض من ارسال الله الانبياء الى الناس تبليغ الرسالة الالهيّة، كما أنّه تعالى ارسل انبيائه بلسان قومهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[1]، مثلما ارسل نبي الاسلام محمّدًا ﷺ بلسان قومه، أي العربيّ، ولذا وصفه جل ذكره في كتابه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾[2]؛ ولذا لم يكن له اعوجاجٌ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾[3]، و: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾[4]، فهذا القرآن عربيٌّ وغير ذي عوجٍ وله قوانين فيفترض أن تكون التعاليم على اساس فهم تلك القوانين، وواحد من تلك القوانين فهم المنطق الذي هو قوانين الفكر والتعقّل والتدّبر، وكثير من الآيات القرآنيّة تحثنا في هذا الاتجاه على التدّبر والتعقّل: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢٤٢﴾[5]، ومن الآيات المهمّة في الحث على التدّبر والتعقل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾[6]، و ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾[7].

البديهي والنظري

تنقسم العلوم الحصولية على البديهي والنظري، والنظري يعلم عبر العلوم البديهيّة من تعريفٍ واستدلالٍ، فجملة من آيات التدّبر والتعقّل في القرآن نظري؛ نستطيع عبر معلومات سابقة نستخرج معلومات جديدة؛ لأن التعقّل من العقال والرباط الذي يُعقَل

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.
(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣- ١٩٥.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١.
(٤) سورة الزمر، الآيتان: ٢٧_٢٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٢.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٢.
(٧) سورة ص، الآية: ٢٩.

به، ومن هنا يقال يعقل الحيوان كي لا يضيع، وكذا الانسان يفترض به أن يعقل فكره ولا يقبل أي شيء كي لا يضل، وعليه لا بدّ أن يجعل له من معاير للقبول والرفض، في معلوماته السابقة واللاحقة، وعقال الفكر هو الذي يصون الانسان عن الانحراف، وطبق صدر الدين الشيرازي على قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ﴾[1] على العلوم البديهيّة والنظريّة والمغالطات فقوله تعالى: ﴿طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ العلوم النظريّة، وقوله تعالى: ﴿مِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ العلوم البديهيّة وما غرس في فطرته، والخبيث على المغالطات، والعلة الفاعلة للبديهي[2]، و هذه ملقاة إلينا من بحر العلم الأزلي بواسطة نفث روح القدس كما قال الله تعالى ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العَلَق من الآية ٤ الى الآية ٥] و لولاها ما يتأتى لن استعلام المجاهيل و استنباط الدلائل إذ الكسب و التجارة من غير رأس مال محال فأنعمت العناية التامة بها ليتيسر لنا الانتقال منها إلى الثواني الكسبية[3].

فخلق الله الانسان ولا يعلم شيئاً، وجعل له السمع والبصر والفؤاد لكسب العلم: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾[4].

فالحواس قناة للتصورات والتصديقات البديهيّة، والفؤاد هو العقل وهو مركز الادراكات و طريق لتحصيل العلم النظري.

التصور والتصديق

تقسم العلوم من جهةٍ أُخرى الى تصورٍ وتصديقٍ، فالعلوم التصوريّة لا تتضمن حكماً ولا تتصف بالصدق والكذب، بينما التصديقات تحتوي على حكمٍ وتتصف بالصدق والكذب.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.
(٢) لاحظ: مفاتيح الغيب : ٣٠٠-٣٠١.
(٣) مفاتيح الغيب : ٣٠٠-٣٠١.
(٤) سورة النحل، الآية: ٧٨.

و ينقسم كلّ من التصور والتصديق الى بديهي ونظري، والمنطق مساحة عمله في التصور النظري والطريق له التعريف، والتصديق النظري و الطريق اليه الاستدلال، وأمّا البديهي في التصور والتصديق فهو خارجٌ عن البحث المنطقي، كما هو مفصل في محلّه.

التعريف

يمكن التعريف بصورتين الصورة الأُولى: التعريف بالمقومات والاجزاء الداخليّة. والثانية: تعريف باللوازم والخواص، وقد يكون شيء من البسائط، ولكن عند التحليل يضحى مركباً مثلاً: التصور والتصديق مع أنهما من البسائط، ولكن في الادراك والتحليل من المركبات فيحلل الذهن جهة اشتراك وجهة افتراق فيهما[1].

ومما ينبغي الاشارة له: ان هناك حقائق بسيطة حتّى على مستوى المفهوم، فهذا النحو من الحقائق لا تُعرّف بالذاتيات والاجزاء الداخليّة، وإنما تُعرّف باللوازم أو تُعرف بالتعاريف اللفظيّة، كما في المعاجم اللفظ ومعناه، وهذا التعريف يلاحظ اللفظ فحسب بخلاف التعريف الحقيقي فأنه ناظر الى الحقيقة الخارجيّة؛ ولذا من الممكن ان تكون ثمّة حقيقة بسيطة على كلّ المستويات الذهنيّة والخارجيّة وفي هذه الصورة لا يمكن تعريفها تعريفاً حقيقياً أي: بالمقومات والاجزاء الداخليّة، نعم يمكن تعريفها تعريفاً لفظياً واسمياً، ويمكن ان يكون من هذا القبيل بنظر صدر الدين الشيرازي لفظ الجلالة (الله)؛ لأن حقيقة الله تعالى بسيطة من جميع الجهات فلا حدّ له، ولكن لفظة (الله) لها خصوصية؛ لأن هذا اللفظ معناه مجمل، وهو الذي يتضمن تمام الصفات الكماليّة، وكل صفةٍ في حال تفصيلها تُعدّ جزءاً من مفهوم الله، ومنه يمكن ان يُعرف الله تعالى بأفعاله[2].

ونلاحظ القرآن الكريم يعرف الله تعالى على سبيل المثال في قوله جل جلاله:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣﴾[3]، فهذه الآيات

(١) رسالة التصور والتصديق: ٣٠٩-٣١٠.
(٢) لاحظ: شرح اصول الكافي: ١: ٣٧، و٢: ٤٧-٤٩، و٣: ٥٣، ١١٣.
(٣) سورة الحمد، الآيات: ١_٣.

تعرف لنا الله تعالى من أنّه: رب العالمين، والرحمن الرحيم، ومالك يوم الدين، فهذه مقومات التعريف؛ و لفظ الله تعالى له مرادفات في لغات أُخرى على سبيل المثال: في اللغة الفارسيّة: خدا، وفي الانكليزية: GOD، وكذا في باقي اللغات له مرادف لاسم الله الذي يتضمن جميع الصفات الكمالية؛ ولذا كلّ صفة كمال هي احد مقومات مفهوم معنى الله تعالى.

و هذا كما فعل موسى الكليم على نبينا حبيب الله واله و عليه افضل الصلوات و التسليم حيث سأل فرعون بقوله: ﴿ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾ فلم يأت في الجواب بحد تام أو ناقص، بل عدل عن ذلك تنبيها على ان لا ماهية له و لا حد له لذاته الى قوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ و قوله: ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ و قوله: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ .

و اعلم أن تعريف المبادئ الوجوديّة بآثارها و لوازمها الصادرة عن حاق وجودها المنبعثة عن كنه هويتها توصل الذهن الى حد ليس باقل في باب افادة المعرفة من تعريف الماهيات باجزائها الذهنية المسماة بالحد كما صرح به ابو على سينا في كتابه المسمى (بالحكمة المشرقية) و من هذا القبيل معرفة الله بافعاله و آثاره من خلق السموات و الارض و ما بينهما بشرط الامعان في النظر و التفكر فيها و تحصيل الايقان بها بالبرهان كما اشار إليه قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾.

ثم قال لبيان المطلب الثاني: بل وصفته، اي الأنبياء عليهم السلام بفعاله

كما صنع الخليل إذ قال: رَبِّيَ الَّذِي يُحۡيِي وَ يُمِيتُ : و دلت عليه بآياته، كما صنع الكليم حيث قال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾[1].

وكذا في جواب نبي الله موسى عليه السلام حينما سأله الله تعالى عن ما في يمينه ذكر اسمها ووصف عملها:

﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ

(١) شرح أصول الكافي (صدرا) ٤ :١١٤ .

غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾﴾[1].

وكذا يعرف الله تعالى المؤمنين بالوصف: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾[2]، وأيضاً: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥﴾[3].

فهذه الآيات تعرف بالمؤمنين عبر اللوازم، وتعريف مصداقي للعمل الصالح.

الاستدلال في القرآن

الاستدلال عمليّة ترتيب المعلومات بشكلٍ خاصّ للوصول الى نتيجة، كما أنّ الدليل مركبٌ من صورةٍ ومادةٍ، والمادة هي مضامين ما يُراد الاستدلال به أو عليه، والصورة ترتيب مقدمات ينبثق منها نتيجة، والاستدلال في المنطق له انحاء واهمها القياس الاقتراني والقياس الاستثنائي.

القياس الاقتراني

لا بدّ للقياس الاقتراني من ثلاثة حدود: اوسط و اصغر و أكبر، فنقول:

إن وضع الاوسط مع طرفيه في المقدمتين يختلف، ففي الحملي قد يكون موضوعاً فيهما أو محمولاً فيهما، أو موضوعاً في الصغرى و محمولاً في الكبرى، أو بالعكس. فهذه اربع صور. و كلّ واحدةٍ من هذه الصور تُسمى (شكلا).

فالشكل في اصطلاحهم – على هذا – هو القياس الاقتراني باعتبار كيفية وضع الاوسط من الطرفين.

و لنتكلم عن كل واحدٍ من الاشكال الاربعة في الحملي بنحو موجز جدا.

(١) سورة طه، الآيتان: ١٧_١٨.
(٢) سورة الاسراء، الآية: ٩.
(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ١_٥.

الشكل الأوّل

و هو ما كان الاوسط فيه محمولاً في الصغرى موضوعاً في الكبرى.

مثال:

١_أب.

٢_ب ج.

٣_ أج.

الشكل الثاني

و هو ما كان الوسط فيه محمولاً في المقدمتين معا، فيكون الاصغر فيه موضوعاً في الصغرى و النتيجة.

مثال:

١_ أ ب

٢_ج ب

٣_ أ ج.

الشكل الثالث

و هو ما كان الاوسط فيه موضوعاً في المقدمتين معا. فيكون الاكبر محمولاً في الكبرى و النتيجة معا.

مثاله:

١_ أ ب.

٢_أ ج.

٣_ ب ج.

الشكل الرابع

و هو ما كان الاوسط فيه موضوعاً في الصغرى محمولاً في الكبرى عكس الأوّل، فيكون وضع الاصغر و الاكبر في النتيجة يخالف وضعهما في المقدمتين[1].

و من هنا كان هذا الشكل أبعد الجميع عن مقتضى الطبع غامض الانتاج عن الذهن.

و لذا تركه جماعة من علماء المنطق في مؤلفاتهم و اكتفوا بالثلاثة الأُولى.[2].

القياس الاستثنائي

تقع إحدى مقدّمات القياس الاستثنائي شرطيّةً دائماً: إمّا متّصلةً أو منفصلة، والمقدّمة الأُخرى استثنائيّة. ولهذا الاستثناء بنحو كلّي إحدى صورٍ أربعٍ؛ لأنّ الاستثناء إمّا أن يكون في مقدّم القضيّة الشرطيّة أوفي تاليها. وعلى كلا التقديرين إمّا أن يكون مستثنى بنحو منفي أو مثبت. وحاصل ضرب تلك الحالات ينتج أربعة أشكالٍ هي:

١. وضع (أو إثبات)المقدّم

٢. رفع (أو نفي) المقدّم

٣. وضع التالي

٤. رفع التالي.

وأمّا كيف تنتج هذه الأقيسة الاستثنائية وشروطها فتفصيل ذلك موكولٌ إلى الكتب المنطقيّة المطوّلة. ثمّ إنّ القياس الاستثنائي باعتبار القضيّة الشرطيّة المتّصلة أو الشرطيّة ينقسم إلى قياسٍ استثنائي متّصلٍ و منفصلٍ[3].

(١) مثال للتوضيح: بعض السائل يتبخر- لا شيء من الحديد بسائل.. بعض ما يتبخر ليس بحديد.

(٢) راجع تفصيل ذلك منطق المظفر: ١٩٠.

(٣) راجع تفاصيل ذلك منطق المظفر: ٢٠٠.

القياس في القرآن

يعتقد الغزالي وتبعه ملا صدرا يمكن استخراج ثلاث انحاء من القياس في القرآن: القياس الاقتراني، والقياس الاستثنائي الاتصالي، والقياس الاستثنائي الانفصالي، وهذه الاقيسة هي الموازين في القرآن الكريم..

الموازين أو الاستدلالات الصوريّة في القرآن

يرى صدرا ان الميزان في القرآن هو نفسه القواعد المنطقيّة والاستدلاليّة، ولا يراد بالميزان المادي الذي يكال به الاشياء الماديّة.

كما أنه يعتقد أن هذا الميزان هو نفسه ميزان معرفة الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله والمُلك والملكوت، وهذه الموازين قد علمها الانبياء ﷺ للناس، والانبياء تتعلم من قبل الملائكة؛ ولذا المعلم الأوّل الله، والمعلم الثاني جبرائيل، والمعلم الثالث النبي الاكرم محمّدﷺ:

ألم تسمع قوله تعالى في الحديد ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ أتزعم أن الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر و الشعير و الذهب و الفضة أتتوهم أن الميزان المقابل وضعه برفع السماء في قوله ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ هو الطيار و القبان ما أبعد الحسبان و أبعد هذا البهتان فاتق الله و لا تتعسف في التأويل و اعلم يقينا أن هذا الميزان هو ميزان معرفة الله سبحانه و معرفة ملائكته و كتبه و رسله و ملكه و ملكوته ليعلم كيفية الوزن به من أنبيائه ﷺ كما تعلموا هم من ملائكته فالله هو المعلم الأول و الثاني جبرئيل و ثالث المعلمين هو الرسول ﷺفالخلق كلهم يتعلمون من الرسول ما لهم طريق في المعرفة سواه[1].

وأيضاً:﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ أزعمت أيها العاقل المتأمل أن الميزان المنزل من عند الله مع إنزال الكتب و إرسال الرسل هو ميزان البر و الشعير و الأرز و التمر و غيرها أ توهمت أن الميزان المقارن

(١) مفاتيح الغيب: ٣٠٨.

وضعه لرفع السماء هو القبان و الطيار و أمثالهما ما أبعد هذا التوهم و الحسبان- و ما أقبح هذا الافتراء و البهتان و اتق أيها الناظر في معاني الكتاب و لا تتعسف في باب التأويل و لا تركب متن الجهالة و اللجاج إني أعظك أن تكون من الجاهلين و اعلم أن الذي يدعو أمثالك و أصحابك من الظاهريين و الحنابلة و غيرهم على حمل ألفاظ الكتاب و السنة على المعاني العامية جمود قرائحهم على التجسم و عدم تجاوز أذهانهم عن حدود الأجسام و الجسمانيات و لو تأملوا قليلا في نفس معنى الميزان و جردوا حقيقة معناه عن الزوائد و الخصوصيات لعلموا أن حقيقة الميزان ليس يجب أن يكون البتة مما له شكل مخصوص أو صورة جسمانية فإن حقيقة معنى الميزان و روحه و سره- هو ما يقاس و يوزن به الشيء و الشيء أعم من أن يكون جسمانيا أو غير جسماني فكما أن القبان و ذا الكفتين و غيرهما ميزان للأثقال و الأصطرلاب ميزان للارتفاعات و المواقيت و الشاقول ميزان لمعرفة الأعمدة و المسطر ميزان لاستقامة الخطوط فكذلك علم المنطق ميزان للفكر في العلوم النظرية يعرف به صحيح الفكر من فاسده و علم النحو ميزان للأعراب و البناء و العروض ميزان للشعر و الحس ميزان لبعض المدركات- و العقل الكامل ميزان لجميع الأشياء و بالجملة ميزان كل شيء يكون من جنسه- فالموازين مختلفة و الميزان المذكور في القرآن ينبغي أن يحمل على أشرف الموازين و هو ميزان يوم الحساب كما دل عليه قوله تعالى ﴿نَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ و هو ميزان العلوم و ميزان الأعمال القلبية الناشئة من الأعمال البدنية[1]، و أيضاً: > و بالجملة، ميزان كلّ شيء يكون من جنسه؛ مثلا ميزان الفلسفة المنطق، و ميزان الدوائر و القسّي الفرجار، و ميزان الأعمدة الشاقول، و ميزان الشعر العروض، و ميزان الخطوط المسطر...[2].

وسئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن قوله تعالى ﴿نَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ فقال الموازين هم الأنبياء و الأولياء.

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ٩ :٢٩٩ .
(٢) المظاهر الالهية: ١٣٠.

ضابطة الموازين القرآنية الصادقة

فإن قلتَ فبِمَ يعرف ذلك الميزان صادق أم كاذب.

قلت بيان صدق موازين القرآن معلوم من نفس القرآن بتعليم النبي و الأئمة عليهم السلام فكما أنك تعرف ميزان الذهب و الفضة و صدقه و معرفة فرض دينك إذا كان عليك دين حتى تقضيه تاما من غير نقصان أو كان لك على غيرك دين حتى تأخذه عدلا من غير رجحان فدخلت سوقا من أسواق المسلمين و أخذت ميزانا من الموازين فقضيت أو استقضيت الدين حقا و عدلا فإن عرض لك شك في بعض الموازين أخذته و رفعته و نظرت إلى كفتي الميزان و لسانه فإذا استوى انتصاب اللسان من غير ميل إلى أحد الجانبين و رأيت مع ذلك تقابل الكفتين عرفت أنه ميزان صحيح صادق فلو قيل لك هب أن اللسان قد انتصب على الاستواء و أن الكفتين تحاذتا بالسواء فمن أين تعلم أن الميزان صادق تقول في جوابه إني أعلم ذلك علما ضروريا يحصل لي من مقدمتين إحداهما تجربية و الأخرى حسية فالتجربية أن الثقيل يهوي إلى أسفل و أن الأثقل أشد هويا و الحسية أن هذا الميزان لم يهو إحدى كفتيه بل حاذت الأخرى محاذاة مساواة فبهاتين المقدمتين يلزم قلبي نتيجة ضرورية و هي استواء هذا الميزان و أن أحد الكفتين لو كانت أثقل لكانت أهوى[1].

القياس المضمر والحذف والايجاز في القرآن

يقسم المنطق القياس الى مضمرٍ وغير مضمرٍ وبتعبيرٍ آخر: قياس صريح.

والقياس الصريح ما كانت مقدماته ونتيجته مذكورة، مثل:

العالم متغير.

وكل متغير حادث.

اذن: العالم حادث.

فهذا القياس مذكور المقدمات والنتيجة.

(١) مفاتيح الغيب: ٣٠٨.

وأمّا القياس المضمر إمّا احد مقدمتيه أو النتيجة غير مذكورة مثلاً:

١_العالم متغير اذن هو حادث.

٢_العالم حادث لأنه متغير.

قد حذف من هذين القياسين المقدمة الكبرى، وكل قياس حذفت منه الكبرى فهو مضمر.

وأيضاً:

٣_ لأن كل متغير حادث اذن العالم حادث.

هذا القياس المقدمة الصغرى محذوفة منه.

٤_العالم متغير وكل متغير حادث.

هذا النحو من القياس حذفت منه النتيجة[١].

وليعلم أن أسلوب القرآن الكريم في الاستدلالات الايجاز ونوع الاستدلال عادة في القرآن القياس المضمر.

الموازين القرآنيّة

يعتقد الغزالي وتبعه صدر المتالهين أن الموازين المنطقيّة في القرآن على ثلاثة اقسام: ميزان التعادل، ميزان التلازم، ميزان التعاند.

والمقصود من ميزان التعادل هو القياس الاقتراني، الذي يقسم الى الشكل الأوّل والثاني والثالث والرابع، وإن كان لم يشيرا الى الشكل الرابع.

ورتبا(الغزالي والشيرازي) ميزان التعادل وعلى النحو الآتي:

الميزان الاكبر الشكل الأوّل.

الميزان الاوسط الشكل الثاني.

الميزان الاصغر: الشكل الثالث.

(١) راجع منطق المظفر: ٢٨٥، الجوهر النضيد: ١٩٠.

وأمّا القياس الاستثنائي أمّا اتصالي أو انفصالي، وكلا هذين القياسين يطلق على الاتصالي = ميزان التلازم، وعلى الانفصالي = ميزان التعاند.

وفي ضوء ذلك تكون عندنا خمس موازين يقول صدرا:

(و اعلم أنّ الموازين الواردة في القرآن في أصله ثلاثة: «ميزان التعادل» و «ميزان التلازم» و «ميزان التعاند». لكنّ الأوّل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأكبر، و الأوسط، و الأصغر؛ فيصير الموازين خمسة. فمن يعلم هذه الموازين الخمسة التي أنزلها اللهّ في كتابه المنزل على رسوله، فقد اهتدى؛ و من ضلّ عنها و عمل بالرأي، فقد غوى و تردّى[1]).

الميزان الاكبر

الميزان الاكبر أو الشكل الأوّل و هو ما كان الاوسط فيه محمولاً في الصغرى موضوعاً في الكبرى، وشروطه ايجاب الصغرى وكلية الكبرى.

واعتبر كلّ من الغزالي والشيرازي استدلال النبي ابراهيم عليه السلام من نوع الميزان الاكبر أو الشكل الأوّل:

فالأوّل، و هو الأكبر من التعادل، ميزان الخليل عليه السلام استعمله مع نمرود، و هو كما حكى اللهّ تعالى بقوله: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ إلى قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾[2].

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾[3]

نلاحظ ان نبي الله ابراهيم عليه السلام قام ببرهانين على ربوبية الله تعالى الأوّل:

١ـ الله قادر على احياء الاموات.

(١) المظاهر الإلهية في أسرار العلوم الكمالية : ١٢٩، ولاحظ ايضا: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ٩ :٣٠٠.
(٢) المظاهر الإلهية في أسرار العلوم الكمالية :١٢٩.
(٣) سورة الانعام، الآية:

٢_ وكل من كان قادراً على الاحياء والإماتة فهو رب حقيقي.

٣_ الله رب حقيقي.

والبرهان الثاني:

١_الله قادر على طلوع الشمس _مثلا_ من المشرق.

٢_ وكل من يقدر على طلوع الشمس فهو رب حقيقي.

٣_ الله رب حقيقي.

يقول صدرا:

الأول الميزان الأكبر و هو ميزان الخليلﷺالذي قد استعمله مع نمرود فمنه تعلمنا أخذ الميزان بواسطة القرآن و ذلك أن نمرود ادعى الألوهية و كان الإله عندهم بالاتفاق عبارة عن القادر على كل شيء فقال الخليلﷺالإله إلهي لأنه الذي يحيي و يميت و هو القادر عليه و أنت لا تقدر عليه فقال أنا أحيي و أميت يعني أنه يحيي النطفة بالوقاع و يميت الإنسان بالقتل فعلم إبراهيم أن ذلك يعسر عليه فهمه فعدل إلى ما هو أوضح عنده فقال إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر و قد أثنى الله تعالى عليه فقال ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ فعرف من هذا أن الحجة و البرهان في قول إبراهيم و ميزانه فنظرنا في كيفية وزنه كما نظرت في ميزان الذهب و الفضة فرأيت في حجته أصلين قد ازدوجا فيتولد منهما نتيجة هي المعرفة و القرآن مبناه على الحذف و الإيجاز و كمال صورة هذا الميزان أن يقول كل من يقدر على إطلاع الشمس فهو الإله فهذا أصل و إلهي هو القادر على الإطلاع هذا أصل آخر فيلزم من مجموعهما بالضرورة أن إلهي هو الإله دونك يا نمرود.

فانظر الآن هل يمكن أن يعترف بالأصلين معترف ثم يشك بالنتيجة أو هل يتصور أن يشك في هذين الأصلين شاك فالأول و هو كون الإله قادرا على كل شيء و إطلاع الشمس من جملتها معلوم بالوضع المتفق عليه و الثاني و هو قوله القادر على الإطلاع هو الله دونك

معلوم بالمشاهدة.

فإن قلت هذه المعرفة بالضرورة هاهنا إذ لا يمكن أن أشك في هذين الأصلين و لا في لزوم هذه النتيجة لكني لا تنفعني إلا في هذا الموضع و على الوجه الذي استعمله الخليل عليه السلام فكيف أزن بهما سائر المعارف التي يشكل علي و أحتاج إلى تمييز الحق فيها من الباطل.

قلنا من وزن الذهب بميزان صحيح يمكنه أن يزن به الفضة و سائر الجواهر لأن الميزان عرف صحته لا لأنه ذهب بل لأنه ذو مقدار و كذلك هذا الميزان كشف لنا عن هذه المعرفة لا لعينها بل لأنه حقيقة من الحقائق - فتأمّل أنه لزم النتيجة منه و تأخذ روحه و جرده عن هذا المثال الخاص حتى تنتفع به حيث أردت و إنما لزم لأن هذا الحكم على الصفة حكم على الموصوف بالضرورة فكذلك في كل مقام حصلت له معرفة بالصفة للشيء و حصلت معرفة أخرى بثبوت حكم لتلك الصفة فيتولد منهما معرفة ثالثة بثبوت الحكم على الموصوف بالضرورة فإن شككت فيه فخذ عياره بالصنجة المعروفة عندك كما تفعل في ميزان الذهب و الفضة.

فإن قلت فكيف آخذ عياره كما فعلت في ميزان الذهب و أين الصنجة المعروفة في هذا الفن[1].

وثمة نموذج آخر في هذا السياق:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾[2].

تتحدث هذه الآية عن صفات المنافق، فالمنافق له وجهان، كما أنه يفسد في الارض، ويبيع المنافقون الهدى بالضلالة، والنتيجة التي نأخذها من القرآن كريم في ضوء الميزان الاكبر انهم لم يربحوا في تجارتهم ولم يهتدوا:

١ـ المنافق يشتري الضلال بالهدى.

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ٩ : ٣٠٠ ، والمظاهر الالهية: ١٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦.

٢_ كل من يشتري الضلالة بالهدى لا يهتدي .

٣_ المنافق لا يهتدي.

ومثال آخر في هذا المجال قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

يستفاد من هذه الآية الكريمة أن الملائكة كانت تعلم بطبيعة الانسان من الافساد وسفك الدعاء في الارض، وعبر هذا الاستدلال نخلص بهذه النتيجة: من كانت هذه طبيعته لا يصلح للخلافة، والذي يصلح لذلك هو من يسبح لك ويقدسك، ولكن قال لهم الله تعالى: انكم لا تعلمون الحقائق وبهذا خطّأ استدلالهم، ونتيجة الاستدلال ان بعض الانسان غير صالح لذلك وهكذا يصاغ الدليل:

١_الانسان بطبعه يفسد في الارض ويسفك الدماء.

٢_ وكل من كان بالطبع يفسد في الارض و يسفك الدماء غير صالح ليكون خليفة الله تعالى.

٣_ اذن الانسان غير صالح لخلافة الله تعالى.

وأيضاً:

١_ نحن نسبح ونقدس لك.

٢_ وكل من كان يسبح ويقدس الله فهو صالح ان يكون خليفته.

٣_ اذن نحن صالحون للخلافة الله تعالى.

مثال آخر في هذا الاطار

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَـٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ۖ وَمَا

(١) البقرة، الآية : ٣٠ .

نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

١_رؤيا الملك اضغاث احلام.

٢_ ولا شيء من الاضغاث الاحلام نعلم به حتى نعبر عنه.

٣_ رؤيا الملك غير معلوم لنا حتى نعبر عنه.

ومن الممكن ان تكون مقدمات القياس الاقتراني شرطيات متصلة، وورد في القرآن الكريم في الميزان الاكبر مقدماته متصلة:

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾[2].

ثمة شرط في هذه الآية أي: إن تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي، وعليه هكذا صورة الاستدلال:

١_اذا اكل الشخص بطغيان فيحل عليه غضب الله تعالى.

٢_ واذا غضب الله على احد هلك.

٣_اذن الشخص الذي يطغى في الاكل يهلك.

الميزان الاوسط

يتشكل هذا الميزان من المشكل الثاني و هو ما كان الوسط فيه محمولاً في المقدمتين معا، فيكون الاصغر فيه موضوعاً في الصغرى و النتيجة، وشروطه اختلاف المقدمتين بالسلب والايجاب وكلية الكبرى.

واستعمل هذا النحو من القياس النبي ابراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٨١.

﴿أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧﴾[1].

وتشكيل القياس:

١_ القمر يأفل.

٢_ والاله لا يأفل.

٣_ اذن القمر ليس إلها.

ويمكن ان يصاغ هذا الدليل على اساس الميزان الاكبر:

١_ القمر يأفل.

٢_ ولا شيء من الافلين بإله.

٣_ القمر ليس إلها.

بينما عدّ الغزالي وصدرا هذا النحو من الاستدلال من الميزان الاوسط:

فاعلم أنه أيضا للخليل (صلى الله على نبينا وآله وعليه السلام) إذ قال لاٰ أُحِبُّ الْآفِلِينَ و كمال صورة هذا الميزان أن القمر آفل و الإله ليس بآفل فالقمر ليس بإلة و لكن القرآن مبناه على الإيجاز و الحذف و الإضمار أما حد هذا الميزان فهو أن كل شيئين وصف أحدهما بوصف يسلب عن الآخر فهما متباينان أي أحدهما مسلوب عن الآخر و كما أن حكم الميزان الأكبر أن الحكم على الأعم حكم على الأخص فحد هذا أن الذي ينفى عنه ما ثبت للآخر فهو مباين لذلك الآخر فالإله ينفى عنه الأفول و القمر يثبت له الأفول فهذا يوجب التباين بينهما[2].

ونلاحظ هذا النحو من الاستدلال في مواضع كثيرة مع النبي محمّد ﷺ على سبيل المثال:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ

(١) سورة الانعام، الآيتان: ٧٦_٧٧.

(٢) مفاتيح الغيب: ٣١٠.

﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾[1].

١_ انتم اليهود تعذبون.

٢_ابناء الله لا يعذبون.

٣_انتم اليهود والنصارى لستم ابناء الله.

فالمقدمة الاولى حسية والثانية تجريبية، وبناء على هذين الاصلين جاءت النتيجة نفي ان اليهود والنصارى ابناء الله.

مثال آخر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦﴾[2].

١_ لا شيء من اليهود يتمنى الموت.

٢_كل ولي لله يتمنى الموت.

٣_لاشيء من اليهود يوالي الله[3].

الميزان الاصغر

الميزان الاصغر أو الشكل الثالث، و هو ما كان الاوسط فيه موضوعاً في المقدمتين معا. فيكون الاكبر محمولاً في الكبرى و النتيجة معا، وشروطه ايجاب الصغرى وكلية احدى المقدمتين، ونتيجته دائما جزئية، وهذا النوع من الميزان استخدمه الرسول الاعظم محمّدﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾[4].

انكر اليهود رسالة النبي الاكرم محمدﷺ، وادّعوا ان الوحي لا ينزل على النبيّ

(١) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٦.

(٣) لاحظ: مفاتيح الغيب: ٣١٠_٣١١.

(٤) سورة الانعام، الآية: ٩١.

محمدﷺ؛ لأن الوحي لا ينزل على بشر، واجاب القرآن عن هذا بالميزان الاصغر أو الشكل الثالث بان هذه الزعم لا صحة له؛ وذلك لأن اليهود يعتبرون موسىﷺ نبياً، وان الله تعالى انزل عليه التوراة، وصيغة الدليل هكذا:

١_موسى بشر.

٢_ موسى نزل عليه الكتاب.

٣_ بعض من البشر ينزل عليهم الكتاب.

هذه الآية ترد عليهم من أن موسىﷺ بشر وهذا أمر محسوس، وهم يعتقدون ان التوراة نازلة عليه، وهذا امر مسلم عندهم، وعليه لا يمكن انكار نزول الوحي بنحو كلي، وان الله لا ينزله على بشر[1].

ميزان التلازم

ميزان التلازم أو القياس الاستثنائي هو اتصالي مؤلف من قضيتين احدهما متصلة ومقدمة، وهي اما وضع المقدم أو رفع التالي أو العكس و يعطي النتيجة في ظل شروط معينة مثال:

١_ اذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود.

٢_ الشمس طالعة.

٣_ اذن النهار موجود.

هذا الاستدلال مع وضع المقدم ينتج:

١_ كلما كانت الشمس طالعة فالنهار موجود.

٢_ ولكن النهار غير موجود.

٣_ اذن الشمس غير طالعة.

(١) لاحظ: مفاتيح الغيب: ٣١١.

وهذا الاستدلال عبر رفع التالي انتج.

مثال آخر في هذا السياق:

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

١_ لو كان هناك الهة لفسدت الارض والسماء.

٢_ لكن السماء والارض لم تفسدا.

٣_ اذن ليس هناك آلهة في السماء والارض.

وهذا النحو من البرهان طبق قاعدة نفي التالي.

مثال آخر:

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩﴾[2].

١_ لو كان هناك آلهة لم تكن هناك نار.

٢_ ولكن هناك نار.

٣_ اذن ليس هناك آلهة.

هذا البرهان ينتج من رفع التالي.

يقول صدرا في حدّ هذا الميزان:

(و أما حد هذا الميزان فإن كل ما هو لازم للشيء تابع له في كل حال فنفي اللازم بالضرورة يوجب نفي الملزوم و وجود الملزوم بالضرورة يوجب وجود اللازم أما نفي الملزوم و وجود اللازم فلا نتيجة لها و كذا وجود اللازم و وجود الملزوم فكذلك لا نتيجة لها بل هو من موازين الشيطان[3]).

(١) سورة الانبياء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الانبياء، الآية: ٩٨.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣١٢.

مثال آخر:

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾[1].

١ـ اذا كان قميص يوسف قُدّ من دبر فهو صادق وزليخا من الكاذبين.

٢ـ قميص يوسف قُدّ من دبر.

٣ـاذن يوسف صادق وزليخا كاذبة.

في هذا القياس اخذنا النتيجة من وضع المقدم.

ميزان التعاند

ميزان التعاند أو القياس الاستثنائي الانفصالي وهو يتألف من مقدمة منفصلة ومقدمة أُخرى، وهذه المنفصلة إما حقيقية أو مانعة جمع أو مانعة خلو[2].

فلنأخذ مثالا قرآنيا:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾[3].

١ـ اذا كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

٢ـ ولكن ليس فيه اختلاف.

٣ـ اذن ما لم يكن هكذا فلم يكن من عند غير الله.

ويرى الغزالي والشيرازي:

و الخامس في ميزان التعاند أما موضعه من القرآن فهو في قوله تعالى تعليما لنبيه ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ فإنه لم يذكر قوله ﴿ إِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ في

(١) سورة يوسف، اللايتان: ٢٧_٢٨.

(٢) كل واحدة من هذه القضايا لها حكم في حالة السلب وفي حالة الايجاب وللتعرف على تفاصيل ذلك يمكن مراجعة كتاب المنطق للشيخ المظفر: ١٨٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.

معرض التسوية و التشكيك بل فيه إضمار أصل آخر و هو أنما لسنا على ضلال في قولنا قل من يرزقكم من السماء بإنزال الماء و من الأرض بإنبات النبات فإذا أنتم ضالون بإنكار ذلك و كمال صورة هذا الميزان و إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين هذا أصل.

ثم نقول و معلوم أنا لسنا في ضلال و هذا أصل آخر فيعلم من ازدواجها نتيجة ضرورية و هي أنكم في ضلال مبين[١].

وتشكيل القياس بهذه الصورة:

١_انّا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين.

٢_انّا لسنا في ضلال مبين.

٣_ انتم في ضلال مبين[٢].

وهنا يذكر الشيرازي :

و أما عياره من الصنجات المعروفة و هو أن زيدا دخل دارا ليس فيها اثنان ثم دخلها أحد فلم يره فيعلم ضرورة أنه في البيت الثاني و أما حد هذا الميزان فهو أن كل ما انحصر في قسمين فيلزم من ثبوت أحدهما نفي الآخر[٣].

ويتضح من هذه العبارة لصدرا من ان ميزان التعاند يتألف من منفصلة حقيقية، وصح تطبيق الآية على المنفصلة الحقيقية؛ لأن الضلالة وعدم الهداية لا يمكن الجمع بين الهداية والضلالة ولا كما لا يمكن رفعهما.

فما ذهب اليه الغزالي والشيرازي من ان جملة: (لَعَلىٰ هُدىً) لا دخل لها في الاستنتاج فيه نظر فمن المناسب ادخالها في الاستنتاج، لوجود قرينة في صدر الآية فالنبيّ ﷺ لغرض الهداية قال ذلك وان الله هو الهادي قال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لهذا

(١) مفاتيح الغيب: ٣١٢

(٢) لاحظ: القسطاس المستقيم(للغزالي): ٦٥_٦٦، ومفاتيح الغيب: ٣١٢_٣١٣.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣١٢_٣١٣.

السبب تكون الهدية منه والكفار انكروا ان يكون الرزق من الله فمن السماء والارض فلا هداية والنبيﷺ بتعليم الله ليس في ضلال مبين والمشركون لا يؤمنون بذلك وزعموا أنه في ضلال مبين، وبناء على هذا البيان في الآية نحوان من ميزان التعاند:

١_إنا أو إياكم لعلى هدى.

٢_ لكن انا على هدى.

٣_فليس اياكم على هدى.

وعلى هذا البرهان ان المشركين ليسوا على هداية، ولكن هل هم في ظلال مبين ام لا؟

وأيضاً يستفاد من قرينة صدر الآية وتشكيل القياس بنحو التالي:

١_انا أو اياكم في ضلال مبين.

٢_انا لسنا على ضلال مبين.

٣_فاياكم في ضلال مبين.

وعلى هذا التقرير ميزان التعاند من نوع القضية الحقيقية ففي التعاند الأوّل يعطي النتيجة من وضع تأليفها، وهي: أن المشركين في ضلال مبين، والتعاند الثاني يعطي النتيجة بعد الرفع ، وهي: أن المشركين في ضلال مبين.

وأمّا على ما ظنه الغزالي وتبعه الشيرازي في ظنه أن التعاند نحو من القضية الحقيقية ولكن برفع احد اطرافها تحصل النتيجة.

مثال على مانعة الجمع

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[1].

(١) سورة التوبة، الاية: ١٠٩.

وتشكيل هذا القياس:

١_الشحص الذي اسس بنيانه على التقوى الله خير أم الشخص الذي اسس بنيانه على جرف هار.

٢_ الشحص الذي اسس بنيانه على التقوى الله خير.

٣_ اذن الشخص الذي اسس بنيانه على غير تقوى الله ليس خيرا.

تطرح هذه الآية سؤالا بنحو القضية المنفصلة، ومن الواضح ان الشخص الذي اسس بنيانه على التقوى الله خير، ويعلم منه أن الاشخاص على غير ذلك فانهم ليسوا على خير، ولذا جاء في ذيل الآية: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

القياس المركب

يقسم في المنطق القياس الى بسيط ومركب، والمراد بالبسيط ما كان مركباً من مقدمتين ونتيجة مثل:

١_ العالم متغير.

٢_كل متغير حادث.

٣_اذن العالم حادث.

والمقصود من القياس المركب : ما تألف من قياسين فأكثر لتحصيل مطلوب واحد.

و ينقسم القياس المركب الى موصول و مفصول:

١ – (الموصول)، و هو الذي لا تطوى فيه النتائج؛ بل تذكر مرة نتيجة لقياس و مرة مقدمة لقياس آخر، كقولك:

أ – كل شاعر حساس ب – و كل حساس يتألم

.. كل شاعر يتألم.

ثم تأخذ هذه النتيجة فتجعلها مقدمة لقياس آخر لينتج المطلوب الاصلي الذي سقت

لاجله القياس المتقدم، فنقول:

أ – كل شاعر يتألم ب – و كل من يتألم قوي العاطفة

.. كل شاعر قوي العاطفة.

٢ – (المفصول)، و هو الذي فصلت عنه النتائج و طويت فلم تذكركما تقول في المثال المتقدم:

أ –كل شاعر حساس.

ب –و كل حساس يتألم.

ج –و كل من يتألم قوي العاطفة.

..كل شاعر قوي العاطفة.

و هذه عين النتيجة السابقة في الموصول[١].

مثال على القياس المركب في القرآن:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[٢].

تريد هذه الآية ان تأخذ نتيجة الآتية وهي أن النبي عيسى عليه السلام مخلوق، ولكن في مورد آخر قول النبي عيسى عليه السلام من انه اله أو امه قال تعالى يخاطبه:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾[٣].

(١) لاحظ منطق المظفر: ١٩٠.

(٢) سورة المائدة، الاية١٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٦

وتشكيل القياس بالصورة الآتية :

١_كل ما اقوله فان الله يعلم به.

٢_اذا قلنا اتخذونا إلهين انا وامي فان الله يعلمه.

٣_ وكذا امر لا يعلمه الله بأني قلته.

٤_ اذن هذا القول لم اقله.

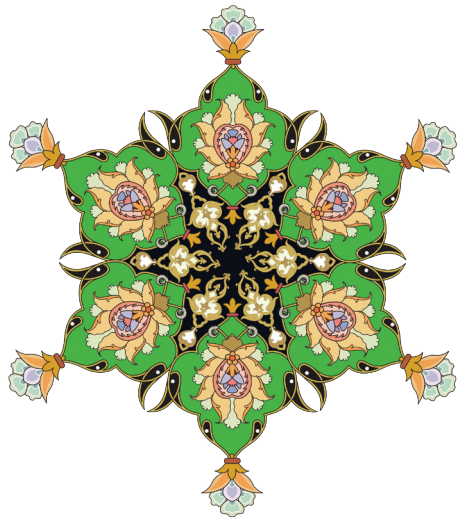

المراجع و المصادر

١. الاشارات والتنبيهات مع الشرح، ابن سينا ابو علي، نشر كتاب،١٤٠٣هـ.

٢. المنطق، المظفر محمد رضا، النجف الاشرف، مطبعة النعمان، ١٣٨٨هـ.

٣. الجوهر النضيد،الحلي يوسف، قم انتشارات بيدار، ١٣٦٣.

٤. رسالة التصور والتصديق، الشيرازي صدر الدين محمد،(منشورة مع الجوهر النضيد).

٥. مفاتيح الغيب، تصحيح محمد خواجوي، طهران، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي.

٦. شرح اصول الكافي، تصحيح محمد خواجوي، طهران، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي.

٧. الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة، بيروت دار احياء التراثالعربي، ١٩٨١م.

٨. المظاهر الالهية في اسرار العلوم الكمالية، تصحيح السيد محمد الخامنئي، طهران، بنياد حكمت اسلامي صدرا،٢٠٠٠م.

٩. الغزالي ابو حامد، القسطاس المستقيم، بيروت دار المشرق، ١٩٩١م.

المخطوطات القرآنية والمصاحف
في
خزانة مخطوطات مسجد الكوفة

أمير كريم الصّائغ
مسجد الكوفة المعظم

Qur'anic manuscripts and copies of the Qur'an in a
The treasury of manuscripts of the Kufa Mosque

Amir Karim Al-Sayegh
Email: am_e2005@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله ذي القدرة القاهرة والعزة الباهرة والنعم الظاهرة والآلاء الوافرة نحمده على ما أولاه إلينا من ألطافه الغامرة ونشكره على سوابغ فواضله الغابرة ونسأله خير الزاد في الآخرة والصلاة على أشرف النفوس الطاهرة محمّد المصطفى وعترته الأنجم الزاهرة وسلّم تسليما.

أما بعد.

فتعد المخطوطات إحدى مصادر الموروث المعرفي الذي خلفه رجالات الفكر على مدى قرون في مختلف العلوم والذي نال نصيباً كبيراً من محاولات دثر وطمس واهمال؛ لما لها من دور في اظهار اصالة الفكر فإن العناية بهذا التراث اصبح امراً ملحاً يتطلب جهداً علمياً وعملياً واهتماماً خاصاً بعد نجاتها من كل التحديات والمخاطر التي تعرّض لها المخطوط على مر العصور؛ لذلك عملت أمانة المسجد المعظم على المساهمة في احيائها عن طريق حفظها ونشرها لتتفاعل مع ثمرات الفكر وتشارك في ازدهار الثقافة من خلال تأسيس خزانة مخطوطات لتكون نواة اشتراك معرفي زاهر.

الكلمات المفتاحية : القرآن ، المخطوطات ، المصاحف ، مسجد الكوفة .

تأسيس خزانة المخطوطات:

تعد خزانة المخطوطات من الوحدات المهمة التابعة إلى قسم الشؤون الفكرية والثقافية في أمانة مسجد الكوفة التي أسست في نهاية عام: ٢٠١١م وكانت البذرة الأولى شراء عدد قليل من المخطوطات مع أخرى تم إهداؤها إلى الأمانة والاقتصار على حفظها فقط ومن ثم بدأ العدد بتزايد مستمر فعملت الأمانة على شراء المخطوطات التي تعرض عليها ومن ثم قامت بالشروع بفهرسة المخطوطات وتصويرها ومعالجتها الكترونياً على يد كادر متخصص تم تدريبه بأكثر من دورة متخصصة ولا سيما دورة الحفظ الوقائي التي نظمتها وزارة الثقافة العراقية بالتعاون مع منظمة اليونسكو الدولية.

وقد بلغ عددها اليوم: (٦٣٦) مخطوطاً نشرت معلوماتها بعد الفهرسة بشكل مختصر في العدد الثالث والخامس والسادس والسابع من مجلة حولية الكوفة التي تصدر عن أمانة مسجد الكوفة المعظم وسيصدر قريباً كتاب: (فهرس مخطوطات خزانة مسجد الكوفة) يحتوي على كافة محتويات الخزانة من الكتب الخطية مبينة بشكل تفصيلي من حيث الوصف البياني والمحتوى العلمي.

اضافة إلى أكثر من (١٢٠٠٠) عنوان مخطوط مصور جمع بالتواصل والتعاون مع عدد من المراكز المتخصصة وهذا العدد بتزايد مستمر وقد جمعت الخزانة مختلف الاختصاصات كالفقه والأخلاق والطب والكيمياء والفلسفة وعلوم القرآن والحديث والعقائد والدعاء والفلك والأدب وبلغات مختلفة كالعربية والفارسية والتركية.

آلية العمل الخاصة بالكتب الخطية:

كما ذكرنا إن المرحلة الأولى كانت شراء وحفظ المخطوطات فقط وبعد تدريب الكادر العامل في الخزانة وزيادة عدد الكتب الخطية تطور العمل ليصبح بوتيرة متنامية أخرى تمثلت بالمراحل الآتية:

١. حفظ وصيانة المخطوط وقائياً من خلال متابعة المخطوط وحمايتها من العوامل التي

يمكن إن تؤدي الى تلفه من ظروف محيطة مثل الاختلافات بدرجات الحرارة والرطوبة وكذلك العوامل التي تسبب تلفاً فيزيائياً كوجود الحشرات والقوارض وغيرها.

٢.عمل فهرسة مختصرة لكل مخطوط تحتوي على: اسم المخطوط واسم المؤلف واسم الناسخ ومكان النسخ والموضوع واللغة وعدد الصفحات وعدد الأسطر وقياسات الصفحة ونوع الخط وحالته وحالة الورق وحالة المخطوط هل هو كامل أو ناقص وكذلك اتجاه النقص وأيضاً معرفة ما عليها من حواش ورسوم وزخارف لغرض سهولة معرفة ما يحتويه.

٣.ترقيم صفحات المخطوط يدوياً للحفاظ على تسلسلها عند التصوير.

٤.تصوير الكتاب المخطوط بالكامل.

٥.عمل مقابلة بين المخطوط الذي تم تصويره مع الأصل للتأكد من دقة التصوير.

٦.القيام بعملية المعالجة لصورة المخطوط الكترونياً لإزالة ما على الصفحة من شوائب وتوحيد قياساتها.

٧.ارسال الكتب التي تم تصويرها إلى الحفظ بعد أن أصبحت مهيأة لتزويد الباحث بها عند طلب.

آلية طلب الكتب الخطية:

فيما يخص الكتب الخطية وضعت آلية خاصة لتزويد الباحثين بالمخطوط المطلوب من خلال ملء استمارة فيها اسم الباحث أو المحقق واسم المخطوط المطلوب والغرض من هذا الطلب لمعرفة ما إذا كان في النية تحقيق الكتاب؛ فبهذه الحالة تحجب عن المحققين الآخرين لمدة لا تتجاوز أربعة أشهر وبعد هذه المدة إذا لم يخبر المحقق عن من شروعه بتحقيقها فيكون المخطوط متاحاً لبقية المحققين.

كتب خطية تحت موضوع علوم القرآن:

تحتوي خزانة مخطوطات المسجد المعظم على عدد: (٥٩) عنوان خطي ورقي حي حفظ تحت موضوع: علوم القرآن الكريم سواء كان مصحف أو كتاب متخصص بالدراسات القرآنية وهذا العدد يسير مقارنة بما حفل به التاريخ الإسلامي من عطاء معرفي زاخر في جميع المجالات المعرفية؛ وبما اننا الآن عند واحة متخصصة في مجال علوم القرآن الكريم سنذكر ما موجود في خزانة المخطوطات من كتب خطية بهذا المجال مع تعريف بشكل مفصل كما هو مبين في فقرة: المخطوطات القرآنية والمصاحف في خزانة مخطوطات مسجد الكوفة.

المخطوطات القرآنية والمصاحف في خزانة مخطوطات مسجد الكوفة:

قسم هذا الفهرس إلى أربعة أقسام وهي على الآتي: القسم الأول الفهرس الوصفي يذكر في هذا القسم وصف الكتب الخطية الموجودة داخل الخزانة وحفظت تحت عنوان علوم القرآن وبشكل وصفي تفصيلي متسلسل حسب التسلسل العام الذي ثبت من قبل الخزانة على كل مجلد.

أما القسم الثاني: الفهرس الألف بائي للعناوين ويذكر في هذا القسم عناوين الكتب الخطية الموجودة داخل الخزانة وموضوعها علوم القرآن الكريم مع ذكر التسلسل العام وهذا القسم مرتب حسب التسلسل الألف بائي.

وأما القسم الثالث هو: الفهرس الألف بائي للمؤلفين ويذكر في هذا القسم أسماء مؤلفي الكتب الخطية الموجودة داخل الخزانة وموضوعها علوم القرآن الكريم مع ذكر التسلسل العام وهي مرتبة حسب التسلسل الألف بائي.

أما القسم الرابع والأخير هو: الفهرس الألف بائي للناسخين ويذكر في هذا القسم اسم ناسخ كل عنوان خطي موجود داخل الخزانة وموضوعه علوم القرآن مع ذكر التسلسل العام وهو مرتب حسب التسلسل الألف بائي.

ومن ثم وضعت قائمة للمصادر والمراجع تحتوي على الكتب التي تم استعمالها كمصدر للكشف عن الكتاب المخطوط خلال عمل الفهرسة الوصفية ومن ثم نظم دليل خاص بالموضوعات التي تم تناولها؛ ليسهل الوصول إلى محتويات الكتاب.

القسم الأول: الفهرس الوصفي

القرآن الكريم.

التسلسل العام: ١ التسلسل المخزني: ١/ ١/ ١ اللغة: عربي الصفحات: ٤٣٥ الأسطر: ١٨ الموضوع: علوم القرآن القياس: ٦×٤سم الناسخ: علي الشيرازي سنة النسخ: ١٢٤٠هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر نوع الغلاف: جلد وكارتون ومزوّق التملكات: ختم غير واضح في حاشية الغلاف.

أوله: سورة الفاتحة.

آخره: سورة الناس.

الملاحظات: مصحف قاجاري غلافه مزوّق ومزخرف وبألوان متعددة مؤطر بثلاثة إطارات الغلاف من الأعلى مؤطر بإطار كتب بداخله لوحة لحديث النبي ﷺ في فضل القرآن الكريم وهذا التزويق عموماً يسمى بـ(اللاكي) وداخل هذا الإطار لوحة رُسمت بداخلها زخرفة نباتية على شكل وردة ملونة بألوان عدة وعلى شكل شجرة واقفة عليها العصافير تغرد وهي ممازجة بين الزخرفة النباتية والحيوانية وباطن الغلاف مؤطر بإطار ذهبي وبداخله طرر نباتية أما الصفحة الأولى والثانية المقدمة أي صفحة فاتحة الكتاب محيطها مزخرف بزخرفة نباتية جميلة جداً وبألوان الذهبي والأحمر والأخضر وغيرها من الالوان المختلفة والصفحتان أيضاً مؤطرتان بإطارات متداخلة الأول باللون الأخضر ثم الأسود ثم الذهبي ثم الأحمر وبداخل الإطار ثلاثة طرر زخرفية الأعلى، والأسفل طرتان على شكل الكمثرى كُتب عليها: دعاء قبل تلاوة القرآن والأسفل: همي وغمي

وهي مكملة للطرة الوسطية التي رُسمت على شكل مسدس كُتب بداخلها: (اللهم بالحق انزلته..) في زوايا الإطارات الأربعة زخرفة نباتية وبألوان عدة والصفحة الثانية عليها طرر ثلاث أخرى كُتب بداخلها تكملة الدعاء.. أما الصفحة الأولى للمصحف: فاتحة الكتاب والصفحة الثانية سورة البقرة مزخرفتان ومؤطرتان بزخرفة عالية في الدقة وغاية في الجمال كُتب في وسطها عناوين السور وعدد آياتها وفي أسفل الصفحة: الفاتحة كُتب داخل إطار:﴿ إِنَّه لقرآن كريم. فِي كِتَابٍ مَكْنُون ﴾وفي الصفحة الثانية:﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ ﴾أسفل الصفحتين الزخرفة متأثرة قليلاً بمسح بعض الوانها صفحات المصحف كلها مؤطرة بإطارين أسود وذهبي إلا الصفحتين الثالثة والرابعة فإنهما مزخرفتان زخرفة نباتية أما عناوين السور كُتبت باللون الأحمر داخل إطار مستطيل مزخرف ومذهب ورُسمت طرر كمثرية الشكل على حواشي المصحف تُمثل أقسام المصحف من الأجزاء والأحزاب ومزخرفة ومذهبة كُتب بداخلها كلمات: أنصاف الأجزاء وأرباعه والأحزاب وغيرها واستخدم طريقة التعقيبة للتعريف بتسلسل صفحات المصحف وأما مادية الكتاب من الورق والحبر بانواع جيّدة جداً وصالحة فوأصل الآيات رُسمت باللون الذهبي دائرية الشكل وبعض الصفحات الأخيرة عليها أثر الرخاوة في الورق والجهة الأخرى من الغلاف تحمل نفس مواصفات جهة الغلاف الأولى؛ المصحف آية من آيات الجمال في الزخرفة والتجليد.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي).

المؤلف: عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت٦٨٥هـ).

التسلسل العام: ٢٧ التسلسل المخزني: ١٥/ ١/ ١ الموضوع: علوم القرآن اللغة: عربي الجزء: ٢ الصفحات: ١٩٩ الأسطر: ٣١ القياس: ١٧,٣×١١,٤سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: وعمارته بالمعرفة والإخلاص والسقف المرفوع..

آخره: من قرأ المعوذتين فكأنّما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى.

ملاحظات عامة: والمسمّى أيضاً بتفسير البيضاوي وأوراق المخطوط كلّه مؤطرة بإطار أسود وذهبي يكتب الآية المراد شرحها بالأحمر والشرح بالأسود والأوراق متأثرة جداً بالرطوبة مما أثر على سيل الحبر مع تكسّر وتمزّق أغلب الأوراق؛ لذا فإنّ المخطوط يحتاج إلى صيانة مختبرية مع ترميم الأوراق والتجليد.

المخطوط: مطبوع.

سور من القرآن الكريم.

التسلسل العام: ٥٧ التسلسل المخزني: ١٢٩/ ٤/ ١ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ١٤٠ الأسطر: ٩ القياس: ٩, ١٥×٢, ١٠ سنة النسخ: ١١٦٧هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّدة لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: ناقص اتجاه النقص: البداية نوع الغلاف: جلد وكارتون التملكات: عليه ختم تملك أزرق في الصفحة الأخيرة.

أوله: سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم..

آخره: يا مجيب السائلين وآمنت بالله العظيم والحمد لله رب العالمين.

ملاحظات عامة: وهي عبارة عن مجموعة سور تبدأ من الآية الثالثة عشرة من سورة الأنعام ثم سورة يس ثم الدخان ثم الفتح ثم الرحمن ثم الواقعة ثم الملك وأوراق المخطوط مؤطرة بإطار أخضر وأسود العلامات الاعرابية والقراءة باللون الأحمر فوأصل الآيات عبارة عن دائرة باللون الأخضر عناوين السور كُتبت باللون الأحمر وبعد انتهاء السورة يأتي دعاء يُقرأ بعد قرآءة القرآن والنسخة متأثرة جداً بالرطوبة مع وجود بقع وبُقع حامضية وغيرها لذا فإنها تحتاج إلى صيانة مختبرية مع ترميم وصيانة أوراقها مع تجليدها.

تفسير سورة يوسف.

المؤلف: معين الدين محمد بن شرف الدين محمد الفراهي (ت٩٠٧هـ).

التسلسل العام: ٥٩ التسلسل المخزني: ٣٨٨/ ٣/ ٣ اللغة: فارسي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٥٠٦ الأسطر: ٢٥ القياس: ٦, ٢٥×٥, ١٦سم الناسخ: إسماعيل بن حامد سنة النسخ: ١٠٥٣هـ نوع الخط: نسخ تعليق حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بعد البسملة ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيّئ لنا..

آخره: وسلامه على نبينا وعلى جميع الانبياء والمرسلين.

ملاحظات عامة: وهو مخطوط في تفسير سورة يوسف مرتب على ديباجة ومقدمة ثم يبدأ بالشرح آية آية العناوين الرئيسية والفرعية كُتبت بالأحمر وقد أُعلمت بدايات المطالب المشروحة باللون الأحمر وقد جاءت منهجية المؤلف على وجود مصطلحات عدة في الكتاب: (منها لطيفة إشارة تقريب) وقد ثبت المؤلف شعراً خاصاً به في كثير من المواضع والنسخة خزائنية ونفيسة ومعرضية؛ لانها كتبت على نسخة المؤلف في خزانته كما ثُبت ذلك في خاتمة الكتاب والنسخة تعرضت وتأثرت بالرطوبة وحشرة الأرضة فضلاً عن تمزق أوراقها وكان ترميمها ترميماً غير صحيح.

المخطوط: غير مطبوع.

المصادر: الذريعة: ٣/ ٣٧ و٤/ ٣٤٥ معجم المؤلفين: ١١/ ١٢٣.

خلاصة منهج الصادقين في إلزام المخالفين.

المؤلف: فتح الله بن شكر الله الكاشاني (ت٩٨٨هـ).

التسلسل العام: ٦٨ التسلسل المخزني: ٥٢/ ٢/ ١ اللغة: فارسي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٥٩١ الأسطر: ٢٠ القياس: ٧, ٢٤×٢, ١٧سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: متضرر لون الحبر: أسود حالة المخطوط: كامل

نوع الغلاف: جلد مدعم بالكارتون التملكات: محمد باقي.

أوله: بعد البسملة حمد جون كلمات رباني بيغايت شايتة..

آخره: بس توكواهى مده باشيان يعنى تصل بونكن.

ملاحظات عامة: وهو مختصر تفسير منهج الصادقين للمؤلف نفسه وهو يحتوي على تفسير لآيات القرآن الكريم بأسلوب مختصر بعد أن اختصر من أصل القصص والآثار الأخرى ومرتب على ديباجة ومقدمة ثم يدخل لتفسير السور مبتدءًا بسورة الفاتحة وعناوين السور كُتبت بالأحمر وبعض الآيات أُعلمت بخطوط حمراء يبدأ بسورة الفاتحة وينتهي بالآية الخامسة عشرة من سورة الأنعام والمخطوط تعرض للرطوبة اذ لوحظ ذلك على أوراقها بعد أنّ سال الحبر عليها فضلاً عن تلاصق بعض الأوراق فيما بينها بسبب نسبة الرطوبة العالية؛ لذلك فإنها تحتاج إلى صيانة مختبرية مع صيانة وترميم الأوراق مع التجليد والنسخة نفيسة وقد ترقى للقرن الثاني عشر لوجود تاريخ ولادة احد الاشخاص سنه: ١١٨١هـ.

المخطوط: طبع اكثر من مرة.

المصادر: الذريعة: ٧/ ٢٣٣.

آيات من سور القرآن الكريم.

التسلسل العام: ٧٥ التسلسل المخزني: ٥٩/ ٢/ ١ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٨ الأسطر: ١٨ القياس: ٥ , ٢٤×٣, ١٨سم نوع الخط: ثلث حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: متضرر لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد.

أوله: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾

آخره: ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾

ملاحظات عامة: وهي آيات من أربع سور في القرآن يبدأ بالآية ١٤٦-١٥٩ من سورة

الأنعام ثم الآية ٥٢-٦٩ من سورة التوبة ثم الآية ٨٩-١١٨ من سورة الأعراف ثم الآية ٧-٣٠ من سورة النحل والظاهر إنها ورقات من مصحف كُتب بخط الثلث وقد يعود للقرن السابع والثامن الهجري فوأصل الآيات على شكل طُرر صغيرة رُسمت بالأصفر وهناك طُرر أخرى رُسمت على حاشية المخطوط منها على شكل دائري وأخرى كمثري وقد رُسمت باللون الأصفر ومؤطرة بالأسود وبداخلها نقاط ملونة بالأحمر والأخضر ومختصرات الاجزاء والاحزاب كُتبت باللون الأحمر في حاشية المخطوط وهناك بعض الصفحات فيها نقص في بعض الكلمات أتمّها بكتابة جديدة المخطوط من الناحية المادية متأثر جداً بالرطوبة وتم ترميم بعض صفحاته.

زبدة البيان في تفسير آيات أحكام القرآن.

المؤلف: أحمد بن محمد المقدس الأردبيلي (ت٩٩٣هـ).

التسلسل العام: ٧٨ التسلسل المخزني: ٥٤/ ٢/ ١ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٦١٠ الأسطر: ٢٦ القياس: ٢٥×١٣,٢سم الناسخ: عبد الرضا بن حسين علي سياحي نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد مدعم بالكارتون ومزخرف التملكات: عبد الله بن حاج محمد رضا مع ختم المقابلات: عليه مقابلة التصحيحات: عليه بعض التصحيحات وعليه أيضاً تعليقات (منه) وكذلك مأخوذة من الفيض الكاشاني (فيض) والسيد نعمة الله الجزائري (نعمة الله) ومحمد مد ظله وعن مجمع البيان.

أوله: بعد البسملة والحمد لله أما بعد اعلم أنّ هنا فوايد..

آخره: ايضاً لا يبعد التعميم لفهم العلة فيستخرج الباقي فتأمل.

ملاحظات عامة: كتاب في تفسير الآيات الخاصة بالأحكام في القرآن الكريم اذ يُعد من الكتب المهمة في إيضاح معاني الأحكام في هذه الآيات مُرتب على مقدمة وكتب يبدأ بكتاب الطهارة وينتهي بكتاب القضاء والشهادات غلافه مزخرف غاشية الصفحة الأولى

عليه تملك وبعض الفوائد والعناوين كُتبت بالأحمر الآيات أُعلمت بخطوط حمراء فوقها بداية الاحاديث ايضاً أُعلمت بالأحمر بعض التصحيحات والاضافات كتبت بالأحمر في حاشية المخطوط وهو بحالة جيّدة وسليم تعرض بعض صفحاته لبقع ولكع دهنية وغيرها لذا فإنها تحتاج إلى صيانة ومعالجة مختبرية الصفحة الأخيرة عليها بقعة حبرية سوداء أَخفت من خلالها اسماً أو تاريخاً كما في غاشية الصفحة الأولى أيضاً والمخطوط يرقي إلى القرن الحادي عشر.

المخطوط: مطبوع ومحقق.

زبدة البيان في تفسير آيات أحكام القرآن.

المؤلف: أحمد بن محمد المقدس الأردبيلي (ت٩٩٣هـ).

التسلسل العام: ٨٤ التسلسل المخزني: ٧٢/ ٣/ ١ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٥٩٦ الأسطر: ١٧ القياس: ٤ , ٣٠×١٨,٣سم الناسخ: علي بن زين الدين أويس القرني سنة النسخ: ١٠٦٢هـ حالة الورق: متضرر لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون التملكات: محمد رضا بن ملا جوهر سنة: ١١٠٢هـ وأيضاً: محمد مهدي سنة ١١٤١هـ وايضاً: محمد رضا سنة: ١١٢٥هـ التصحيحات والتعليقات: عليه تصحيحات وتعليقات متعدة منها من المؤلف (منه) بعد مقابلتها بنسخة مقروءة على المؤلف ومنها تصحيحات مأخوذة من مصادر مختلفة مثل مجمع البيان وكنز العرفان وكنز اللغة وغيرها ومنها من المُختبر الذي أشار إلى نفسه بإنه الحلي كما في صفحة: ٥٢٢ من المخطوط المقابلات: مقابلة مع نسخة مقروءة جيّدة على مؤلفه الوقفيات: حاجي ملا علي محمد طهراني سنة: ١٢٥١هـ.

أوله: بعد البسملة اعلم أنّ هنا فايدة لابد قبل الشروع..

آخره: لا يبعد التعميم لفهم العلة فيستخرج الباقي فتأمل.

ملاحظات عامة: وهو من الكتب المشهورة لدى الشيعة الإمامية في كيفية تفسير آيات

الأحكام الشرعية وقد اهتم به علماء الشيعة جلَّ اهتمام حتّى جاءت شروحات عدة عليه لذلك يُعد من أجلّ كتب الأحكام والمخطوط مرتب على مقدمة وهي فائدة يضعها المؤلف وهي إنه لا يجوز تفسير القرآن بغير نص أو أثر فيبدأ المؤلف بتحليل هذه المقولة ثم يبدأ بكتاب الطهارة والمخطوط يبدأ بكتاب الطهارة ومنتهياً بكتاب القضاء الصفحة الأولى من عموم المخطوط عليها فائدة عن النبيﷺوعليها تملك باسم: محمد رضا وكُتبت في أعلاها كلمة: (باكبيكج) وهو حرز عند أهل الروحانيات لحفظ الكتاب ويطول شرحه هنا وغاشية الصفحة الأولى من الكتاب أي: الورقة الاستهلالية عليها التملكات مع الأختام والوقفية وعناوين الكتاب خطت بالأحمر وبداية كل مطلب أُعلم باللون الأحمر وعناوين السور وبعض الفوائد من بدايات المطالب كُتبت بالأحمر في حاشية الكتاب استخدم الناس طريقة التعقيبة في كتابة النسخة والمخطوط متأثر جداً بالرطوبة مما أثّر تأثيراً كبيراً على ورقاته بتعفن تلك الورقات لذا فإنها تحتاج إلى صيانة مختبرية.

المخطوط: مطبوع ومحقق.

تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب.

المؤلف: محمد بن محمد رضا بن إسماعيل المشهدي القمي.

التسلسل العام: ١٢٨ التسلسل المخزني: ٢٢٢/ ٢/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الجزء: ٤ الصفحات: ٢٥٣ الأسطر: ٢١ القياس: ٢٤×١٩سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أبيض حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه حواش نوع الغلاف: جلد مدعم بالكارتون ومزخرف التصحيحات: عليه تصحيحات (صح) وتعليقات عدة منها: مجمع البيان البيضاوي المقابلات: عليه مقابلة وذلك لكثرة وجود التعليقات عليه ووقعت (خ ل).

أوله: بعد البسملة الحمد لله رب العالمين أمّا بعد فيقول الفقير إلى..

آخره: ويجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين.

ملاحظات عامة: وهو الجزء الرابع من هذا التفسير ويبدأ بسورة يس وقد قام منهجه عن طريقة الرواية والشرح العام اسم الكتاب وجزؤه مكتوب في أعلى الصفحة الأولى بالأزرق العناوين الرئيسية والفرعية والآيات القرآنية كتبت بالأحمر إلا أن عليها ترميماً سابقاً مع وجود بعض البقع الدهنية والحبرية.

المخطوط: مطبوع.

المصادر: هدية العارفين: ٢/ ٣٠٤ إيضاح المكنون: ٢/ ٣٨٥ الذريعة: ١٨/ ١٥٣ فهرس التراث: ٢/ ٤٦.

الصافي في تفسير القرآن.

المؤلف: محمد بن مرتضى بن محسن الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ).

التسلسل العام: ١٣٥ التسلسل المخزني: ٦٤/ ٢/ ١ الموضوع: علوم القرآن اللغة: عربي الجزء: ٢ الصفحات: ٤١٥ الأسطر: ٢٥ القياس: ٩, ٢٣×١٨, ٢سم الناسخ: محمد موسى بن جعفر الحسيني التوني سنة النسخ: ١١٢٢هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد مدعم بالكارتون التصحيحات: عليه تصحيحات الوقفيات: عليه وقفية في مقدمة الكتاب بأسم: غياث الله ابو طالب خواني سنة: ١١٤٥هـ.

أوله: بعد البسملة والاستعانة سورة الكهف وهي مائة وعشر..

آخره: وسبق بسبب نزول السورة وثواب تلاوتها في تفسير أختها.

ملاحظات عامة: وهو الجزء الثاني والثالث من الكتاب ويبدأ بسورة الكهف إلى سورة الناس ظهرية الصفحة الأولى عليها الوقفية عناوين السور كتبت بالأحمر وأُعلمت بداية كل آية بخط أحمر كلمات الوقف وأختامه موجودة في أغلب صفحات الكتاب المخطوط متأثر بالرطوبة حتّى إن بعض صفحاته ظهر عليها شكل العفونة يحتاج إلى صيانة مختبرية.

المخطوط: مطبوع ومحقق.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ١٦٨ التسلسل المخزني: ١٤٢/ ٤/ ١ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٤٩٣ الأسطر: ١٧ القياس: ٩, ١٤×٩,٣سم الناسخ: عبد الله بن عاشور سنة النسخ: ١٢٢٨هـ مكان النسخ: قرية رنان نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر وأخرى حالة المخطوط: كامل وعليه حواش وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون ومزوّق ومزخرف.

أوله: سورة الفاتحة..

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: نسخة جميلة جداً مزخرفة ومزينة غلافه مصور بصور نباتية مؤطر بإطارين الاول لعموم الغلاف والثاني ما يحيط بالرسم النباتي وما بين الإطارين أوراق زخرفة (سعفة) ملأت المجال الذي بين الإطارين وهذا العمل يسمى بالاكي ومن الجانبين الأمامي والخلفي باطن الغلاف ومن الجانبين أيضاً رسمت وردة ذات اغصان متفرعة عباد الشمس ويحيطها إطار على شكل سلسلة مرتبطة ببعضها بزخرفة بسيطة الورقة الأولى فارغة وفي باطنها ختم التملك ثم بعدها صفحتان كتب عليها فهرست السور القرآنية مؤطر بإطارات متعددة الالوان الأزرق والذهبي وغيره وضعت اسماء السور داخل إطارات مربعة الشكل أرضيتها فضية وذهبية مطر بالأحمر الصفحة الأولى والثانية للمصحف لسورة الفاتحة وبداية سورة البقرة وهما مزخرفات بزخرفة نباتية جميلة جداً صفحات المصحف مؤطرة بإطارين عام على كل الصفحة وإطار خاص على متن النص فقط وهما باللون الذهبي الأول رفيع الشكل والثاني عريض أرضية الصفحات مذهبة فوأصل الآيات على شكل كمثري صغير ومذهب ومزينة بنقاط زرقاء كلمات الأحزاب والاجزاء وضعت داخل طرر مزخرفة ومذهبة عناوين السور كتبت باللون الأحمر في حاشية كل سورة كتبت فضائل تلك السور من خلال روايات أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم داخل إطار زخرفي مذهب وبعد الانتهاء من السور كتبت أدعية خاتمة القرآن

المصحف نفيس من حيث المادة الفنية.

أربعة سور من القرآن الكريم

التسلسل العام: ١٦٩ التسلسل المخزني: ١٣٠/ ٤/ ١ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢٦ الأسطر: ١٥ القياس: ١٧,٧×١٩,٠سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر وأخرى حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون مزخرف مصدر الاقتناء: شراء.

أوله: بعد البسملة ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ سورة الكهف.

آخره: ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

ملاحظات عامة: وهي عبارة عن أربع سور من القرآن الكريم: الكهف ويس والواقعة والأعلى ظهرية الصفحة الأولى والصفحة المقابلة لها كتب عليها تفصيل لصلاة الآيات وبالخصوص صلاتي الخسوف والكسوف وأدعيتها الصفحة الأولى مزخرفة بزخرفة نباتية جميلة جداً وهي عبارة عن بعض الطرر والسلاسل والمربعات ملونة بألوان عدة ذهبي وأزرق وبني والزخرفة مؤطرة بثلاثة إطارات أحمر وذهبي وأزرق أما صفحات المخطوط فإنها مؤطرة بإطار ذهبي وأزرق عناوين السور كتبت بالأحمر إلاّ سورة الكهف بالأسود أعلى الصفحة الأولى من المخطوط علامات القراءة أعلمت بالأحمر فواصل الآيات عبارة عن دوائر باللون الذهبي غاشية الصفحة الأخيرة كتبت عليها رسالة الاستغاثة للإمام الحجة المخطوط جيّد ونظيف مع وجود ترميم قديم يحتاج إلى ترميم جديد.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ١٧٠ التسلسل المخزني: ٥٧٥/ ١/ ٥ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٥٢٧ الأسطر: ١٧ القياس: ٢١,٩×١٣,٧سم الناسخ: رسول بن كريم التبريزي سنة النسخ: ١٢٣٩هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر

حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون التملكات: عليه ختم غير واضح يقع في حاشية ورقة الغلاف.

أوله: سورة الفاتحة.

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: مصحف قاجاري غلافه مزوّق ومزخرف وبألوان متعددة مؤطر بثلاثة إطارات الإطار الأعلى كتب عليه لوحة لحديث مروي عن النبي في فضل القرآن وهذا التزويق يسمى عموما بالاكي وداخل هذا الإطار رسمت لوحة بداخلها زخرفة نباتية بصورة وملونة بألوان عدة على شكل شجرة واقفة عليها عصافير تغرد وهي ممازجة جميلة بين الزخرفة النباتية والحيوانية باطن الغلاف مؤطر بإطار ذهبي وبداخله طرر نباتية والصفحة الأولى والثانية التي تسبق صفحة الخاتمة مزخرفتان بزخرفة نباتية جميلة جداً وبألوان الذهبي والأخضر والأحمر وغيرها والصفحتان مؤطرتان بإطارات متداخلة بالأخضر ثم الأسود ثم الذهبي ثم الأحمر ثم الأخضر وبداخل الإطار ثلاث طرر زخرفية الأعلى والأسفل طرتان على شكل كمثرى كتب بالأعلى دعاء قبل قراءة القرآن والأسفل همي وغمي وهي مكملة للطرة الوسطية التي على شكل سداسي كتب بداخلها اللّهمَّ بالحق الذي أنزلته في زواياه الأربع زخرفة نباتية بألوان عدة الطرر الثلاث الأخرى كتب بداخلها تكملة الدعاء أما الصفحة الأولى للمصحف وهي صفحة فاتحة الكتاب وصفحة سورة البقرة مزخرفتان ومؤطرتان بزخرفة عالية الدقة وغاية في الجمال كتب وسطها عناوين السور وعدد آياتها وفي أسفل الصفحة كتب في صفحة سورة الفاتحة داخل الإطار في كتاب مكنون وفي الصفحة التالية لا يمسّه إلاّ المطهرون أسفل الصفحتين الزخرفة متاثرة قليلاً بمسح بعض الوانها صفحات المصحف كلها مؤطرة بإطارين أسود وذهبي إلا الصفحتين الثالثة والرابعة فانها مزخرفتان زخرفة نباتية عناوين السور كتب داخل إطار مستطيل مزخرف ومذهب رسمت طرر كمثرية الشكل على حواشي المصحف تمثل أقسام المصحف من الاجزاء والاحزاب وزخرفة هندسية كتب بداخلها نصف أو ربع الجزء والحزب

وغيره استخدم نظام التعقيبة في صفحاتها مادية الكتاب من الورق والحبر بانواعه جيّد جدا فوأصل الآيات رسمت باللون الذهبي دائرية الشكل بعض الصفحات الأخيرة عليها أثر الرخاوة في الورق الجهة الأخرى من الغلاف تحمل نفس المواصفات للغلاف الأول المصحف من آيات الجمال في الزخرفة والتجليد.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ١٧١ التسلسل المخزني: ٣١٣/ ٥/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٥٩٦ الأسطر: ١٥ القياس: ١٧,٧×١١,٧سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون مزخرف مصدرالاقتناء: شراء.

أوله: سورة الفاتحة..

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: نسخة جيّدة الصفحتان الأولى والثانية مزخرفتان بزخرفة نباتية وهندسية متداخلة صفحات المصحف بالكامل مؤطرة بإطارات متداخلة بعضها بالبعض لآخر عناوين السور وبعض حروف الكلمات داخل المتن كتبت بالأحمر والذهبي والأزرق وكذلك كلمات وحروف الأجزاء والأحزاب وفواصل الآيات المصحف متأثّر بالرطوبة ويحتوي على ترميم سابق في حاشية الأوراق؛ يحتاج إلى عناية ونظرة خاصة.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ١٧٢ التسلسل المخزني: ٤١٢/ ٤/ ٣ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٤٨٨ الأسطر: ١٥ القياس: ٣٢,١×٢٠,٩سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون ومزخرف.

أوله: سورة الفاتحة.

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: نسخة من المصحف الشريف اتسمت بالجمالية خاصة غلافها والذي هو عبارة عن لوحة نباتية جميلة جداً تعبر عن مجموعة من الورود ذات الأشكال المختلفة وحول هذه اللوحة إطاران الأول أساسي على شكل الغلاف باللون الذهبي والثاني هو الذي يؤطر اللوحة بالكامل أيضاً بالذهبي وحول هذا الإطار هناك أبيات شعرية بالفارسي يحيط بكامل الغلاف وهذه اللوحة من عمل اللاكي المزيج وهذه اللوحة للغلاف من الأمام والخلف ومن داخل الغلاف ومن جانبيه الأمامي والخلفي الصفحتان الأولى والثانية من المصحف مزخرفتان ومؤطرتان أرضيّتها، الصفحتان مزخرفتان بزخرفة نباتية عبارة عن اغصان صغيرة متداخلة بعضها بالبعض الاخر مع وجود طرر مثلثة الشكل ملونة باللون الذهبي والأزرق والأحمر من أعلى الصفحات زخرفة كأسية تحتوي على إطارات عدة وقد لونت هذه الزخرفة والتي هي عبارة عن أشكال نباتية وهندسية باللون الذهبي والوان أخرى وفي وسطها طرر كبيرة مزخرفة وملونة باللون الأزرق الزمردي والأسود والوان أخرى وهذه الزخرفة يحكمها إطار أحمر وتحت الزخرفة مستطيل مزخرف الجانبين والأرضية بالذهبي وهو مكان كتابة اسم السورة ثم المربع الوسط والمكتوب بداخله السورة ثم مستطيل آخر أعرض بقليل من سابقه وهذه كلها مؤطرة بإطارات عدة، الأول هو على عموم الصفحة.

سور من القرآن الكريم

التسلسل العام: ١٧٣ التسلسل المخزني: ٦٢٩/ ١/ ٥ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: طومار القياس: ١١٩م×٥,٩سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر وأخرى حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف مصدر الاقتناء: شراء.

أوله: سورة يس..

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: عبارة عن سبع سور من القرآن الكريم: يس الفتح الواقعة الملك النبأ الفلق الناس، كتبت على رق الغزال بشكل طومار مزخرفة من أعلاها بزخرفة هركية الشكل متداخلة بشكل جميل جداً بألوان عدة منها الأزرق واللازوردي والذهبي وغيره عناوين السور كتبت باللون الذهبي داخل مستطيل ذهبي مزخرف من جانبية أرضية الرق مذهبة وقد وضع له في أعلاه قطعة من الجلد للحفاظ عليه من الخارج النسخة جميلة جداً ونفيسة وخزائنية.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ١٧٤ التسلسل المخزني: ١٣٢/ ١/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الأسطر: ١٣ القياس: ٥ ,٢٤×١٤سم الناسخ: ص د ر سنة النسخ: ١٢٠٩هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر وأخرى حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف مصدر الاقتناء: شراء نوع الغلاف: جلد وكارتون ومزخرف.

أوله: سورة الفاتحة..

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: النسخة جيّدة جداً الصفحة الأولى والثانية مزخرفة ومزخرفة متطابقة الشكل فيما بينها من حيث العمل والزخرفة عبارة عن حزام زخرفي عريض مستطيل الشكل يحيط بالصفحة كلّها مزوّق بالذهب والأزرق والشكل عبارة عن بعض الاشكال الهرمية والمخروطية الشكل وفي وسط الصفحة كتبت السورة في أعلاها مستطيل كتب عليه اسم السورة بالأحمر ومذهب الأرضية ويحيطها إطارات مستطيلة الشكل داخلها زخرفة نباتية عبارة عن ورد مع اغصانه اللوحتان متطابقتان في الشكل يكونان لوحة واحدة صفحات المصحف كلها مؤطرة بإطارات متداخلة ببعضها البعض وبألوان مختلفة الأزرق والأحمر

والأسود والذهبي مكونة من إطار عريض يحيط بمتن المصحف وهناك إطار أزرق اللون يحيط بكامل الصفحة عناوين السور وكلمات الأحزاب والأجزاء وحروفها وحروف الوقف والابتداء في المتن كلها بالأحمر، الصفحتان الأخيرتان من المصحف تمثلان لوحة زخرفية جميلة كما في الصفحتين الأولتين كذلك في وسط المصحف السورة لبني اسرائيل لوحة زخرفية.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ١٧٥ التسلسل المخزني: ٣٢٨/ ٥/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٨١٢ الأسطر: ١٣ القياس: ٢٣,٥×١٣,٤سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر وأخرى حالة المخطوط: عليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون مزخرف مصدر الاقتناء: شراء.

أوله: سورة الفاتحة..

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: النسخة جيّدة وجميلة الصفحتان الأولى والثانية مزخرفتان ومزوّقتان زخرفتها متداخلة في العمل الزخرفي بين الحالة النباتية والهندسية وهي عبارة عن لوحة متناسقة من الجانبين ومتطابقة فعند تداخلهما معا تعطيك لوحة واحدة بشكل واحد من أعلاها في مستطيل كُتِبَ اسم السورة مزوّق بألوان مختلفة يطغى عليها الأزرق اللازوردي مع بقايا الألوان المختلفة وأرضية مذهبة ثم الوسط سورة وعلى يمينها مستطيل مذهب ومزوّق ومزخرف وفي آخرها مستطيل آخر مزوّق باللون اللازوردي مع الوان أخرى وأرضية مذهبة ثم من الجوانب طرر على شكلين الأول هرمي والثاني كمثري الشكل مزخرف ومزوّق ويحيط كل هذا إطارات عدة منها الأصفر والأحمر الفاتح وغيرها وعلى كل حالٍ فهي لوحة جميلة تجذب الناظرين صفحات المصحف كلها مؤطرة بإطار متكون

بإطارات عدة متداخلة ببعضها البعض وهذا الإطار بألوان مختلفة الأزرق والأسود والأحمر والذهبي عناوين السور وكلمات الأجزاء والأحزاب وحروفها وحروف الوقف والابتداء وغيره كتبت بالأحمر فوأصل الآيات كتبت بالذهبي لكنها تعرضت لحشرة الأرضة مع وجود بعض البقع اللونية والحبرية حتّى سال بعض الحبر على بعض أوراقها؛ لذا فإنها تحتاج إلى صيانة مختبرية مع اعادة ترميم بعض أوراقها وتجليدها.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ١٧٦ التسلسل المخزني: ٤١٥/ ٤/ ٣ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الأسطر: ١٥ القياس: ٧, ٣٢×٢, ٢٠سم الناسخ: حسين بن محمد علي القوشجي سنة النسخ: ١٢٧٢هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون مصدر الاقتناء: شراء.

أوله: سورة الفاتحة..

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: نسخة من المصحف الشريف نسخة اعتيادية من أعمال القرن الثالث عشر ظهرية الصفحة الأولى رسمت عليها أشكال هندسية مختلفة بعضها كتب بداخلها: (الله محمد علي حسن حسين) الصفحتان الأولى والثانية مؤطرتان ومزخرفتان بإطارات عدة الأولى أزرق على طول الصفحة ثم إطار عريض ذهبي يحيط بكامل الصفحة ثم إطار أزرق وآخر أسود ثم داخل هذه الإطارات من أعلى الورقة وهي زخرفة نباتية على شكل هرم أيضاً ملونة بالذهبي وبألوان أخرى ثم يأتي بعدها عنوان السورة داخل مستطيل أرضية مذهبة ثم السورة داخل مربع أرضية مذهبة ثم مستطيل آخر الصفحة أسفلها مزخرف زخرفة هرمية بسيطة الزخرفة عبارة عن لوحة جميلة أوراق المصحف كلها مؤطرة بإطارين أزرق وهو عام على كل الورقة وخاص أحمر على متن المصحف وقد أثّر هذا الإطار على

الأوراق إذ سال الحبر عليها العناوين والكلمات والأجزاء والأحزاب وفوأصل الآيات كلها كتبت بالأحمر الصفحات الست الأخيرة عناوين الصور أرضيتها مذهبة أما الصفحة الأخيرة فإنها مذهبة من الأعلى داخل مستطيل وضع فيها اسم الناسخ وفي وسط الصفحة رسمت طرة نباتية ملونة بالأزرق والذهبي وهي عبارة عن شكل كأس جميل جداً غاشية الصفحة الأخيرة عليها وعاء سجدة القرآن أما جلده فقد صحف الكتاب بمقاس ويحيط جلد عبارة عن إطار جلدي كتب عليه بالذهبي المعوذات والقدر ومن جانبيه.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ١٧٧ التسلسل المخزني: ٣٠٢/ ٥/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٤٧٦ الأسطر: ١٨ القياس: ٣, ١٠×٧سم الناسخ: محمد سنة النسخ: ١١٠٧هـ نوع الخط: نسخ التملكات: ختم السيد حسن وغيره مصدر الاقتناء: شراء.

أوله: سورة الفاتحة..

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: نسخة قرآنية جميلة جداً تبدأ بصفحتي سورتي الحمد والبقرة وهما مزخرفتان ومؤطرتان زخرفة نباتية وهندسية الأولى عبارة عن زخرف هرمية الشكل الوانها يطغى عليها اللون الذهبي ثم بعض الألوان من الأحمر والأزرق وغيرها ثم المستطيل الذي وضع فيه اسم السورة بالأبيض ثم مربع السورة التي كتبت عليه ثم مستطيل آخر نهاية الصفحة مزخرف ومذهب أما الصفحة التالية فإنها مزخرفة أيضاً بزخرفة هرمية مجنحة الاطراف ومزوّقة بالذهبي والأحمر ومفصلة كتفصيل الصفحة الأولى وقد حددت الصفحتان بإطارات متعددة وبألوان متفرقة الذهبي الأحمر وأسود وأزرق وأرضيتها الصفحتين مزخرفتان زخرفة نباتية ورقية صفحات المصحف كلها مؤطرة بإطارين الأول يحيط بمساحة الصفحة كلها باللون الذهبي عناوين السور كتبت بالذهبي داخل مستطيل صغير في وسط الورقة كلمات الأجزاء والأحزاب والحروف كتبت بالذهبي داخل المتن

وخارجه حروف وحركات وتجويد قرآني داخل المتن كتبت بالأحمر المصحف وضع فيه محفظة جلدية مزوّقة ذات لسان لفلقها من أجل الحفاظ على المصحف فعلقوها جمالية من الحفظ المفتول محمول باقراص حديدية معلقة على اذني المحفظة والنسخة جيّدة وسليمة.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٢٢١ التسلسل المخزني: ٣٥١/ ١/ ٣ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٩٣٣ الأسطر: ١١ القياس: ٢, ٢٣×٣, ١٥سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: سورة الفاتحة.

آخره: سورة الناس.

سور من القرآن الكريم

التسلسل العام: ٢٢٢ التسلسل المخزني: ٢٨٤/ ٤/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢١٨ الأسطر: ٩ القياس: ٤, ٢١×٥, ١١سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون ومزخرف مصدر الاقتناء: شراء.

أوله: سورة بني اسرائيل

آخره: ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما.

ملاحظات عامة: وهو عبارة عن سور عدة للقرآن الكريم تبدأ بسورة بني اسرائيل ثم الكهف ثم سورة مريم ثم طه ثم الأنبياء ثم سوره الحج ثم المؤمنون وهكذا الصفحة الأولى مزخرفة ومزوّقة ومؤطرة الربع الأعلى من هذه الصفحة الأولى مزخرفة بزخرفة نباتية وهندسية وعلى شكل مثلث هرامي ومزوّقة بألوان مختلفة الأسود والأحمر والذهبي والأزرق ومؤطرة بإطارات عدة منها الأسود والأحمر والأزرق وغيرها وصفحات الكتاب

كلها مؤطرة بإطارين الأول الأزرق على عموم الورقة والثاني أحمر وأزرق يحيط بمتن الكتاب أرضية الصفحة الأولى مزخرفة بزخرفة نباتية ومزوّقة بألوان متعدده العناوين وكلمات الاجزاء والاحزاب وحروف الوقف والابتداء وفواصل الآيات كُتبت كلّها بالأحمر، الصفحتان الأخيرتان مزخرفتان بزخرفة نباتية ومزوّقتان بألوان مختلفة نسخة جيّدة وسليمة.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٢٢٣ التسلسل المخزني: ٢٨٢/ ٤/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٤٥٠ الأسطر: ١٥ القياس: ١, ٢٠×٤, ١٤سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: سورة الفاتحة.

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: نسخة عادية الصفحة الأولى مذهبة من الأعلى ومزخرفة زخرفة هرمية مزوّقة باللون الأحمر والأزرق والأبيض مؤطر بالأسود والأبيض والذهبي ويحيطها زخرفة على شكل خرز هرمية الشكل عناوين السور وكلمات الأجزاء والأحزاب وحروف التلاوة وغيرها كُتبت بالأحمر النسخة جيّدة ولكنها تاثرت بالرطوبة وبعض البقع اللونية؛ لذا فإنّها تحتاج إلى صيانة مختبرية مهمة.

جزء من القرآن الكريم

التسلسل العام: ٢٢٤ التسلسل المخزني: ٢٩٢/ ٤/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢٥٤ الأسطر: ٩ القياس: ٤, ٢٢×٥, ١٩سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أبيض حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: سورة المجادلة.

آخره: وصلى الله على النبي محمد واله وصحبه وسلم.

ملاحظات عامة: نسخة قديمة ونفيسة وقد تُرقى للقرن السابع الهجري تبدأ بسورة المجادلة إلى نهاية القرآن (سورة الاخلاص) ثم تاتي بعدها أدعية ختم القرآن أوراقها تعرضت لبقع لونية مختلفة منها الحبرية وغيرها وكذلك تاثرت بحشرة الأرضة لذا فإنها تحتاج إلى صيانة مختبرية مهمة مع ترميم أوراقها وتجليدها.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٢٢٥ التسلسل المخزني: ٣٧٣/ ٢/ ٣ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٩٩٠ الأسطر: ١١ القياس: ٥ ,٢٨×٥ ,١٥سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليها رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: سورة الفاتحة.

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: نسخة من القرآن الكريم من المدرسة الهندية صفحتا سورة الفاتحة والبقرة مزخرفتان ومزوّقتان ومؤطرتان بإطارات عدة، الزخرفة تعلو الصفحتين من الجانب ومن الأسفل داخل الإطار نباتية الشكل الإطارات ملونة باللون الأحمر والأسود تحيط الورقتين رسم توضيحي لقبب صفراء اللون ومؤطرة بإطار أسود صفحات الكتاب كلها مؤطرة بإطارين أسود وأحمر العناوين وعلامات الوقف والقراءة وغيرها كلها باللون الأحمر وكذلك كلمات وتقسيمات القرآن من الأجزاء والأحزاب يستخدم نظام التعقيبة النسخة متأثرة من جانبها الأسفل بالتمزق والظاهر من أثر الحيوانات القارضة الأوراق الثلاثون الأخيرة تعرضت للرطوبة بصورة مباشرة مما أثر على أوراقها فرُممت ترميماً غير صحيح مما أثر أكثر على هذه الأوراق وكلماتها لذا فإنها تحتاج هذه الأوراق إلى اعادة صيانة

أما الصفحتان الأخيرتان فقد شملهما التأطير والعمل الهندسي إذ احتوت على إطارات متعددة حمراء اللون وسوداء وبداخل هذه الإطارات أشكال هندسية باللون الأصفر النسخة جيّدة.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٢٢٦ التسلسل المخزني: ٦١/ ٢/ ١ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ١٠٢٧ الأسطر: ١١ القياس: ٢٤×١٦,٢سم الناسخ: عزيز الله سنة النسخ: ١٢٤٨هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون صافي.

أوله: سورة الفاتحة.

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: مصحف شريف الصفحة الأولى والثانية منه مؤطرتان بإطارات حمراء اللون والورقة مقسمة إلى اجزاء وكأنَّ الورقتين كانتا مهيئتين للزخرفة لان التقسيمات العليا للصفحة هي تقسيمات زخرفية صفحات المصحف كلّه مؤطرة بإطار أحمر عناوين السور وكلمات الأجزاء والأحزاب وحروفها وفواصل الآيات كُتبت بالأحمر في بداية كل سورة تكتب عدد كلماتها وآياتها وحروفها في حاشية المصحف بالأحمر أوراق المصحف الشريف تأثرت تأثراً سلبياً من الرطوبة مما وصل لون الورقة وكأنه محترق وخاصة من جزئها الأسفل مما أثر على ضعف شد الورق وجعله أكثر عرضة للتكسر لذا فإنها تحتاج إلى صيانة مختبرية مهمة.

جزء من القرآن الكريم

التسلسل العام: ٢٢٧ التسلسل المخزني: ٢٠٤/ ١/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ١١٢ الأسطر: ١٢ القياس: ٢٤,٩×١٧,٥سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أبيض حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط:

كامل مصدر الاقتناء: شراء نوع الغلاف: جلد وكارتون ومزخرف.

أوله: ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾

آخره: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

ملاحظات عامة: وهو جزء من القرآن الكريم يبدأ بالآية: ٥٦ من سورة المؤمنون وينتهي بالآية: ١٩ من سوره سبأ جلده مزخرف ومؤطر بإطارات متعددة على شكل هندسي من الجانبين وحتّى لسانه الصفحة الأولى منه وضعت الآيات داخل إطار أحمر مستطيل على طول الصفحة اسم الجلالة كله باللون الأحمر ولا توجد فيه اسماء للسور وانما يبدأ مباشرة بالبسملة ثم السورة إلا سورة الفرقان التي كُتبت خارج النص باللون الأسود والنسخة نظيفة وسليمة وجيّدة كُتبت بخط النسخ القديم وترقى أن تكون نسخه خزائنية معرضية.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٢٢٨ التسلسل المخزني: ٣٩٢/ ٣/ ٣ اللغة: عربي وفارسي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٦٥٤ الأسطر: ٢٦ القياس: ٢٦,٦×١٨,٣سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: سورة الفاتحة.

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: نسخة من القرآن الكريم عليه ترجمة فارسية الصفحة الأولى والثانية منه مزخرفتان ومؤطرتان الزخرفة هندسية ونباتية على شكل قبة ومنارة وبداخلها أغصان وأوراق نباتية ومؤطرة بإطار عريض أزرق ومطعم بالذهبي أما المنارة فقد رُسمت بالأسود والأصفر وبداخلها الوان مختلفة عناوين السور والترجمة وكلمات الأحزاب والأجزاء وعلامات الوقف والابتداء وفواصل الآيات كُتبت بالأحمر النسخة جيّدة وسليمة إلا إنها

تعرضت للرطوبة وبقعات دهنية أثّرت على الكتاب حتّى إن الحبر سال على الورقات لذا فانه يحتاج إلى صيانة مختبرية مع اعادة ترميم بعض أوراقه مرممة سابقاً.

تفسير الفاتحة والملك إلى آخر القرآن

المؤلف: يعقوب بن عثمان بن محمود الغزنوي الجرخي (ت٨٥١هـ).

التسلسل العام: ٢٥٤ التسلسل المخزني: ٢٣٥/ ٢/ ٢ اللغة: فارسي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢٣٤ الأسطر: ١٧ القياس: ٢٦×١٥سم الناسخ: سرفراز سنة النسخ: ١٢٠٦هـ نوع الخط: نسخ تعليق حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه حواش نوع الغلاف: جلد وكارتون ومزخرف التعليقات: عليه تعليقات (سرخي ١٣ تفسير ينابيع) الوقفيات: عليه (وقف غفران).

أوله: بعد البسملة لك الحمد يا من بيده الملك وهو..

آخره: نسياند اميدل كن يحكم من همم جهنم مراكن جملة علم.

ملاحظات عامة: وهو في تفسير سورة الفاتحة وسورة الملك إلى آخر القرآن وقد أشارت المصادر بأن له تفسير الفاتحة ولم تذكر باقي السور وقد رتب على ديباجة ثم مقدمة ثم تفسير الاستعاذة ثم البسملة ثم الفاتحة وقد اعتمد في تفسيره على تفاسير عدة منها التيسير والكشاف وغيرها أوراق المخطوط مؤطرة بإطارين أخضر وأحمر وبينهما الأصفر العناوين الرئيسية والفرعية كلها كتبت باللون الأحمر إلا آية البسملة فقد كُتبت باللون الأسود الغامق الكبير عليه تعليقات كثيرة حتّى إنّ بعضها كُتبت بالأحمر والأخضر في حاشية الكتاب النسخة جيّدة إلا إنها تأثرت بالرطوبة مما أثرت على أوراقها من أعلاها لذا فإنها تحتاج إلى صيانة مختبرية مع تجليد أوراقه.

المخطوط: غير مطبوع.

المصادر: هدية: ٢/ ٥٤٦ كشف الظنون: ١/ ٤٥٥.

كنز العرفان في فقه القرآن

المؤلف: المقداد بن جلال الدين عبد الله السيوري (ت٨٢٦هـ).

التسلسل العام: ٢٦١ التسلسل المخزني: ٣٢٠/ ٥/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٤٠٦ الأسطر: ٢٥ القياس: ٢٢×١٥سم الناسخ: أبو طالب بن عنايت الله التوسركاني سنة النسخ: ٩٨٩هـ مكان النسخ: الكاظمية نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أبيض حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه حواش نوع الغلاف: جلد وكارتون التملكات: ختم تملك وختم سيد محمد الحسيني سنة ١٠٥هـ وختم آخر التصحيحات: عليه تصحيحات وعليه تعليقات وحواش كثيرة الوقفيات: وقف ختم سيد محمد جعفر الحسيني الرضوي الاجازات: عليه اجازة رواية لـ(كمال الدين تقي الدين محمد الموصوله إلى الكليني والشيخ الطوسي والصدوق).

أوله: بعد البسملة الحمد لله الذي أنزل على عبدة الكتاب لكل..

آخره: وقال ص اذا كان الغدر طباعاً فالثقة إلى كل احد عجز.

ملاحظات عامة: وهو تفسير لآيات الأحكام بلغة الفقه ومشهور ومتداول مرتب على ديباجة ومقدمة وكتب بترتيب كتب الفقه وخاتمة العناوين كتبت بالأحمر وأُعلمت بداية المطالب بخطوط حمراء عليه تعليقات وحواش عدة ظهرية الصفحة الأولى عليها فهرس الكتاب والصفحات التي قبلها عليها بعض الفوائد مع أختام التملك وغاشية الصفحة الأخيرة عليها إجازة رواية النسخة جيّدة وسليمة ونفيسة وخزائنية وتحتاج تجليد غلافها.

المخطوط: مطبوع

المصادر: كشف الظنون: ٢/ ١٥١٧ كشف الحجب والأستار: ٤٧٥ هدية العارفين: ٢/ ٤٧٠ إيضاح المكنون: ٢/ ٣٨٦ معجم المطبوعات العربية: ٢/ ١٧٧٢ الذريعة: ١٨/ ١٥٩.

المناسخات والناسخات

المؤلف: عبد الخالق بن ملا نادر محمد خلخالي.

التسلسل العام: ٢٧٥ ملحق: ١ التسلسل المخزني: ٣٢٤/ ٥/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢٦ الأسطر: ١٤ القياس: ٢١×١٥سم الناسخ: المؤلف سنة النسخ: ١٢٩٩هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بعد البسملة الحمد لله وسلام على عباده هذا كتاب فيه..

آخره: فيه ناسخ ولا منسوخ والله سبحانه ولي الهداية بمنه وكرمه.

ملاحظات عامة: لم تذكر كتب البيلوغرافيا الكتاب والمؤلف ولم نهتد إلى ما يوصلنا إلى حقيقتهما وقد رتب الرسالة على ديباجة ومقدمة ويقول فيها: إنه جمع جميع ما في القرآن من الآيات الناسخة والمنسوخة موجزها غاية الايجاز بعض العناوين الفرعية كتبها بالأحمر وبداية كل مطلب أُعلِم بخطوط حمراء النسخة جيّدة وسليمة.

المخطوط: غير مطبوع.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٣٠٠ التسلسل المخزني: ٣٣٣/ ١/ ٣ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٦٠٥ الأسطر: ١٥ القياس: ١٩,٦×١١,٨سم الناسخ: إسحاق بن خسرو سنة النسخ: ١٢٣٠هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: كارتون صافي.

أوله: سورة الفاتحة..

آخره: سورة الناس دعاء ختم القرآن.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٣٢٤ التسلسل المخزني: ١٥١/ ٥/ ١ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٩٨٥ الأسطر: ١١ القياس: ٤, ٢٠×٢, ١٣سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: سورة الفاتحة..

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: نسخة مشكولة صفحاتها الأولى مزخرفة زخرفة بسيطة من الأعلى لسورتي الفاتحة والبقرة ومؤطرتان بإطارات متعددة وداخل هذه الإطارات زخرفة نباتية عبارة عن أشكال زهرية صفحات المصحف كلّها مؤطرة بإطار أحمر وأزرق عناوين السور كُتبت بالأحمر وكذلك كلمات الأجزاء والأحزاب وغيرها علامات الوقف والابتداء والعلامات الاعرابية كُتبت بالأحمر مع فوأصل الآيات استخدم طريقة التعقيبة في معرفة تسلسل الصفحات هناك بعض الكلمات قد تكون ساقطة من المتن تُمت في الهامش خاتمة المصحف عليها أرضية مذهبة وداخلها أشكال زخرفية نباتية زهرية غاشية الورقة الأخيرة عليها سورة الفاتحة وبداية دعاء ختم القرآن أوراق المخطوط متأثرة بكثير من البقع الدهنية والحبرية وغيرها؛ لذا فإنها تحتاج إلى صيانة مختبرية.

تفسير حروف البسملة

المؤلف: كاظم بن قاسم الرشتي (ت١٢٥٩هـ).

التسلسل العام: ٣٧٢ التسلسل المخزني: ٦٠٢/ ١/ ٥ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٩٧ الأسطر: ١٠ القياس: ٢, ١٧×٥, ١٠سم نوع الخط: نسخ تعليق حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد.

أوله: بعد البسملة الحمد لله الذي هو مدهر الدهور ومدبر..

آخره: سبحانك إنّي كنت من الظالمين والحمد لله رب العالمين.

ملاحظات عامة: وهو تفسير باطني للبسملة ولحروفها ذكرها اغا بزرك بأنها الفاتحة وقد رتّبها على ديباجة ومقدمة واربعة عشر باباً وخاتمة وفي داخلها مقامات النسخة جيّدة وسليمة.

المخطوط: غير مطبوع.

المصادر: الذريعة: ٤/ ٣٣٨.

الجزء الرابع والعشرون من القرآن الكريم

التسلسل العام: ٣٧٣ التسلسل المخزني: ٥٥٤/ ٤/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٣٠ الأسطر: ٤ القياس: ٢٣×١٤,٧سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون ومزخرف.

أوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ [النِّسَاء الآية ٩٤]

آخره: ﴿وَلَا يَجِدُ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النِّسَاء الآية ١٢٣].

ملاحظات عامة: وهو من آية ٩٤ – ١٢٣ من سورة النساء نسخة قديمة الصفحة الأولى منه عليه طرة دائرية كبيرة مزخرفة غير واضحة المعالم الصفحة الثانية وهي ظهرية الصفحة الأولى من الجزء عليه العنوان مع بعض الكلمات النسخة عبارة عن أوراق قديمة لهذا الجزء مُرممة ومُصانة حديثاً الأوراق جميعها على إطارين الأول عام على كل الورقة وبالونين الأسود والذهبي والثاني متكون من ثلاثة إطارات متداخلة الأبيض مع الأسود والذهبي نسخة قديمة ونفيسة وقد تعود إلى القرن السابع أو الثامن الهجري غاشية الصفحة الأخيرة على بعض الكلمات والحروف غير واضحة.

حاشية الأحسائي على سواقي الزهراوين في تفسير البيضاوي

المؤلف: محمد صالح بن إبراهيم بن حسين الأحسائي (ت١٠٧٣هـ).

التسلسل العام: ٤١٥ التسلسل المخزني: ٩٣/ ٤/ ١ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢٤١ الأسطر: ٢٥ القياس: ١, ٢٠×٣, ١٤سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد التملكات: محمد سعيد بن محمد أمين مفتي بغداد الطبقجلي (ت١٢٧٣هـ).

أوله: بعد البسملة الحمد لله وكفى وسلام على عباده وبعد..

آخره: بصيغة الجزم فخطؤه أفحش قاله الحافظ زين الدين العراقي.

ملاحظات عامة: لم تذكر لنا كتب البيلوغرافيا ولا كتب الرجال اسماً لهذه المخطوط ولا لمؤلفها مع العلم أنَّ المؤلف صرّحَ باسمه في مقدمة المخطوط، المخطوط مرتب على ديباجة ثم يباشر المؤلف في شرحه بطريقة قوله ظهرية الصفحة الأولى عليها عنوان المخطوط والتملك العناوين وبالخصوص كلمة (قوله) كُتبت بالأحمر شرح فيها المؤلف سورتي البقرة وآل عمران والمسميتين بالزهراوين عليها بعض الحواشي مع استخدامه لطريقة التعقيبة في ترتيب الأوراق النسخة نظيفة إلا إنَّ على بعض صفحاتها بعض البقع يحتاج إلى صيانة مختبرية بعد خاتمة المخطوط في الصفحة التي تليها قصيدة في ذكر كتاب الكشاف ثم بعدها دعاء يوم الثلاثاء في ثلاث صفحات النسخة نفيسة ووحيدة ولم أعثر على نسخة أخرى منها.

المخطوط: غير محقق.

حرز الأماني ووجه التهاني (الشاطبية)

المؤلف: القاسم بن فيرا بن خلف الشاطبي (ت٥٩٠هـ).

التسلسل العام: ٤١٨ التسلسل المخزني: ٣١٥/ ٥/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم

القرآن الصفحات: ٨٠ الأسطر: ١٦ القياس: ١٨,١×١٢,٥سم سنة النسخ: ٩٥٠هـ نوع الخط: نسخ تعليق حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: كارتون صافي، التعليقات: عليه بعض التعليقات.

أوله: بعد البسملة بدأت بسم الله في النظم أولا..

آخره: بغير تناهٍ زرنباً وقرنفلا.

ملاحظات عامة: نظم المؤلف فيه التيسير في التخيير وأبياته ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً أبدع فيه كلَّ الابداع فاصبح عمدة الفن وقد أخذ من المحققين والشارحين مأخذهم من الشرح والتحقيق حتّى بلغت الشروحات عدداً كبيراً وقد رتّب النظم على ديباجة ومقدمة ثم يبدأ بأبواب سور القرآن مبتدئاً بالاستعاذة العناوين الأصلية والفرعية وبعض الحروف والكلمات في المتن كُتبت بالأحمر ظهرية الصفحة الأولى عليها جدول للقراءات السبعة النسخة جيّدة وسليمة وتحتاج إلى تجليد فقط.

المخطوط: مطبوع.

المصادر: كشف الظنون: ١/ ٦٤٦ معجم المطبوعات العربية: ١/ ١٠٩١ الأعلام: ٥/ ١٨٠.

الدرة المضيئة في قراءات الأئمة الثلاثة المرضية

المؤلف: محمد بن محمد الجزري.

التسلسل العام: ٤١٨ ملحق: ١ التسلسل المخزني: ٣١٥/ ٥/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢٢ الأسطر: ١٦ القياس: ١٨,١×١٢,٥سم سنة النسخ: ٩٥٠هـ نوع الخط: نسخ تعليق حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: كارتون صافي.

أوله: بعد البسملة قل الحمد لله الذي وجده على..

آخره: عَنيزة حتّى جاءَني من تكفلا.

ملاحظات عامة: نظمها المؤلف تكملة للشاطبية ابتدأها بالديباجة والمقدمة نظماً ثم بدأ بالبسملة أم القرآن وهكذا العناوين الأصلية والفرعية كُتبت بالأحمر مع بعض الحروف والكلمات داخل المتن النسخة جيّدة وسليمة وعليها بعض التعليقات وتحتاج إلى تجليد فقط.

المخطوط: مطبوع.

المصادر: كشف الظنون: ١/ ٧٤٣ هدية العارفين: ٢/ ١٨٨ الأعلام: ٧/ ٤٥.

وجيزة في التجويد

التسلسل العام: ٤١٨ ملحق: ٣ التسلسل المخزني: ٣١٥/ ٥/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢٠ الأسطر: ١٦ القياس: ١٨,١×١٢,٥سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: كارتون صافي التصحيحات: عليه تصحيحات وتعليقات وقعت (منه رحمه الله مهذب طالب).

أوله: بعد البسملة سبحان من عجز الحامدون عن حقّ حمده..

آخره: والنجم ولفظه ابنت عمران في التحريم في جميع المصاحف.

ملاحظات عامة: رسالة في التجويد لم نهتد إلى اسم مؤلفها والظاهر إنه من الشيعة الإمامية رتبها على ديباجة ومقدمة وفصول: الأول ذكر الأئمة وأسانيدهم ورموزهم والثاني في الاستعاذة والثالث في أحكام البسملة والرابع في بيان مخارج الحروف والخامس في الوقف على أواخر الكلام والسادس في بيان المد وأحكامه والسابع في أحكام النون الساكنة والتنوين والثامن في التفخيم والترقيق والتاسع في أحكام الإدغام والإظهار ظهرية الصفحة الأولى عليها بعض الفوائد القرآنية وكذلك غاشية الصفحة الأخيرة وما بعدها عليها فوائد قرآنية بالفارسية والعربية النسخة جيّدة وسليمة وعليها تعليقات إلا إنّها

تأثرت بالرطوبة لذا فإنها تحتاج إلى صيانة مختبرية مع تجليدها.

المخطوط: غير مطبوع.

المصادر: كشاف الفهارس: ٤٤٥.

كنز المعاني في شرح حرز الأماني

المؤلف: إبراهيم بن عمر الجغبري (ت٧٣٢هـ).

التسلسل العام: ٤٣١ التسلسل المخزني: ١٦٨/ ٥/ ١ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٦٣٨ الأسطر: ١٤ القياس: ١٤,٨×١٩,٩سم الناسخ: تقي بن جمشيد سنة النسخ: ١٠٧٢هـ نوع الخط: نسخ تعليق حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون ومزخرف التصحيحات: عليه تعليقات وتصحيحات عدة.

أوله: بعد البسملة بدأت بسم الله في النظم أولاً..

آخره: بما أنزلتَ واتباع لمن ارسلتَ إنّك خير مسؤول وأكرم مأمول.

ملاحظات عامة: وهو شرح على حرز الأماني ووجهة التهاني في القراءات السبع وهي القصيدة المشهوره بالشاطية للشيخ ابن فيّرة الشاطبي (ت٥٩٠هـ) وعلى هذا الكتاب شروحات عدة وهذا الشرح الذي بأيدينا هو من أهم الشروح على الشاطية والكتاب مرتب على أصل الشاطية المنظومة ثم الشرح الابيات أُعلمت بخطوط حمراء مع بعض الحروف في الأبيات وغيرها كُتبت بالأحمر مع العناوين عليه تعليقات وتصحيحات كثيرة ومهمة النسخة جيّدة وسليمة إلا إنّها تأثّرتّ ببعض الرطوبة وبعض البقع الدهنية وغيرها؛ لذا فإنها تحتاج إلى صيانة مختبرية مع تجليد الكتاب.

المخطوط: مطبوع طبعة حجرية.

المصادر: كشف الظنون: ١/ ٦٤٦ هدية العارفين: ١/ ١٤ الأعلام: ١/ ٥٥.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٤٥٠ التسلسل المخزني: ٤٣٠/ ٤/ ٣ اللغة: عربي.

الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٣٩٠ الأسطر: ١٢ القياس: ٣٧×٢٤سم الناسخ: مسعود بن ركن الدين عقيل الحسيني سنة النسخ: ١٠٨٣هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه حواش نوع الغلاف: جلد وكارتون ومزخرف التملكات: تملك أحمد بن علي.

أوله: بعد البسملة سورة الفاتحة.

آخره: سورة الناس وتقبل منا إنك أنت السميع العليم.

ملاحظات عامة: نسخة من المصحف الشريف ظهرية الصفحة الأولى عليها انتقال التملك جميع أوراق المصحف مؤطرة بإطارين أحمر على كل الورقة وإطار عريض مكون من ثلاثة إطارات ذهبي وأسود وأخضر يحيط بالمتن الا الصفحتين الأولى والثانية فأنهما خاليتين من الإطارين المصحف كله يحيطه شرح وتفسير القرآن بالفارسية وهو شرح لكلماته وأحاديث عن النبي وآله والقراءات والإعراب باللغة الفارسية وقد كتب التفسير باللون الأحمر والأسود عناوين السور كتبت بالأسود العناوين الأخرى والحروف وحروف القراءات وكلمات الاجزاء والاحزاب وغيرها كتبت باللون الأحمر والأخضر في داخل المتن وخارجه النسخة جميلة جداً وخزائنية متأثرة قليلاً ببعض البقع اللونية.

تفسير القرآن الكريم

التسلسل العام: ٤٥٠ ملحق: ١ التسلسل المخزني: ٤٣٠/ ٤/ ٣ اللغة: فارسي الموضوع: علوم القرآن الأسطر: متفرقة القياس: ٣٧×٢٤سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل التملكات: أحمد بن علي نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم عن عمرو بن إبراهيم الراشد..

آخره: صلى الله عليه وآله وسلم فرمود قرآن ختم ودعاكه.

ملاحظات عامة: كتب التفسير على شكل حواشٍ على كافة صفحات المخطوط.

مجمع البيان لعلوم القرآن

المؤلف: علي بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت٥٤٨هـ).

التسلسل العام: ٤٨٤ التسلسل المخزني: ٢٠٠/ ١/ ٢ الموضوع: علوم القرآن، اللغة: عربي الجزء: ٢ الصفحات: ٤٩٨ الأسطر: ٢٨ القياس: ٩, ٢٢×٣, ١٦سم سنة النسخ: ١٢٠٤هـ نوع الخط: نسخ تعليق حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل.

نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بعد البسملة سورة الرعد مكية كلّها عن ابن عباس وعطا..

آخره: وكان الله غفوراً أي ستاراً لذنوب المؤمنين رحيماً بهم.

ملاحظات عامة: وهو من أجلّ التفاسير عند الإمامية بل لدى العامة أيضاً إذ ذكر فيه عند مطلع كل سورة إنها مدنية أو مكية ثم ذكر الاختلاف في القراءات والعلل والاحتياجات ثم العربية واللغات ثم الاعراب والمشكلات والنزولات ثم المعاني والأحكام والتأويلات والقصص وغيرها ويُعد هذا التفسير أكبر تفاسير المؤلف فله تفاسير أخرى وسيط وصغير نسختنا تبدأ من سورة الرعد العناوين كُتبت بالأحمر وعناوين فرعية أخرى فضلاً عن وضع خطوط حمراء بداية كل تفسير النسخة نظيفة وسليمة وجيّدة مع وجود بعض البقع الدهنية وغيرها؛ إذ إنها تحتاج إلى صيانة مختبرية.

المخطوط: مطبوع.

المصادر: هدية العارفين: ١/ ٨٢٠ كشف الظنون: ٢/ ١٦٠٢ كشف الحجب والأستار: ٤٨٨ إيضاح المكنون: ٢/ ٤٣٣ الذريعة: ٢٠/ ٢٤ معجم المطبوعات العربية: ٢/ ١٢٢٧.

حاشية الشيخ البهائي على أنوار التنزيل للبيضاوي

المؤلف: محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي البهائي (ت١٠٣١هـ).

التسلسل العام: ٥١٦ التسلسل المخزني: ٥٩٦/ ١/ ٥ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٤٧٠ الأسطر: ١٤ القياس: ١٦,٧×١١,٥سم الناسخ: بديع الزمان بن محمد شفيع المؤذن اللامغاني سنة النسخ: ١١٢٧هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه حواش نوع الغلاف: جلد التملكات: ختم تملك ١٢٦٥هـ عبد الله بن إبراهيم التصحيحات: عليه تصحيحات (صح) وتعليقات وقعت بـ(منه رحمة الله مهذب).

أوله: بعد البسملة الحمد لله الذي جعل نسخة عالم الامكان..

آخره: وقد سبق لنا كلام في هذا المقام عند أول تفسير الفاتحة.

ملاحظات عامة: وهي من أحسن ما كتب على تفسير البيضاوي ولكنه ومع الأسف لم يكمله رتب على ديباجة ومقدمة ثم الشرح وقد جاء بعنوان (قوله) العناوين بالأحمر وكذلك فقد أُعلمت بداية المطلب المراد شرحه بخط أحمر ظهرية الصفحة الأولى عليها بعض الفوائد في الفارسية عليه تعليقات وتصحيحات مهمة النسخة جيّدة وسليمة.

المخطوط: مطبوع طبعة حجرية.

المصادر: الذريعة: ٦/ ٤٤.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٥٣٢ التسلسل المخزني: ٦٣٠/ ١/ ٥ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ١ الأسطر: طومار القياس: ٣٦٠,٥×١١,٥سم الناسخ: محمد بن محمود التبريزي سنة النسخ: ١٢٣١هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: رديء لون الورق: أصفر نوع الغلاف: جلد التملكات: ختم تملك.

أوله: سورة الفاتحة.

آخره: سورة الإخلاص مع دعاء ختم القرآن.

ملاحظات عامة: نسخة جميلة جداً على شكل طومار مزخرفة ومزوّقة من اعلاه بزخرفة نباتية جميلة جداً وهي عبارة عن لوحة سجادية جميلة هرمية الشكل أرضيتها مزوّقة بالذهبي وبالأزرق اللازوردي وألوان أخرى وتحيطها إطارات عدة الأسود والذهبي والأزرق والأخضر والأحمر وفي أسفل هذه اللوحة مستطيل مؤطر بإطار أحمر ومزوّق من جوانبه وأرضية ملونة باللون الأزرق والذهبي وكتبت بداخله (إنه القرآن الكريم) بالأبيض كتاب القرآن بالخط الناعم جداً وصعوبة قراءته بدون مكبرة مساعدة للقراءة وهو أيضاً عبارة عن لوحة جميلة جداً وقد فصل القرآن على أجزاء مبتدأً بالجزء الأول وقد كتبه في أسفل المصحف وتتخلل الكتاب سور على طول المصحف مبتدأً بالبسملة ثم القدر ثم التصديق ثم عند الجزء الثالث رسم لوحة خطية جميلة جداً عبارة عن منارتين في سطحها قبة كبيرة وكتبت في أسفلها لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم استطرد بكتابة الشعر المشهور والمتداول (لك الحمد يا ذا الجود..) ثم قبل الختام كتب اسم الناسخ ثم ختم التملك وقد وضعت له من الأعلى حافظة جلدية للحفاظ عليه من الخارج.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

المؤلف: عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت٦٨٥هـ).

التسلسل العام: ٥٣٥ التسلسل المخزني: ٣٤٠/ ١/ ٣ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الجزء: ١ الصفحات: ٣٢٤ الأسطر: ١٥ القياس: ٢١×١٦سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر وأزرق حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه حواش، نوع الغلاف: كارتون.

أوله: بعد البسملة الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون..

آخره: حسرة ولن تسطيعها البطلة وما قيل وما البطلة قال السحرة.

رسالة في معرفة التجويد

المؤلف: محمد علي بن فرج الله بكاري (ت١٠٠٦هـ).

التسلسل العام: ٥٤٦ التسلسل المخزني: ٤٦٩/ ١/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٦ الأسطر: ١٧ القياس: ٩, ١٩×٦, ١٤سم الناسخ: عبد علي بن بحر نوع الخط: نسخ حالة الخط: رديء لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بعد البسملة الحمد لله كثيراً بكرة وأصيلا الذي أنزل القرآن..

آخره:بتحرك الميم ضماً أو كسراً.

ملاحظات عامة: وهي عبارة عن رسالة معرفة التجويد ودالة على اتقان قراءة القرآن المجيّد مرتبة على ديباجة ومقدمة واحوال النسخة جيّدة ونظيفة بعض أوراقها عليها بعض الرطوبة لم يوردها أحد في كتبه والظاهر إنها نسخة وحيدة.

المخطوط: غير مطبوع.

مختصر في علم التجويد

المؤلف: أسد الله الحسيني القايني.

التسلسل العام: ٥٤٦ ملحق: ١ التسلسل المخزني: ٤٦٩/ ١/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٥ الأسطر: ١٧ القياس: ٩, ١٩×٦, ١٤سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود حالة المخطوط: ناقص إتجاه النقص: النهاية نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بعد البسملة الحمد لله رب الأبرار وبعد فاعلم أنَّ أفضل..

آخره: وينهون ومن هاد وجُرف هار وانعمت ومن عمل وعليم.

ملاحظات عامة: رسالة مختصرة في علم التجويد وقد رتبها على ديباجة ومقدمة واثني

عشر فصلاً وخاتمة العناوين وضعت تحتها خطوط سوداء وبعض المطالب المهمة النسخة لم تذكرها المصادر مع مؤلفها النسخة جيّدة وعليها بعض الرطوبة.

المخطوط: غير مطبوع.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٥٥٠ التسلسل المخزني: ٣٠٣/ ٥/ ٢ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٤٦٢ الأسطر: ١٧ القياس: ٥ , ١٠×٦ , ٥سم الناسخ: زين العابدين الأصفهاني السلطاني سنة النسخ: ١٢٤٢هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل وعليه رسوم وزخارف نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: سورة الفاتحة.

آخره: سورة الناس.

ملاحظات عامة: نسخة خزائنية جميلة جداً غلافها مزخرف ومزوّق وقد زُخرف بأشكال نباتية ومؤطر بإطار أسود وهذا الغلاف معمول بطريقة اللاكي المشهورة والمتداولة في العصر القاجاري الصفحتان الأولى والثانية في غاية الروعة والجمال من حيث العمل الزخرفي الذي تحمله هاتان الصفحتان فالصفحتان متشابهتان بالعمل الزخرفي فالنصف الأول منها يتكون من زخرفة نباتية وهندسية في الوقت نفسه عبارة عن محركات زخرفية جمالية نتجت منها لوحة زخرفية صغيرة مزوّقة بألوان مختلفة الذهبي والأحمر والأزرق ثم يتبعها مستطيل صغير كُتب عليه اسم السورة مزخرف ومزوّق من الطرفين مما يأتي، النصف الاخر للصفحتين اذ يفصلهما إطار أحمر اللون كتب في هذا النصف السورة وهو عباره عن مربع مؤطر بإطار أزرق ثم يتبعه مستطيل أرضيته مذهبة وحواشية مزخرفة كتب عليه في الصفحة الأولى: لا يمسّه إلاّ المطهرون والثانية: تنزيل من رب العالمين والصفحتان يحيطهما إطارات متعددة أهمها الأول وهو الذي يحيط بكل الصفحة وهو عبارة عن زخرفة مستطيلة

الشكل نباتية غاية في الجمال وإطار آخر يحيط بمتن المصحف وهو عبارة عن إطارات داخل بعضها البعض ملونة بألوان متعددة منها الأحمر والأسود والذهبي الصفحات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة تحمل نفس الإطار المستطيل المزخرف والذي تحمله الصفحتان الأولى والثانية صفحات المصحف كله مؤطرة بإطارين الأول على كل الصفحة ذهبي اللون مع سواد يحيط به والثاني يحيط بمتن المصحف فقط مكون من إطارات عدة داخلة بعضها البعض الآخر وبألوان مختلفة الأزرق والأسود والذهبي كلمات الأجزاء والأحزاب وحروفها كُتبت داخل طرر صغيرة أرضيتها مذهبة في حاشية المصحف عناوين السور كُتبت بالأحمر داخل مستطيل أرضيته مذهبة ومزخرف الطرفين فواصل الآيات رُسمت باللون الذهبي الصفحتان الأخيرتان للمصحف حملتا نفس الزخرفة الموجودة في الصفحتين الأولى والثانيه وباختلاف يسير وهناك بعض الصفحات عليها بعض البقع الملونة؛ تحتاج إلى صيانة مختبرية.

المخطوط: مطبوع.

المصادر: كشف الحجب والأستار: ٧٩٩ الذريعة: ٢٥/ ١٧.

رسالة في قول المصلي: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

المؤلف: أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت١٢٤١هـ).

التسلسل العام: ٥٥٦ ملحق: ٢ التسلسل المخزني: ٤٧٧/ ١/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ١٢ الأسطر: ٢٥ القياس: ٢, ٢٠×٥, ١٤سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أبيض حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود حالة المخطوط: ناقص إتجاه النقص: النهاية نوع الغلاف: جلد وكارتون التملكات: تملك علي العلوي ختم.

أوله: بعد البسملة والاستعانة الحمد لله رب العالمين بعد فيقول..

آخره: وتلجه الروح في عشرين فهذه هي الأربعة فكيف تكون.

ملاحظات عامة: وهو رسالة في معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ من وجهة نظر تعبدية عرفانية وما هي الاثار التي تحدث على المصلي حينما يتلفظ بهذه الكلمات في الصلاة وقد رتبها على ديباجة ومقدمة ثم الإجابة إذّ إنَّه عبارة عن سؤال وجهه إليه بعض الأخوان؛ فأجاب عنه الشيخ النسخة جيّدة وسليمة وقد كُتبت على حاشية كتاب مشارق انوار اليقين الموجودة في الخزانة.

المخطوط: مطبوع.

المصادر: وهي ضمن رسائل الشيخ الأحسائي والتي ذكرها الشيخ أغا بزرك في ذريعته.

الجداول النورانية لتسهيل استخراج الآيات القرآنية (تيسير الكلام)

المؤلف: ناصر بن حسين الحسيني النجفي.

التسلسل العام: ٥٥٩ التسلسل المخزني: ٤٩٩/ ٢/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٤١٩ الأسطر: ١٥ القياس: ٢١,٧×١٣سم نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أبيض حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون التملكات: ختم تملك.

أوله: بعد البسملة الحمد لله الذي أفاض جداول بره واحسانه..

آخره: يهدي به الله من اتبع رضوانه.

ملاحظات عامة: وهو كتاب في تسهيل استخراج الآيات القرآنية وقد رتبه على مقدمة وجداول وهو عبارة عن خمسة بيوت في الجدول يذكر اسم الآية ثم اسم السورة ثم الجزء ثم ربع الجزء وقد رتبه على الحروف وقد صدّر الكتاب باسم السلطان محمد أورنك زيب عالم كير شاه الذي جلس على سرير الملك من ١٠٧٧هـ وفتح حيدر آبادكن في ١٠٩٨هـ العناوين كُتبت باللون الأحمر على حاشية الكتاب كُتبت الجداول باللونين الأحمر والأسود النسخة جيّدة وسليمة مع وجود بقع دهنية على بعض الأوراق.

المخطوط: غير مطبوع.

المصادر: الذريعة: ٥/ ٨٩ الأعلام: ٧/ ٣٤٨ معجم المؤلفين: ١٣/ ٦٩ أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٠٢.

كشف الآيات

المؤلف: محمد رضا بن عبد الحسين النصيري الطوسي (توفى بعد ١٠٦٧هـ).

التسلسل العام: ٥٦٧ التسلسل المخزني: ٤٨٠/ ١/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٥٦٦ الأسطر: ١٤ القياس: ٥,٢٠×١٤,٥سم نوع الخط: نسخ ونسخ تعليق حالة الخط: جيّد لون الورق: أبيض حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بعد البسملة كشف قناع عذار عذراء المقال..

آخره: يدي من آل عمران.

ملاحظات عامة: وهو عبارة عن معجم مفهرس لآيات القرآن الكريم رتبه على ديباجة ومقدمة وثمانية وعشرين كتاباً بعدد الحروف في أول الكلمة وكل كتاب على ثمانية وعشرين باباً بعدد الحروف في اخر الكلمة فان كانت الكلمة في القرآن واحدة فيها وإلا بذكر ما بعدها من كلمة أو أزيد إلى أن تخلص من الاشتراك ثم يذكر السورة التي فيها الكلمة ثم يكتب عدد الآيات التي فيها الكلمة ثم يكتب لفظ (من) ويكتب بعدها عدد عشر تلك السورة وهكذا إلى آخر الأبواب وهي نسخة جميلة جداً عبارة عن جداول مربعة رسمت باللون الأحمر وكل جدول فيه ستة بيوت صفحاتها مؤطرة بإطار أحمر على حجم الورقة عناوين الحروف كُتبت باللون الأحمر في أعلى الصفحة الزوجية من الأعلى نسخة خزائنية ونفيسة وذلك مما عليها من جمالية الرسم والكتابة.

المخطوط: غير مطبوع.

المصادر: كشف الحجب والأستار: ٤٦٥ الذريعة: ١٨/ ٥.

القرآن الكريم

التسلسل العام: ٥٧٧ التسلسل المخزني: ٥٧٢/ ٤/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٥٨٤ الأسطر: ١٣ القياس: ٢٩×٣٤,٧سم سنة النسخ: ١٣٨١هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: رديء لون الورق: أبيض حالة الورق: متضرر لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: ناقص إتجاه النقص: البداية نوع الغلاف: كارتون الوقفيات: عليه وقفية.

أوله: ﴿ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

آخره: سورة الناس ثم دعاء ختم القرآن.

ملاحظات عامة: يبدأ بالآية خمسة وتسعين من سورة البقرة المصحف كتابته حديثة العهد عناوين السورة كُتبت بالزعفران مع أرقام الآيات النسخة جيّدة وقد تأثرت بوجود بقع كبيرة على القسم الأعلى منه مما يحتاج إلى صيانة مختبرية مهمة وكذلك يحتاج إلى اعادة تجليد.

منتخب التجويد

المؤلف: محمد علي بن أحمد بيدكلي.

التسلسل العام: ٥٨٥ ملحق: ١ التسلسل المخزني: ٤٣٩/ ١/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢٨ الأسطر: ١٥ القياس: ١٧,٤×١٠,٢سم سنة النسخ: ١٢٤٠هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أخضر فاتح حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد التعليقات: عليه تعليقات وقعت بـ(منه).

أوله: بعد البسملة سياس وستايش مر خدائي واست كه..

آخره: الله أكبر لا اله إلا الله والله اكبر تمام شد.

ملاحظات عامة: رسالة في التجويد وفي القراءة وقد كتبها مؤلفها لالتماس بعض

الافاضل له وقد رتبها على ديباجة ومقدمة وأبواب عليه تعليقات وهي نسخة وحيدة لم تذكرها المصادر العناوين كُتبت باللون الأسود النسخة جيّدة وسليمة.

المخطوط: غير مطبوع.

رسالة في تفسير بعض الآيات

التسلسل العام: ٦١٨ ملحق: ٨ التسلسل المخزني: ٤٩٢/ ٤/ ٤ اللغة: فارسي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٤٠ الأسطر: ١٧ القياس: ٣, ٢١×٥, ١٥سم نوع الخط: نسخ تعليق حالة الخط: رديء لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود حالة المخطوط: ناقص إتجاه النقص: النهاية نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بعد البسملة الحمد لله الذي علا فاستعلى..

آخره: نماز عيد مبرره مختلف.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾.

التسلسل العام: ٦٢٦ ملحق: ١ التسلسل المخزني: ٥١٤/ ٢/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ١١ الأسطر: ١٩ القياس: ٥, ٢٦×٥, ١٥سم الناسخ: برازي أفندي نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أبيض حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود حالة المخطوط: كامل وعليه حواش نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بعد البسملة نحمدك يامَنْ أبقظ قلوب العارفين عن مقام..

آخره: فضله من الابتداء وهي متعلقة بالابتغاء وفي هذا القدر كفاية.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾.

المؤلف: علاء الدين بن عماد الدين الدمشقي.

التسلسل العام: ٦٢٦ ملحق: ٢ التسلسل المخزني: ٥١٤/ ٢/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٣ الأسطر: ٩ القياس: ٥, ٢٦×٥, ١٥سم الناسخ: برازي أفندي

نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أبيض حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بعد البسملة قوله جل علاه وعز جاه وعظم ثناه..

آخره: قابله من ملام وهو مع بعده عن الوئام لا يشفى عن الأوام.

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَتِ رَبِّكَ﴾.

التسلسل العام: ٦٢٦ ملحق: ٧ التسلسل المخزني: ٥١٤/ ٢/ ٤ اللغة: عربي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢ الأسطر: ٥ القياس: ٥, ٢٦×١٥, ٥سم الناسخ: برازي أفندي نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أبيض حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: ناقص إتجاه النقص: الوسط نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَتِ رَبِّكَ﴾

آخره: فيقال الصلاة تجوز فيه وفيها كذا نقل عن الجاربردي.

رسالة المصري في أسرار القرآن.

المؤلف: حضرت مصري.

التسلسل العام: ٦٣١ التسلسل المخزني: ٤٦٤/ ١/ ٤ اللغة: تركي الموضوع: علوم القرآن الصفحات: ٢٢ الأسطر: ١٩ القياس: ٣, ٢٠×٣, ١٣سم سنة النسخ: ١٢٦٦هـ نوع الخط: نسخ حالة الخط: جيّد لون الورق: أصفر حالة الورق: جيّد لون الحبر: أسود وأحمر حالة المخطوط: كامل نوع الغلاف: جلد وكارتون.

أوله: بعد البسملة مصرينك بورسالة تسويددن حراوي طرق..

آخره: بكنور دجاّل اولان مطالعه ايدرس غيظه كلور.

ملاحظات عامة: رسالة في أسرار آيات وكلمات وحروف القرآن الكريم وذلك عن طريق حساب الجمل لم نحصل على دليل بيلوغرافي يذكر هذه الرسالة ولا حتّى مؤلفها

فقط كتب عنوانها في أعلى الصفحة باللون الأحمر وكذلك كتب الأعداد والحروف المراد حسابها باللون الأحمر وقد أُعلمت الآية وبعض بداية المطالب بخطوط حمراء صفحات الكتاب كلها مؤطرة بإطار أحمر النسخة جيّدة ونظيفة وسليمة وقد رتبها على مقدمة ثم يعرض الآية المراد حسابها.

القسم الثاني: الفهرس الألف بائي للعناوين

العنوان	التسلسل العام
أربعة سور من القرآن الكريم	١٦٩
أنوار التنزيل وأسرار التأويل	٢٧ ٥٣٥
آيات من سور القرآن الكريم	٧٥
تفسير الفاتحة والملك إلى آخر القرآن	٢٥٤
تفسير القرآن الكريم	٤٥٠/ ملحق ١
تفسير حروف البسملة	٣٧٢
تفسير سورة يوسف	٥٩
تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	٦٢٦/ ملحق ١ ٦٢٦/ ملحق ٢
تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾	٦٢٦/ ملحق ٧

تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب	١٢٨
الجداول النورانية لتسهيل استخراج الآيات القرآنية	٥٥٩
الجزء الرابع والعشرون من القرآن الكريم	٣٧٣
جزء من القرآن الكريم	٢٢٤ ٢٢٧
حاشية الأحسائي على سواقي الزهراوين في تفسير البيضاوي	٤١٥
حاشية الشيخ البهائي على أنوار التنزيل للبيضاوي	٥١٦
حرز الاماني ووجه التهاني (الشاطبية)	٤١٨
خلاصة منهج الصادقين في الزام المخالفين	٦٨
الدرة المضيئة في قراءات الائمة الثلاثة المرضية	٤١٨/ ملحق ١
رسالة المصري في أسرار القرآن	٦٣١
رسالة في تفسير بعض الآيات	٦١٨/ ملحق ٨
رسالة في قول المصلي: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥٦٦/ ملحق ٢
رسالة في معرفة التجويد	٥٤٦

زبدة البيان في تفسير آيات أحكام القرآن	٧٨ ٨٤
سور من القرآن الكريم	٥٧ ١٧٣ ٢٢٢
الصافي في تفسير القرآن	١٣٥
كشف الآيات	٥٦٧
كنز العرفان في فقه القرآن	٢٦١
القرآن الكريم	١ ١٦٨ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ٢٢١ ٢٢٣ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٨ ٣٠٠ ٣٢٤ ٤٥٠ ٥٣٢ ٥٥٠ ٥٧٧
كنز المعاني في شرح حرز الاماني	٤٣١
مجمع البيان لعلوم القرآن	٤٨٤
مختصر في علم التجويد	٥٤٦/ ملحق ١
المناسخات والناسخات	٢٧٥/ ملحق ١
منتخب التجويد	٥٨٥/ ملحق ١
وجيزة في التجويد	٤١٨/ ملحق ٣

القسم الثالث: الفهرس الألف بائي للمؤلفين

اسم المؤلف	التسلسل العام
إبراهيم بن عمر الجغبري	٤٣١
أحمد بن زين الدين الأحسائي	٥٦٦/ ملحق ٢
أحمد بن محمد المقدس الاردبيلي	٧٨ ٨٤
أسد الله الحسيني القايني	٥٤٦/ ملحق ١
حضرت مصري	٦٣١
عبد الخالق بن ملا نادر محمد خلخالي	٢٧٥/ ملحق ١
عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي	٢٧ ٥٣٥
علاء الدين بن عماد الدين الدمشقي	٦٢٦/ ملحق ٢
علي بن الحسن بن الفضل الطبرسي	٤٨٤
فتح الله بن شكر الله الكاشاني	٦٨
القاسم بن فيرا بن خلف الشاطبي	٤١٨
كاظم بن قاسم الرشتي	٣٧٢
محمد بن الحسين بن عبد الصمد البهائي	٥١٦

محمد بن محمد الجزري	٤١٨/ ملحق ١
محمد بن محمد رضا بن إسماعيل المشهدي القمي	١٢٨
محمد بن مرتضى بن محسن الفيض الكاشاني	١٣٥
محمد رضا بن عبد الحسين النصيري الطوسي	٥٦٧
محمد صالح بن إبراهيم بن حسين الأحسائي	٤١٥ ٣٠١
محمد علي بن أحمد بيدكلي	٥٨٥/ ملحق ١
محمد علي بن فرج الله بكاري	٥٤٦
معين الدين محمد بن شرف الدين محمد الفراهي	٥٩
المقداد بن جلال الدين عبد الله السيوري	٢٦١
ناصر بن حسين الحسيني النجفي	٥٥٩
يعقوب بن عثمان بن محمود الغزنوي الجرخي	٢٥٤

القسم الرابع: الفهرس الألف بائي للناسخين

اسم الناسخ	التسلسل العام
أبو طالب بن عنايت الله	٢٦١
إسحاق بن خسرو	٣٠٠
إسماعيل بن حامد	٥٩
بديع الزمان بن محمد شفيع المؤذن اللامغاني	٥١٦
برازي افندي	٦٢٦/ ملحق ١ ٦٢٦/ ملحق ٢ ٦٢٦/ ملحق ٧
تقي بن جمشيد	٤٣١
حسين بن محمد علي القوشجي	١٧٦
رسول بن كريم التبريزي	١٧٠
زين العابدين الاصفهاني السلطاني	٥٥٠
سرفراز	٢٥٤
ص د ر	١٧٤
عبد الخالق بن ملا نادر محمد خلخالي	٢٧٥/ ملحق ١

عبد الرضا بن حسين علي سياحي	٧٨
عبد علي بن بحر	٥٤٦
عبد الله بن عاشور	١٦٨
عزيز الله	٢٢٦
علي الشيرازي	١
علي بن زين الدين أويس القرني	٨٤
محمد	١٧٧
محمد بن محمود التبريزي	٥٣٢
محمد موسى بن جعفر الحسيني التوني	١٣٥
مسعود بن ركن الدين عقيل الحسيني	٤٥٠

المصادر و المراجع

١. الأعلام خير الدين الزركلي (ت١٤١٠هـ) الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠م دار العلم للملايين بيروت لبنان.

٢. أعيان الشيعة محسن الأمين العاملي(ت١٣٧١هـ) تحقيق حسن الأمين دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان.

٣. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون إسماعيل باشا بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني طبع سنة ١٩٤٧م-١٣٦٦هـ طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة تركيا.

٤. الذريعة إلى تصانيف الشيعة محمّد محسن بن عليّ بن محمّد رضا الطهراني النجفي المعروف بآغا بزرك الطهرانيّ(ت١٣٨٩هـ) الطبعة الثانية سنة١٤٠٦هـ دار الأضواء بيروت لبنان.

٥. فهرس التراث محمد حسين الحسيني الجلالي تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ- ١٣٨٠ش نشر دليل ما قم إيران.

٦. كشاف الفهارس السيد محمد باقر حجتي تحقيق دكتور سيد محمد باقر حجتي الطبعة الأولى سنة ١٣٧٠ش انتشارات سروش إيران.

٧. كشف الحجب والأستارعن أسماء الكتب والاسفار السيد إعجاز حسين النيسابوري الكنتوري(ت١٢٨٦هـ) الطبعة الثانية سنة ١٤٠٩هـ مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم إيران.

٨. كشف الظنون مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٩. معجم المطبوعات العربية يوسف اليان سركيس(ت١٣٥١هـ) الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ مكتبة آية الله المرعشي النجفي قم إيران.

١٠. معجم المؤلفين عمر كحالة الطبعة الأولى دار إحياء التراث بيروت لبنان.

١١. هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين إسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ) سنة الطبع ١٩٥١ مدار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

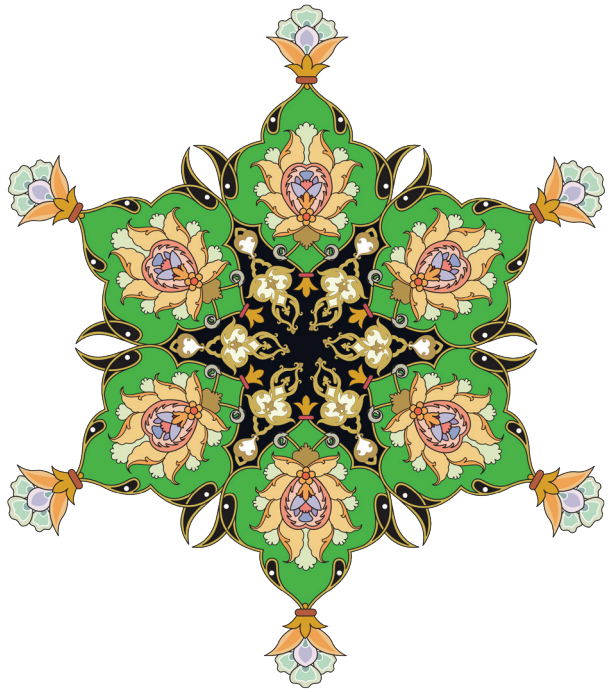

كتابُ

الجُهُود التَّفسيريَّة عندَ الإمام الحُسين عليه السلام

عرضٌ ونقدٌ

إصدار قسم الشؤون الفكرية و الثقافية

العتبة الحسينية المقدسة

د. إيمان كريم جبّار الحريزي

جامعة الكوفة/كليّة التربية للبنات

The Exegetical Efforts of Imam Al-Hussein peace be upon him a review and criticism

Dr. Iman Karim Jabbar Al-Huraizi

University of Kufa / College of Education for Girls

Email: emanalharizi@gmail.com

ملخص البحث

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلاةُ والسَّلام على مُحمّدٍ وآلِهِ الطَّيّبِين الطَّاهرين وبَعدُ...

فهذه نافذةٌ نطلُّ من خلالِها على أحدِ منشورات قسم الشؤون الفكريّة والثقافيَّة في العتبة الحُسينيَّة المُقدَّسة شعبة الدِّراسات والبُحوث الإسلاميَّة ألا وهو كتاب: (الجهود التفسيريّة عند الإمام الحُسين عليه السلام دراسة تحليليَّة) للدكتور عبد الحُسين راشد معارج في طبعتهِ الأولى عامِ ٢٠١٦م نُبيّن أهم ما جاء في هذا المؤلَّف من جهود قيّمة توضّح منهج الإمام الحُسين عليه السلام في تفسير القرآن الكريم فيما أُثر عنه من روايات تفسيريّة في هذا المجال وفي المُقابل نُسجّل بعض النّقاط المُستخلصة من القراءة و الَّتي نطمحُ أنْ تكونَ من العلمِ النّافع -إنْ شاء الله-

ولاشكّ في أنّ هذه القراءة وأمثالها تُحيي فينا روحيَّة المنهجيَّة العظيمة للإمام الحسين عليه السلام الَّذي فتح باستشهادهِ مدرسة عظيمة تستقي منها الأمّة وأجيالها المتعاقبة الدِّروس والعِبَر في كيفيَّة حمل المشروع العظيم وما يتطلبه ذلك من تحمُّل الشَّدائد والمصاعِب ومُقارعة الظُّلم والظالمين وكيف ينبغي للمرءِ أنْ يختارَ لنفسه طريقَ السَّعادة مهما كانتْ شاقَّة ومُرَّة.

وثورة الإمام الحسين عليه السلام هي أنشودةُ العزِّ في فمِ الأجيال تهزُّ القلوب وتُحيي النُّفوس بالعزائمِ الحيَّة ؛لأنّ هدفَ الحسين كان عالميًا احتفلَ ويحتفلُ به كلُّ ذي ضمير وكلُّ ذي شعور حيّ وبناءً على ذلك فثورةُ الحُسين عليه السلام عالميَّة وليستْ قبليَّة أو إقليميَّة أو مذهبيَّة وليستْ تراثًا للشيعة فحسب ؛بل يجب الانتباه إلى شموليَّة هُويَّة الثورة وانتمائِها إلى الإسلام الجامع.

هذه المفاهيم والمعطيات مجتمعة جُسّدت في هذا الكتاب ومؤلفات أُخر قامتْ بنشرها شعبة الدراسات والبحوث الإسلاميَّة في العتبة الحُسينيَّة المُقدَّسة نسلّط الضوء عليها تباعًا -إن شاء الله- .

وقد اقتضتْ خطةُ البحثِ أنْ يكونَ على ثلاثة مطالب يتضمنُ المطلبُ الأوَّل تعريفًا بالكتاب نستعرضُ خطتّه بالتفصيل وماحملتهُ في أطوائها من فصولٍ ومباحث ونعرضُ في المطلب الثاني لنماذج روائيَّة تفسيريّة ممّا أورده الباحث عن الإمام الحُسين عليه السلام ونخُصِّص المطلبُ الثالث لأهمِّ النقاط الَّتي سجَّلتها القراءة المتواضعة غايتُنا إفادة القارئ الكريم من هذه التَّجربة ؛لأنّها تستحقّ القراءة الواعية المتأنيَّة ولا نريد في ذلك الانتقاص من شأنِ الجهد المبذول أبدًا فلازلنا في بداية المشوار العلميّ نتعلَّمُ أبجديات العلمِ والمعرفةِ من أستاذنا الباحث الكريم وأساتيذه الأفاضل وفي الختام أسألُ الله لي ولكم التَّوفيق والسَّداد.

المطلب الأوَّل:تعريفٌ بالكتاب (الخُطَّة والمنهج)

الكتابُ على(٤٦٤) صحيفة وهو كما ذكرتُ في المُلخَّص من منشورات قسم الشؤون الفكريّة والثقافيَّة في العتبة الحُسينيَّة المُقدَّسة طُبع الكتاب في عام ٢٠١٦م ووضع مُقدِّمته رئيس اللِّجنة العلميَّة السَّيِّد مُحمَّد علي الحلو وكان في الأصل أطروحة دكتوراه نُوقشتْ في كُليَّة الفقه / جامعة الكوفة وهي من إعداد الباحث عبد الحُسين راشد معارج وإشراف الأُستاذين الأستاذ الدكتور صباح عبَّاس عنوز والأستاذ المساعد الدكتور محمود مُحمّد مجبل.

يحتوي الكتابُ على خمسة فصول مسبوقة بمُقدِّمة ومتبوعة بخاتمة لأهم النتائج الَّتي توصلتْ إليها الدِّراسة مردفة بقائمة المحتويات وجدول إحصائيّ لإصدارات قسم الشؤون الفكريّة والثقافيَّة في العتبة الحُسينيَّة المُقدَّسة بلغت (١٣٣)كتابًا.

مُقدِّمة اللِّجنة العلميَّة

أكّدتْ اللِّجنة العلميَّة ممثلة بالسَّيد مُحمَّد علي الحلو عدّة نقاط مهمّة منها تنوّع الجهود الفكريّة الَّتي انماز بها أهل البيت عليهم السلام وأوضحتْ ما أراده أهل البيت عليهم السلام من شيعتهم وهو حفظ القرآن الكريم بمفاهيمه وقراءته بمعارفه ولابدّ من الرّجوع إلى القيِّم على القرآن حيثُ هو عدله والتالي للقرآن حيثُ هو معارفه وهم أهل البيت عليهم السلام وأوضحتْ أنّ الإمام الحُسين عليه السلام بذلَ جهدًا تأسيسيًّا في تفسير القرآن تمثَّل بإرجاع الأحكام الشَّرعيَّة إلى مصدرها

وهو القرآن الكريم وبيَّنت أثر تلك الجهود في ترسيخ المبادئ الأخلاقيَّة والتَّربويَّة هذا من جهة ومن جهة أخرى أثنتْ على الجهود المبذولة من قبل الباحث وأستاذيه من أجل إخراج هذا البحث على هذا النَّحو ورأتْ أنّ "هذه الدِّراسة تستحقُّ الاهتمام وجديرةٌ بالتقدير".

مُقدِّمة البحث

استهَّل الباحث مُقدِّمة البحث ومقدّمات الفصول -عدا الفصل الخامس - ببيانِ أفضليّة القرآن الكريم وذكر بعضٍ من صفاتهِ يقول: " القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام، وأقدسُ كتابٍ لدى المسلمين وخاتم الكُتب السَّماوية، وبه تثُبت نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبه تقوم الحجَّة على النَّاس جميعًا إلى يوم القيامة بالتزام الإسلام دينًا ،لأنّه معجزة، ولخلودِ مافيه من إعجاز وهوالمصدر الوحيد قطعي الثّبوت،بإجماع المسلمين لم تمتدّ إليه يدُ التَّحريف أو الزِّيادة أو النَّقصان، وهو النُّور الذي ينُير طريق الإنسانيَّة، فيحيلُ ليلَ جاهليتِها نهارًا مُشرقًا سماويًا مُتألِّقًا)).

وأردفَه بالحديث عن أسباب اختيار البحث مبتدئًا ببيانِ مكانة أهل البيت عليهم السلام وأهميّة ذكرهم فذكرهُم تمام كالقرآن لا تبلى جدَّته ولا يُملّ تكراره كذلك إنّ محبتهم ومودتهم تكمن في إظهار علومهم ومعارفهم وهو من أعظم القربات عند الله تعالى، لذا تناول البحث من أعلامهم سبط الأمة وسيِّد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليه السَّلام قرين القرآن..... ".

ثمَّ ذكرالدراسات التي سبقته في هذا المجال وبين أفضليّة دراسته وما انمازت به من غيرها بوصفها أوسع أطروحة فقهيَّة تخصُّ الإمام الحُسين عليه السلام يقول: "اختصَّت هذه الدراسة بما أثر عنه عليه السَّلام من تفسير للقرآن، وعلى حدِّ علمي لم تكن هناك أي دراسة أكاديميّة أو بحث منشور فيما يخصُّ الروايات التفسيريّة المرويَّة عنه عليه السلام في أيّة جامعة حسب ما استقصيته، سوى ماكتبه بعض الأعلام وأهل التراجم، ومنهم الشيخ باقر شريف القرشي ٠في كتابه (حياة الحسين عليه السلام)" وبيّن إفادته منه.

ويرى أنّ ما كتبه الآخرون يغلب عليه الحديث عن منهجه البطوليّ والثوريّ عليه السلام، يقول:

"وأما ما كتبه الدكتور عبد الرسول الغفاري (الحسين ﷺ من خلال القرآن الكريم)) فهو تأويل للنّصوص القرآنية بما يطابق المنهج الحُسينيّ، أمَّا ما قامَ بهِ السَّيِّد محُمَّد علي الحلو في كتابه (تفسير القرآن الكريم) فكان جمعًا للروايات ولاسيّما التفسيريّة وليس جميعها، وكان هذا الجهد جهدًا عظيمًا يُشكر الباحثُ عليه.» وقد ذكر أيضًا دراسة الماجستير الموسومة بـ(فقه الحسنين ﷺ) للباحث إسماعيل محمود محمد عيسى الجبوري وقدَّم نقدًا عليها بقولهِ: " وفيه من التَّجني على الإمام الحسين ﷺ كونه ﷺ عملاقًا في كل العلوم فضلًا عن العلوم الشرعيّة" .

منهج الدِّراسة

فيما يخصُّ المنهج بيّنَ الباحث أنّه كانَ موضوعيًّا بعيدًا عن التَّعصُب والهوى مُبرّزًا بشكلٍ خاص ما للإمام الحسين ﷺ من أثرٍ واضح في علوم القرآن، دون التجني على جهود الآخرين؛ لأنّ هدف الجميع خدمة كتاب الله العزيز وبيان مراميه بإخلاص وتفان قلَّ نظيرهما في التراث الفكرييقول:" وكانت معاملتي للروايات على أساس السَّند والمتن، فقدَّمتُ ترجمة لرواة الإمام الحسين عليه السَّلام وأرجعتُ الروايات إلى القرآن والسُّنَّة المُطَّهرة، ورُبَّما أقومُ بتثبيت نسبة الروايات إلى الإمام الحسين ﷺ التي قد ينكرها البعض وذلك بالرجوع إلى مصادر الحديث والرجال، وحسب القواعد المعلومة".

أمّا خُطَّة البحث و المكوَّنة من خمسة فصول فنوضّح ما تضمنتهُ بالآتي:

اختصَّ الفصل الأول : بالحديث عن حياة الإمام الحسين ﷺ ورواته في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحياة الشخصيّة والاجتماعيّة والفكريّة

تطرّق فيه إلى ستة موضوعات هي:

أولًا: ولادته، صفاته، رضاعه، شهادته ومدفنه الشريف

ثانيًا: كنيته وألقابه ﷺ.

ثالثًا: نسبه الشريف، أسرته .

رابعًا: نقش خاتمه وبوابه وشاعره .

خامسًا: إمامته ووصيته.

سادسًا: آثاره ومعارفه.

وتناول المبحث الثاني: الحياة السياسية للإمام الحسين عليه السلام وضمَّ:

الحدث الأول: المباهلة.

الحدث الثاني: بيعة الغدير

أولا: زمن إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام ١١هـ – ٤٠ هـ

ثانيا: زمن الإمام الحسن عليه السلام ٤٠ هـ – ٤٩ هـ.

ثالثا: زمن إمامته عليه السلام ٤٩ هـ – ٦١ هـ. وأردفَ تلك النقاط بالحديث عن أهداف النهضة الحُسينيّة.

أمّا المبحث الثالث فتناول رواة الإمام الحسين عليه السلام ؛حيث ذكر(٢٩)راويًا كأبي سعيد الخدري وأبي المُقدام والأصبغ بن نباته..الخ.

تناول الفصل الثاني: الجهود التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام في علوم القرآن في أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيّن فضل تلاوة القرآن الكريم إضافة إلى فضل القرآن على حملته.

وخصّص المبحث الثاني: لأسباب النزول.

أمّا المبحث الثالث فأفاض فيه في بيان التأويل ووجوهه في القرآن الكريم فضلًا عن بيان المنهج التَّفسيريّ للإمام الحُسين عليه السلام في نقطتين :

أولا: التفسير بالمعقول.

ثانيا: التفسير بالمنقول ويشمل:

١ – تفسير القُرآن بالقُرآن .

٢- التفسير بالمأثور من السُّنة المُطَّهرة .

٣- التفسير بالرِّجوع الى اللُّغة .

وفي صدد حديثه عن المنهج التفسيريّ عند الإمام أشار إلى أنواع التفسير ومستوياته وقدَّم نماذج روائيّة عن النوعين: (التفسير بالعقل)و(التفسير بالنقل) وهو تفسير القرآن بالقرآن والتفسير بالمأثور من السُّنة المطَّهرة والتفسير بالرجوع إلى اللُّغة وقد أشار الباحث إلى أنّه وجد الكثير من مرويات الإمام الحسين عليه السلام في هذا القسم من التفسير بالموروث عن النَّبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام "ولكمال وضوحه وإشراقة بيانه قد لا يحتاج إلى بيان أو تحليل أو توضيح».

وجمعَ المبحث الرابع: عناوين متفرقة ضمَّت(تفسير الحروف المُقطَّعة والاستشفاء بالقرآن و القصص القرآني) وذكر ملحظًا يخصّ القصص القرآني قال :"المفروض أن يكون هذا العنوان مبحثًا منفصلًا مستقلًا ولكنّي وجدتُ جميع الروايات في هذا الباب هي روايات غير مباشرة عن الإمام الحسين عليه السَّلام؛ لذا جعلته في العناوين المتفرقة".

اختص الفصل الثالث ببيان الجهود التفسيرية في تفسير آيات العقائد في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: التَّوحيد

وقد ابتدأه بتوطئة عن معنى التَّوحيد وأقسامه وهي :التَّوحيد في الذات وفي الصفات والتَّوحيد الإفعالي والتَّوحيد في العبادة ثمّ تطرّق إلى أدلة إثبات وجود الله (دليل النّظام) أو (برهان التّمانع) ونفي الشريك عنه سبحانه وتعالى ثمَّ بيان الصفات الإلهيَّة.

وقدّم الباحث نماذج روائية تفسيريّة عن الإمام الحسين عليه السلام بعد أن بين منهج أهل البيت عليهم السلام في معرفة الله عزَّ وجل وأوضح تأكيد السِّبط الشهيد على هذا الجانب العقائدي المهم يقول:((وقد أكد السِّبط الشهيد عليه السلام على هذا الجانب العقائدي المُهم وهو معرفة الله عزَّ وجل والطَّريق الذي يسلكه العبد للحصول على تلك المعرفة وهذا واضح في خطابه عليه السَّلام لإرشاد الناس إلى معرفة الله عزَّوجل"

المبحث الثاني: النِّبوة .

بيّن في بداية المبحث أنّ المُنكر للنِّبوة كافر وأوردَ دلائل نبوة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ومعاجزه وأنّه خاتم النبيين.

المبحث الثالث: الإمامة .

تحدث عن الإمامة وبيّن أنواعها في القرآن الكريم ثمّ تناول شرائطها كالنّص على الإمام من قبل الله عزَّ وجل والطَّهارة والعصمة والطَّاعة وغيرها.

وفي سياق معرفة الإمام أورد بعض النماذج الروائية التي دلَّت على عدد الأئمة مع التنصيص على أسمائهم.

ختم الفصل بخاتمة بيَّنت منهج الإمام بالجمع بين المنهجين المنهج الأخلاقي والمنهج العلمي في توضيح المسائل للسائلين.

احتوى الفصل الرابع:الجهود التفسيريَّة الفقهيَّة عند الإمام الحسين عليه السلام في ثلاثة مباحث أيضًا.

وقد أشار الباحث في هذا الفصل إلى أنّه كان النصيب الأكبر للمبحث الأول – العبادات – مع ندرتها في الأخريات يقول:"وعلى العموم يجد القارئ قلَّة الروايات التفسيريّة مع وجود روايات فقهيّة تُحقق أطروحة جامعيّة واسعة الأبعاد، ويمكن أن نعزو ذلك إلى الظرف السياسي العصيب الذي كان يعيشه الإمام عليه السلام".

والمباحث هي:

المبحث الأول: العبادات

(الصَّلاةالصَّوم الحِج الخُمس الصَّدقات (الصَّدقة المُستحبَّة) الجِهاد الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المُنكر)

المبحث الثاني: العقود

أولا: التجارة (المكاسبُ المُحرَّمة) .

ثانيا – النِّكاح.

١. حرمة نكاح المرأة الكافرة .

٢. مفهوم العدالة في النِّكاح.

المبحث الثالث: الإيقاعات وغيرها .

أولًا– الإيقاعات.

ثانيًا: الأحكام: استحبابُ لبِس الخز

تناول الفصل الخامس :الجهود التفسيريَّة الأخلاقيَّة والتربويَّة عند الإمام الحُسين عليه السلام

بيَّن المبحث الأول: صفات المؤمنين كالصَّبر و الحِلم وكظم الغيض والعفو عن النّاس والرِّفق بهم والرد بإحسان والتواضع وعدم التكبر فضلًا عن تحية الإسلام (السَّلام).

وخصّص المبحث الثاني: للتَّربية والتَّعليم وتناول فيه :

أولًا: الإرشاد التربويّ.

ذكرَ الروايات المأثورة عن الامام الحسين وأهل البيت عليهم السلام في هذا الجانب مبينًا مناهج الأئمة عليهم السلام في إرشاد النّاس وهدايتهم إلى دين الحق وأحكامه فمناهجهم متعددة في سبيل الهداية وقد اقتدى بها العلماء و الصالحون .

ثانيًا: من طرق التَّعليم وآدابه .

ثالثًا: في الكياسة والعمل بالشريعة الإسلاميّة: (لا طاعةَ لمخلوق في معصيّة الخالق)

رابعًا: الإنفاق من الطَّيِّبات وعدم رد السَّائل أمّا المبحث

الثالث فهو في تهذيب النَّفس وقد ضمّ الموضوعات الآتية:

أولا– جوامع الأخلاق .

ثانيا: في الحثِّ على التَّقوى وذمِّ الدُّنيا والتَّذكير بالموت ويوم القيامة .

ثالثا: النَّهي عن الصِّفات المذمومة: الغيبة ،و الكذب .

الخاتمة(نتحدث عن تفصيلاتها في المطلب الثالث)

المطلب الثاني :نماذج روائيّة مُختارة

النموذج الأول: في بيان أسباب النّزول

« قال تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾[النَّبَإ من الآية ١ الى الآية ٢] روى الشيخ الصدوق والمجلسي والحويزي بسندٍ عن ياسر الخادم عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (ياعلي أنت حجةُ الله وأنت بابُ الله وأنت الطريقُ إلى الله وأنت النَّبأ العظيم وأنت الصِّراط المستقيم وأنت المثلُ الأعلى يا علي أنت إمامُ المسلمين وأميرُ المؤمنين وخيرُ الوصيين وسيِّد الصديقين ياعلي أنت الفاروق الأعظم وأنت الصِّديق الأكبر».

عقَّب الباحث قائلاً:"ودلالة الرواية واضحة في بيان أسباب النِّزول، وقد روى الإمام الحسين عليه السلام الرواية عن جدِّه مباشرة من دون واسطة في وصف أبيه وما نزل فيه، فكان أبوه عليه السلام المثل الأعلى للمصاديق الجليلة كالصِّراط المستقيم وأنَّه أعظم الصِّديقين من الأولين والآخرين، ولما كان كذلك نُصِّب من الله عزَّ وجل أن يكون أميرًا على المؤمنين ووصيًّا عليهم من بعد الرسول صلى الله عليه وآله فهو النَّبأ الأكبر الذي كانوا ينتظرونه".

ثانيًا:النموذج الثاني في مبحث التأويل وبيان المنهج التَّفسيريّ للإمام الحُسين

أ-قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾[الضُّحَى الآية ١١].

"روى الحرَّاني عن الإمام الحسين عليه السلام وقد سأله رجل عن معنى قول الله عزَّ وجل: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ قال عليه السلام: أمره أن يحُدّث بما أنعم الله به عليه في دينه".

جانبٌ من تحليل الباحث للنّص : «الإمام عليه السلام يرى هذا الرجل وقد سأل عددًا من الصحابة فأجابه كلًا على قدر علمه فرأى الإمام عليه السلام أن يُعلِّم السائل أظهر مصاديق النّعمة وأكملها

بما قد يغفل عنه الإنسان ويتصور أن النّعم التي يجب التّحدث كما هي النّعم الدنيويّة مع أنّها ضئيلة في مقابل النّعم الأخروية، وهذا التفسير هو مايُسمّيه السَّيّد الطباطبائي قدس سره بالجري والتّطبيق، ولا يراد به انحصار الآية في المصداق الخاص ..."

ب-قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[النِّسَاء الآية ٦٩].

"نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام وطوبى شجرة في داره وهي في الفردوس، ليس من آثار الجنة شي، إلا هو فيها قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾روى داود بن سليمان الغازي قال: حدثنا علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: أخبرني أبي عن أبيه عليه السلام عن أبيه جعفر عليه السلام عن أبيه محمد عليه السلام عن أبيه علي عليه السلام عن أبيه الحسين عليه السلام عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الآية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ قال (من النبيين) محمد صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام و(من الشهداء) حمزة عليه السلام ومن الصالحين) الحسن والحسين عليهما السلام وحسن أولئك رفيقا) قال: القائم من آل محمد عليهم السلام وهذا الإسناد فيه أحمد بن حنبل مالو قرئ على مجنون لأفاق".

النموذج الثالث :في سياق التَّوحيد

«إذ روى الصدوق وغيره بإسناد عن سلمة بن عطاعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال : (إنّ الله جلَّ ذكره ماخلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه فاذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ماسواه فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمي! فما معرفة الله عز وجل؟ فقال عليه السلام: معرفة أهل كل زمان امامهم الذي يجب عليهم طاعته».

جانبٌ من تحليل الباحث للنّص:

أوضح أنّ معرفة الله عز وجل تكون عن طريق الحجة على الخلق نبيًا أو رسولًا» أو إمامًا فالذي يعبد الله عن غير طريق من نصَّبهم الله يكون عمله وسعيه غير مقبول وسيظلُّ متحيرًا كمثل : (شاة ضلَّت عن راعيها وقطيعها)إذ تكون

معرفة الإمام عليه السلام سبيلًا ودليلًا إلى معرفة الله عزَّوجل لأنَّه عليه السلام - الإمام - محور جميع المعارف الظَّاهرة والباطنة، ومركز لجميع طرق المعرفة، وبذلك يفهم قول المعصوم عليه السلام: "يابن أبي يعفو ر بنا عرف الله، وبنا عبد الله، نحن الأدلاء على الله، ولولانا ما عبد الله".

النموذج الرابع:المُنكر للنّبوّة كافر

«قال تعالى : ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾[ق الآية ٢٤] روى البحراني بإسناده عن أم الفضل، قالت سألتُ الحسين بن علي عليه السلام فقلت من الكفار ؟ فقال عليه السلام: (الكافر بجدي رسول الله صلى الله عليه وآله قلت: ومن العنيد؟ فقال عليه السلام: الجاحد حق علي بن أبي طالب عليه السلام".

المطلب الثالث:أهم النقاط المُستخلصة من قراءة البحث

أولًا:في ما يخصُّ العنوان كان من الأجدر أن يكون العنوان :(مرويات الإمام الحُسين عليه السلام التفسيريّة دراسة-تحليليَّة)؛لسببين:

١-أتحفّظ على كلمة (الجهود) ؛لأنّ علم أهل البيت عليهم السلام ليس (مُكتسبًا)حتّى نقول بذلَ الإمام جهدًا في تعلُّم التَّفسير.

٢-أكادُ أجزم أنّ كلَّ سطرٍ في هذا البحث يُشير إلى هذا العنوان ؛لأنّ الدراسة جمع وتحليل النماذج الروائيّة المأثورة عن الإمام الحُسين عليه السلام وإن كان الباحث لم يُفرّق أو لم يُبيّن لنا الفرق بين الرواية والمرويّة وهو محور عمله.

ثانيًا: في الفصل الثاني : الجهود التفسيريَّة عند الإمام الحسين عليه السلام في علوم القرآن العنوان بهذا الشكل واسع جدًا فعلوم القرآن كثيرة فكان من المفترض أن يحدد أيّ علمٍ من علومه بأن يضع بين قوسين(علم أسباب النّزول)؛ لأنّه اكتفى به وخصَّص المبحث الثاني لكلّ مايتعلَّق به.

ثالثًا: بدأ الإسهاب واضحًا في كل توطئة يبدأ بها الباحث فصوله فيذكر تفصيلات كثيرة تُبيّن سمات القرآن الكريم -وقد ذكرتُ أنموذجًا منها في سياق حديثي عن مقدّمة

الكتاب- فلو اختصر تلك المقدّمات البديهيّة لكان أفضل ومع أنّ الباحث يذكر ويكرر عبارات (تجنُّبًا لإطالة) (خشية الإطالة) لكنّه كان مُسهبًا في مواضع كثيرة كان حقّها الإيجاز ومن الأمثلة على ذلك الآتي:

أ-في معرض حديثه عن التأويل ذكر التعريف اللغوي والاصطلاحي للتَّأويل ومواضعه في القرآن الكريم ؛حيث ذكر (١٧) موضعًا .

ب-في سياق حديثه عن التّقوى أيضًا كان مُسهبًا إلى حدٍّ ما؛ إذ أوردَ(١٣) فائدة للتَّقوى محاولًا بيان منزلتها وثمارها مردفًا بأحاديث تبيّن منزلتها ثم ذكر روايات تبين منزلة التقوى وصورًا تبين شوق المتقين إلى الله وإعراضهم عن زخارف الدنيا وزبرجها وانقطاعهم الى الله.

ت- أسهب الباحث أيضًا في ايراد الروايات التي وردت في تفسير (الصَّمد) عن النبي وأهل البيت عليهم السلام وفي سياق الحديث عن الآية الثالثة والسبعين من سورة المائدة وكان من الأجدر أن تكون في بحث أسباب النزول ؛لأنّ مكانها -من وجهة نظر متواضعة -هناك.

ث-أفاض الحديث عن الإمامة والخلافة فبيّن أهمية الإمامة في منظومة الفكر الإسلامية وتطرق إلى أنواع الإمامة في القرآن الكريم وشرائطها أيضًا.

فهذه الموضوعات وغيرها مكرورة وكُتب فيها الكثير فكان من الممكن الإقلال من الجانب النّظري والاكتفاء بالإشارة إليها فحسْب مثلما أوجز الحديث عن النهضة الحُسينيّة. وأحيانًا نجده مقرًّا بإسهابه يقول مثلًا: "نكتفي بهذا القدر من الروايات والتي أشارت بإسهاب الى الفكر الحُسينيّ في تأويله للآيات الكريمة".

رابعًا: الخاتمة

من باب الإنصاف والأمانة أقول:

وجدتُ في الخاتمة نتائج كان الباحث موفّقًا فيها ؛لأنّها تصبُّ في صلب البحث وأخرى انسحب عليها إسهاب الفصول فكانت إعادة لما قرّرته صحائف البحث وقسمًا ثالثًا لم يكن

مكانه خاتمة البحث سأذكرها تباعًا:

القسم الأوَّل:

لمستُ حرصَ الباحث على إبراز الجانب الأكاديميّ في النتائج الآتية:

- بيّن أنّ روايات الإمام الحسين عليه السلام توَّزعتْ على مستويات عدة أهمها: علوم القرآن، الروايات العقائديّة، الروايات الفقهيّة، الروايات الأخلاقيّة والتربويّة، ويبدو من خلال استقراء الروايات أنَّ أكثرها في الجانب العقائدي وذلك حرصًا منه عليه السلام في المحافظة على عقائد المسلمين من الانحراف. وفي الجانب الآخر تجد قلَّة الروايات التفسيريّة وبشكل خاص بالجانب الفقهي، وهذا بسبب الظرف السِّياسي العصيب الذي كان يعيشه الإمام عليه السلام.
- عاشَ الإمام الحسين عليه السلام أحلك الظروف وأقساها؛ لذا كان تفسيره واقعيًّا يحُاكي الظروف الآنية الواقعيَّة بأسلوب تطبيقي وعلى نحوين :

الأول : من خلال تفسيره الذي يذكر الآخرين بالفكر الأمويّ البعيد عن الفكر الإسلاميّ.

الثاني : من خلال تفسيره الذي يذكر الآخرين بالنَّعيم والجنَّة والخير والفضيلة، كذلك المكانة الساميّة لأهل البيت عليهم السلام وارتباطهم بالقرآن الكريم فهم القرآن الناطق فكان تفسيره واقعيًا على الرغم من قلَّة الروايات التفسيرية – بسبب الواقع السياسي المؤلم الذي كان يعيشه عليه السلام خاصة – إذا ما قورنت بكميّة الروايات المأثورة عن الإمامين الباقر والصادق وكذلك الإمام الرضا عليهم السلام.

- كان منهج الإمام عليه السلام منهجًا متميزًا يعطي بعدًا دلاليًا في تفسير الآيات، فمرة يسلكُ المنهج العقلي لإثبات رأيه عليه السَّلام، وأخرى يسلكُ المنهج النَّقلي، وتجد الرواية تحملُ بعدين معًا كالعقائدي والأخلاقي.

القسم الثاني:

انسحب الإسهاب إلى الخاتمة أيضًا فكان هذا القسم معروفًا عن شخصيّة الإمام الحُسين ﷺ ومن المُسلَّم به أنَّ "المُعرَّف لا يُعرَّف "يقول مثلًا:

- "الإمام الحسين ﷺ كان إنسانًا صادقًا صالحًا وطاهر القلب، إنسانًا كاملًا، رهنَ كل حياته للإنسانية له من الصفات الحميدة التي لا يمكن حصرها كان عابدًا زاهدًا قارئًا للقرآن كثير البكاء من خشية الله عزّ وجل،يحنو على المساكين والفقراء فجاءت وصاياه ومواعظه دروسًا في الأخلاق ومنهجًا للتربية الإسلاميّة الصحيحة...".

القسم الثالث:

وجدتُ التفاتة ذكيّة جدًا تمثّلت بما أورده من أقوال وآراء في شخصيّة الإمام الحسين ﷺ من شخصيّات غير عربيّة وغير مُسلمة أحيانًا مثلاً:

نقل قول البروفيسور السويدي بان ارفير هنغسون (أنا لستُ مسلمًا – لأنّه مسيحي ولكنّني مسلم أنا مسلمٌ للحسين ﷺ مسلمٌ للإمام العظيم الذي أرانا طريق الإنسانيّة، وأرشدنا الطَّريق الذي يوصلنا إلى منزل الحريّة) وقول الكاثوليكي أيان كيث أندرسون – من بريطانيا –» الإمام الحسين ﷺ هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى والذي يريد طريق الخير فليسلك طريق الحسين ﷺ".

حقًّا التفاتة محمودة أن ينقل أقوال علماء الغرب وآراءهم في حق الإمام ؛ولكن هذا ليس مكانها لو وضع تمهيدًا للأطروحة يُبيّن فيه هذا الجانب لكان العمل أجمل بكثير بخاصة أنّه لم يُمهِّد لموضوعات البحث وإنّما سلك طريقًا يُوضّح فيها بداية كل فصل واستهلها بمُقدِّمات عن القرآن الكريم وسماته–كما ذكرتُ قبلًا–والحال نفسها في إقراره بالفضل لمن قدَّم له المشورة والنَّصيحة من علمائنا الأفاضل وهذا مكانه أيضًا في صحيفة الشكر والعرفان.

النقطة الأخيرة : مع أنّ الباحث عاد إلى أمّهات الكتب من المصادر القيّمة والمراجع المفيدة ولكنّي لم أجد في الكتاب قائمة للمصادر والمراجع مع أهميتها.

بعد عرض هذه النقاط المُسجّلة على البحث أكرر القول :إنّ غايتي هي تقديم الفائدة العلميّة للقارئ الكريم ولاسيّما طلبة الدراسات العُليا أسأل الله أن يكون من العلم النافع وأن يكون في ميزان حسناتنا جميعًا يوم لا ينفع مال ولابنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم والحمدُ لله أولًا وآخرًا.